التشظى وتداخل الأجناس الأدبية
فى الرواية العربية

" الجزء الأول "

السيد حافظ

نموذجاً

إعداد وتقديم

نـجـاة صـادق الجشـعمى

الكتاب: **التشظى وتداخل الأجناس الأدبية فى الرواية العربية**

الكاتب: **دكتورة: نـجاة صادق الجشعمي**

الناشر: **مركز الوطن العربى "رؤيا"**

البريد الالكترونى : justhappy_man2000@yahoo.com
Hafez66@live.com

تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٧

رقم الإيداع: ٢٦٢٥ / ٢٠١٧
دار الكتب والوثائق القومية
إدارة الإيداع القانونى

الترقيم الدولى: I.S.B.N 822 – 01 – 5436 - 5

الغلاف:
تصميم وجرافيك: **خالد شعبان**

الجمع والصف الالكترونى: وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيـذ: **خـالد شـعبان**

توزيـــع: **مركز الحضارة العربية – أ. على عبد الحميد**
مكتبة عمر بوك ستور – القاهرة ١٥ شارع طلعت حرب أعلى مطعم فلفلة

تليفون: ٠٢٢٣٩٦٠٠٤٧ – ٠١٠٠٣٣٦١٢١٧

الاسكندرية: **مكتبة دار حورس للنشر والتوزيع**

مكتبة أكمل: **الاسكندرية ١٨١/ ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى**

تليفون: ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

مقدمة ليس لها من بد

حين تواجه عملاً روائياً مختلفاً فإنك أمام اختيارين..
الأول أن تسبح في بحر المجهول لتصل إلى مرفأ المعرفة
والثاني أن تتجاهله فتشعر بالوهن والضعف أمام القيم الجمالية الجديدة..
كنت بصدد دراسة عن العالم الروائي للكاتب السيد حافظ..
فوجدت من سبقني من الأقلام النسائية المبدعة المتميزة والمتفردة في النقد الأدبي

الأستاذة / أسماء بوفاديس – تيبازة – الجزائر

الدكتورة / أفكار أحمد زكي (مصر)

الأستاذة / آمال شوقى محمد يحيى (مصر)

الأستاذة / ايمان الزيات (مصر)

الدكتورة / جميلة رحماني (المغرب)

الدكتورة / جميلة مصطفى الزقاي (الجزائر)

الدكتورة / حنان حطاب (الجزائر)

الأستاذة / دينا نبيل (مصر)

الدكتورة / رشا غانم (مصر)

الأستاذة / رضوى جابر شعبان محمد (مصر)

الأستاذة / عواطف الزين (لبنان)

الأستاذة/ فاطمة الزهراء بن الصادق(الجزائر)

الدكتورة / فايزة سعد (مصر)

الدكتورة / كاميليا عبد الفتاح (مصر)

الدكتورة / ليلى بن عائشة (المغرب)

الدكتورة / لبلبة فتحي خليفة (مصر)

الأستاذة / منى عارف (مصر)

الباحثة / مى جمال الشربينى (مصر)

الدكتورة / هاجر مباركي (الجزائر)

الدكتورة / وفاء كمالو (مصر)

تم وضع الأسماء حسب الحروف الأبجدية
مع الاحتفاظ والتقدير للدرجات العلمية

الإهـــــداء الأول

إلى أبى صادق محمد الجشعمى الصامد ضد الإنكسار ورمز العطاء كنخيل البصرة العاشق للعراق والحياة. إلى أبى الذى علمنى أن لا مستحيل فى الحياة ما دام للإنسان إرادة.. إلى أحلامه الطيبة بالحق والخير والجمال.

أهدى هذا الجهد العلمى والفكرى الثقافى الذى يحتاج إلى الصبر الدؤوب الذى تعلمته منه وقُبلة على جبينه وللبصرة التحايا وللعراق الجريح كل الأمنيات للخروج من هذه الفتنة.

نجاة صادق الجشعمى

الإهـــــداء الثانى

إلى وسام ابنى شهيد العراق وكأن أرض العراق عطشى لدماء الشهداء كى تتطهر وترتدى ثوب النقاء .. كأن الأرض مذنبة لتغتسل بدماء أولادنا ومنهم أبنى وسام.

يا وسام سامحنى لم أحضر غسلك أو دفنك مثل معظم كل الأمهات فى العراق فطوبى لك وللشهداء الشباب والعجائز الأرامل.

يا حبيبى سامحنى قتلتك الفتنة والغباء والتقسيم وسياسة النجاسة والقتل على الهوية .. سامحنى فأنا لا أملك من أمرى شيئاً فكل العراقيين غرقى يا ولدى لا استثنى أحداً منهم.

نجاة صادق الجشعمى

□

الإهـــــداء الثالث

إلى أساتذة النقد فى الوطن العربى .. باقات ورد لكل حرف كُتب فى هذا الكتاب... سامحونى فأنا متخصصة فى التاريخ ودخلت ساحتكم وخلعت نعلى فى واديكم المقدس المحتشد بنور المعرفة والحكمة والتحليل والاكتشاف والتقويم للرواية ولهذا الكاتب المصرى المبدع (**السيد حافظ**) وهذا ليس بغريب عن مصر التى انجبت (توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ ، يوسف ادريس، صبرى موسى، صنع الله ابراهيم، مجدى العفيفى، مدحت الجيار، يوسف زيدان، وابراهيم عبد المجيد، وعمار على حسن، وغيرهم وغيرهم من المبدعين)، فمصر مبدعة كالنيل بموجات متلاحقة من المبدعين.

نجاة صادق الجشعمى

□

قبل البداية
بقلم الدكتورة نـجاة صادق الجشعمى

من الصعب والمثير أن أخوض هذه المغامرة (نقد النقد) وأنا مازلت لا أمتلك تلك الثقافة الواعية بالأدب والنقد الأدبي بالرغم من ولعي وتشبثي ووهني القاتم الذي ظل يلازمني كظلي وسيظل إلى آخر أنفاسي.

وسأكون بشجاعة وصلابة من عاهدتهم على ذلك. مثقفة واعية ملتزمة بالمسؤولية تجاه التطوير الذاتي بفخر دون شوفينية وغرور بل مواصلة الإبداع والإشادة بالمبدعين الكبار وخاصة ممن اعتبرتهم منافذ الفكر والوعي الثقافي ومن ذوي الأقلام الساحرة في عالمنا الحضاري. وبما إننا عانينا ونعاني من سني عجاف من العزل والحصر والحصار بكافة ميادين الحياة.. وعدم استقرار الأمن في بلادي الحبيبة. (العراق) ومتداخلات السياسة بالثقافة والوعي الفكري كمنهاج قائم على منح الفرص للكتابة والانطلاق من أرض خصبة للحضارات تفرض علينا التحرر من كل ما يقيدنا لإثبات الذات العربية عامة والعراقية خاصة وبجدارة وقيمة عالية من الكفاءة التي تستحقها المرأة العربية والعراقية خاصة.. مما وقع عليها من ضير وتعسف وسلب حقوقها بسبب سياسات الروتين الإداري والأجندات السياسية بجانب انتهازية البعض ممن منحتهم الحياة فرصة التسلق وعدم التعاون مع الموهوبين الذين يمتلكون الحس الأدبي والثقافي والطموح ورغم كل هذا والأكثر صعوبة عدم الاستقرار وبخس الوطن والدار وقتل فلذات الأكباد وتشردي من وطني وداري ومقري واستقراري وعيشي وصعوبة ظروفي وإمكانياتي..

عزمت بيني وبين نفسي أن أشد الرحال بعد أن خسرت وضاع كل شئ إلا ذاتي وفكري وهوايتي وأمنيتي ورجائي الآن أمامي استراتيجية ونسق جدلي لن يتناقض مع نفسي وفكري.

أحداث وتقنيات جمالية ودلالات إنسانية التقطتها من الواقع العبثي الذي فرض علينا ومن صور بخيالي كنت أطمح في يوم أن أحققها.. لأنني كسائر النساء العراقيات طالما خضعت للتقاليد وتأثرت بها. بل تقليدها حرفياً.. أدرك صعوبة فهمي لكن عندما تتابعون ما كتب سوف تعلمون الحقيقة.. الكثير منا يهوى لكن تجري الرياح بما لا تشتهيه السفن.

قبل أن أقدم هذه الدراسة أو المشروع الذي أمامكم وبين يديكم لبعض الأعمال الإبداعية والنقدية وأقلام قامات في النقد العربي ومبدعات ودراسات ذات ثقافة وعقول وأفئدة عرفت المعاناة في الفكر والإبداع وتوغلت بنظرة ثاقبة وعمق بالتحليل في أغوار الأعمال الأدبية والثقافية كاشفة أدق التفاصيل وأرق المشاعر الحسية بأسلوب سلس رقراق أحياناً.. وتميزهن بالتعمق الواقعي برؤى اجتماعية ونزعة إنسانية صادقة يتفاعلن بحرارة لإظهار التفاصيل الحية بدقة.. شدني إلى هذا العمل رغم أنه ليس من ضمن اختصاصي.

فقط إن الأدب والشعر والكتابة تجذرت في أعماق نفسي.. وقراءة هذا الكم الهائل من صدور الأعمال الروائية بالوطن العربي ما بين الجيد والممتاز والرديء، بحيث نجد أن أكثر من (٢٥٠) كاتباً روائياً في الإمارات وكذلك في المملكة العربية السعودية وأيضاً الكويت وسائر الأقطار العربية الآخرى وظهور كتاب ليسوا بالمستوى الأدبي من حيث المواضيع واستخدام المفردات

التعبيرية.. وبينما نجد مؤلفين وكتاباً قمة في الإبداع والرقي.. ليس في يدي الميزان ولكن الحس والذوق وجمالية العمل ومعالجته لقضايا الواقع وربطه بالتقنية الحديثة ومواكبة التطور.. وإذا ما مسكت رواية أو قصة قراتها أو عمل للكاتب الروائي الكبير قامة وليس سناً وجدت الأقلام تغزو أعماله وكم هائل من الناقدات من جميع أقطار الوطن العربي.. فأحببت أن أجمع هذه الأقمار التي تحيط بالشمس لتضيئ لنا سماء الأدب والفكر والنقد والوعي الحسي.. إننى أقتحم أبواب هذا الكجل من باب الهواية وليس الاحتراف والتخصص.

فقط لى شرف المحاولة.. فالعراق غنى والبصرة التى ولدت فيها هى فيحاء العراق مدينة المربد وثغر العراق الباسم ومدينة القائد بن غزوان وما بين كل مواطن بصراوى وآخر تجد شاعراً أو قاصاً أو روائياً أو ناقداً أو فناناً.

هذه الأقلام المضيئة بالفكر والمعرفة جعلتني أعيد النظر في مشروعي للكتابة عن العالم الروائي عند السيد حافظ؛ ففكرت أن أقوم بجمع هذه الدراسات والرؤى بين دفتي هذا الكتاب لتفتح أمام الدارسين والباحثين أفقاَ جديداَ أو موقفاَ مغايراَ حتى تحدث الجدلية الفكرية التي نحتاجها في ظرفنا التاريخي الحاضر بشدة وبقوة حيث تتسلل إلينا أفكار الظلام والتخلف في صور شتى مما يجعلني أنتمي إلى خندق المدافعات عن الجمال الفني والأدبي وسمو العبارة والفكرة وانطلاق اللغة من جبة القديم إلى المعاصر؛ فالعالم يتغير في كل لحظة ويتطور بشكل مذهل فلا يمكن للأدب أن يقف مكتوف الأيدي أمام هذا التطور، فالرواية العربية قد خرجت من بحيرة الحكي المألوف والسرد المعروف إلى محيط هادر وأمواج عالية من الإبداع والتنوع والاختلاف، وقد

تناست وتغاضت عن سردها القديم والتحمت بالفنون الآخرى كي تعبر عن واقعها المغاير بهوية جديدة، طامحةً أن تكون شهادة على العصر.. هذا الكتاب النقدي في ظاهره عن الكاتب السيد حافظ لكن في مضمونه ثورة على الشكل النمطي للرواية العربية التي حاول البعض من المبدعين الكبار أن يحرروها من قيودها التقليدية وتوظيف الفنون الأدبية الآخرى ودمجها لتكسب الرواية صورة جمالية وقيمة أدبية وفنية لتخرج الرواية بهذا الزي الجميل المطرز بأنواع الفنون الآخرى.

إن كل عصر من العصور يأمل أن يحقق ما لم يحققه أى عصر قبله فى الإبداع والتألق الأدبي والفني بكل أنواعه، فلكل نوع أصداؤه عبر العصور، وهذه حقيقة تؤكدها الرواية العربية المعاصرة لنؤكد وجودنا ونكتشف قدراتنا الأدبية والإبداعية المذهلة ونتفحص العبارات الحيوية وطبيعة الذات المعاصرة وردود الأفعال لهذه الانطلاقة وقبول الأفكار وحرية التعبير النقدي الإيجابي وإضافة تقنية تعبيرية وفكرية ومعلومات تاريخية قد نكون سهونا عنها أو قد لم تذكر أصلا ولم تدرس ضمن المقررات الدراسية لأنها ظنٌّ ممن كتب أنها غير مهمة فتهمش وتحول هويتها التاريخية إلى دينية، وأصبحت تابوهاً وخطاً أحمر لايمكن الاقتراب منه بعد أن بات الإحساس في هذا الزمن متشتت، والأعمال ليس لها هوية، وتعاني من قلق معرفي.

فعلى الرواية أن تتخطى الزمن والمسميات والتنبؤ والحلم بتلك الأزمان بينما الأحاسيس والأمة تنهض وتثور لتتقدم وتواصل الركب لتلتحق بالعالم المعاصر حتى لا تتعرض بفايروس الهجرة ونفقد هويتنا العربية تحت مسميات الحرية والديمقراطية وإعادة النظر في المصطلحات والأفكار والهيكل

البنائي للرواية والأهداف والتركيز على العامل الإبداعي والحسي الهادف لتجسيد المشاكل الاجتماعية ومشاكل العصر والصراعات والنزاعات الدينية والطائفية وإبادة الكائن الإنساني. ليس الهدف من التجديد جذب وسائل الإعلام، لكن هي الحداثة والابتكار والإبداع والتجديد ولم نقتصر على الكلام والترويج بالتطور والحداثة والتغيير ونحن نضع نهايات مسدودة بوجه المبدعين وأعمالهم القيمة الزاخرة الشاملة للأفكار شعراً وصوتاً ومسرحاً وتمثيلاً وكلماتٍ وإحساساً ولغةً مميزة، وتميزاً ذاتياً مستمراً لتحقيق الهوية الذاتية بتفاعلات عديدة كأنه صراع على الكرة من الذي يصوب ويحسن تسديد الهدف، والآخرون يتحركون غضباً أو غيرة أحياناً.. كلا ليس هكذا الحداثة والتطور بل يجب أن تؤدي إلى انفجار لغوي في معمل اللغة، فلنسلخ شبح الأنا الذي يلازمنا ونقاوم المفاهيم المربكة للأدب والنقد الأدبي حتى نحقق ما نطمح ونصبو إليه، لأننا لانستطيع أن ننجح بمعزل عن بعضنا البعض في وضع الخطة ورسم الخطوط للفنون الأدبية والثقافية مثل هذا النموذج الرائع.. المشروع الروائي.. سباعية السيد حافظ.

هل سيظهر لنا ما نطمح إليه، وأن يكون في بناء الرواية العربية صور وهندسة أدبية، وأحاسيس شعرية، وتصوير ومعزوفات ومفردات فلسفية وقصص وحكايات شعبية وتحديات سياسية ومقالات ثقافية ومسرحيات فكاهية ومواقف إنسانية.. إنها حقاً نموذج يستحق عرضه ودراسته، وأراهن على أننا إن قرأنا أعمال الأديب والكاتب الروائي والكاتب المسرحي السيد حافظ، سوف نعود ونكرر القراءة مراراً حتى يتجلى أمامنا في كل مرة جانب من الجوانب الخفية في البناء اللغوي والسردي والفكري في العمل. وكان كل

جزء من أجزاء السباعية هو عتبة من عتبات الصعود إلى الروح الخلاقة في الفن الصادق الحقيقي الذي كلما مر زمن أو أعيد قراءته من جديد كشف عن نور إبداعه الخاص؛ فالرواية التي تنتهي من قراءتها دون أن تحتفظ في داخلك بعلامة من علامات الفكر أو بلمحة إنسانية تتأثر بها أو بشخصية تتفاعل معها، فهي لا محالة رواية ولدت، لكنها ميتة، وتسقط من ذاكرة التاريخ الأدبي دون حزن أو أسف.. إذا للقارئ دور أساسي دون أن ننسى دور الإعلام والصحافة والتلفاز، والآن التقنية التكنلوجية التي لها الأكثر والأكبر من النسب للنشر والتوصيل الخارق للتبادل الفكري والمعرفي والأدبي والفني. ولا ننسى وجود الكثير من الكتاب لكن البعض منهم أشباه أدباء وكتاب يتدحرجون هنا وهناك ما بين مدار التقليد والبذاءة والسخرية أحياناً.. ومع كل هذا حفل التاريخ الأدبي بعباقرة في الفضاء الروائي، وأنماط متنوعة بدأت تزاحم بعضها في سياقات السرد والتلاعب في الشخصيات وحركتها المتوازية مع النص والأحداث والتنقل ما بين الواقع والخيال، مما يضيف جمالية أخرى للنص العنوان.. مشروب قد يدل على بداية علاقة ومن الممكن أن يكون خبراً، وربما سؤالاً دون جواب أو غياباً وفراقاً، وربما يشغلنا لنفكر بعنوان بديل فيترك لنا الكاتب أحياناً الاختيار، كم هو جبار ومتمكن لغوياً لو طرحنا على الكاتب السؤال، بماذا يجيبنا؟!

ما هي دلالات عناوين الروايات السبع التي أغدقت بها على القارئ العربي؟ لطالما توقفنا أمامها وهي تتحدانا في كبرياء.. هكذا أفاض مبدعنا العربي بالأصالة للأدب والكتابة في وصفه للشخصيات حيث لم نستطع التفريق بينها إن كانت خيالاً أم واقعاً! لكننا اندمجنا معها، وتابعنا تفاصيلها، إن كان نصاً

موازياً لأنه نص مرئي محسوس وواقعي. ولن يخلو النص من الصدف والمفاجأة وخيبات الأحلام والالتزام والوفاء للزوجة، وحب الحبيبة، فظهرت وتراءت طريقة الكاتب هنا وبوسائله المذهلة على غرار استخدامه تعابير يحضنها مرة، وأخرى ينثرها في صفحات الرواية، وأحياناً يرتفع صوته يحاكيها كأنها ذاته، مما أعطى للنص صفة الذاتية، إنه عليم بما يكتب ومخلص لعبقريته الروائية وشخصيته القاهرة والبسيطة التي لها قياسات ما بين السرد والبوح، والشخصية البارزة الحاكية "شهرزاد"، والمكان والزمان كأنه يتنقل على خشبة المسرح.. لن أخفي عليكم عندما قرأتها وسمعت بعضها تصورت قرب المسافة بيني وبين الكاتب، وكثيراً ما جالت وانسابت دموع عيني واختلطت الأحاسيس في ذهني، وأنا اقرأ تلك الهمسات لسهر، والأكثر روعة البلاغة بالوصف والحركة، كأنما كاميرا نقلت لنا تلك الصور. هذا نجاح آخر حققه الكاتب إذ أصبحت عيناه ترسم وتنقل لنا تلك المشاهد، والتراكيب الواقعية للشخصيات.. مما يجعلنا نقف مندهشين ونتابع عن كثب أعمال الكاتب والأديب الروائي والكاتب المسرحي السيد حافظ.. من خلاله عشقت الأدب.. من خلال لغته المتميزة أحببت المطالعة والقراءة؛ إذ يخلق ويصنع ويعيد وينسق الأشياء، والكتابة عنده فن وذوق وإحساس وابتكار وتصوير ورسم وجدال وسرد وتمثيل وألحان وغناء، ومخيلة رصينة، وثقافة وآلية لكي يستطيع الاقتراب من المتلقي.. القارئ اذا هنا جسد السيد حافظ، الأحداث والمشاهد لغوياً بحيث بدت حقيقة موجودة مجسمة واقعياً..

عالم غريب متناقض نحن أمام قامة كبرى للأدب العربي.. صحافة ومسرحاً وإذاعة وتلفازاً وتجريباً وأطفالاً، وبتألق وإبداع.. السؤال الذي في ذهني هو:

هل السيد حافظ مجرد اسم من بين الأسماء؟
هل السيد حافظ سيظل مجهولاً من قبل أشباه المثقفين؟
هل السيد حافظ لن يقدم ما ينهض بالأدب العربي؟
هل السيد حافظ ليس ممن تطلقون عليهم الشوامخ أمثال طاجور، ونجيب محفوظ. وكامى.. ؟

لماذا لم تمنح له جائزة الدولة أو جائزة نوبل؟ هكذا نحن العرب للأسف الحقد والبغضاء والتنصل والتملق؛ أصبحت من سمات عصرنا الحالي، والمهم والمتألق والعبقري والقدير صاحب القدرة والكفاءة مهمش مجهول الهوية في وطنه. فهناك فارق كبير وواضح أمامكم ممن يعرفون الاسم وأقصد القراء المثقفين. أراهن إن كان هناك كاتباً في كل أنحاء مصر خاصة والوطن العربي عامة، لا يعرف أو لم يقرأ عملاً للكاتب الأديب السيد حافظ. ملاحظة قد تكون غائبة عنا سأكتبها هنا؛ نحن نقول إذا أردت أن تعرف أو تقيس أهمية الكاتب فتصفح أعماله واقرأها فنحن أمام كاتب حقاً أسطورة.. فلماذا نتنصل من الحقيقة وله العمر الطويل كاتبنا.. نتذكر أدباءنا فقط عندما يتوفاهم الأجل.. نكرمهم ونمنحهم الجوائز وهم أموات كما حدث مع الشاعر الكبير بدر شاكر السياب، ومحمد الجواهري، وغيرهما.

فكاتبنا الكبير المبدع الراقي لغوياً وأدبياً أجريت معه لقاءات وأحاديث صحفية، واستضافات على قنوات فضائية، ومقابلات، وحوارات في التلفاز، وندوات منها في جامعة الإسكندرية بكلية التربية وجامعة القاهرة، وفي المنتدى الثقافي للسرد. يكفي أن نشير إلى أن ٥٠ رسالة ما بين رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراة كتبت عن إبداعاته، والأكثر شهرة عربياً خاصة في

المغرب والجزائر وتونس والعراق، ونادراً في مصر الثقافة والوطن الأم، فهل نعاتب المثقفين أم نصمت ونتجاهل الكفاءات والإبداع وندفن تاريخ الأدب كما ندفن الناطحة والمتردية.. للأسف رغم ماتمتعت به من الأفكار المجنونة والحوارات والدراسات وما تضمنته من مضامين وحقائق وإيجابيات وتفاصيل وأنغام ونحت ومتغيرات ومؤثرات سردية قصصية مدهشة، ولغة رمزية أحياناً وتلقائية واقعية غالباً، وألغاز وهمسات وعشق حقيقي وتعابير مثالية وتوجيه خطابات ولغة مزاجية للكاتب المتحمس لواقع حر وشوق ساخن مندفع لايقاوم، والاستسلام للزواج والأبوة وإلى الجوع أحياناً والإرهاق والمشاكل الجسدية، وعلبة السجائر والسيارة والذهاب إلى الكافيتريا وتناول القهوة، والوصف لملابس السهرة والنوم، وحالات جنسية ملتهبة أحياناً مع القليل من التمتع بالحياة، والعمل الصحفي، والكتابة، والحالات الإنسانية والعلاقات الاجتماعية رغم كل هذا وأكثر كلي اعتذار إن خذلتني ذاكرتي، لكنني شعرت أن كل هذا الكم من الجماليات والإبداع إلى من يكتبه الكاتب السيد حافظ؟ هل يكتبه للمجهول؟ زمن الغريب، إنني كلما ينتابني النسيان تنهمر في رأسي كلمات قرأتها هنا من أعمال الكاتب وبطريقة تلقائية تنساب كقطرات ماء على الورق.

هل ستكون هذه الكلمات منسية، رغم كل ما بذله الكاتب من عناء فكري وجهد ومال وسني العمر والصراع لإحياء الوجود الذاتي بعد أن قرر بعض أشباه الأصدقاء والأدباء دفن السيد حافظ؟

لكنه نهض وانقض على قلمه وقرطاسه، فهبطت عليه ملائكة الرحمن لتورد له لغة وأفكاراً وصوراً تأمر بعزف نغمات الرحمة والفرح لتقول: لا تحزن إن

الله معك، فلم ولن يستسلم؛ فأبدع بنهم، وتألق كالعادة، وبكل فخر وشموخ نتناول أعمالك أيها الكاتب الضرورة والأسطورة، ولا نستطيع تجاوز عمل من أعمالك القيمة، وحروفك وخيالك الواقعي مع تلك العاطفة الجياشة التي طالما حركت أحاسيسنا بوهج الحياة لتتدفق في عروقنا كالدماء السخية.. تخاطبنا تشاركنا بالشعور والعقل لتمدنا بعاطفة الدفء.. تارة يتذكر الليل والسهر والدمعة واللوعة والزفرة واللهفة، وأحياناً تطفو البهجة والسرور.. يدافع عن المرأة وكيانها. يؤكد قيمة الحب كضرورة للحياة من أجل التقدم وإسعاد الغالين، لطالما نذرنا أنفسنا لهم، ووقفنا نتعبد بمعبد الحب ونقتات من كلماته زاداً لروحنا.. يحارب الظلم والخرافات.. يوضح لنا حقائق تأريخية غفلنا عنها، فيغلفها بشاعرية، ليسعى إلى تصحيحها ودغدغة غرائز القارئ.. لأنه يهدف لتعميق المعلومة في أغوار نفسه.. براعته بسرد القصص وتدفق الشخصيات والأحداث.. يمتلك القدرة على شد القارئ والتعايش مع الأحداث بشوق.. كثيراً ما ينتقل من الواقع إلى الخيال ومحاكاة الذات، وبين الحقيقة والسرد، فنكتشف في مشروعه صراعاً بين الفرد والعادات والمجتمع، وتصوره الرائع للحقائق، وتصرفات النساء وتجاربهن، ومعاناتهن في القسوة والإهمال، والحب والمؤثرات الروحية التي تخترق الروح.. وتسيطر على النفس.. غالباً ما نستكشف الجانب الدرامي الذي يربط الماضي بالحاضر.. يمتاز بإثارة التعابير والحس المرهف ويركز على الشخصية بكامل الخصائص التي تميزها.. حقيقة لابد من ذكرها بأمانة للقارئ.. أُصبت بالدهشة والخوف والتساؤل.. عندما وجدت هذا الكم الهائل من الدراسات النقدية فقرأتها رأيتهن من قامات ومبدعات الوطن العربي ولهن تاريخ مشرف في النقد

الأدبي فصعقت برأسي.. إذاً أنا أمام سد منيع ورمز من رموز الأدب والفكر العربي.. أمام كاتب وروائي كبير.. روّض نفسه على اقتحام المسالك الوعرة والمضي بعزيمة وطموح وهمة عالية رغم أنه كثيراَ ما يردد مقولته: "إنني أكتب للمستقبل، لقارئ واحد فقط قد يقرأ في يومٍ ما".

تمنيت أن أتعرف عليه وأتتلمذ تحت روعة قلمه وسطوته ومداد سطوره.. أمبراطور الحرف العربي وهو مدرسة حقاَ.. ونبي للحب أحياناً.. أب حنون.. وزوج وفيّ.. وأخ غال.. وإنسان بالمعايير الإنسانية.. يتغلبني الفضول.. ماذا لو زرته وتكلمت معه.. ؟ لوجهت له كل الاسئلة التي تتصارع في تفكيري.. ليس أنا فقط.. وإنما جميع القراء والمعجبين..

س١: ممن تستمد مصادر إلهامك وإبداعك؟

س٢: كيف عشت طفولتك؟ شبابك؟ مراهقتك ؟ رجولتك؟

٣س: أين أكملت دراستك؟ ومتى بدأت بالكتابة؟

س٤: قدوتك بالحياة؟

س٥: ماذا يعني لك؟ القمر، البحر، الشمس، السماء، القلم، البيت، المال، اللون الرمادي، الساعة، المشفى، الصديق، البنت، الطفل، الضجيج، الضحك؟

س٦: ممن تنمي أفكارك؟

س٧:عندما تكتب هذه الشخصيات هل تتقمص شخصية البطل؟ وهل تتعايش مع الأحداث والشخصيات؟ وهناك الكثير والكثير من الأسئلة.. أتشوق أن أدخل وأغسل كل حرف من الحروف وأتوضأ وأشرب ماء غسلها كي أتبارك بها عسى الله أن يلهمني لغة تلك الحروف

الماسية الراقية المذهلة.. يا ترى ماسر جمالها؟! وما السر في جمال الشخصيات التي يختارها؟ أظنها الواقعية والفن مع ثقافة فكر الكاتب.

أتمنى أن أكون قد توصلت إلى اكتشاف المجهول والظاهر والغموض والعقيد والخيال والإدراك والوعي والشفافية والبلورة في المفردات وبناء الجمل بمنظار مختلف، لذلك حاولت أن أذكر وأجمع هذه الدراسات النقدية للأديبات الناقدات العربيات في مصر والوطن العربي لأنهن قامات الحركة النقدية الحديثة في الوطن العربي، يساهمن في تطوير النقد الأدبي وجعله عملاً مكملاً وإبداعاً موازياً للأدب بكل ألوانه؛ بحيث يقوم بتحليل وشرح وتفسير وفق ضوابط ومعايير حسية وجمالية.. أي الوقوف على محاسن وجمال النص، وأيضاً لتوضيح مواقع الضعف في النص وكشف الإحساس الخفى، والحلة الروحية الصادقة للكاتب أو الأديب.. والناقد أيضاً يجب أن يتصف بقدرة عالية من هذه الشفافية.

□

كلمة عن أسماء بوفاديس
وفاطمة الزهراء بن الصادق

المواهب النقدية المتميزة القادمة أمثال أسماء بوفاديس وفاطمة الزهراء اللتان قدمتا دراسة نقدية حول بنية الزمان والمكان في رواية (كابيشينو) للكاتب (السيد حافظ)، فأكدتا على أن النص الروائي في جوهره بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات فتبنت وظهرت تلك المفارقات الزمنية بدورها أظهرت العديد من التقنيات (كالاسترجاعات.. الاستباقات والإيجاز) مع التأكيد على طبيعة الإنسان؛ فالنص لن يسمح للشخصيات أو الأحداث بالظهور المتزامن وإنما هناك فرق بين زمن السرد وزمن الرواية والأحداث السردية واستحداثها واسترجاعها لكن بصورة وأحداث وأزمان مختلفة وبمكانية ظرفية وبحبكة تقنية وتحفة فنية بحيث يتشوق القارئ أو المتلقي للاستمرار والمتابعة لأحداث النص والسرد الحاكي المتمثل بالشخصيات والمقترن بالزمان والمكان والتنقل بينهما بحكمة وذكاء، هذا دليل آخر لإبداع الكاتب وتذوقه الفني ورفعة وسمو الحس الشعري والمشاعر الفياضة بالذهول لجمال عطائها الإطار لجوهر النص المراد خطه وكتابته بإتقان وتمعن وفق ما يرى الكاتب من وجهة نظره الفكرية والثقافية اللغوية وتوصيل الهدف والحدث للقارئ والباحث بحيث ينور لنا الطريق للسير واكتشاف السبل التي تساهم في تجديد واقع قد خلا من الإبداع والمصداقية ومشاركة القارئ في إيجاد الحلول للأمراض التي هتكت الأبجدية والثقافات الأدبية سواء في النقد أو أجناس الأدب وتنوعه ما بين المسرح والرواية والقصص والخطابة والتخاطب والشعر الموزون والحر، وكل هذا وذلك نحن نستشفي بالبراعم اليانعة المخضرة خيراً وأملاً مشرقاً وإبداعاً وتجدداً، لا أخفيكم فرحتي حين أقرأ لكلمات كتبتها أقلام

مبدعتين يانعتين وبينما كلنا أوشك أن يفقد الأمل أو ربما جلس بمقعد عند ركن غير مقتدر يراقب بكثب بعيون متكاسلة قررت أن لا تتواطأ مع الصمت وأغلف الثواني بخيبات الدهور المرعبة وأستمر بالمباغتة والقهقهة والتكاسل بينما أبث أفكاراً مجنونة وأناشد التطور والتجديد في الأدب والنقد بل في كافة تفاصيل الحياة بجميع حالاتها الفكرية والعلمية والأدبية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. فكل الشعوب تتراقص على أوجاعها.. لتحسها قوية لكنها للأسف عبارة عن عظام نخرة وثقافتهم عبارة عن قصب أجوف.

مجنونة مدينتي.. مجنونة جمهوريتي.. تبعثين الحياة لروحي.. مجنونة بصرتي تتلوين وتخترقين إحساسي.. يعلو ويهبط نبضي.. مجنونة فيحائي ميقات صحوي واطمئناني.. تظل وتظلين وستظلين تشاركينني قلبي وروحي وجسدي.. وجدت الجميع يتحلقون حولي والبعض يتأوه ويتوه ويغمض عينيه على ذكرى حلم أو استرجاء حلم جميل ربما أستيقظ يوماً وكان سعيداً.. كما أنا الآن أشعر بالسعادة بأقلام الغزالتين اللتين رسمتا لوحات مضيئة.. جمدت دموعي العميقة للزلزال الذي هز قلبي.. لما قرأت من حروف مكان وجر ورفع ولكم الإحصائية لدى الكاتب العبقري الأستاذ (السيد حافظ) دون منازع سلطان الحرف ونبي العشق.. دمت متألقاً

أستاذنا وكاتبنا الراقي..

ما بين حروف الابتداء والانتهاء

في (٤٥)

من (١٦)

إلى (١٦)

ل (١٠)

الكاتب الروائي المبدع ولكم إحدى أسرار إبداعاته

استعمل (في، من، إلى، ل) وهي الأكثر توتراً..

(جالسة أمام الدار لإلقاء السلام.. وتحكي لمن تحب.. ليراقب الشمس وهي تغرب.. تحمل الشمس في الغروب رسائل وجع القلوب في النهار لرب السماء في المساء.. ليسأله أن يحضر له سهر ولو لليلة واحدة..

عندما أقول أحبك يحمر خد القمر.. الحب لن يعرفه إلا قلة من البشر.. والكاتب منهم..

والله بصير بما يعملون.

بنية الزمان و المكان في رواية "كابتشينو"
للكاتب السيد حافظ

أسماء بوفاديس وفاطمة الزهراء بن الصادق – تيبازة – الجزائر

١- بنية الزمان في رواية "كابتشينو":

يشكل النص الروائي في جوهره بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات وفي محاولتنا هذه لدراسة بنية الزمن في رواية "كابتشينو"، سنعمل على رصد مختلف التمظهرات والاتجاهات التي ينحوها الزمن، وبما أن هناك فرق بين الحدث كما جرى في الواقع، والحدث في القصة، والمقصود من هذا الفرق هو تلك المفارقات الزمنية التي تظهر من خلال عدة تقنيات: كالاسترجاعات والاستباقات والإيجاز..

١-١ المفارقات الزمنية (نظام الزمن) في رواية "كابتشينو":

إن طبيعة النص الروائي، لا تسمح بالظهور المتزامن للشخصيات أو للأحداث كما جرت في الواقع، مما يخلق مفارقات زمنية بين زمن السرد وزمن الرواية، وإذا ما تتبع الكاتب في سرده للأحداث تسلسلاً خطياً، فانه لن يضيف جديدا لأفق المتلقي، وبهذا يختفي عنصر التشويق.

وتفاديا لهذا الأمر يلجا الروائي إلى التلاعب بالمواضع الزمنية للأحداث، وذلك وفق أدوات وتقنيات تعرف بمنطق السرد«وهي مجرد وسائل يرجع إليها المبدع لخلق الشكل الفني الذي يريد، أي انه بذاتها حيادية لا قيما سياسية

لها، وإنما تجيء قيمتها في كيفية توظيفها(..) وإتقان التعامل معها هو الذي يجعل من المبدع فنا».[١]

تتمثل تقنيات الزمن الروائي في الاسترجاعات والاستباقات، فإذا افترضنا إن النص الروائي يتكون من ثلاثة أحداث مثلا، فان ترتيبها يبدو سهلا، لكن مهمة الروائي صعبة ومعقدة، والتعقيد هو الذي يجعل العمل الفني يتميز عن غيره من الأعمال، فالروائي يعيد ترتيب الأحداث من أجل شد انتباه القارئ وتشويقه، فالتسلسل الأتي للأحداث (١ ٢ ٣) يمكن أن يحوله الكاتب إلى التسلسلات النصية التالية:

أ)-١ -٢-٣ ج)٣-٢-١

ب)-٢-١-٣ د)-٢-١-٣-٢-١.. الخ[٢]

١-١-١ الاسترجاعات:

إن رواية "كابتشينو"، حافلة بالإسترجاعات، لكن الشيء المميز الذي أضافه سيد حافظ رجب، يتمثل في استخدامه لتقنية "فلاش باك" فالقارئ لهذه الرواية يشعر وكأنه يحضر فيلما سينمائيا، وقد استعمل هذا المصطلح عند أبرز شخصية "فتحي رضوان خليل"، وكأنه عمد لذلك لكي يساعد القارئ على استيعاب هذه الشخصية، ولكي يتعرف عليها جيدا، كما ضاعف درجة التشويق وزاد التساؤلات. ومثال ذلك: « فلاش باك "عملت بالتدريس في مدرسة نبات، صديقي محمد السيد مرسي، احضر لي الوظيفة أنا وعادل

١- عبد الله رضوان، البنى السردية (دراسة تطبيقية في القصة الأردنية)، منشورك عبد المجيد شومان، عمان،١٩٩٠، ط١، ص٩.

٢- ينظر: حميد الحميداني، أسلوب الرواية (مدخل نظري)، منشورات دراسات سال،ط ١، الدار البيضاء،١٩١٩، ص١١.

الحوفي زميلي في المسرح والكلية.. أحببت فتاة تلميذتي "سميرة" كانت شقية أوقعتني في حبها.. بيني وبينها خمس سنوات.. ».[٣]

أما في مثال آخر فيرجع الكاتب إلى طفولة "فتحي" وهذا المثال سابق للمثال المذكور أولا، لكن لأهمية المثال الأول عمدنا إلى ذكره في البداية.

المثال ٢:« تذكرت فتحي وهو طفل صغير في سن الثانية عشر حيث ذهب مع جده هناك واكتشف أن كل الأطفال حفاة والرجال والنساء وقلة فقط هي التي تنتعل الحذاء وعرف فتحي حين كبر ما كتبه الشيخ الشريني في كتابه هز القحوف.. ».[٤]

تعد الاسترجاعات المذكورة سلفا في الكتابين هي استرجاعات داخلية، تناولت خط العمل نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى، والكاتب عمر إلى استعمال مثل هذه الاسترجاعات بنائيا، وذلك من أجل سد الثغرات بين الأحداث، إضافة إلى معالجة التزامن سواء على مستوى الأحداث أو الشخصيات.

إضافة إلى عرض الاسترجاعات عن طريق الذاكرة(تذكرت) التي تنفتح على كل الماضي إطلالات حميمية سريعة، مما لا يترك مسافة بين زمن السرد وزمن الرواية، إذن هذه المسافة تذوب في منظور الشخصية ومعها يذوب الزمنان في بعضهما ويلتحمان إلى درجة التماثل، فيمتد الماضي بعد في الحاضر.

<u>١-١-٢ الاستباقات:</u>

يستعمل مفهوم الاستباق للدلالة على مقاطع روائية تروي أو تشير لأحداث مسبقة عن أوانها، يمكن توقع حدوثها، وهذه التقنية تقضي بقلب

---

٣ - السيد حافظ رجب: رواية كابتشينو، مركز الوطن العربي"رؤيا"، ط١، القاهرة،٢٠١٣ ص ٧٩.

٤ - المصدر نفسه، ص ٥٧.

نظام الأحداث في الرواية، وذلك بالقفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب، من أجل استشراف المستقبل.

يتجلى الاستباق في رواية "كابتشينو"، بخاصة وأن السارد يستعمل ضمير المتكلم، و«أحسن ملائمة للاستشراف من أي حكاية أخرى، وذلك بسبب طابعها الاستحادي المصرح به بالذات، والذي يرخص للسارد في تلميحات إلى المستقبل ».(٥)

نجد في الرواية، بعض الشخصيات الروائية تنجز هذه التطلعات المستقبلية عن طريق التمني والتأمل، والمثال الأتي يبرز شخصية(سهر) وهي تتمنى أن تسافر في المستقبل «.. هي تريد أن تطير مع عصفورها، وتسمع غناء الكائنات.. ودت لو تعيش في ألمانيا لأنها تظن أن ألمانيا مركز الفلسفة والثقافة في أوروبا والعالم.. ».(٦)

وإما أن يأخذ الاستباق طابع الرمزية من خلال هذا المثال:«لا شيء يمنع سهر من السفر.. لا العشق ولا الرجال، هي أنثى ترغب في أن تمسك بالقمر وقمة الجبل، وان تعشقها كل الكائنات الأرضية والسماوية.. ». (٧)

إن شخصية "سهر" في هذا المثال تحاول كسر كل حدود الزمان والمكان وان تكون كالطائر حرة، ومن الملاحظ أن الاستباق كل ما كان متجسدا في التمني يكون من الصعب، حتى من بعد إتمام قراءة الرواية الحكم على مدى تحققه.

٥- جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم- عبد الجليل الأزدي-عمر الحالي، منشورات الاختلاف، ط١، المملكة المغربية،١٩٩٦، ص٧٦.

٦- رواية كابتشينو، ص١٢.

٧- المصدر نفسه، ص١٣.

إضافة إلى الاستباق الذي يأخذ طابع التمني والتأمل، فإن هناك الاستباق الصريح أو كما يسميه "حسن بحراوي"، الاستشراف كإعلان(٨)، ويظهر من خلال هذا المثال:« فتحي رضوان خليل(حبيب سهر بعد قليل)»(٩) ، فهذه الإشارة تجعل القارئ يتنبأ بمسار الأحداث اللاحقة في الرواية، وهذا على عكس الاستباق الذي يكون كتمهيد، والذي تكون نسبة حدوثه قليلة جدا، فيعد خيالاً. مثال: « مكتوب: سامر على بابك ذات يوم.. واترك زهور أحلامي على عتبات باب قلبك.. و إن لم أمر سأرسل دقات قلبي عبر نجوم السماء، الحب عناء وغناء وشقاء ونعيم وجحيم.. سامر على بابك ذات يوم، ذات عام، ذات لحظة، فالمرور جنون وسرور.. »(١٠)

إن هذا النوع من الاستباق يعد مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، فشخصية "كاظم" في هذا المثال أطلقت العنان للخيال فعانق المجهول واستشرفت أفاقه.

وما يمكن استنتاجه في هذا المقام هو أن "السيد حافظ" باستعماله لتقنية الاستباق حاول أن يحمّله عدَّة مدلولات من تمني وتأمل و كذا أعطاه بعداً رمزياً، هذا ما أضرم أفق الانتظار لدى القارئ.

إذا ما حاولنا المقارنة بين نسبة الاسترجاعات ونسبة الاستباقات في رواية "كابتشينو"، فان استرجاع الأحداث كان الأكثر استعمالا من الكاتب له من أعماله للاستباقات.

٨- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،مرجع سابق، ص ١١٢.

٩ - كابتشينو، ص ٢٩.

١٠- المصدر نفسه، ص ٢٩.

١-٢ الإيقاع الزمني(نظام السرد) في رواية "كابتشينو":

إن أهم ما سنعمل عليه في دراستنا للإيقاع الزمني في رواية "كابوتشينو"، هو رصد علاقة التناسب والتلاؤم بين المسافة الزمنية التي يستغرقها الحدث المقاس بالثواني والسنوات، والمسافة الكتابية أي المساحة النصية التي تغطيها المقاسة بالأسطر والصفحات، فقد نجد الراوي يسرد لنا أحداثا جرت في سنوات عدة، فيقوم باختصارها لنا في بضعة اسطر. لكن مسالة ضبط تلك العلاقة صعب إن لم يكن ضربا من المستحيل؛ ذلك انه إذا ما استغرق المشهد مدة معينة، ليس من الضروري أن يستغرق المدة نفسها، فما يكتبه الروائي في سنة يكون قد عاشه في عدة سنوات، لكن القارئ قد يقرؤه في دقائق أو ساعات قليلات، وهذا يدخل من جهة في طبيعة النص ومن جهة أخرى في طريقة معالجة الزمن الروائي وتجسيده، لكن يبقى تحديد بعض النسب التقديرية ذات قيمة مهمة في كشف بعض الدقائق التي تسلط الضوء على البنية الزمنية في النص، ذلك أن الإيقاع الذي يولده ضغط مسافة زمنية طويلة داخل مساحة نصية قصيرة، يختلف عن الإيقاع الذي تولده مساحة نصية أطول من المسافة الزمنية، ويتجسد هذا الإيقاع الزمني في الرواية في أربع حالات تتمثل في: المشهد، الإيجاز، القطع، والتوقف.

١-٢-١ المشهد:

يعبر المشهد عن حالة التوافق التام بين زمن الحكي والمساحة الكتابية، وهو يحتل موقفا متميزا في الرواية، وذلك بفضل وظيفته الدرامية[١١] في السرد، فبعد أن كان السرد بضمير الغائب يأتي المشهد ليكسر تلك الرتابة

١١ - وهذه لا غرو من تأثير الكتابة المسرحية في سردية الكاتب، وما نستطيع أن نلمسه بالمسرواية، نحت لفنين مسرح ورواية.

فيصبح الحكي بضمير المخاطب، أي انه يغيب الراوي، ويترك المجال للحوار بين الشخصيات.

وإذا ما حاولنا دراسة المشهد في رواية "كابوتشينو"، فسنجد الحوار يجسده وكمثال على ذلك الحوار الذي دار بين شخصية "كاظم" وزوجته(وردة): قالت وردة لكاظم، وهي تقدم له فنجان القهوة سادة:

-«اللي واخذ عقلك هنيا له (هنيئا له)

-الشغب والمدرسة.

-بعرف حبيبي بعرف، والله وحشتني الدراسة والرفاق، صحباتي زهرة ومنى وياسمين وسهر.. إلا ايش أخبار سهر؟

-نظر لها بشدة قائلا:

-روحي زوريها واسأليها.. ليش عم تسألني أنا؟

-والله فكرة.. بنروح نزورها.

-بتروحي أنت.. كيف أنا أروح معك؟

-لما يجي عريسها.. نزورها سوا.. بدي تغور من هون.. والله لما تمشي حنفقدها.. بتوحشنا.. موهيك يا زوجي يا حبيبي».(١٢)

إذا تمعننا في هذا الحوار يجعلنا نكتشف بعض الملامح النفسية لشخصية "وردة"، فهي تدرك جيدا إن زوجها لا يحبها بل يحب "سهر"، ذلك أنها ظلت تلمح" لكاظم" وتتحدث معه عن "سهر" لترى ردة فعله، كما أن "وردة " تكن مشاعر الكره "لسهر" وما يبرز ذلك قولها (بدي تغور من هون). فالمشهد

١٢- رواية كابوتشينو ص١٣-١٤.

إذن يكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات، فشخصية "وردة " تستشعر خيانة زوجها لها إلا أن كرامتها لا تسمح لها بالتصريح بذلك.

قد يكون للمشهد قيمة افتتاحية وذلك عندما يشير إلى دخول الشخصية إلى الوسط أو إلى مكان جديد والمثال الذي يوضح ذلك، صعود(كاظم) إلى الجبل، والحديث الذي جرى بينه وبين (راغب) أخ زوجته.

«– مرحبا زوج أختي الأستاذ كاظم..

–هلا راغب اخو مرتي..

فضحك راغب ضحكة صفراء في هذيان محموم.

–شويك.. تحب الجبل؟

–ليش ها السؤال؟.. كلنا نحب الجب.

أجاب كاظم بوجه صارم، وأكمل حديثه:

–كل واحد منا له سبب لحب الجبل.. هو يحمل الذنوب من البشر والخير من السماء .

–اسمع أخي كاظم أنت بتعبد الشمس صح ما بتعبد عقيدتنا. الناس قالت لي زوج أختك يطلع على الجبل كتير.. »[١٣]

إذن هذا المشهد يبرز لنا علاقة الزمان بالمكان، فهو عبارة عن حوار، لكن يحتوي داخله المكان وهو الجبل، والروائي يبرز لنا نظرة الناس التي تحكم على الشخص الذي ينعزل لوحده على انه يمارس ديانة غير ديانتنا، مما يخلق الفتن والصراعات بين الناس، فذهاب (كاظم) للجبل، جعلت الناس تظنه يعبد الشمس، والروائي هنا يطرح مشكلة مهمة تتمثل في تعدد

١٣– رواية كابوتشينو ص ١٤–١٥.

الديانات، وما تتسبب فيه من فتن وفكر طائفي.

أما إذا انتقلنا إلى أخر مشهد في الرواية، والذي يمثل مشهدا ختاميا، كان هذا الحوار يجري بين "شهرزاد" و"سهر":

«وهنا أدركت شهرزاد، وقالت وتوتة توتة فرغت الحدوتة، بكت سهر:

- لماذا لا يتزوج الحبيبيان؟

- قدر الزمن.

- ومن هي روحي الثالثة يا خالتي.. ؟

-هي روح الشمس وحكايتها مع الحاكم بأمر الله غدا؟

-إن شاء الله».(١٤)

إن المشهد الختامي، يسرد لنا أخر أحداث قصة (نور ومحب) كيف أنهما لم يتزوجا، "السيد حافظ"، ختم روايته بمزيد من التشويق حينما أحالنا إلى جزء آخر للرواية بعنوان" حكاية شمس والحاكم بأمر الله".

وفي الجملة، سواء كان للمشهد وظيفة اختتامية أو افتتاحية، أو الكشف عن الملامح النفسية والاجتماعية للشخصيات، فانه يخلص دائما إلى الإعلان عن نفسه كتقنية زمنية الهدف منها إحداث توافق وتلاؤم تام بين زمن القصة وزمن الخطاب، وذلك باستعمال الأسلوب المباشر وإدماج الواقع التخيلي في الخطاب. (١٥)

١-٢-٢ الإيجاز:

إن تقنية الإيجاز أو التلخيص تبرز عدم التوافق بين زمن القصة وزمن الخطاب، فالروائي يقوم بتلخيص عدة سنوات من حياة الشخصية في بضعة

١٤- رواية كابتشينو،ص ٣٩٩.

١٥- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص ٣٩٩ .

اسطر أو صفحات، إذ انه يقوم بمسح سريع على الأحداث فيعرضها لنا مركزة ومكثفة وموجزة.

إن "السيد حافظ" قد استعمل الإيجاز، بخاصة عندما قدم الشخصيات، وهذا ما يظهر جليا في تقديم لشخصية (نور)

« كان يا مكان روحك الجميلة جسد بنت اسمها نور.. نور بنت ١٧ عام طولها ١٦٥.. وحيدة كان أخواها الشابان في حرب مصر مع إثيوبيا.. صارت روح أمها وأبيها.. تعلمت اللغة الهيروغليفية، وتعلمت لهجة الإسرائيليين.. نور ليست أنثى بل غصن من ياسمين تفوح عطرا في سيرها.. ، أبوها اسمه كنعان.. قال لها جد جده مصريا يتبع اخناتون، وقد فر أجداده من بطش جنود وكهنة توت عنخ آمون، مع الأهالي الذين يؤمنون باخناتون إلى تل بسطا وهان الحجر (الشرقية)، وهناك وجدوا بقايا الهكسوس والإسرائيليين، فتزوج من عبرانية، فأصبحوا أتباع يعقوب، وأحب موسى اعتنق مذهبه وأصبحوا من بني إسرائيل(عبرانيين).. »[١٦]

لقد قدم لنا الروائي في فقرة قصيرة حياة "نور" وعائلتها، كما لخص لنا كذلك حياة جدها فتحدث عن ديانته وعن زواجه من عبرانية وكيف أصبح هو كذلك من العبرانيين.

كثيرا ما يرتبط الإيجاز بالأحداث الماضية، وهذا ما يجعل هناك علاقة وطيدة بين الاسترجاع والإيجاز، والروائي يقوم بهذه المزاوجة بين التقنيين قصد سد الثغرات الحكائية، فيقوم بتقديم معلومات عن ماضي الشخصيات والأحداث التي شاركت فيها.

---

١٦ – كابتشينو ،ص ١٧.

ولتجسيد هذه الصلة القائمة بين الاسترجاع والإيجاز، يمكن استجلاء ذلك من الرواية، حيث حدَّث "الأب كنعان" ابنته "نور" عن "موسى" فقال:«إن موسى أمضي ثلاثين عاما في قصر فرعون، تعلم اللغات والعلوم وفن العسكر، وفي معبد هليوبوليس حين أرقى العلوم ولفنون واللغات، وعاش عشر سنوات في مدين في الأردن بعد خروجه من مصر»(١٧)

إن الكاتب يختصر لنا في الأسطر السابقة، فترة طويلة من حياة "موسى" ومن الملاحظ في هذا الشاهد امتزاج الاسترجاع بالإيجاز حتى لا تظهر الفروق بين التقنيتين.

ومن الملاحظ أيضا على المثال السابق ذكره، إن الكاتب استعمل عنصراً مساعداً في الإيجاز ليسهل على القارئ تقدير المدة، وذلك عن طريق إيراد عبارة زمنية والتي تمثلت في " ثلاثين عاما " وكذلك عبارة " عاش عشر سنوات".

<u>١-٢-٣ القطع (الحذف):</u>

يلعب القطع أو الحذف دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، وهو يعبر عن دلالات عدم التوافق ذلك لأن المسافة الزمنية تكون أكبر من المساحة الكتابية، لان الراوي يقوم بحذف بعض الأحداث، ويكون هذا الحذف على نوعين إما معنويا أو صريحا أو ضمنيا.

إذا توقفنا قليلا عند النوع الأول وهو الحذف المعلن والذي يعبر عن الإشارة للمدة المحذوفة مثل «مضت بضع سنين».(١٨)

---

١٧ - المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

١٨- ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص ١١٨.

ومعنى هذا إن الروائي يذكر المدة المحذوفة من زمن القصة، ويكون ذلك استدراكاً للدلالة الزمنية التي حذفت آنفاً، ومثال ذلك من رواية "كابتشينو":

« وبعد عام من النفي اختلف رفاق الثورة في المنفى.. »

إن هذا النوع من الحذف (المعلن)، والموضح في هذا المثال، ينحو نحواً بارزاً، فالقارئ لا يجد معه أدنى صعوبة في متابعة السرد، فما عليه سوى طرح هذه الفترة من حساب القصة، والاستمرار في القراءة كأنه لم يحدث شيئا.

أما النوع الثاني من الحذف وهو الحذف الضمني غير المحدد، فتكون الفترة المسكوت عنها غامضة وغير مضبوطة بدقة، ومثال هذا من الرواية، ما جاء في نهاية الرواية:

« بكت نور طويلا، ومرضت وشفيت، وبعد سنوات تزوجت من شاب يعمل طبيبا اسمه دانيال..»[١٩]

إن عبارة "بعد سنوات" في هذا المثال تجعل القارئ لا يقدر المدة بدقة، وهذا ما يجعله يتكهن بحجم الثغرة الحاصلة في زمن القصة.

بعد عرضنا للنوعين الأساسيين للحذف (المعلن والضمني)، يمكن أن نستنتج أن رواية "كابتشينو" تدخل في النوع الأول، وذلك لان الحذف فيها غالبا ما يأتي مصحوبا بإشارة إلى المدة المحذوفة، إذن السمة المميزة للمشاهد المدروسة من الرواية، هو أن إسقاطها للزمن كان مكشوفا فالمدة معلومة لدى القارئ.

١٩- كابتشينو، ص ٣٩٩.

وفي الأخير يبقى الحذف بمختلف أنواعه، من أحد ابرز التقنيات المستعملة في الرواية، فهو عنصر بنائي لا غنى عنه في كل عمل روائي.

١-٢-٤ التوقف:

إن التوقف يشبه المشهد في كونه يعبر عن حالة التوافق والتلاؤم بين زمن القصة والخطاب، «ففيه تتوقف وتيرة السرد وسرعته، ليبدأ الوصف».[٢٠]

إن الوصف في رواية "كابتشينو" كان دقيقا، يجعل القارئ يتخيل الصورة، ويشعر وكأنه عنصر مشارك في الرواية، فالروائي يهتم بأدق التفاصيل، وقد اختار تقنية التوقف ليفتتح بها الرواية. فقال:« شهرزاد تجلس أمام الدار.. الدار بني على التل.. التل يطل على القرية.. قرية سهر وشهرزاد.. شهرزاد تجلس وعينها الزرقاء وشعرها الأصفر وسنتان ذهبيتان تظهران عند الابتسام.. »[٢١].

إن "السيد حافظ"هنا، ينقلنا من وصف شامل إلى الوصف الجزئي الدقيق، إذ في البداية تحدث عن "دار شهرزاد" ثم راح يصف مكانها، فهي على التل، وهذا الأخير في القرية. ثم بعد ذلك عاد ليصف لنا الملامح الخلقية "لشهرزاد"«عينها الزرقاء وشعرها الأصفر وسنتان ذهبيتان.. »، وبالطريقة نفسها وصف شخصية (نور) فقال: «نور بنت ١٧ عاما طولها ١٦٥ سم.. نهداها ناهضان في شموخ وكبرياء.. »[٢٢]

٢٠- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط ٢، الدار البيضاء،١٩٩٣، ص ١٢٣.

٢١ - كابتشينو، ص ١٠.

٢٢- مصدر نفسه، ص ١٧.

أما إذا انتقلنا إلى نوع آخر من الوصف، وهو الوصف الانتقالي أي الانتقال من حالة إلى أخرى، فمثلا:« نور شمعة في حياة أبيها المظلمة.. كل فتيان الحي وكبار السن من الرجال يعشقون رائحتها وهي تمر من جوارهم كأنها باقة ورد تمشي على الأرض.. السماء أعطتها بعضا من نورها والقها حتى تبهر بعض البشر.. »[٢٣]

والانتقال من حالة لأخرى تتضح في هذا المثال، فنور هي التي جعلت تعاسة أبيها تنتهي فهي شمعة أنارت حياته.

إضافة إلى هذا نجد الروائي يقف كثيرا عند "الجبل" ويحمله عدة مدلولات يقول: «كاظم يحب الجبل.. الجبل مجنون، وأحيانا مفتون، وأحيانا بلا أخلاق.. وأحيانا يكن ويسكت ويتأمل، وتشعر انه كائن هادئ، ساكن، ولكنه يراقب كل شيء ويسكت، ويظل يراقب ما يفعل الإنسان فهو ظلوم جهول.. الجبل لئيم وحكيم.. »[٢٤]

كما ذكرنا سلفاً إن المكان والزمان، يتصلان لدرجة كبيرة لا يمكن معها الفصل بينهما، وهذا المثال يوضح ذلك؛ فالجبل مكان، والروائي في هذا المقام وقف عنده وقفة وصفية، وحمله بعدة مدلولات متضادة، فأحيانا يجعل منه مجنونا، وأحيانا أخرى ساكنا ثم مفتونا، فالروائي بوصفه لهذا للمكان جعل منه كائنا يحس مثل الإنسان أي أنه "أنسن المكان".

وفي الأخير لقد اتضح بان التوقف وكذا المشهد كلاهما، يبطئان ويعطلان زمن القصة على الاستمرار، وكذا يمددان في الأحداث من حيث وتيرتها.

٢٣- مصدر نفسه، ص ٢١.

٢٤- كابتشينو، ص ١٣.

٢- بنية المكان في رواية" كابتشينو":

الرواية في الغالب تنسب إلى الزمان والمكان، ولا يتصور أن تكون بدونهما. وقد شهد المكان تطورًا كبيرًا؛ و اخذ عدة تعريفات من بينها الحيز أو الفضاء؛ وهو مصطلح اشمل من المكان الذي يتحدد بالموقع الجغرافي سواء كان حقيقيًا أم خياليًا. إذ يرى بعض النقاد أن تسمية المكان تعد قاصرة أمام إطلاقات أخراة أشمل وأوسع.. لأن المكان لدينا ما عني حيزًا جغرافيًا حقيقيًا، حيث نطلق كلمة الحيز في حد ذاتها على كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد والأشياء المجسمة.(٢٥) فالفضاء الروائي يخلقه الخيال وتبدعه اللغة. إذ يقال أن «الفضاء الروائي هو فضاء لفظي بامتياز»(٢٦)

وهناك من يجعل الفضاء معادلاً للمكان وهو الذي تصوره الرواية.(٢٧ وهنا المكان هو كمقابل للزمان ويعد المكان عنصرا مركزيًا في تشكيل العمل الروائي، وأن العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد الخصوصية. وبالتالي هناك من الروائيين من يجعل ارتباطا وثيقا بينهم ألا وهي المكان والزمان والشخصيات والحدث الذي يتحدد في زمان معين، إذ أن العلاقة بينهم تجعل الباحث يفهم تصرفات وحركات الشخصيات، وهذا ليس دليلا على كون المكان هو الذي يصوغ الشخصيات؛ لكن حتى الشخصيات والأحداث تحدد

٢٥- ينظر: منصور بوراس، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية: الطموح - البحث عن الوجه الآخر - زمن القلب - مقاربة بنيوية - رسالة ماجستير، تحت إشراف د.محمد العيد تاورته، سطيف، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص١٣٠.

٢٦ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع السابق، ص٢٧.

٢٧ - ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، المرجع السابق، ص ٠٦.

المكان وهنا فإن العلاقة بينهم علاقة تأثير وتأثر.[٢٨] يأتي المكان في هذه الرواية غامضا في تحليله وكما أن الروائي عبر أحيانا عن المكان وأشار إليها مجرد إشارات عابرة.

٢-١ المكان الأليف:

٢-١-١ الدار:

إن الروائي أضفى على هذا المكان " الدار" جماليات عدة منها حسن الهيئة وقوة البناء، وسعتها ورحابتها وارتفاعها. ولارتفاع الدار تبعث وتجلب الأنس والرضى، وهو المكان الذي استهل به "السيد حافظ رجب" وكأنه وهب لهذا الفضاء الواقعي الموضوعي الريادة في السيرورة السردية لأحداثه الروائية على غرار ما ورد في قوله:« شهرزاد تجلس أمام الدار»[٢٩] حيث يمثل هذا الفضاء الأساسي للحكي كما سترد عبارة "الدار"بشكل تكراري، ويعتبر هذا المكان بالنسبة لشهرزاد والشخصيات الآخرى المكان الذي يلتجئون إليه.

وعبارة "الدار" ستبعث سريعاً إحساسا بهدوء وراحة الجسد والنفس، أننا نعيش في قلب البيت الذي في التل الذي في القرية، كما أنه يدل على الوجود الحقيقي للإنسانيَّة ويدل أيضا على البساطة والتواضع وهو محل التقاء سكان "القرية" لطلب النصيحة من "السيدة شهرزاد" .

ونلاحظ توافقًا وانسجاماً تاما بين المكان والحدث الواقع فيها، وهناك العديد من المواطن التي اقترنت فيها بذكر الأمكنة وهذا وفقا لنمو الحدث وتحول الشخصية وحركتها؛ حيث أن هناك علاقة وطيدة بين المكان والشخصيات،

---

٢٨ - ينظر: منصور بوراس، مرجع سابق ،ص ١٣١.

٢٩ - كابوتشينو، ص١٠.

ولا يمكن تصور انفصالهما وكل له دوره تجاه الآخر، فالمكان يكشف عن الشخصيات وأيضا الشخصيات تعطي للمكان قيمته من خلال تجربتها فيه.(٣٠)

ومكان " الدار" هو مكان خاص وهو احد الأماكن الأساسية التي ارتكزت عليها الرواية. إذ تتجلى علاقة الشخصية بالمكان في رواية "كابتشينو" حين راح السيد حافظ يصف لنا شهرزاد في دارها، وإحساسها بالدفء، ف "الدار" هنا تبرز قيمة "شهرزاد" ومثال ذلك «.. اقتربت منها وهي جالسة أمام الموقد تصنع القهوة السادة.. »(٣١) ، ومن خلال هذا يقول "حسن بحراوي":«وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له »(٣٢)؛ أي أن "الدار" تعبر عن صاحبها.

إن للمكان سلطة على الفرد ويتكيف هذا الأخير معه، وهذا ما فعله فضاء "الدار" بشهرزاد وسكان القرية حيث أن هذه الدار تطل على التل، والتل يطل على القرية. و" الدار" هنا تكون منطلقا للعديد من الأحداث وسرد لكثير من الحكايات التي ترويها شهرزاد لسهر.

كما أن هناك دلالة رمزية ونفسية لهذا الفضاء؛ إذ يعبر عن الاستقرار والسكون و يعبر عن اللحمة والدفء العائلي وهو يفرض نمطا من العلاقات الاجتماعية مع الجيران ويبين ارتباط الشخصية بواقعها وبأصحاب القرية ونجد ذلك في قوله:«تمر النساء والرجال على شهرزاد وهي جالسة أمام الدار لإلقاء السلام.. وكل النساء تحبها لأنها تنصحهن بكيفية كسب الرجال.. وكل النساء تبث لها الأخبار..».(٣٣) وعلى هذا فإن هذا المكان للاستقبالات،

٣٠- ينظر: سليم بتقة ، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي ، مجلة المخبر ، محمد خيضر بسكرة، العدد السادس ،٢٠١٠ ، ص ٢.

٣١ – كابتشينو، ص١١ .

٣٢ – حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي، مرجع السابق، ص ٤٣.

٣٣ – كابتشينو، ص ١٠.

وتحدث فيه السهرات ويغدو مكانًا لتبادل وتجاذب أطراف الحديث، كما يعبر عن المكان الذي مارسوا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالهم.

وإن "موقد النار" يضفي على الدار طابعًا بهيًا ويزيد من دفئها رغم البرودة الشديدة في الشتاء ويشعرها بالأمان وهو يعد موضع تجمع "شهرزاد" بزائريها كما تصور لنا حياة اجتماعية خاصة لأنها رمز السعادة. و"شهرزاد" في هذا المكان كأنها لا تريد التغيير وتريد البقاء في بيتها العائلي الذي تشعر فيه بالدفء وكأنها تحن للأيام الماضية، وهذا المكان "شهرزاد" عايشته بكل سلبياته وإيجابياته. وهنا الروائي وصفه وصفا نفسيا لا وصفا موضوعيا «وأن الفضاء الروائي يمكنه أن يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التي تعيشها الشخصية»[٣٤]. وذكر الروائي لغرفة النوم التي اختبات فيها "سهر" فهذا دلالة على كون دار شهرزاد آمنة ويتضح ذلك من خلال قول السيد حافظ«خافت سهر واختبأت في حجرة نوم شهرزاد»[٣٥]. و إن هذا المكان مرتبط بالشخصية «إننا ننسى غالبا أن هناك تأثيرا متبادلا بين الشخصية والمكان الذي نقيم فيه.. »[٣٦].

إن "الدار" شكلت مصدراً للذكريات إذ أن شهرزاد عند سردها للأحداث كانت بصورة استرجاعية متمثلة في حكاياتها لسهر عن " موسى ونور ومحب"، وهذا ظاهر من خلال قول الروائي:«سهر يسكنها هاجس حكاية نور وموسى.. »[٣٧]. إذ أن الروائي استطاع أن يصور لنا الأحداث التي ربطت

---

٣٤ – حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص ٤٤.
٣٥ – كابتشينو، ص ١٦.
٣٦ – حسن بحاوي، بنية الشكل الروائي،المرجع نفسه، ص٤٤.
٣٧ – كابتشينو، ص ١٠.

بين "محب ونور" وصورها بطريقة حميمية واستطاع أن يجسد لنا حياة سيدنا موسى بكل تفاصيلها الجزئية وجعلنا نتصور الأحداث والحياة التي عايشوها في أذهاننا ويتجلى ذلك في:«إن موسى أمضى ثلاثين عاما في قصر فرعون.. وعاش عشر سنوات في مدين في الأردن.. ».[٣٨]

إن اهتمام "السيد حافظ" بهذا المكان زاد من ثراء الرواية، فضلا عن ذلك يعد مكانا رئيسيا في الرواية، كما أنه أبدع في وصف هذا المكان«البيت جسد وروح، وهو عالم الإنسان الأول»[٣٩]، وهو الذي ساعده على خلق مكونات أخرى قد تكون أبلغ وصفًا من سابقتها، و إن المناظر التي كانت حول هذا المكان جعلت القارئ يتشوق لما هو آت في الرواية، ومتشوق للتأمل والتمعن في مضامينها والجمال المبثوث فيها. وعلى ما احتوته من سير للأحداث المتتالية والترقب لمصير هذه الشخصيات.

٢-١-٢ موقد النار:

إن "موقد النار" هو من الأماكن التي تغنى بها مسكن أو دار "شهرزاد" لأنه كان مصدر الدفء في الشتاء البارد ويعبر عن الشعور بالأمن، كما انه يمثل مكان تبادل الأحاديث والحكايات وتجاذبها بين الناس التي تلتف حوله، وهو مكان صنع القهوة السادة كما يوضحه المثال في رواية السيد حافظ من خلال قوله:«اقتربت منها وهي جالسة أمام الموقد تصنع القهوة السادة..»[٤٠]، وإن الروائي وصف لنا "الموقد" والأحداث التي تدور حوله، و"موقد النار" هو الوحيد القادر على كسر برودة الشتاء وقسوته، وإن للموقد

٣٨ – مصدر نفسه، ص ١٧.
٣٩ – غاستون باشلار، جماليات المكان، مرجع سابق، ص ٣٨.
٤٠ – كابتشينو، ص١١.

أهمية كبيرة عند المجتمعات سواء القديمة منها أم المعاصرة، الفقيرة أم الغنية، وهو من العناصر التي لا يمكن التخلي عنها في أي عصر من العصور. وتظهر حاجتنا له من خلال هذا القول:«تظهر أهمية "الموقد" من الحاجة إليه، لأنه يبعث الدفء والإحساس بالأمن.. والراحة، فقوة الجدران، وحصانة السقف، لوحدها لا تحمي البيت أيام الشتاء من البرد.»(٤١)

٢-١-٣ غرفة البيت:

ثم إن الروائي انتقل من الفضاء المغلق إلى المكان الأكثر انغلاقا وهو غرفة البيت التي تعد مكاناً خاصاً، وهو من الأمكنة التي امتازت بها رواية "كابتشينو"، حيث كان وصف هذا المكان وصفاً واقعياً دقيقاً، وحتى من حيث سرد الأحداث فهي الأخيرة كانت واقعية.

وعلاوة على ذلك فالسيد حافظ رجب يركز على بنية الأجزاء ليتمم لنا الصورة وتصبح واضحة وشاملة للأحداث حيث بدأ يصف لنا الأحداث من خلال علاقة "كاظم بوردة"«كاظم شارد طوال الوقت و في قلبه تسكن سهر، ظن ذات يوم أنه سوف ينساها أو نسيها خاصة حين يحاول دخول غرفة النوم.. ».(٤٢) الأحداث المتعلقة بوردة تسير ببطء شديد وكأن "السيد حافظ" أرادها أن لا تبرح مكانها«وذلك سعيا وراء تعميق حياتها الداخلية، وعدم الدفع بها إلى المغامرة في الخارج.»(٤٣) ثم انتقل بنا إلى غرفة شهرزاد تتوضح من خلال المشهد الآتي «خافت شهرزاد و اختبأت في حجرة نوم

---

٤١ - ينظر:حمادة تركي زعيترة، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق ،ص٨٩.

٤٢ - الرواية ،ص ١٣.

٤٣ - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي،مرجع سابق، ص ٣٦.

شهرزاد بعد ارتباكهما..»[٤٤] فغرفة "شهرزاد" هنا تدل على المكان الآمن من كل خطب. كما أن غرفة النوم لها دلالة عن الحنو إلى الماضي السعيد، وكما تدل على ممارسة الأحلام وبخاصة أحلام اليقظة التي تدل على غربة الحبيب والابتعاد وتدل من ناحية أخرى على تجرع الأحزان والهموم لأن "شهرزاد" كانت تأمل عودة زوجها إلى الحياة، وهذا ظاهر في هذا القول:«ترى ماذا تقول الوردة في المساء في غرفة النوم لشهرزاد حين تضعها على الوسادة التي تجاورها؟..»[٤٥].

<u>٢-١-٤ قصر فرعون:</u>

أشار "السيد حافظ" إلى هذا المكان في روايته أنّى ترعرع سيدنا موسى عليه السلام، و في هذا المكان تتوالى الأحداث. كما يرتبط بالزمان، ويعد مركز العلم والمعرفة ومركز تعلم فنون القتال والعسكر إذ أن الروائي هنا أبدى أهمية هذا المكان، وهذا ظاهر جليا في قوله::« كنعان أبو نور يقول لابنته نور: أن موسى أمضى ثلاثين عامًا في قصر فرعون ، تعلم اللغات و العلوم و فن العسكر.. »[٤٦] ؛ وهنا الروائي يسرد الأحداث التاريخية بطريقة مشوقة و يبين لنا مدى أهمية هذا المكان .

هذا المكان يتجلى ضمن المكان الموضوعي " وتعني موضوعية الوصف إيراد الكاتب جميع عناصر الشيء و هيآته و أحواله "[٤٧] إذ جاء هذا المكان بصورة استرجاعية ذهنية ، حيث قام الروائي باسترجاع الأحداث التاريخية و صورها لنا بحذافيرها و بكل تفاصيلها .

---

٤٤ – كابتشينو، ص ١٦.
٤٥ – المصدر نفسه، ص٤٦.
٤٦ – رواية ،ص ١٧.
٤٧ –عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح ،مرجع السابق ،ص ٢٧.

وذكره للقصر إشارة إلى النعيم و المكانة السامية و تبيان محاسن هذا "القصر" و فخامته كما بين لنا الترف والبذخ الذي أحيط بهذا "القصر"، ويمثل أيضا مكان المخاطر و التهلكة من خلال قول "السيد حافظ": «.. موسى الذي تربى في البلاط الفرعوني.. و أصبح قائدا مهابا ، ولكن واجهته ثورة فلم يكن موسى مصريًا خالصًا ، ورغم انه تعلم في هيبوليس مع اكبر الكهنة فلم يهتم بتأدية الشعائر المصرية ، واضطر موسى للهرب إلى مدين.. »[٤٨]، كما يعتبر قصر فرعون مكانا بدلالة سلبية إذ به قتل الأولاد ووأدهم وهو هنا مكان الظلم و الاستبداد و القهر .

إن الروائي بعدها انتقل من مكان مغلق إلى مكان مفتوح و هو"التل".

<u>٢-٢ المكان المتناهي في الكبر:</u>

<u>٢-٢-١ التل:</u>

مكان وجود "دار شهرزاد " وهو يدل على العلو حيث وردت عبارة "تل " في قوله: «الدار بنيت على التل.. التل يطل على القرية»[٤٩]، والمكان المرتفع غالبا ما يدلّ على السمو والرفعة.

وهو يوحي إلى أن الإنسان فيه يتيه ويفقد نفسه. ولهذا جسده الروائي في روايته "كابتشينو" ليدل على عمق المدلول وأصالته، علاوة على ذلك ذكر هذا الفضاء مرة أخرى وكان ذلك في قوله:«صعد كاظم إلى التل »[٥٠]، وهذا دليل على كون "التل "كان المتنفس الوحيد "لكاظم" إذ كان من خلاله يخرج ما

٤٨ – كابتشينو، ص ٢٠.
٤٩ – المصدر نفسه، ص ١٠.
٥٠ – المصدر نفسه، ص ١٤.

بداخله من مشاعر ومكبوتات، وتكرار هذا الفضاء كان للدلالة على أهميته في هذه الرواية.

٢-٢-٢ القرية:

يعمد الروائي إلى تكرار كلمة "قرية" ويظهر ذلك جليا في قول "السيد حافظ" من خلال روايته "كابتشينو" «التل يطل على القرية.. قرية سهر وشهرزاد.. » [٥١]، وهنا للدلالة على الانتماء الاجتماعي والنفسي، وكأن "القرية "هنا هي خاصة "بسهر" و"شهرزاد"، بينما يرتبط المكان أشد الارتباط بالشخصيات إذ أن وجود هذه الشخصيات دليل على وجود "القرية "والعكس. ومرد ذلك إلى كون صورة "القرية" تضغط على تفكيره وخياله، وكل هذا من اجل أن يشد القارئ لجمالية هذا المكان. كما أن الروائي في هذا المقام يبين لنا ويدقق في هذا المكان ويشد انتباهنا إلى جمال وبساطة "القرية "ومنظرها الخلاب الذي يسحر النفوس. كما يبين لنا وظيفة هذا المكان و يعرض لنا جمالياته على سبيل التدرج. و"للقرية" تعابير شتى من أخوة ومساعدة بين سكان "القرية " لبعضهم بعضًا، كما" تمتاز بكونها تخلو من مظاهر الفوضى التي تعيشها المدينة، وسكان"القرية" ليسوا شعبا كئيبا، هم في الغالب سعداء مطمئنون، لأنهم.. يجهلون ما تسميه الحضارة الغربية «اللارضى» لا يعانون، بعيدين عن التوترات والمنغصات النفسية الناتجة عن الاحتكاك بالآخرين، وهم شعب متسامح بطبعه تسوده العلاقات المنبثقة عن حياة الريف، إذ أن المجتمع القروي تقوم علاقاته أيضا على التواصل و التفاعل

٥١ – المصدر نفسه،ص ١٠.

فيما بينهم، ولهم خصائص تميزهم عن غيرهم من المدنيين كالتمسك بالعادات والتقاليد والقواعد والسلوك الجمعي والعرف وهم أكثر الناس تمسكا بالدين[٥٢].

٢-٢-٣ الجبل:

ارتبط هذا المكان واقترن بالبحث عن الراحة النفسية والاطمئنان كما ارتبط بلحظة زمنية واحدة تمثلت في الحاضر، لكنه ذكر بصفتين مختلفتين الأولى كونه مكانا يبرز من خلال اتصافه بالبرودة، أما في الثانية فذكر بطريقة صريحة عابرة، والعبارة الأولى التي ورد بها في قوله:« جاءت سهر إلى شهرزاد.. اقتربت منها وهي جالسة أمام الموقد.. فمازال البرد في الجبل.».[٥٣] يرتبط "الجبل" هنا بشخصيتين وهما "شهرزاد" و"سهر"؛ إذ تربطهما بالجبل علاقة مباشرة البرد الذي في "الجبل" هو الذي جعلهم يقتربون من الموقد ويصنعون القهوة السادة، وقد ظهرت هذه العلاقة من خلال أن قرية "شهرزاد" و"سهر" محاذية للجبل ظاهر جليا من خلال قوله:«الثلج يغطي الجبل المطل على قريتنا في الشتاء»[٥٤]، ويوحي الجبل بالعلو والصلابة والشدة والقوة والرسوخ والفخامة، ويدل أيضا على الهيبة وعلى الجلد والصبر عند الرجال العظام ،و«ما دام هو عاليا فهو عظيم، إن علو موقعه برهان على عظمته» [٥٥]،كما أن للجبل قيمة عاطفية أكثر من قيمته المادية ذلك أن الوصف الذي تأتى عليه كان ملتحما بالسرد لأنه

٥٢- ينظر: مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،١٩٩٥ ص ٢٥ .

٥٣ – كابتشينو، ص١١.

٥٤ – مصدر نفسه، ص ٤٨.

٥٥ –غاستون باشلار، جماليات المكان ،المرجع السابق ،ص١٦٣.

يهدف إلى إظهار العلاقة بين الجبل والشخصيات والدور الذي تلعبه برودة الجبل في إضفاء اللحمة بين الشخصيات.

أما العبارة الصريحة الثانية فتأتت على الشكل التالي:« المكان / الجبل »[٥٦] ، إن السيد حافظ هنا أشار إلى هذا المكان مجرد إشارة وفي هذه الرواية يعتبر الجبل فضاء رئيس، وفيه تتوالى الأحداث .

الجبل بالنسبة لسهر هو نوع من إحساس الاطمئنان المتصل اتصالا مباشرا بروحها أولا وبجسدها ثانيا من خلال قوله:« سهر على الجبل.. الذي خلق السهل والجبل.. صعدت سهر على الجبل كي ترى الخالة شهرزاد.. »[٥٧] ، وهذا الاتصال إنما هو اختياري. وعلاوة على ذلك فالروائي دائما يربط المكان بالشخصيات في قوله أيضا:« صعدت الجبل، والعصفور يطير فوقها كأنه حارس كأنه طفل شقي يراوغ صديقته أو حبيبته.. لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر.. »[٥٨]. وهناك مثال آخر يدل على البحث عن الاستقرار والأمان.

٢-٢-٤ سماء سوريا ولبنان وبلاد الشام:

وظف "السيد حافظ" الرموز المكانيةإ إذ تدل على المكان العتيق عموما، وهذا المكان له وجود تاريخي عريق عند العرب، وهنا للدلالة على القومية. ولهذا المكان إيحاءات متعددة أخرى؛ حيث انه مكان مجازي، وجاء هذا الوصف من خلال العبارة «.. تعانق عيناها الأفق الأزرق البعيد عن السماء.. سماء سوريا ولبنان وبلاد الشام.. »[٥٩]، وهذه الرؤية التي

٥٦ – كابتشينو،ص ٨٠.
٥٧ – مصدر نفسه، ص ٨٤.
٥٨ – مصدر نفسه، ص ٨٤.
٥٩ – كابتشينو، ص ١٠.

صورها لنا "السيد حافظ" هي خيالية ويهدف من خلالها إلى إشعارنا بمكانة هذا المكان وعلو منزلته، ويحسسنا من خلال تكرار استعماله بصلة القومية التي بيننا والإحساس بقوة هذه الصورة التي جسدها في روايته "كابتشينو" وهي صورة تدل على الأمل بعد المعاناة المريرة؛ وهي معاناة جرّاء الغربة التي تعيشها الشخصية، لذلك قال أنها تعانق عيناها الأفق الأزرق السماء.. سماء سوريا ولبنان وبلاد الشام أي أنها تناشد الوطن وتحن إليه، وهي هنا للدلالة على الاحتماء والحنو إلى الوطن كما ذكرها الراوي الارتباط مع مختلف البلدان العربية .

٢-٢-٥ الصحراء:

من الأماكن المفتوحة التي وظفها الروائي "الصحراء" ولها دلالات الاتساع والفخامة واللانهائية.. وامتداد يحمل حركة.. فسعة الصحراء تمنحها الرحابة.. وشساعتها تغري البصر ليكتشف ما فيها، وهي تدعو للتأمل المقترن بالبهجة.[٦٠] والصحراء تضفي على الحياة المتعة وتشعل الشوق بوجدان مشاهدها؛ حيث أنها تؤثر فيه بجمالها من كثبانها المترامية هنا وهناك، وتزيد من انفعالات الناس، كما تؤثر في أفكارهم وعواطفهم لأن جمال هذا المكان ومساحته الواسعة أثرت وتركت صورة راسخة وعميقة في نفسية متأملها.

والصحراء في رواية كابتشينو ذكرها الروائي لأنها أثارت اهتمامه، ومشاهدة هذا المكان من خلال التأمل يبعث في النفس هدوءً وأمنًا، وللصحراء دلالة أخرى ألا وهي الخوف والرهبة لان الصحراء الواسعة يتيه فيها الفرد إذا لم تكن له خبرة الغوص في أرجائها، فالصحراء ههنا تعبر عن الموت المحتم والفناء، وهي أيضا حاملة لهموم كثيرة ويتجلى هذا الكلام من

---

٦٠ – حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص ٧٧.

خلال قول "السيد حافظ":«بي وهج حزين.. الحزن في أوردتي هوية تسير ريما جاء الحزن.. من العشق والصحراء.. ريما.. »[٦١].

وإن ذكر الروائي لمكان الصحراء كان وكأنه يهيئ القارئ أو المتلقي ليسافر به في شساعة الصحراء «.. وكأني أرى.. قد هيأ ذهن المتلقي ليضعه أمام شساعة المكان وامتداده، أمام الإيهام والمخادعة وموت الزمان.. »[٦٢].أي أنه هنا كأنه يبهر القارئ بهول وروعة جمال هذا المكان، وكيف بإمكانه أن يوقف الزمان بك من اجل أن تتأمل في هذا المنظر الخلاب.

إن هذا المكان متصل بشخصيتين وهما "محب ونور" كونهما عاشقين ويبن لنا العلاقة بين الشخصيات وبين هذا المكان وكيف تأثروا به من خلال سحر هذا المنظر، ويتضح تأثير الصحراء في الشخصيات من خلال القول الآتي:«الصحراء تربي نفوس أبنائها، صفات الشجاعة والجرأة والكبرياء العنيدة، كبرياء الرجال العظام »[٦٣]، وفي هذه الصحراء يكمل الروائي ويفصل لنا الأحداث بكل حذافيرها من خلال ما جرى بين "محب ونور".

٢-٢-٦ مصر:

تتوضح دلالة "مصر" من خلال قداستها وعراقتها، ولما لها من خصوصية إذ تتميز بآثارها القديمة وبشساعة النيل الأزرق وتمتاز بالعلم الغزير والوفير. كما لم يفت الروائي أن بين لنا الحكام والملوك الذين تداولوا عليها إلى جانب ما تتميز به من صفة خاصة ألا وهي تعاقب الأنبياء والرسل عليها، من خلال قوله:«حكى كنعان إلى ابنته نور عن طرد أحمس فرعون مصر الملوك الهكسوس، الذين كانوا يحكمون مصر، وحكى لها عن النبي

---

٦١ – كابتشينو، ص٧٢.

٦٢ – حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق ص٨١.

٦٣ – مرجع نفسه ص ٨٢.

يوسف ابن النبي يعقوب الذي تولى وزارة الاقتصاد والمال في مصر».[٦٤]
وهنا دلالة على الشموخ والعزة والمكانة المرموقة، مصر مكان المعابد والأهرامات العجيبة لذلك صنفت كونها ضمن عجائب الدنيا السبع، وهذا ما دل عليه قول "السيد حافظ":«كان يا مكان في بلاد مصر أم العجائب والغرائب.. ». [٦٥]

٢-٢-٧ نهر النيل:

يمثل النيل الشساعة والامتداد والجمال الطبيعي الذي يزيد المشاهد الروائية رونقاً وتضميناً، وانفتاحه على الدار من خلال هذا المشهد: «.. فلما وضعت ألهمت أن تتخذ له تابوتاً ربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل..»[٦٦]. وإن ضفاف النيل يجعل المنظر في قمة الروعة والجمال والنيل كان وما زال مصدر رزق لكثير من المصريين ونهر النيل مصب للعديد من المزارع وحتى الأماكن المحيطة به فيجعلها أكثر خصوبة و نماء وأيضا يدل على الحركة والتغيير والتجديد من خلال:«.. وقيل أن بنت فرعون التي ذهبت لتغتسل في النهر فعثرت على تابوت موسى وتبنته.. »[٦٧]، وإن شاطئ النيل هو مكان استحمام النسوة ومكان تدريب شباب الجيش على السلاح في الساحة المقابلة له، وقد شهد على الكثير من الأحداث بين(نور ومحب) حيث أنه يعتبر مكانا عاطفيا بامتياز وهذا يتأتى من خلال المشهد التالي:«تخرج البنات على شاطئ النيل أمام الجزيرة، ويقوم شباب العسكر والجيش في الساحة المقابلة للسباق على الخيول والتدريب على السلاح..ونور تقف لترى محب.. ،عندما ترك محب حصانه ونزل إلى النيل ليحضر بعض الماء

٦٤ – كابتشينو، ص ١٨.
٦٥ – مصدر نفسه، ص ٨٦.
٦٦ – مصدر نفسه، ص ٢٠.
٦٧ – مصدر نفسه، ص ١٩.

للحصان، اتجهت نور مسرعة نحوه وتقدمت وهي تحمل قدر الماء ووقفت أمام الحصان الذي أخذ يشرب من قدرها.. ».

ونهر النيل عند التأمل فيه يذهب الحزن والضجر الذي غص في النفس، ويتضح في النص اتساع المكان وعاطفيته من خلال هذا الحوار:«حين نمنح شيئا ما مكاناً شعرياً فذلك يعني أن نعطيه مساحة أكثر مما نعطيه موضوعية. أو بشكل أدق أن الشيء يتبع تمدد مكانه الحميم».[٦٨] ومياه النيل الجارية تبعث في النفس الراحة والاسترخاء والراحة وعلى انعكاس ضوء القمر والشمس التي تضيف له بريقاً ولمعاناً وسعة النهر وجريانه على قدر سعة خيال الروائي.[٦٩] وهذا ما جعل "السيد حافظ" يحيط بجماليات هذا المكان ويجعلنا نتوقف ونتأمله بكل روية ونستمتع بهذه الصورة كأننا أمامها نستمتع بالنسيم الذي يهب منه، وكذلك يجعل القارئ يطلق العنان لخياله .

إن الروائي صور لنا مظهر الخيل المسرعة المتحركة على ضفاف النيل من خلال قول "السيد حافظ رجب":«سحب الحصان من اللجام وسار على النيل »[٧٠] وعلى هذا فإن لنهر النيل دلالة أخرى وهي كونه يدل على الهلاك والموت والاضطهاد من خلال هذا المشهد: «.. وأمرهم أن يلقوا بالمولود الجديد الذكر في النيل ليموت غرقاً..نهر النيل ليس كمثله نهر..هو صبى ذكى غبي مرح طيب، خبيث، خامل، هادئ معظم الوقت.»[٧١]

---

٦٨ – غاستون باشلار، جماليات المكان، مرجع سابق، ص ١٨٤.

٦٩ – ينظر: حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص ١٣٩.

٧٠ – كابتشينو، ص٦٨.

٧١ – مصدر نفسه، ص ١٨.

٢-٢-٨ الإسكندرية:

هي مدينة مصرية لها تاريخ حافل بالذكريات المفرحة السعيدة والمحزنة الأليمة معاً. وهي تدل على السكون وتفشي الفسق وشيوع المحرمات والعصيان بسبب السياحة وهذا موضح في المشهد الروائي لرواية "كابتشينو في قوله": « السكون في الإسكندرية مثل الملح ضرورة..الإسكندرية مدينة مستباحة صيفا باسم السياحة فتنتشر الإباحية، وهي حالة احتجاج على شكل استسلام، أو عصيان على الحياة..»[٧٢].

وتعد من المدن الخاملة التي ليست فيها حيوية ولا تجديد حتى الأحلام فيها مستحيلة؛ وهذا ظاهر من خلال قوله : «.. سأترك الإسكندرية المدينة البليدة الخاملة التي لا يتخطى أحلام مبدعيها محطة قطار سيدي جابر..».[٧٣]

٢-٢-٩ الشارع:

ذكر الروائي الشارع عدة مرات إذ انه يعد مكانا فسيحا باختلاف أزقة المدينة؛ حيث يجتمع الناس ويمشون في أزقتها، ويلجا إليها الفرد من اجل التخلص من الهموم والسائر في أزقتها لا تسعه شساعتها ولهذا يقول "السيد حافظ":«أرحل من شارع الحنين إلى شارع العطاء».[٧٤] ويقصد الروائي هنا بشارع الحنين أنه يحن إلى الأيام الخوالي لما كان يمشي فيها خاليا من الهموم والمشاكل، ويقصد بشارع العطاء ألا وهو شارع الرحمة والإحسان بين الناس، والشارع يكون أحيانا الملجأ الوحيد للناس الفاقدين لمساكنهم وهذا ظاهر جليا في قول "السيد حافظ ": «.. وخرج صبري الجمل بواسطة رجل

---

٧٢ – مصدر نفسه، ص ٣٤.
٧٣ – مصدر نفسه، ص ٣٣.
٧٤ – مصدر نفسه، ص ٣٨.

داعية إسلامي شهير هناك هو الشيخ محمد متولي الشعراوي أحضر له الجواز والتذكرة بعد أن تم طرده من الفيلا إلى الشارع.. ».[٧٥] والشارع يبوح لنا بالأحداث الأليمة والمفرحة ويذكرنا بالأحداث التي مرت به ونستشهد بقول السيد حافظ لندل على هذا الكلام:

«على ضوء المصابيح في شوارع مدينتنا الساحلية كنا نستذكر الدروس تاريخ حافل صلاح الدين الأيوبي.. عمر المختار.. محمد الخامس.. ».[٧٦]

٢-٢-١٠ الحمام:

إن ورود "الحمام" في رواية "السيد حافظ" لدليل على الإحساس بالراحة وطهارة الروح والجسد من كل ما يبعث على الاشمئزاز وهو ينشط الإنسان، وإن جو الحمام خلال الاستحمام فيه حرارة ودفء يبعث على الاسترخاء. وهذا موضح في«.. حرارة المكان، والخلوة، تهيئ للمستحم جوا مريحا، يبعث الراحة والنشاط والاسترخاء»[٧٧]وهذا مجسد من خلال المشهد الآتي:«.. قالت إنه سيحمي زوجها حتى لا يفكر وهو في الحمام بأي أنثى غيرها.. »[٧٨].

والحمام كذلك يدل على مكان التقاء النسوة بعضهن بعضا لكي يتجاذبن أطراف الحديث وخاصة في الاحتفالات وهذا ظاهر جليا من خلال قول "السيد حافظ":«ربما في الأربعين من مولدك ذهبت بك إلى حمام النساء كما قالت لي النسوة وأخذنا البخور والمغات والمشروبات.. والغريب أن كل النسوة كنَّ عرايا في الحمام وحملنك من يد إلى يد احتفاءً بك.. »[٧٩].

---

٧٥ – كابتشينو، ص ١٦٢.
٧٦ – مصدر نفسه ، ص ٢٧.
٧٧ – حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص ٩٦.
٧٨ – كابتشينو ، ص ١٢٦.
٧٩ – مصدر نفسه، ص ٢٩.

وإن الحمام من العناصر المهمة في حياة الإنسان لأنها مصدر راحته ونعيمه، ومظهر الإنسان يزيده هيبة بين الناس ويقويه على العطاء في هذه الحياة .

هناك أماكن يستدل بها من خلال حروف المكان وهو ما يسمى الكلم والحرف حتى وإن لم يعرف بأنه: «الكلمة التي تدل على معنى في نفسها، وإنما تدل على معنى في غيرها من عناصر الجملة، دلالة خيالية أم حقيقية».[٨٠] وهو«طرف الشيء كحرف الجبل، وفي الاصطلاح ما دلَّ على معنى في غيره.»[٨١]

٣-الحروف المكانية:

على هذا نكون قد اخترنا قائمة عن نماذج من الحروف المكانية حيث أن:

٣-١ ظرف المكان: يحمل اسم منصوب يدل على مكان، ويتضمن معنى "في" وهي تدل على الظرفية والسببية.[٨٢]

في:	تنصحهن بكسب الرجال في البيت عامة وفي الفراش خاصة وفي القرب وفي البعاد وفي كل الأحوال، البرد في الجبل، أعيش.. في ضجر، ماذا وجدت في القصيدة، شككت في القصيدة، ترغب في أن تمسك، في ألمانيا، في أوروبا، في كل يوم، في الغروب، في النهار، في المساء، في قلبه تسكن نظرات سهر، في كل حصة يرتبك، فذهب في الحال، في الشارع، في حجرة النوم، في الداخل، في

٨٠ -حبيبة العلوي، الفضاء الروائي، دراسة بنيوية في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، مرجع سابق، ص٥٤.

٨١- نادين زكريا، الميسر في الصرف والنحو، دار الكتب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط-١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦١.

٨٢ - محمد بكر إسماعيل، قواعد النَّحو والصَّرف بأسلوب العصر، دار المنار، ط ١، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١١٣.

	قصر فرعون(٢)،في معبد هيليوبوليس(٢)، في مدين، في الأردن، في مصر، في النيل، في نهر النيل(٢)، في النهر، في الساحة، في الشوارع، في اليوم الأربعين، في الحمام، في الإسكندرية، في حالة احتجاج، في القصر، في الشتاء، خلق الجمال في كل النساء، في بلاد مصر، يعيش في الإسكندرية، تربى في البلاط الفرعوني، الحزن في أوردتي.

٣-٢ حروف الابتداء: وهي التي سبقت ب"من" وقد تأتي للتبعيض.[٨٣]

من:	أما من يستحقها من الرجال لم يظهر بعد، وضع في نهر النيل من بعيد، أخذ يشرب من قدرها، أتأكد من المطر لم يمح رسالتي، من يدٍ إلى يدٍ، أرحل من شارع الحنين، من فوق التل، من المحيط، من البحر، من اليابس، من التل، من اللجام، من فوق الجبل، لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر،هرب من الإسكندرية.

٣-٤ <u>حروف الانتهاء:</u> وهي الحروف التي تدل على انتهاء الغاية والمجاوزة وتدل أحيانا على الاستعلاء والتمكن: منها"إلى"و"ل".[٨٤]

إلى: ل:	جاءت سهر إلى بيت شهرزاد، أحلم بالذهاب إلى الإمارات، حكى كنعان إلى ابنته نور، جريت إلى الجدار، ربما ذهبت بك إلى حمام النساء، وحملتك من يد إلى يد، أرحل من شارع الحنين إلى شارع العطاء، أرحل من مدينة الغربة إلى مدينة

٨٣ – محمد بكر إسماعيل، قواعد النَّحو والصَّرف بأسلوب العصر، مرجع سابق، ص١١٢.
٨٤ – نفس المرجع، ص ١١٣،١١٢.

القلق، إلى المحيط ، إلى النهر، إلى الماء، إلى التل، نزل إلى النيل، اضطر للهرب إلى مدين، ثم طرده من الفيلا إلى الشارع، بدأت البروفات تتحول إلى ضحك. وهي جالسة أمام الدار لإلقاء السلام، وتحكي لمن تحب، ليراقب الشمس وهي تغرب، تحمل الشمس في الغروب رسائل وجع القلوب في النهار لرب السماء في المساء، ليسأله أن يحضر له سهر ولو لليلة واحدة، قال كنعان لابنته نور، ذهبت لتغتسل، نور تقف لترى محب، اضطر للهرب.	

عملية إحصاء تقريبية للحروف المكانية:

الحروف:	في	من	إلى	ل
عدد المرات	٤٥	١٦	١٦	١٠

من خلال الجداول السابقة: نستخلص أن السيد حافظ في هذه المشاهد المدروسة قد استعمل "في" و"من" و"إلى" و"ل" هي الأكثر تواتراً.

كلمة عن أفكار احمد زكى

تناولت باقة من الزهور.. فاح شذى عطرها على السطور.. وبعد أن استنشقت ذلك العطر الذي تميز بشذى عطره المتعلق بالمكان الذي خط ورسم تلك الأسطورة الجمالية للنقد الأدبي للكاتب الكبير (السيد حافظ) في رواية (حتى يطمئن قلبي) وجدت نفسي أتعطر بعطرك المميز أستاذتي الباحثة والناقدة (الدكتورة أفكار أحمد زكي) فقلت في نفسي ما عساني أن أفعل وهذا العطر يلاحق أنفاسي.. فقررت أن اقرأ حروف الجد والاجتهاد . حروف من أوجد الخط والكتابة الهيروغليفية بلد الحضارة والعلوم والآداب والفنون والبناء والعمران بلد الخير والنماء.. الحرية والاستقلال،، بلد الفرح والأحزان والبسمة التي تتراقص على جباه الإنسان المصري البسيط ذات الذات المرحة المقتنعة بقدرة الله وحكمته بأن الله من يدبر كل شئ.. ناقدتنا وباحثتنا (الدكتورة أفكار أحمد زكي) باحثة مصرية من نوع نادر.. جادة وملتزمة فهي من آخر أجيال الجادات.. وأوائل الناقدات المتميزات.. اللواتي أبدعن وتألقن في مجال الأدب والنقد الأدبي الحديث.

تناولت الدكتورة أفكار أحمد زكي رواية (حتى يطمئن قلبي) فقالت:

إن كل من قرأ الرواية أو المسرواية المذكورة سابقاً.. (حتى يطمئن قلبي) ظن أنها نص تأريخي مثلما كتبوا في هذا المجال أي الرواية التأريخية في العصر الحديث أمثال (جرجي زيدان) الذي كان يهدف من خلال كتاباته التأريخية (تعليم الأحداث التاريخية) لمن لم يقرأ التاريخ حسب ما وصفت الدكتورة (أفكار أحمد زكي) بأنهم أنصاف المثقفين.

لو قرأنا الرواية بتمعن وتبصر وجدنها تحتوي على جزء كبير من المادة التأريخية، مع المزج بين الكثير والكثير من الفنون الآخرى.. السؤال هنا.. هل الكاتب قصد الكتابة بالتاريخ لأجل التنبيه أم لأجل شيء آخر له مغزى وهدف في نفس الكاتب؟

نعم الكتابة تبدو مادة تأريخية لكن حسب ما صرح حرف الكاتب العظيم وبتأكيد من الناقدة العملاقة والجادة.

الكاتب الروائي الكبير السيد حافظ يقول: (أنا لا أحكي التاريخ ولا أروي لكم.. بل أصححه)

فلنقرأ

هذه التحفة من ما قدمه لنا الكاتب مثالاً بسيطاً عن الوطنية وحب الوطن.. وللشخصية المصرية البسيطة ومدى تعلقها وحبها بمصر الأب وليس الأم كما هو متعا رف عليه.. .

(رشيد يحب مصر بطريقته.. الخاصة التي يراها بلداً فقيراً غلبان وأن الفاطمين والعسكر الذين يأتون لحكم مصر يسرقونها، أما رشيد فقد جمع رجالاً من كل أنحاء مصر من (المقهورين والعصاة والزناة واللصوص) فقرر سرقة الأثرياء وتوزيع النقود.. فعاش بالجبل.. واشترى السلاح من شيحا..)

هكذا يوضح لنا الكاتب الشخصية المصرية وحب الأرض والوفاء والإخلاص لمصر.. ويستمر الكاتب في تناول الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمصر في زمن الخليفة الفاطمي العاضد بالله.. حيث ساد الظلم والإهمال

والضياع والتآمر وارتفاع الأسعار.. وتسقط المدن الواحدة تلو الآخرى والحاكم وقائد الجيش يلهو وبالراقصين والراقصات ولن يفكر في الدفاع عن الوطن.. وتسيل الأبجدية الحافظية بمداد الروح لتزين سطور القرطاس دون ملل بل بشوق لتلك الحبيبة المتجذر عبقها بالروح والفكر فكلما توارت عن الأنظار همست لها..

حلي ضفائرك على كتفي.. فأنا الرائي والحاكي والشاكي والباكي والمصنوع وصانع الحرف الجميل..

وأقول لك يا صانع الحرف المذهل بتألقه وجماله..

ذات يوم.. أقف على ساحل شاطئك.. بصرتي.. وأحل ضفائري.. فرحاً.. بالهمس لشفاهك اللهثى عطشاً.. بشوقٍ يعتريني.. يا بلدي متى تتحرري..؟ أضناني القلق والخوف وأنت تنزفي.. فحبي لك هو الجنة وبالبعد.. نار.. فأكتوي..

قراءة نقدية في رواية
حتى يطمئن قلبي
بقلم د. أفكار أحمد زكى

تبدو رواية أو مسرحية أو مسرواية (حتى يطمئن قلبي) للكاتب الأديب السيد حافظ لمن يقرأها لأول نظرة أنها رواية تاريخية تسير على نهج من كتبوا الرواية التاريخية في العصر الحديث مثل جرجي زيدان؛ الذي كان يهدف من خلال كتابته الرواية التاريخية تعليم التاريخ لأنصاف المثقفين، فكتب الرواية التاريخية التعليمية الترفيهية. أما السيد حافظ فإنه يصرح في بداية عمله الأدبي الذي يمزج فيه بين القص الروائي والمشاهد المسرحية، بقوله (أنا لا أحكي التاريخ ولا أروي لكم بل أصححه..)(٨٥)، ولكن القارئ الناقد المتريث حين يغوص في مسرواية (حتى يطمئن قلبي) يجدها تحمل قضايا الواقع المعاصر السياسية والاقتصادية من خلال أحداث التاريخ في نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية في مصر. لأنه كما تقول ندى حجازي في دراستها، عن "رضوى عاشور.. حين يتحول النص إلى سلاح مقاومة": (تعمل النصوص الأدبية أحيانا كسلاح دفاعي ضد تحريف التاريخ أو تحييده، تلك السياسة التي غالبا ما تؤدي إلى تهميش الآخر وتشويه صورته..)(٨٦)، ولكني أعترف بنظرة الناقد والقارئ لهذا العمل، أنه عمل أدبي فيه من الثراء والعمق ما يجعلك لا تترك فيه سطرا دون إضافة أو قيمة، أو رؤيا نقدية. رغم

---

(٨٥) السيد حافظ "حتى يطمئن قلبي " / ٢

(٨٦) ندى حجازي "رضوى عاشور حين يتحول النص إلى سلاح مقاومة" / ٣٠٣ مجلد "تحولات و جماليات الشكل الروائي" ط. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠١٥.

ما يبدو من المقدمات التي يكتبها الكاتب ويبثها بين ثنايا عمله تبدو بسيطة، فالكاتب يفضل أن يمارس لعبة الذكاء مع قارئه، (لأن القارئ الثقافي في حاجة إلى المتلقي الثقافي، والوعي المشترك بينهما هو الذي يصعد بالنص من الأدبية إلى الثقافية، وهو الذي يربط الإشباع المعرفي بالمتعة الجمالية..)[٨٧]

رغم إيماني أن كاتب التاريخ غير كاتب الرواية، فإن الرواية مهما كانت تعتمد على الخيال في أحداثها و وقائعها، فإنها لا تكتب تاريخا منفصلا عن الحقائق التاريخية الثابتة والمعروفة والحقيقية، خاصة إذا كان كاتبها صاحب رؤيا و وعي. لذا نرى الكاتب السيد حافظ يسير في روايته في اتجاهين متوازيين يلتقيان عند هدف واحد في نهاية العمل، انطلاقا من القول (إن كل استدعاء للتراث في العمل الفني لا يعني البتة استدعاء المعاودة و التكرار بقدر ما يعني المغايرة وإعادة البناء)[٨٨]. فتبدو الأحداث التاريخية في العمل الأدبي (حتى يطمئن قلبي) في نسيج موازٍ لما يدور في واقعنا المعاصر من تطورات وصراعات سياسية واجتماعية على المستويين المصري والعربي. فحين يغترب "فتحي رضوان" المصري الشخصية الرئيسية في القصة المعاصرة، عن بلاده للعمل في الإمارات أو العراق للحصول على مصدر الرزق وتوفير سبل الحياة، يرفض ابن مماتى - رمز البطولة والصمود والعلم والثقافة والقيم والمبادئ في القصة التاريخية- البعد عن مصر إذ يعفو عنه قراقوش ويأمره بترك البلاد. ويقول ابن مماتي في نبرة ألم وأسى (ضوء

(٨٧) محمد عبد المطلب "القراءة الثقافية" /٣٠ ط. المجلس الأعلى للثقافة

(٨٨) منى طلبة "إعادة بناء التراث.. قراءة في روايات معاصرة" /٢٨٦ مجلد "تحولات و جماليات الشكل الروائي" ط. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠١٥ .

المكان باعنى لقراقوش.. كيف.. أفهم؟ جاء الزمان الذي يترك فيه المصرى بلاده ويرحل بعيداً عنها ويهرب من حكامها الظالمين الذين هم ليسوا مصريين.. آه يا بلدى.)[٨٩]، وهذ هي القضية الرئيسية التي يمكن تتبعها في المسرواية وهي قضية الحاكم الفاسد والحكم القهري الظالم، الذي لا يهتم بالرعية واحتياجاتها وحقوقها، مما يجعل أبناء الوطن المحبين له كما يقول فتحي (مصر ليل لا ينتهى.. شعب لا يرى الصبح أبدًا.. إن الله يحب المصريين حبًا خاصًا أرسل لهم الكثير من الأنبياء.. أكثر شعوب العالم الذين جاءهم أنبياء.. إن الله ينظر إلى المصريين برحمة تفوق الخيال.. أحن للبكاء على صدر الوطن فلا أجده..)[٩٠] يبحثون عن مكان آخر تتوافر فيه سبل الحياة إما برغبتهم مثل فتحي أو قهرا وعنوة مثل ابن مماتى. حيث يجمع بينها رغم اختلاف الزمان ووحدة الوطن، حب مصر الوطن والأهل، كما يجمع بينهما حب العلم والثقافة والمعرفة التي تبحث عن الحق والحقيقة في مواجهة الجهل، وإن كان ابن مماتى حاول التأثير في العامة وتغييرهم وتعليمهم ولو بالفرقة المسرحية التي مثل فيها فريق القراقوز حتى يصل إلى الناس، بينما اكتفى فتحي بالكتابة الصحفية بعيدا عن الوطن، وما يعبر به من تغريدات تقطر حبا للوطن وأسى على حاله وحال أهله وبلاده. فيبدو الشعور بالغربة عن الوطن، فالوطن هو المحبوبة أو الأم التي نبحث عنها و عن صدرها وحنانه حين تحيط بنا الأحزان وتملأ قلبنا الهموم.

---

(٨٩) السيد حافظ "حتى يطمئن قلبي" / ٤١١

(٩٠) "حتى يطمئن قلبي" / ١٥١

الكاتب وفكره وما ينتجه من فكر في كتاباته التي تمثل روحه، ووطنه الذي هو أيضا روحه، ثلاثية الإنسان والفكر والوطن يكملهم ضلع رابع هو الحب، وفي هذا الإطار تدور مسرواية "حتى يطمئن قلبي"، من هنا يأتي قول الكاتب في مقدمته عن حضور الوطن النادر الذي لا يرى حقيقة ما يكتب الكاتب، وغيابه غالبا عن التاريخ الذي يخرج منه ثم يعود له الوعي وقد لا يعود، فهي رؤيا الكاتب الرابط القوي بين التاريخ والوعي لدى الوطن – ويعني بهم أبناء الوطن – وربما يلقي الكاتب هذه العلاقة بين الوطن والتاريخ في مقدمته، لأنه سوف يغوص داخل الوطن من خلال التاريخ في الصفحات التالية من الرواية.

رغم الحب للوطن الذي يعيش بداخل البطل والكاتب معا، فإن الكاتب غاضب من هذا الشعب أو عاتب عليه عتاب الأم إذ تقسو على ابنها حين يصدر منه ما يغضبها.

فتبدو صورة الشعب والناس في نظر الكاتب من مقدمته التي يصدر بها روايته، صورة غير محببة، مثال (اكتشفت أن مصر لونها رمادي.. والبشر مشاعرهم أغلبها اصطناعي..)[٩١]، (ما إن اجتزت عتبة الصفحة الأولى من الرواية حتى هاجمتنى ذكريات شعب فاجر).[٩٢] ولا أدري سبب هذا، هل هو عدم رضا الكاتب عن الشعب أم عدم رضاه عن واقعه وما يعانيه، أم هي عبارات يستفز بها قارئه حتى يدخل إلى عالم الكاتب وعمله ليبحث عن حقيقة مشاعره نحو هذا الشعب؟

---

(٩١) السيد حافظ "حتى يطمئن قلبي" /٢

(٩٢) "حتى يطمئن قلبي" / ٢

في الفصل الخامس من الرواية حين يعاتب نفسه حزنا على موقفه من سهر يعود مرة أخرى إلى مصر وشعبها فيقول (أنا ابن هذا الشعب الجاهل المتعصب)[٩٣]، فهو يقر بمسؤوليته عن هذا الوطن وعن شعبه رغم ما فيه من عيوب و سلبيات.

يبدأ الكاتب بمقدمة كأنه يدافع عن مهمة الكاتب، حين يقول(..الكاتب ليس وظيفته أن يتدخل في كل شئ بل يترك المساحة للأبطال أن يتحركوا ، ينفعلوا ، أن يمارسوا الحياة أو يحتلوا الموت ، أن يمارسوا الفضيلة أو يدنسوا براءتهم بالرذيلة لأنهم بشر وليسوا ملائكة.. أبناء الحياة والحياة ورطة فهم وطنيون وخونة شرفاء وفاسدون . ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)[٩٤]، فالكاتب يحمل أبطاله المسئولية فيما يقولون أو يفعلون، حتى لا يأتي أحد المتربصين بالأدباء لمحاسبته عما يقول الكاتب على لسان شخصياته، وكأن الأصوات التي تحاسب مؤلف العمل الفني "المسرواية"، لما فيها من صراع بين الخير والشر والرذيلة والفضيلة- قد صارت تهدد الكتاب.

وعلى الجانب الآخر قد تكون المقدمة التي يصدر بها الكاتب عمله الأدبي صادمة لقارئه- رغم إتاحته الفرصة أمام القارئ ليشارك في العمل؛ لأنه حين يصرح بعدم سعيه للجمهور أو سعي الجمهور له، قد يترك انطباعا سلبيا لدى قارئ أعماله، وقد تكون لفتة ذكية من الكاتب يجذب بها القارئ حتى يبحث عن سبب هذا الإعراض المتبادل بين الكاتب و قارئه. والكاتب لهذا لا

---

(٩٣) "حتى يطمئن قلبي" /١٦٩

(٩٤) "حتى يطمئن قلبي" / ٢

يعبأ بالجوائز لأنه لا يكتب ما يرضي مانحي هذه الجوائز، لكنه يكتب ما يرضي ضميره ورؤيته بقدر ما يرضي الحق.

في الفصول الأولى من العمل الأدبي – وهي الفصول الخاصة بالأحداث التاريخية– يزاوج الكاتب بين القضية الاقتصادية وأزمة المواطن البسيط، وبين الأزمة السياسية والحربية التي تعاني منها البلاد، حيث إهمال الحاكم، وضياع الدولة والسعي خلف الملذات والمتع الشخصية.

وتحتدم القضية حين يدخل قائد الجيش على الآمر بأحكام الله، ويخبره بما آلت إليه البلاد من سقوط المدن والاعتداء عليها من جيوش الفرنجة، وبما تعانيه البلاد من أزمات اقتصادية حيث ترتفع الأسعار، خاصة السلعة الرئيسية لطعام الشعب وهي "القمح"، وبعد كل هذا يطلب من قائد الجيش أن يدخل إليه الراقصين والراقصات، وكأن مهمة قائد الجيش أن يتحول إلى صاحب ملهى، وليس الدفاع عن البلاد والحرمات.

تستمر المقابلة بين حال الحاكم (الآمر بأحكام الله) ولهوه و بحثه عن النساء والعروس الاستثنائية من ناحية، و حال البلاد من سقوط الولايات واحدة تلو الآخرى. وعدم إدراكه الفرق بين المرأة والولاية حين تسقط في يد الأعداء. ويستمر الكاتب في رسم الأزمة التي تتمثل في غفلة الحاكم الآمر بأحكام الله رغم علمه بالكارثة التي لحقت بالبلاد من سقوط العديد من الولايات، والكارثة الآخرى التي تعم العباد من كساد وارتفاع في الأسعار، و تزداد الكارثة وضوحا حين يدخل وفد من العلماء للخليفة، وينتظرونه حتى يفرغ من لهوه وحمامه و طعامه، والأكثر من هذا حين يقول له كبير العلماء (ونحن معكم يا مولاي في السراء والضراء.

الآمر : لا.. لستم معنا.. أنتم ما شاء الله علماء البلاد لكم أمور الدين ونحن لنا أمور الدنيا.)[٩٥]

وتستمر غفلة الآمر بأحكام الله في حواره مع رسول عمانويل، الذي ينذر الخليفة بقدوم جيش عمانويل فيجيبه أنه مقدم على الزواج، فيقول الآمر بأحكام الله:

(فلتحضروا الجنود والفرسان.

الرسول : للحرب:

الآمر : لا للاحتفال وإقامة الأفراح لزواجي من الأميرة العالية)[٩٦]

تبدو صورة الحاكم الضعيف المتراخي في حل المشكلات المهمل لرعيته وأزماتها، المهتم فقط بالمتع الملذات، كما تبدو صورة ضعف الحاكم في تركه كل قضايا البلاد في يد وزيره، الذي يشارك التجار وأصحاب الأعمال في مالهم على سبيل الإتاوة. ثم يتركه يزو حقيقة النصر المزيف على الفرنج وجيش عمانويل، وتزداد صورة فساد الحاكم وضعفه حين يترك زوجها (العالية)

يستمر الكاتب في تشكيل صورة الحاكم الضعيف المهمل لرعيته من خلال الضحكات التي تصحبه في كل المواقف الهزلية منها والجادة.

تتكرر المواقف التي ترسم صورة الحاكم الضعيف المتراخي حين يقف الشاعر "طراد" أمام الآمر بأحكام الله و المأمون، فيقول الشاعر (ينحني- أنا خادمك شاعر بني طيء.. جئت لأمدح مولاي .

---

(٩٥) حتى يطمئن قلبي" ٤١

(٩٦) حتى يطمئن قلبي" ٤٤

المأمون: ليس لدى مولاي أي وقت.

أحمد : يا إلهي.. دع مولانا يتكلم.

الآمر : تحب الشعر والخمر والنساء؟

طراد : نعم يا مولاي .

الآمر : إذا سأشرب معك أو أتحدث معك فأنت ضيفي وسأقابلك هذا المساء.

أحمد : وأنا يا مولاي .

الآمر : أنت شاعر.

أحمد : لا أنا صديق الشاعر.

المأمون: إنه حمال في البستان.

طراد : إنه صديقي.

الآمر : في الكأس يلتقي الكبار والصغار.. لذلك أدعوه أيضاً.)(٩٧)

يستمر الكاتب في رسم صورة الحاكم الفاسد ضعيف الشخصية باعترافه الذي يقوله لوزيره المأمون فيقول له

(المأمون : الديوان والأعيان.. الكل يسأل عنك منذ عام وأنت هنا والناس والوشايا والإشاعات.. اختفاء الخليفة.. صارت الحكاية سخيفة.

الآمر: هم السخفاء ماذا يريدون من الخليفة؟ الدولة تسير نفسها بنفسها.. الوزيريعرف ما دوره ورئيس الشرطة وكل موظف يعرف دوره ما المطلوب مني..؟ دعوني مع العالية.)(٩٨)

---

(٩٧) حتى يطمئن قلبي" / ١٠٧

(٩٨) حتى يطمئن قلبي" /١٢١

نجح الكاتب في رسم صورة الحاكم الضعيف المهمل الذي لا يهتم بأمور الرعية أو البلاد حتى في أصعب الأوقات وقت الحرب فطلب الجنود و الجيش لا للحرب بل لحفل الزفاف، في حين يقف جيش عمانويل على مقربة من القاهرة استعدادا لاحتلالها.

(مأمون البطايحي لم يسلمنا الراتب.

زعتر : هذا الرجل غير معقول كل تجار مصر يشاركهم في مشاريعهم حتى مرتبات العاملين المساكين يأخذها في بطنه.)[٩٩]

يبدو ضعف شخصية الحاكم في كل مواقفه سواء مع الوزير أو مع العلماء أو مع قائد الجيش، أو مع "العالية" التي كانت تفرض رأيها على الآمر بأحكام الله، لأنه كان دائم الاسترضاء لها وبالتالي كان مطيع لرأيها.

و هذا ما بدا في شخصية قراقوش في الدولة الأيوبية، حيث يرضخ لطلب لامار التي أحبها وتعلق بها رغم عدم قدرته الجنسية، وتنفيذه لطلباتها حين طلبت منه الإعفاء عن المسجونين و الإفراج عن ابن مماتى.

وفي القصة المعاصرة-قصة سهر وفتحي وشهر زاد ومنقذ-نجد منقذ ينفذ لسهر كل ما تطلب رغم علمه بخيانتها إياه، بل أكثر من هذا يحتفظ بالطفل الذي يشك في نسبه.

تستمر صورة الحاكم الفاسد بعد تولي صلاح الدين وتغير الدولة بانتهاء الحكم الفاطمي ونهاية شاور الوزير الفاسد المستبد، فنجد صورة أخرى من شاور الذي أحرق القاهرة لمدة خمس عشرة يوما، في وزير جديد هو قراقوش وزير صلاح الدين الذي يسير على نفس النهج، وهذا ما جعل

---

(٩٩) حتى يطمئن قلبي" /٤٩

المصريين يضربون المثل بظلمه واستبداده في تولي أمرهم. ورغم هذا يستغل الحاكم الظالم الفاسد جهل واحتياج العامة في تزوير الحقيقة حين خرج الناس بالأجر لاستقبال قراقوش بعد فك أسره.

يقابل الكاتب بين معاناة الشعب وحال الفقر والجوع الذي يعانيه من ناحية، بين حياة الترف والبذخ التي يحياها الوالي "الآمر". ويتضح في الحوار بين سنية وأحمد حين يطلب منها أن تساعده كي يعمل في القصر، فيسير الحوار على هذا الطريق الذي يؤدي الوضوح حال المعانة التي عليها عامة الناس في القاهرة الفاطمية:

(أحمد : أنا موافق.. أحمل زبالة البستان وزبالة الخليفة.. وزبالة كل الأغنياء.)

سنيه : سأذهب للقصر.

احمد : تطبخين للسلطان.. محظوظة.. هاتى لنا ما لديه من بقية الطعام.)(١٠٠)

فهذا التناقض بين أحوال الراعي والرعية، أبرز دلالات فساد الحاكم وسوء ولايته للرعية.

يأتي الكاتب بقراءة مستقبلية، حين يتحدث عن العلاقة بين الأغنياء والفقراء، فيقول الكاتب متوجها للقارئ – الذي اعتاد على أن يتوجه له بالخطاب المباشر منذ بداية الرواية– كنوع من توجيه الصحوة أو التنبيه، من خلال الفقرات التي يقطع بها الخط الدرامي للعمل الروائي (يا أول الغرباء، وأول من فهم أن الإسلام دين الفقراء قبل الأثرياء و دين المساواة و ليس المحاباة بعد

---

(١٠٠) حتى يطمئن قلبي" /٣٥

قرن و مايزيد ظهر ثائر جديد مثلك اسمه جيفارا رفض المنصب و رفض الجاه و كره الأغنياء ، سامحنا فنحن الجهلاء و كان أكثرنا لا يعقلون و يفقهون و لا يفهمون. طوبى لك و لهم.)[١٠١]

الإسقاطات التي يقوم بها الكاتب من حين لآخر في الرواية، لربط بين أحداث ووقائع الرواية، وبين الواقع الذي يعيشه المجتمع العربي عامة والمصري خاصة، مثال؛(من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد اتجه المصريون إلى بناء المقابر الضخمة التي تسمى الأهرامات وكتبوا لنا في كتب التاريخ عظمة مصر في الأهرامات ونسوا أن يكتبوا أن عظمة مصر كلها تحويل الشعب إلى عبيد بأهداف كانت ترمى جميعها إلى حماية ووقاية جثمان واحد هو رئيس الدولة فرعون داخل مبنى فخم ضخم.. عقيدة رجل واحد.. وظلت مصر على هذا الحال حتى الآن.. ومن هنا صعوبة الديمقراطية واستعادة ثقة الشعب في نفسه)[١٠٢]

الكاتب أو المفكر يحلم بعالم مثالي يبغي إسعاد جميع الناس لذا فقضية الحكم والحاكم وعلاقته بالرعية من القضايا الهامة التي تشغل المفكرين ابتداء من أفلاطون في جمهوريته، إذ (من الواجب ألا يمسك بزمام الحكم إلا من كان مؤهلا لذلك. و للإنسان في داخل نفسه القدرة على توجيه حياته على نحو من شأنه تحقيق غاياته الأساسية. تلك هي قدرة العقل، أعني معرفة ما هو خير بحق للإنسان، أن تنقذنا من أنواع الاختيارات العمياء، القصيرة النظر، التي تهدم نفسها بنفسها آخر الأمر، و التي نقوم بها في

---

(١٠١) حتى يطمئن قلبي" / ٢١

(١٠٢) حتى يطمئن قلبي" /٢٣٤

سعينا من أجل السعادة. و إذن فليحكم الدولة أولئك الذين توافرت لهم معرفة عقلية بما هو خير لها)[١٠٣]، وهذا ما جعل الكاتب يرسم لنا صورة للحاكم الأحمق الذي يفقد القدرة على التفكير السليم الصحيح في معالجة قضايا الدولة العسكرية و القضائية و الاجتماعية، فغاب العدل حين تولى الجدال مدعي العلم مرتكب المعاصي القضاء، و تولى الوزارة من لا يهتم بالرعية واحتياجاتها، ويرى القوة هي أداة الحاكم التي تبطش بالعامة، هكذا كانت صورة شاور في الحكم الفاطمي وكان قراقوش في الدولة الأيوبية.

تتصل بقضية العلاقة بين الراعي والرعية، والحاكم المستبد الأحمق، قضية العدل المفقود، وحين يكون الحاكم ظالما يكون ميزان العدل غير صالح، وهذا ما وصفه الكاتب بميزان العدل المقوس الذي يوضع في واجهة المحكمة التي يقف فيها عثمان ولامار، (.. اليوم محكمة قراقوش.. ويتقدم أصناف من الناس تشكو حالها وظروفها وضيق أحوالها.. تظهر لافتة في الخلف كتب عليها محكمة قراقوش.. كرسى في المستوى الثالث للقاضى.. كرسيان يميناً لمستشارى اليمين، وكرسيان يساراً لمستشارى اليسار.

في المستوى الثانى يميناً يوجد قضبان سجن وقد وقف القاضى عثمان ولامار. خلفها شرطيان يقفان أمام القفص وميزان العدل مقوس وظاهر الإعوجاج.. كتبت لافتة في الخلف بخط جميل.. محكمة قراقوش.)[١٠٤] فلا يمحو الخط الجميل ظهور الاعوجاج في ميزان العدل القوس في محكمة قراقوش.

---

(١٠٣) جيروم ستولينيتز "النقد الفني – دراسة جمالية" /٥٠٥ ترجمة د. فؤاد زكريا ط. الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٣

١٠٤ حتى يطمئن قلبي" /٣٦٢

ومن القضايا التي ترد في ثنايا العمل الأدبي خاصة الفصل الخامس، وما يتصل بأمر حكم صلاح الدين، وحواره مع ابنه في أمور الحكم وإدارة شئون الدولة، ما يوضح حقيقة القضاء وعمله من ناحية، وكتابة التاريخ من ناحية أخرى، مثال: (أنت أجرِ محاكمته أمام الناس حتى تأخذ المهابة ويخافوك واقتله بالقانون أتحب أن أرسل لك قضاة من مصر لدينا فيها الكثير فهم سلاحنا في الحكم.

- عندنا كثيرون متوفرون يطلبون الود..)[١٠٥]

يزاوج الكاتب بين القضية الشخصية المتمثلة في علاقة الحب المحرم، وقضايا الوطن بكل ما تحمله من هموم سياسية واقتصادية، في أكثر من موضع في هذا العمل الأدبي، مثال:

(خرجت رائحة قهوتك من شرفتك ومرت في الفضاء والمدن والحارات انتعش ورد الحدائق وقلوب الرجال في كل المدن انتعشت انتبهت أما النساء فمن غيظهن كسرن الفناجين غيظا وغضبا أما قلبي فانكسر لأنك لازلت هناك وأنا هنا غدا صباحا سألقاك صباح القهوة بالحب والهيل والقبلات.. سأصارع حتى الموت أمواج بحر اليأس حتى وأنا أغرق مع الوطن.)[١٠٦]

ويتضح هذا من خلال تعليقات الكاتب التي تأتي في شكل منولوج داخلي بين فتحي ونفسه أو بين الكاتب ونفسه حين يقول في إحدى تغريداته، (همس الروح):

---

١٠٥ حتى يطمئن قلبي" /٢٢٤

١٠٦ حتى يطمئن قلبي" /٢٠٨

(أقسم بالله وبغبار الوحدة وحمراء الخد لأجعلها هي وكلماتي وطنا، والكتابة كفنا.. فالشعوب التي تبحث عن رغيف الخبز لاتعرف للحب ولا للشعر ثمناً.. لا ألومك حبيبتي فإن قلبي في محارة العشق لؤلؤة على صدرك فهل تقدرين الثمن.. صباحك ومساؤك لي القهوة التي أحبها مُرَّة وأعرف أنك مهرة أركبها وأطير على مدن الصفحات البيضاء أكتبها بدقات قلبك وعطرك لأخطط مخطوطات العشق لأهديها لك)(١٠٧)

ولا يقف مفهوم الوطن لديه عند مصر بل يتعداه إلى الوطن الأكبر (أما ماتبقى من جيشنا ورجال الدين وأفكارنا وشعبنا والنظرات الضيقة تماما والرقص فوق جثة الوطن هل اسمه مصر أو بغداد أو سوريا أو اليمن أو تونس أم ليبيا أو البحرين.؟ لا أعرف أمة بلا عقل وضعت أحلامها في السراويل المظلمة والشهوات المحرمة..)(١٠٨)

ويزداد الأمر أكثر من هذا، فالمزاوجة تكون بين المرأة والوطن والكتابة. هذه العناصر التي تشكل محاور الحب في حياة شخصية مثقفة مهمومة بهموم الوطن عاطفية تقع في الحب بكل ما تملك، حيث تمثل المحاور الثلاثة في حياة الشخصية البطل في الرواية محورا واحدا هو الإنسان المعاصر.مثال قول الكاتب:

(- كل دا في راجل واحد.. يا راجل إلى أين توصلني أريدك أن تجنني مو هيك؟

أنت شو أزمتك وأزمة الوطن معاك.؟

---

(١٠٧) حتى يطمئن قلبي" /٢١١

(١٠٨) حتى يطمئن قلبي" /٢١٢

قلت لها لسنا في أزمة خطاب ديني فقط بل في أزمة خطاب إيديولوجي.. ورؤية اقتصادية.. وأزمة أخلاق وعدالة وضمير.. العالم يسير ونحن نتكلم كثيرا دون أن يسمع أحد منا الآخر.. اسمعيني جيدا يا سهر نحن في أزمة ضمير..)[١٠٩] حيث يناقش فتحي مع سهر قضية تغيير العالم بالكتابة، فلا تؤمن سهر بما يراه فتحي ممكنا فتقول له:

(مجنون أنت تحب الخطيئة وتريد تغيير الأمة ؟

- ولم لا؟
- لن يحدث أن تتغير الأمة، الناس لاتقرأ فتغيير الناس بالكتابة وهم.
- وأظل أحلم وحلمي أن أضع في كلّ عقل مصباحا..بي وجد وبي غربة الأنبياء وبي حكمة الفلاسفة وجنون الرجال العاشقين.. أنا رجل بي بساطة غاندي و سقراط أنا المشاء وأنا دفء الشتاء والحكاء وأعرف سرّ خرافة الأشياء.)[١١٠]

وهنا تقف سهر على هذا التناقض الظاهر في شخصية فتحي-رغم حبها له- الذي يحلم بالمثالي وتطبيق المثل العليا بينما يرتكب كبيرة من الكبائر.

من القضايا الهامة التي يناقشها الكاتب في أكثر من موضع، قضية العلم والفكر وأهمية الكتاب وعلاقة كل هذه الأمور بالحكم وأمور الحكم والرعاية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أهميتها للعامة وللناس واعتبار الكتب كنوز أهم من كل المعادن النفيسة والمجوهرات. هذا في رؤيا مفكر يحمل كنوز من الكتب في جوال ويجب به كل مكان، أما الحاكم "صلاح الدين" الذي يصب جل

---

(١٠٩) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٠

(١١٠) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٠

اهتمامه على التصدي للعداء من صليبيين وغيرهم، فلا يرى قوة غير القوة العسكرية لذا يجعل وزيره من العسكر، ويرى أنه خير من يصلح، دون إدراك للعلاقة بينه وبين الناس، وكيف يدبر أمور العامة. ويتضح هذا التوجه في حوار يحمل معنى التحقيق والتهديد من صلاح الدين لابن مماتي:

(يا ابن مماتى.. أنا لا أحب الثقافة لأنها سخافة ولا أحب المثقفين لأنهم مثل دود الأرض يأكلون كل شئ.. الإنسان والنبات والحيوان.

يا مولاى السلطان الناصر العظيم.. الأدباء والشعراء والعلماء هم ذراعك.

العسكر هم ذراعى، هل سأحارب الأعداء الصليبيين.. ريتشارد قلب الأسد وملك أسبانيا وملك ألمانيا بالقصائد والشعر والكتب؟ هه؟

(يرتعد.. يسقط منه السروال.. يرفعه بسرعة) لا يا مولاى.. طبعاً ستحارب بالسيف والسهام والمجانيق.

إذن لا يصلح لمنصب الوزير إلا العسكر والجنود والفرسان.. صح؟

صح يا مولاى (يسقط السروال ويرفعه)

نحن الثلاثة هنا.. بالنهار جنب بعضنا البعض، وعندما نأخذ أجازة نظل معاً.. ما هذا؟ أليس غريبا..)(١١١)

وفي النهاية تتوزع التهم ضد الثلاثة بالتساوي، و لا يستثنى واحد منهم من تهمة تضعه في القيود أو تودي بحياته.

وحين يأتي الشاعر طراد بن المهلهل لمدح الخليفة ويلتقي بالعالية تحدثه في أمر الناس في الشارع وفي الحارات ومدى إحساسه بهم ومشكلاتهم ومعاناتهم فتقول له:

---

(١١١) حتى يطمئن قلبي" /٣٩١

(العالية: بماذا تمدحني. أنت تمدحني والزمان يرجمني ويجرمه.
طراد : لم أفهم.
العالية: أنت شاعر الخلفاء والأثرياء؟
طراد : نعم.
العالية: وهل للناس نصيب من شعرك؟
طراد : لم أفهم.
العالية: الناس في حواري مصر.. شاهدتهم؟
طراد : عاشرتهم أكثر من عام.
العالية: أكثر من عام لتعرفهم أم لتقابل الخليفة؟
طراد : يا أميرتي وسيدتي لقد شاهدت العجب والعجاب .في هذه البلاد
العالية: شاهدت ماذا؟
طراد : شاهدت القاهرة.. الناس.. الحارات.. القاهرة العامرة التي تضئ بأجمل سيدة في هذا الزمان..العالية)[١١٢]

فتضع يديها على قضية من قضايا الواقع المعاصر وعلاقته بالفن عامة، وهي أن يعرف الفنان الناس ويشعر بما يعانون ويصور معاناتهم حين تقول له عاشرتهم أكثر من عام لتعرفهم أم لتقبل الخليفة؟

إذا كان الكاتب يناقش من خلال عمله، الذي يمزج فيه بين القصة المعاصرة والرواية التاريخية، قضية الحاكم الذي يتولى أمر مصر وشعبها، فإنه لا يغفل دور الشعب وقيمته (على كل حال يصبح تحقق الجماعة مصدراً مهماً من

---

١١٢ حتى يطمئن قلبي" /١٠٦

مصادر تحقق الفرد، وقد يكون هو المصدر الوحيد و الكافي في الوقت نفسه للحصول على الإشباع الذاتي والرضا: فحين تنتصر الجماعة خلال معركة ما، يؤخذ النصر على محمل شخصي، و كأنما انتصر الفرد في معركته الخاصة، و الأمر عينه يحدث عند تلقي الهزيمة)[١١٣] فتكون ضرورة أن يحكم مصر أحد أبنائها الذين يرتوون من ماء نيلها، فيقول:

(وقراقوش.. ماذا يفعل بالضبط؟

(يظهر في البرواز) أنا الحاكم الفعلى لمصر والسلطان صلاح الدين له المجد وأنا لي الشعب.. المصريون أقودهم وأحكمهم.. وأحرق وأبنى وأهدم وأعمر.. هذه هى بلادى..

وأين الناس؟

(يظهر في البرواز) حسرتى عليك يا شعب مصر.. حسرتى عليك يا بلد.. للآن لم يأت لك الولد.. يحكم أرضك وناسك.. شارب من ماء نيلك.. مولود من أب مصرى وأم مصرية.. حتى صلاح الدين الكردى ترك الصقلى يتحكم في العباد.. حسرتى عليك يا بلد.)[١١٤]

وتثبت القضايا التي ينظرها قراقوش ويحكم فيها مدى الظلم الذي يقيم عليه قراقوش حكمه، مع جهله بالعديد من مجريات الأمور التي تخص العباد.

يأتي الكاتب برؤية فلسفية للحياة والمكان الذي يحيا الإنسان فيه على لسان أحمد زوج سنية حمال زبالة القصر، حين يقول للخليفة الآمر:

---

(١١٣) بسمة عبد العزيز- أرق الهوية – مجلة فصول العددان ٨٧-٨٨ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤

(١١٤) حتى يطمئن قلبي" /٣٦١

(أنا لا أحتمل العيش في القصر.. فأنا ابن الحارة وابن الضجيج والزحام ، والقصور هادئة لا تنفع.. زوج أختي قنديل يسكن القبور وهي هادئة تماما، ويشكو من الهدوء..

الآمر : القبور كالقصور؟

أحمد : نعم يا مولاي .في الهدوء وأنا أحب الضجيج والزحام.)

فالشعب والإنسان البسيط الذي يعيش في الحارة أو في البادية له وجود ودور في الحياة .

يبدو الكاتب مهموما بالأمة العربية من شرقها إلى غربها، من خلال سرده الأحداث، ووصفه المكان الذي تدور فيه أحداثه سواء في التاريخ أو في الحاضر، و ما لحق بها من تمزق وفرقة بين مواطنيها الذين يشتركون في لسان واحد ولغة واحدة وثقافة وتاريخ واحد لكن الوطن ليس واحدا، فأنت لست حرا في التجول والانتقال بين ربوعه إلا في الخيال، ومن أمثلة هذا قول الكاتب في إحدى منولوجاته التي تأتي على لسان بطله "فتحي":

(حيث ظننت أنى قادر على أن أشرب القهوة في مقهى باريس في تونس مع الأصدقاء وجريدة الصباح التونسية.. حيث ظننت أنى قادر على المرور في شارع الرشيد في بغداد وشراء سمك مسجوف. حيث ظننت أنى قادر على السير في السالمية في الكويت ذات صباح حيث ظننت أنى قادر على السير في الشارقة في شاطىء القصبة فجرا.. حيث ظننت أنى قادر واكتشفت أنى غير قادر على الرحيل فجيوبى خاوية معظم العمر وقلبى محتشد بألف حلم بسيط.. أغوص في شفتيك عندما يغمض الحزن عينيه عنى وعندما يتوارى ظلم الجهالة لحظة إفاقة تاريخ العشق في أمسيات ليس لها عنوان في

مدينتى التي تسكن حلمى.. هل نحن نملك أخلاقاً حقيقية.. أم أخلاقا من حلوى رخيصة؟)[115] فالصراع الذي يدور في نفس بطله بين قدرته على الانتقال عبر مدن العالم العربي باختلافها وبين عدم قدرته التي تتحكم فيها السياسات و المادة والمال، الذي يملكه البعض ويحرم منه الكثيرون ويسعى إليه أغلب الناس، لأنه أداتهم للمقدرة على الفعل من ناحية، ولأنه موزع بشكل غير عادل من ناحية أخرى.

في الجزء الثاني من هذا العمل الأدبي، ينتقل الكاتب ما بين العلاقات الاجتماعية بين شخصياته – مثل قصة الحب التي تقع بين سهر وفتحي رغم حرمة هذه العلاقة– وبين الواقع السياسي العربي والاقتصادي، فيسجل موقفا قديما يقع من فتحي يتذكره حين يبول الرجل أمام الناس، فيذكر فتحي تبوله على باب جامعة الدول العربية في التحرير (ووقف في الطريق العام يتبول والناس تضحك والشرطة تنتظره حتى يفرغ ويقبض عليه.. تذكرت حين تبولت على بوابة جامعة الدول العربية وأنا أسير بالسيارة في ميدان التحرير ليلا وأنا خارج من كازينو الجريون وشعرت برغبة في التبول فوقفت بالسيارة أمام باب جامعة الدول العربية وتبولت ، هذه المنظمة التي تتحدث أكثر من ٧٠ سنة ولا تفعل شيئا..)[116] فيبث الكاتب بعض آرائه في واقعنا الحاضر وموقفه من بعض الهيئات الدولية أو العربية ومدى جدواها.

من القضايا الثانوية التي يتطرق إليها الكاتب في روايته قضية الوحدة المصرية والعلاقة بين المصريين رغم اختلاف الديانة و قضية الوحدة

---

(١١٥) "حتى يطمئن قلبي" /٢٦٦

(١١٦) حتى يطمئن قلبي" /١٤٢

الوطنية وحب الوطن(أنت تعيش على أرض مصر.. أنا مصري.. مثلي مثل المسيحين ومثل المسلمين كلنا في نفس البلاء.. هل تعتقد أن المسيحين سينحازون ويقفون مع الصليبيين كرهاً في المسلمين.. هههههههه يا صديقي حب مصر أقوي منا.. نحن كلنا في مركب واحد لاتصدق الإشاعات)(١١٧)

ثم يستمر في تأكيد معنى هذه العلاقة التي تميز بين دين وآخر، وأن الشر لا علاقة له بالدين حين يقول في الحوار الدائر بين رشيد ويعقوب الحاخام (الشر ليس له دين يا رشيد وعلى أية حال اتفقنا هذا المال للحراسة ٥ سنوات)(١١٨)

ويؤكد على هذا من خلال الحوار الدائر بين رشيد ويعقوب بقوله (طيب . ولكن أنصحك نصيحة غالية يا رشيد لا تحاول أن تكون مثل شاور وصلاح الدين؟

كيف ؟

تقبض على الناس وتحاكمهم وتقتلهم في ساعة واحدة

أه فهمت تتحدث عن محمود المسلم ووليم المسيحي ولوي اليهودي .

نعم

خونة الثلاثة خونة تعاونوا مع العدو الصليبي فقبضت عليهم وحاكمتهم وشنقتهم وعلقتهم على أبواب الحارات وقلت هذا مصير الخونة أنت تريدني أن أترك الخونة؟)(١١٩)

---

(١١٧) حتى يطمئن قلبي" /٨٩

(١١٨) حتى يطمئن قلبي" /٨٩

(١١٩) حتى يطمئن قلبي" /٩٠

فيساوي في العقاب بين الشخصيات أيا كانت ديانتهم، ليتحقق العدل المفقود، كما يؤكد على هذا التساوي حين يعترف رشيد للحاخام حين يسأله:
(هل صحيح أنك متزوج من ثلاث نساء مسلمة ويهودية ومسيحية
هههههههه نعم وكلهن مصريات وكل واحدة على دينها تمام)[١٢٠]
ويبث الكاتب حكمته التي تؤكد على عدم التمييز بين المصريين على أساس الدين. من خلال الحوار الدائر بين يعقوب الحاخام ورشيد سيد الجبل حيث يخبره رشيد بقوله (على فكرة العصابة هذه ليست مسلمة ؟
نعم..ماذا تقول ؟
مكونة من مسيحيين ومسلمين ويهود
الشر ليس له دين يا رشيد)[١٢١]
من الشواهد التي تؤكد على الوحدة بين المصريين بصرف النظر عن دينهم، كونه يجعل عثمان حين يفر هاربا من شاور يختبئ عند يعقوب الحاخام اليهودي[١٢٢]
من القضايا الجانبية التي تأتي في ثنايا حوار "العامة" عن الأزمة الاقتصادية في البلاد، قضية مياه النيل التي تروي القمح في مصر، حيث يقول على لسان شهبندر التجار في حواره مع أحمد: (القمح من الأرض ، والأرض تحتاج مياه النيل ومياه النيل علمها عند الله.. ادعوا الله حتى يفتح لنا أبواب الخير بدلاً من الهجوم على التجار يا سي أحمد يا حمال.)[١٢٣]

---

(١٢٠) حتى يطمئن قلبي" /٩٠
(١٢١) حتى يطمئن قلبي" /٨٩
(١٢٢) حتى يطمئن قلبي"/ ٨٦
(١٢٣) حتى يطمئن قلبي"/ ٦٦

يستمر الكاتب في الانتقال من تناول القضية العاطفية وقصة علاقة الحب المحرم بين سهر وفتحي، وما تبعها من مشكلات، إلى قضايا الوطن وعامة الناس والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتحول عامة الناس إلى قدر من السذاجة تجعلهم يقبلون بغير المعقول(العوام هم قوة المستبد وقوته بهم عليهم يصول ويطول، يأسرهم، فيتهللون لشوكته، ويغتصب أموالهم فيحمدونه على إبقائه حياتهم، ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغرى بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف فى أموالهم يقولون كريم، وإذا قتل منهم ولم يمثل بهم يعتبرونه رحيمًا، ويسوقهم إلى خطر الموت فيطيعونه حذر التوبيخ، وإن نقم عليه منهم بعض الشرفاء قاتلهم كأنهم بغاة.. والحاصل أن الجماهير يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة..

هكذا يقول عبد الرحمن الكواكبى فى طبائع الاستبداد..)[١٢٤]

أما عن الشخصيات في المسرواية فأولى الشخصيات التي تلفت انتباهنا في هذا العمل الأدبي هي شهرزاد التي تذكرنا بها في حكايات "ألف ليلة وليلة" حيث تقوم_بجانب دورها كصديقة لسهر وكاتمة أسرارها ومعرفتها حقيقة العلاقة التي تربط بين سهر وفتحي_ فالاسم يحمل نفس الدلالة الموروثة له، فهي تقوم بدور الراوية للقصة التاريخية، مثل شهرزاد "ألف ليلة وليلة" التي تحكي أغرب القصص والحكايات.

ثم يجعل لها الكاتب بعض السمات الخاصة بها التي تجعلها تشبه شهرزاد "ألف ليلة وليلة"؛ منها هذه الوحدة الوصفية التي يصفها بها كلما استعدت

---

(١٢٤) حتى يطمئن قلبي" /١٦٤

لحكي كل حكاية، هذه الوحدة المتمثلة في قول الكاتب لوصف سهر (..ابتسمت شهرزاد وارتشفت القهوة رشفة رشفتين ترتدى فستانا لونه أسود وبه نقط بيضاء بياقة حمراء..تفتح حقيبة يدها تخرج منديلا أسود به نقط بيضاء يشبه منديل أم كلثوم يشع بحكايات حب معطرة تنتشر فتغطى الخليج تمسح أطراف شفتيها.. تطويه مرة.. مرتين ثم تحتفظ به في يدها اليسرى و تخفيه بين النهدين تنظر يمينا شمالا أماما خلفا ثم تهمس:..)(١٢٥)

وفي كل مرة يتغير لون المنديل من الأبيض إلى الأحمر إلى الأسود إلى البني، وهذه الألوان لا ترد دون مبرر، ففي كل مرة يتسق الموقف في القصة مع لون المنديل الذي يحمل دلالة مع مضمون الفصل، مثال المنديل بلونه الأسود يأتي في حكاية شهرزاد بعد مأزق سهر وحملها التي لا تعرف أباه هل هو زوجها منقذ أو حبيبها وعشيقها فتحي. وحين تتجه الأحداث وجهة بين بين لا انفراج للأزمة التي وقع فيها كل من فتحي وسهر حين انكشف أمر علاقتهما لزوجيهما، تمزج شهرزاد ألوانها بين الأبيض والأسود. مع تغيير في الزي الذي ترتديه (جيب سوداء باريسية)(١٢٦)، مع الاحتفاظ ببقية خواصها من حركات وتصرفات شخصية. يضفي الكاتب على شهرزاد بعض الصفات العصرية للشخصية، منها قوة الشخصية التي تجعلها تأخذ موقفا من فتحي فتبدو كارهة له وللمصريين. و موقفها من زوجها حيث تترك له البيت لمجرد شكها فيه حين عاد في إحدى الليالي سكران، ولا ترضى أن تعود معه حين ذهب لها عند سهر ابنة أختها يسترضيها.

(١٢٥) حتى يطمئن قلبي" /١٧٦

(١٢٦) حتى يطمئن قلبي" /٣٠١

أما الراوي والبطل في أحداث القصة المعاصرة فهو "فتحي" الصحفي المصري الذي يعمل في دولة الإمارات المتزوج من تهاني الزوج المثالية التي تقيم معه في الإمارات وفي ذات الوقت تكون صديقة غير مقربة من سهر عشيقة فتحي، وسهر ابنة أخت شهرزاد الراوية للأحداث التاريخية التي تتخللها قصة لامار وضوء المكان وما بينها من علاقة.

وشخصية فتحي الراوي البطل الذي يحمل كثيرا من صفات الكاتب حيث العمل الصحفي و الاغتراب عن الوطن من أجل الرزق، رغم الحب الشديد الذي يحمله للوطن، فهو منتقد له ولسلبياته واستكانة شعبه، و ما يحمله تاريخ الوطن من تزييف للحقائق.

وفتحي رغم حبه لزوجه تهاني يعيش قصة حب وهيام وعشق يصل إلى العلاقة الجسدية مع سهر السورية المتزوجة. وهذه الازدواجية في شخصية فتحي هي نفسها الازدواجية في حبه للوطن رغم بعده عنه وعيشه الذي يكاد أن يكون مستقرا في بلد آخر هو الإمارات، وحياة فتحي تكاد تكون غير مستقرة لأنه يتلقى عرضا للعمل في العراق، ولما لهذا العمل من مزايا فإنه يتردد في قبوله، هذا التردد يعطي دلالة عدم الاستقرار مهما كانت المغريات المادية بعيدا عن الحب الكبير الوطن الذي نحزن ونتألم من أجله ونحمل همومه في كل مكان ننتقل إليه، فليس معنى حل القضية الاقتصادية المادية لأحدنا ترك الوطن يعاني وحده.

عثمان أحد الشخصيات في القصة التاريخية التي تدور في عصر صلاح الدين وهو شخصية تتدعي العلم بالدين حيث لم يكمل تعليمه الأزهري، ويدعي قدرته على صرف الجن وفك أعمال السحر(مأذون وإمام مسجد

ومعالج بالقرآن وأعالج النساء من الجنّ والعفريت)[١٢٧]، وهو من يدعي تدينه في حين أنه يرتكتب المعاصي، وظل حتى سنحت له الفرصة ليصير قاضيا على القاهرة في عهد صلاح الدين، وهذه إحدى العلامات الدالة على الفساد، فإذا كان القاضي الذي يقيم العدل ويحميه فاسدا فلا رجاء من صلاح البلاد أو العباد. لذا يبدو ميزان العدل مائلا في نهاية المسرواية.

أما العالية و لامار ففي كل منهما صفات مشتركة تجعل كلا منهما قادرة على أن تدير دفة الحاكم وتؤثر على قراراته؛ فالعالية ابنة البادية فائقة الجمال والذكاء يتزوجهاالآمر بأحكام الله ويحاول استرضائها بكل الطرق الممكنة وغير الممكنة(الآمر: وإذا أردت أن أعيش أنا وأنت في خيمة في البادية سأعيش معك ياالعالية وأترك هذا القصر في الحال.)[١٢٨] ، حتى بعد علمه بحبها لابن عمها ابن مباح فإن الآمر يظل يحبها. والعالية امرأة تتسم بسمات الشعب من حبها للعامة من الناس ومحاولة تغيير القرارات الظالمة التي يتخذها الآمر ضدهم بتأثير من وزيره.

أما لامار فإنها تشبه العالية في جمالها وشخصيتها غير أنها لم تتزوج قراقوش الذي يعجب بها ويسمع رأيها، وينفذ كل طلباتها فقط من أجل أن تبقى بجو اره، فحين طلبت منه الإفراج عن من ألقي القبض عليهم من عامة الشعب يستجيب لطلبها، وكذلك تطلب لامار من قراقوش الإفراج عن العدو الأول لقراقوش وهو ابن مماتى، فيستحيب لها بشرط أن يترك ابن مماتى مصر.

---

(١٢٧) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٤

(١٢٨) حتى يطمئن قلبي"/٧٣

على جانب آخر من المسرواية، تتسق شخصية لامار التاريخية مع شخصية سهر المعاصرة في الحمل الذي يشكل قضية لها، فحمل سهر لا تعرف له أبا هل هو ابن زوجها السوري منقذ أم ابن حبيبها المصري فتحي. بينما لامار تعرف أب من في داخلها، وهو ضوء المكان الذي اعتدى عليها، وأحبته لكنها لا تقبل به أبا لطفلها فتبحث له عن أب بديل، فيكون عثمان القاضي الذي يتصف بالكثير من الصفات غير المقبولة، ولكن لامار قادرة بقوة شخصيتها وثقتها بنفسها و بجمالها على أن تغيره فيقبل بالتغيير. فشخصية لامار قادرة على التأثير في كل من يلتقي بها أو يحبها، فهي قوية بجمالها، وهي امرأة استثنائية مثل العالية ومثل سهر. فالمرأة عند السيد حافظ تتخذ من جمالها دعما لقوة شخصيتها وقدرتها على التأثيرلافي مجريات الأمور بل والحكم.

تتسم اللغة التي يعتمد عليها السيد حافظ في سرد مسرواية "حتى – يطمئن قلبي" بأنها لغة تكاد تقترب من اللغة الشعرية في الحوار على لسان بعض الشخصيات والأمثلة على هذا كثيرة؛ منها:

قول العالية (يا ابن مياح يا ابن الخيمة.. يا فقيراً مثل الماء وثرياً مثل الهواء وقلبك الكبير يتسع كالصحراء..)(١٢٩).

وفي الحوار الدائر بين طراد الشاعر وبين أحمد فيقول طراد (المدينة خالية) ويجيب أحمد (الجيوب خاوية)(١٣٠) حيث تؤثر الأزمة الآية والاقتصادية على حياة الناس في المدينة وعلى حركتهم داخل السوق. و مثله الحوار بين

---

(١٢٩) حتى يطمئن قلبي" /٣٤، ٣٥

(١٣٠) حتى يطمئن قلبي" /٣٥

الشاعر طراد و أحمد (- جئتَ للتجارة؟ - جئتُ للإمارة)، وقول العالية لابن مياح (إلى الدار.. والليل غدار)(١٣١)

وقول العالية لابن مياح (يا فقيراً مثل الماء وثرياً مثل الهواء وقلبك الكبير يتسع كالصحراء)(١٣٢)

الحوار الدائر بين العالية ومأمون البطايحي، فيقول مأمون (أنت بلبل من فضاء السماء.

العالية : ما الذي يجري في هذا المساء؟)(١٣٣) ومثله، قول مأمون للعالية: (ستأكلين وتشربين وتلعبين في أشياء من ذهب

العالية : عقلك قد ذهب.)

وفي هذا العمل الأدبي المتميز لغة شعرية تحتاج إلى دراسة منفصلة للوقوف على ما تحمله من دلالات وتوظيف في سياق العمل. ولا تقتصر اللغة على الحوار بل تأتي اللغة التي تكاد تقترب من الشاعرية على لسان الكاتب في بعض مواضع السرد التي يأتي بها البطل فتحي الصحفي الذي يكتب تغريدته لنشرها في الجريدة فتأتي في صورة تغريدة كما يسميها الكاتب، منها قوله: (أكتب مقإلى تغريدة للوطن سجل أنى مزقت الهوية واللهجة الغبية ونسيت الهتافات المسروقة من جيب الجنرالات سجل منذ زمن مضى وأنا أصيح وفى الحنجرة ديك سجين فصيح.. لغته غير كل اللغات.. سجل أنا لا أحب الدخلاء ومروجى الإشاعات بأن عصر الانبياء مضى وأنا الرائى أرى طابورا من

---

(١٣١) حتى يطمئن قلبي" /٣٩

(١٣٢) حتى يطمئن قلبي" /٣٨

(١٣٣) حتى يطمئن قلبي" /٣٩

الأنبياء قادما يبسط على الأرض النور وأنا العصفور الذى يرى من فوق الأرض ما يجرى فى الغيب هناك.. لا أعرف.) وهو هنا يبدو متأثرا بما كتبه الشاعر الفلسطيني محمود درويش (سجل أنا عربي) وما يتعلق بهذا التسجيل من قضايا معاصرة يعاني منها العربي، خاصة من فقد الهوية.

فيبدو إدراك الكاتب لحقيقة بطله الصحفي الكاتب الذي يدرك قيمة الكلمة والفكرة ، فلا يبدو غريبا أن تكون لغته التي يتحدث فيها مع نفسه (المونولوج الداخلي) مقطوعات أدبية تكاد تقترب من الشعر في لغته وصوره وموسيقاه في بعض الأحيان، وهذا ما كان يسميه الكاتب "تغريدة".[١٣٤]

تتكرر هذه "التغريدات"، وما يسميه الكاتب "همس الروح" التي تأتي في شكل قصيدة شعر إن جاز لنا استخدام مصطلح "قصيدة النثر". مثال:

(وسمعت صوتك في الخيال يسرى في روحى في دمى في حروفى في صخرى وسحبى في حنايا الروح والأرض يغوص بى يلفنى يحاصرنى لأعود طفلا يحمل زهرة أو مجنونا يحمل قيثارة على بوابة عشاق التاريخ وعشقك المستحيل سيدة القصور يولد في قلبي ومشاعرى حنينا أن أغنى بين يديك تحت شجرة أو بحر أو في محراب.. النساء هبة السماء للرجال وأنت هبتى في ليلة القدر.. أسالك بحق الصمت والدلال والاقتراب والابتعاد وبكل حنان النساء المباح وغير المستباح بحق أغانى القمر لحظة الفرح والشجن افتحى قلبك الآن ستجدين قلمى وتنهيدة لي وورقة كتبتها و عطرا أرسلته لك أو بعض الكلمات و حنينا لقهوتى و رؤية وردتى البنفسجية ومعطفى في الشتاء

---

(١٣٤) راجع الرواية حتى يطمئن قلبي" /١٤٧- ١٤٨

أصرخ في ضلوعك وفى كلماتك وفى تنهيداتك الآن.. ستجدين حروفا نقشت أحبك أحبك..)(١٣٥)

من الفقرات الاعتراضية التي تتخلل نسيج العمل الأدبي ما يسميه الكاتب (ومضة) وهذه الومضات التي يختلف على حجمها وبعض سماتها الكتاب والنقاد إلى الآن، و إن كان كتابنا هنا يحاول من خلال سردها في ثنايا فصول عمله الأدبي أن يقول رسالة ما، فتبدو للقارئ الواعي المتأمل رسالة تضيء له بعض الطريق في سبيل الوصول للهدف من هذا الشكل الأدبي الجديد، الذي يحاول المزج بين الرواية والمسرحية، مع هذه المداخلات المتمثلة في الومضات والركعات والدعاء وغيرها.

أما عن الومضات فإن مثالا منها يوضح أن الكاتب لم يأتِ بها بشكل عشوائي أو من قبيل المصادفة، ولكنها تعد مردودا لأحداث العمل الأدبي، مثال الومضة التي يقول فيها:

(انتهيت من كتابة رسالة إلى الوطن ووضعتها فى ظرف وأمسكت القلم لأكتب العنوان فلم أتذكره فوضعت الخطاب فى سلة المهملات)(١٣٦)

حيث يأتي بهذه الومضة التي توحي بارتباطه بالوطن وحنينه إليه، ورغم ذلك فهو يتوه عن عنوان الوطن في غربته، وينسى عنوانه الذي لم يكن له أن ينسى أبدا(و أمسكت القلم لأكتب العنوان فلم أتذكره). وكان أقسى ما يمكن أن يفعله الإنسان المحب أن يلقي مشاعره وحنينه في سلة المهملات. وإنما جاء هذا بعد فصل تدور. أحداثه في دبي الصحفي مصري يعمل هناك،

---

(١٣٥) حتى يطمئن قلبي" / ٢٣٥

(١٣٦) حتى يطمئن قلبي" /١٧٥

ويتلقى عرضا للعمل في العراق، ويدور الصراع في نفس فتحي بين قبول ورفض هذا العمل. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، وجود حمل غير شرعي من علاقة محرمة بين فتحي المصري وسهر السورية أثناء الوجود في دبي. هذه القضية التي يحمل همها فتحي مع هم العمل مع هموم الوطن وقضاياه التي تمتلئ بها روحه، قد تكون مبررا لومضة ينسى فيها عنوان الوطن رغم الحنين إليه، وهذا هو الضياع نفسه.

يقدم الكاتب بعض الأفكار التي تمثل رؤيا فلسفية تلخص فكره ورؤيته للحياة والواقع والإنسان. يصب فيها حكما عاما على موقف ما أو ما يشبه الحكمة الخالصة مثال:

(الأفكار لاتموت فى الكتب ولا بالقوانين ولا بالجلادين الأفكار تطير وتطير .الأديان فكرة وأفكار والسياسة فكرة وأفكار لا أحد يوقف النهار..)[١٣٧]

و(القلب المكسور لا يرى النور.. وقلوب البشر أغلبها مكسور إما من ضياع الأحلام أو غياب العدالة، وانتشار الظلم أو من الحب والشجن)[١٣٨] حين كان يتحدث عن بحث والد لامار عنها ويأس من العثور عليها. ثم عقب بقوله (الحلم هو دواء خفى لجروح الروح ونورٌ بهيٌّ يسكن أعماقنا .علاج الله لنا حتى نهرب من بشاعة الواقع))[١٣٩]

---

(١٣٧) "حتى يطمئن قلبي" /١٤٦

(١٣٨) حتى يطمئن قلبي" /١٢

(١٣٩) حتى يطمئن قلبي" / ١٢

و(الأيام حبلى بالدسائس.. الأيام ليست جميلة.. القاهرة دامعة محروقة.. كل الأيام مزدحمة بالجوع.. الفرح قليل على أرض مصر؛ لذلك اخترع المصريون الكثير من الأعياد ليس لها أساس ؛ فالعيد يعني الفرح.)[١٤٠]

و(الحكم مصير والعمر قصير والدول مثل كأس نبيذ يشربه التاريخ رشفة رشفة وتنتهي.. ويبقى الكأس أقصد الأرض – لله..)[١٤١]

و (فحُكمُ مصر الضعيفة الواهنة العجوز كان مطمحاً لكل الحكام منذ فجر الضمير)[١٤٢]

و(السلطان الحقيقى هو من يطلب المستحيل ويأتيه المستحيل ، ولكل سلطان وخليفة حلم وهدف وأمل ، وأنا هدفى الحب ، والحب يعنى بصريح العبارة النساء. أحب اللهو.. أحب الطرب.. أدفع للمطربين والمطربات والنساء الجميلات.. لا يهم المال، المهم أن تزن رأسك)[١٤٣]

حيث تعد كل فقرة أو عبارة منها قطعة أدبية ذات قيمة فكرية وجمالية تحتاج إلى دراسة تحليلية جمالية كقصيدة شعرية، لما تحمله من مغزى و دلالات.

يتميز أسلوب السيد حافظ في مسرواية "حتى– يطمئن قلبي" بظهور المؤثرات التراثية الدينية والشعبية في كتابته، فالتأثير القرآني يبدو في مواقف عديدة من عمله، من أمثلة هذا؛

(١٤٠) حتى يطمئن قلبي" /١٤
(١٤١) حتى يطمئن قلبي" /١٥
(١٤٢) حتى يطمئن قلبي" /١٥
(١٤٣) حتى يطمئن قلبي" /٣٣

(قال إنه سيبحث عنها في كل بلاد الدنيا حتى يعود بها إلى فطيمة ويلقي بفستانهاعلى وجهها لترتد بصيرة)[١٤٤] فقد البصر عند أم فطيمة حين فقدت ابنتها لامار مثل أبي يوسف يعقوب الذي ابيضت عيناه من الكباء لفقده ابنه يوسف، فيقول (أما أمها فطيمة فقد أصبحت عمياء من شدة البكاء على فراقها أمَّا أبوها أبو بكر فقد أخذ عهداً على نفسه أمام القبيلة ألَّا يعود أبدًا إلا ومعه لامار وأن يبحث عنها بنفسه دون رفقة أحد من الأولاد أو الأصحاب وقال إنه سيبحث عنها في كل بلاد الدنيا حتى يعود بها إلى فطيمة ويلقي بفستانها على وجهها لترتد بصيرة..)[١٤٥]فيأخذ الكاتب من قصة يوسف عليه السلام العديد من السمات منها فقد البصر وقميص يوسف الذي يلقى على وجه أبيه فيرتد بصيرا.

قصة هدهد سليمان و وجه الشبه بين العالية حين تزوجت الخليفة الآمر بأحكام الله والهدهد، حيث يقع العقاب على كليهما بالحبس.(العالية تعيش عذاب هدهد سليمان حين فرق بينه وبين إلفه وحشره سليمان مع غير أبناء جنسه ونتف ريشه وألقى به في مدارج النمل لأنه تأخر عن موعد لقاء الملك سليمان..)[١٤٦]

ويأتي تأثر الكاتب بقصة سليمان مرة ثانية حين ينتقل إلى الجزء الثاني من عمله، الذي يترك فيه التاريخ والدولة الفاطمية، لينتقل إلى قصة فتحي وسهر في دبي، فيقول في منولوج يدور في خلد فتحي حين يتذكر سهر (جلست أدخن سيجار على السرير لم أكن أفكر في شيء إلا مصر التي تحاصرني شكلا وموضوعا.. جرس الهاتف.. رفع السماعة:

(١٤٤) حتى يطمئن قلبي" /٦
(١٤٥) حتى يطمئن قلبي" /١١
(١٤٦) حتى يطمئن قلبي" /٨٣

الو الو

لم يتكلم أحد.. هي سهر نعم هي سهر لقد سمعت صوت العصفور الذي اشتراه منقذ لها.. هي الوحيدة التي تخاطب الطيور وأنا لا أجيد حديث الطيور فأنا مثل سليمان النبي في عشق النساء ولكن لا أجيد مخاطبة الطيور والحيوانات..)(١٤٧)

ويتكرر الأثر القرآني في الرواية حين يقول في المنولوج الداخلي لفتحي بعد اتصال سهر وعدم رده عليها، فحين يريد أن يعود إلى الحق يرجع إلى قول الحق في كتابه الكريم، العلاقة القوية بين البصيرة ومعرفة الحق لذا لجأ إلى قوله تعالى "أفلا يبصرون":

(وافتح كتاب الله لتقرأ.. وأكثرهم للحق كارهون.. وأكثرهم للحق منكرون.. أفلا يبصرون..)[١٤٨]

أما التراث الشعبي: فغالبا ما يأتي الكاتب بهذه العبارات المستمدة من التراث الشعبي على لسان أهل الحارة المصرية؛ مثال ما جاء على لسان أحمد في حواره مع "زعتر" العطار، حيث يقول له: (:غداً ستموت يا "زعتر" يا عطار ويسير خلفك أهالى حارة "برجوان" والشيخ "شعبان" و"قنديل" يحفر لك قبرا.. والطبل والمزمار والنساء النائحات خلف نعشك الغالى..يصحنَ: يا سبعى يا جملى..)[١٤٩]، (اليد قصيرة والعين بصيرة يا حمالة.) على لسان سنية.١٥٠، في حوار أحمد مع بكري أخي العالية عند قدومه القاهرة أول مرة (:لا..

---

(١٤٧) حتى يطمئن قلبي" /١٤٠

(١٤٨) حتى يطمئن قلبي" /١٥٠

(١٤٩) حتى يطمئن قلبي" /٢٢

(١٥٠) حتى يطمئن قلبي" /٣٥

سأجعلك تمر بين الحراس كالشعرة من بين العجين.)[١٥١]، وقوله على لسان رشيد الحداد الذي يصنع السلاح لصلاح الدين وجيشه، موجها حديثه لعثمان قاضي صلاح الدين مقرا حقيقة يستسلم لها المصريون (نحن المصريون من يتزوج أمي أقول له ياعمي)[١٥٢] للدلالة على استسلام العامة للأمر الواقع.
والقول الشعبي الشهير بين المصريين:
(ابقى مع عمك عثمان (يهمس في أذنها) إنه لا يهش ولا ينش.)[١٥٣]
في أكثر من موقف ، فيقال على المستوى الشخصي وعلى المستوى السياسي، حيث تقال عن قراقوش بعد عودته من الأسر وبحثه عن ابن مماتى، كما تقال عن عثمان القاضي كبير السن في علاقته بلامار. للدلالة على عدم القدرة على فعل أي شيء له قيمة أو تأثير، وبالتالي انعدام خطورته.
أما عن السرد والحوار فقد افتتح الكاتب روايته بالعبارة التقليدية التي تفتتح بها الحكايات الشعبية والحواديت، وهي عبارة (كان يا ما كان) وهو في هذا يتسق مع سرده القصة على لسان "شهرذاد" وكأنه يحكي لنا قصة من حكايات (ألف ليلة وليلة).
يعتمد هذا العمل الأدبي على الحوار، لأن السرد فيه يكاد ينعدم، إلا ما كان مما جاء من سرد في بدايته، في صورة حوار بين سهر وهوى، واكتفى الكاتب بوصف انفعالات الشخصيات وحركاتها مع الحوار الخاص بها. وهذا

(١٥١) حتى يطمئن قلبي" /٧٩
(١٥٢) حتى يطمئن قلبي" /٣٠٢
(١٥٣) حتى يطمئن قلبي" /٤٠٥

إنما يقصده الكاتب عامدا لأنه يعد هذا العمل الروائي قريب الشكل من المسرحية.

ثم يعود للسرد مرة أخرى في الفصل الرابع بعد الانتهاء من قصة العالية والخليفة الآمر بأحكام الله، وينتقل إلى قصة شهر زاد و سهر مع فتحي.

لجأ الكاتب إلى السرد فيما يتعلق بالأحداث التاريخية، فلم ترد الأحداث والوقائع التاريخية من خلال الحوار – إلا فيما كان من صراع درامي في قصة حرب عمانويل واعتزامه غزو القاهرة– أما كل ما يتصل بصلاح الدين فإن الكاتب اعتمد فيه على السرد التاريخي، الذي يأتي على لسان رواية التاريخ في هذا العمل وهي شهرزاد.

لكن في بعض المواضع في المسرواية يأتي الحوار ليكمل به الكاتب قص الأحداث التاريخية، ولكن هذا لا يلغي أن الكاتب يطيل في القص بأسلوب السرد.

لا يفضل الكاتب في سرده أحداث عمله الوصف المفصل للمكان وطبيعته إلا ما ندر مثال وصفه الصالة في منزل فتحي ليدل من خلال وصفه على تنوع مصادر الحياة وأثاث المنزل ومكوناته، وثراء الحياة المادية هناك (الزمان: مشهد نهار / داخلي

المكان: منزل فتحي / الصالة

درجة الحرارة ٢٧° داخل الحجرة مع التكييف

الصالة ممتدة ١٢ متر في ٥ أمتار بها صالون أنيق صناعة الهند وستائر فخمة من إيطاليا.. هكذا الخليج أما السجاد فهو صناعة صينية تقلد الصناعة الإيرانية مع وجود إضاءة فاخرة في كل مكان في أرجاء الصالة..

مناضد مختلفة الأشكال مع باقة من الورود على السفرة ليست صناعية.)(١٥٤) والكاتب في أغلب الأحيان يكتفي بذكر اسم المكان مع درجة الحرارة. لما لدرجة الحرارة والرطوبة في الجو من علاقة بتطور الأحداث.

أما عن السرد والحوار فيما يتصل بالقص التاريخي والوقائع التاريخية في العمل، تلك التي ترد على لسان الراوية "شهرزاد" فإنه يعتمد على السرد في أغلبه، حيث يكاد ينعدم الحوار إلا فيما ندر، لذا يأتي الحوار شبيها بالسرد لحقائق ليس فيها جدال أو نقاش رغم .أن هذه القضايا تعد مثار جدل، وليست حقيقة، فكل واقعة تاريخية تروى من وجهة نظر راويها وميوله ومعتقداته، وكان من الأفضل أن يرد هذا النقاش والجدال على لسان أبطال العمل، وحين يأتي بها الكاتب بهذا الأسلوب فإنه يبدو كمن يرى أنها ثابتة ولا جدال فيها.

إذا كان السرد التاريخي يأتي على لسان شهرزاد الراوية، فإن لهذا العمل الأدبي راويا آخر يسرد الأحداث ويرويها بلسان المتكلم لأنه بطل مشارك في الأحداث، مثل معظم الروايات التي يكون البطل هو الراوي وهو في نفس الوقت المؤلف، هذا البطل هو فتحي رضوان؛ الذي يبدو من اسمه دلالتان وهما الفتح الذي يقصده الكاتب من سرده التاريخ ورغبته في تصحيح بعض ما غمض أو أغلق على الناس وتم تزويره وتزييفه كما يقول في بداية عمله. أما رضوان فهو اسم حارس أحد أبواب الجنة التي يحلم بها المؤمنون ويعملون للوصول إليها. وهذا ما لا يتسق مع شخصية فتحي الذي يعيش الصراع بين الحلال والحرام والحب والواجب، وهو يصرح بهذا في إحدى

---

(١٥٤) حتى يطمئن قلبي" /١٣٤

منولوجاته التي يكتبها في صورة "همس الروح" حيث يقول(أنا لا أكتب بالحروف بل بدموع المقدس والمدنّس وصوت زلزال الضمير وأنات تاريخ بلادي المزور أكتب بدقات قلوب رجال شرفاء حرق الوطن جثثهم أحياء جوعا وتهميشا وسوء تقدير ونفاهم في الذاكرة وهم أموات.. أنا لا اكتب بالحروف بل بالشمس والخسوف والمد والجذر وبدموع امرأه تعشقني دون حد ولاتخبرني ولاتخبر أحدا أكتب بمداد الواحد الأحد. شاغلتنى حاورتني دللتها تلك الحروف.. وحين اختليت بها.. قالت هيت لك" وحين هممت بضمها تحولت إلى قصيدة وحروف من نور فانكشف الساتر والمستور..

وأسأل نفسي كثيرا من أنا..)(١٥٥)

يلتزم الكاتب في الحوار بين شخصيات روايته التاريخية باللغة العربية الفصحى، إلا في بعض المواضع، يتجاوز الفصحى إلى العامية القريبة من الفصحى؛ مثل: الحوار بين مصباح وشعبان الذي أتى متخفيا في زي امرأة يريد من مصباح أن يخبئ، فيقول له مصباح (لا الوحيد الذي يستطيع أن يحميك يعقوب في حارة اليهود.

وديني عنده.

ما تروح أنت ؟)

ثم يستمر الحوار بينهما فيقول مصباح لشعبان (والله أنت مشكلة أنا هاوريك بيته وامشي

ماشي..

---

(١٥٥) حتى يطمئن قلبي" /٢٧٥

طول ما انت بتجري وراء النسوان ياما هتشوف..)٨٦ حيث يمزج بين الفصحى والعامية.

ويأتي الحوار باللهجة الخليجية بين شهرزاد وسهر، مثال: (أنت جنيتي يابنت؟

شو فيه؟

جبتي فتحي الدار هون؟

هون فين ؟

أنا شفته بسيارته الحمد لله حامد ماشافه كنا رحنا كلنا في داهية)

تتراوح العامية في الحوار بين عامية الشارع المصري ، وعامية أهل الخليج و الشام، ثم يعود الكاتب إلى الفصحى كلما عاد الحوار إلى فئة المثقفين، مثال الحوار بين فتحي وناجح (أنت مش ناصرى .

- نعم أرى الناصرية فى تشابك مع فكرة حزب البعث فى الحرية والاشتراكية والوحدة.
- هذه أمة بنيت على العبودية والسيد والعبد والكرباج يارجل انتبه.. لن تتخلى الأمة عن سيدها وشيخ قبيلتها وشيخها الدينى ولا عن العبودية المختارة..
- دعنى أتفاءل ياناجح.. دعنى أشعر أن هناك أمل ما.. ومستقبل ما.. السادات ترك مبارك والدولة ليست على مايرام نحن نذهب إلى جحيم مجهول
- أنتم المصريون تبحثون عن زعيم.
- نبحث عن فرعون تعودنا عليه ٧ ألاف سنة.

- شوف ما أريدك أن تذهب إلى العراق صدام جيد ولكن الحزب صعب.
- لا أريد إلا الأمان ماذا يريد الكاتب من المجتمع إلا الحب والبيت والصحة والوظيفة) ١٤٦

فنجد الحوار هنا يمزج بين العامية الخليجية وأحيانا المصرية، واللغة العربية الفصحى، لغة الثقافة والمثقفين.

وفي مواقف أخرى يبدو الحوار بين الشخصيات المثقفة – خاصة فتحي وزملاءه في الجريدة– باللغة العربية الفصحى، لكنها الفصحى السهلة التي تشبه العامية أو تكاد تقترب منها مثال الحوار بين عبد اللطيف الأشمر وفتحي في مدخل الجريدة:

(انتبهت على صوت عبد اللطيف الأشمر:

– ايه أنت نسيت أنت وصلت الجريدة انزل شوف شغلك

– حاضر.

– ما بك؟

– لا شيء.

– أنت عندك شغل كتير عاوزين ملحق فنى عن اليمن .

– حاضر.

– أحمد فتحى هنا المطرب اليمنى.

– جيد..

نزلت إلى مكتبى.)(١٥٦)

---

(١٥٦) حتى يطمئن قلبي" /١٧١– ١٧٢

في بعض مواضع السرد التي تشبه الخواطر حيث يصب الكاتب فيها رؤيا ما لموقف أو للواقع، واقع الوطن وواقع التاريخ، وحين نتوقف عند نموذج من هذه الخواطر حيث يصف القاهرة ليلا في بداية عهد صلاح الدين: (الحواري في الليل أشبه بتوابيت يعيش فيها بشر يتنفسون.. الضوء شحيح في الحارات والأزقة قناديل قليلة مضيئة والباقى مظلم.. على ناصية الشارع يتمدد كلب بادية عليه ملامح الإرهاق والخمول لايبالي بالمارة الغرباء ولا ينبح فيهم..أمامه قطة منشغلة ببرتقالة جافة صغيرة ملقاة بجانبها.. على قارعة الطريق فأر يتحرك يمينا ويسارا أمام القطة والكلب.. توليفة غريبة بينهم تكشف رتابة الحياة وثقل الليالي.. هنا القاهرة.)[١٥٧] هذه المكونات الغريبة التي تتآلف فيها المتناقضات وتكون الصحبة بين الأعداء مثال القط والكلب والفأر. وهذا يحمل دلالة هذا الوطن الذي يتسع لكل المتناقضات.

ينجح الكاتب في تصوير الحال التي وصلت لها البلاد، على لسان ديمتري قائد عمانويل أثناء حوارهما معا بعد السيطرة على عكا و طرابلس و نابلس، فحين يقول (وسأجعل الجنود يفتكون بنساء القاهرة في الليل ويستحمون في النيل (يضحكان)

عمانويل: وسنذبح الآن المصريين ونلقي بهم للكلاب (يضحكان)[١٥٨]

فتبدو مدى المهانة التي لحقت بكل الحرمات من الاعتداء على النساء إلى الاعتداء على نهر النيل وتدنيس مياهه.

---

(١٥٧) حتى يطمئن قلبي" /٣١٦

(١٥٨) حتى يطمئن قلبي"/٤٠

أما عن الآخراج والمشاهد التي تحول الرواية إلى مسرحية فإن الكاتب ينهج في الفصل الأخير أسلوب الآخراج المسرحي؛ حيث يلعب بالألوان والضوء، هذه الأدوات الفنية التي تؤدي دورا هاما في دلالة المشاهد، مثال مشهد وصف حرق قراقوش الكتب الذي يقول فيه الكاتب – وهو صاحب فكر ورؤى ولابد أن يتسق المشهد ودلالته مع ما يؤمن به من قيمة الفكر والكتابة والكتب (عندما يهان الكتاب ويلقى في النار وتحرق الأفكار فعلى الدنيا السلام.) ثم يأتي المشهد بعد حوارات مع ضوء المكان وزنبيل وابن مماتي رمز العلم وإدراك قيمة الكتاب وحاميه، فينتقل إلى قراقوش: ((ضوء على قراقوش) أحرقوا بيوت الكفار والملحدين الشيعة وأصحاب الأفكار الهدامة في مصر المحروسة.. وابنو سوراً كبيراً يضم مصر والقاهرة.. واهدموا المساجد التي تحمل الفتنة واهدموا الأهرامات الصغيرة في الجيزة.. لا أريد تماثيل وأهرامات وأثاراً بالية تقف في عرض الطريق.. وأحرقوا قصور العاضد بالله. والفاطميين كلها.

(إظلام)[(١٥٩)]

فيبدأ المشهد بتسليط الضوء على قراقوش نظرا لأهميته ومكانته في الدولة، وبعد الانتهاء من كلمة قراقوش التي يأمر فيها بحرق الكتب وهدم المساجد والبيوت والأهرامات الصغيرة، ونتيجة الظلام الذي يحل بالمكان ترتبا على القهر وسوء الولاية وعقم الفكر. يختم الكاتب المشهد بالظلام.

ثم يعود إلى الإظلام مرة أخرى بعد تسليط الضوء على القاضي الفاضل- الذي يحمل نور الحق وينطق به معترضا على ما يحدث وما يرتكبه قراقوش

---

(١٥٩) حتى يطمئن قلبي" /٣٥٩

من جرائم في حق العلم والمعرفة– وينهي مشهد صلاح الدين بالإظلام من جديد لأنه يترك ما يفعله قراقوش في البلاد والعباد ويتجه إلى الصليبيين:

القاضي الفاضل: (ضوء عليه) يا ناس حرام.. المسلم يحرق المسلم.. والأهرامات الصغيرة تهدم والآثار والمساجد والقبور..عمرو بن العاص لم يهدم تمثالا وأنتم تهدمون ارحمونا من قراقوش.. أين أنت يا صلاح الدين.. أين أنت يا سلطان المسلمين؟.

صلاح الدين: إن المعركة الأساسية هى الوحدة العربية أولاً ثم الوحدة الإسلامية ثانياً ثم تحرير القدس وهزيمة الصليبيين.

(إظلام)

ويرى الكاتب من خلال هذه المشاهد أن اهتمام الحاكم بالسياسة الخارجية وبانتصاراتها فيها ليست بالضرورة كدلالة على نجاحه لأنه في المقابل يترك السياسة الداخلية وشئون البلاد والعباد في أيدي الظلمة الفاسدين من أمثال قراقوش الذي ضرب به المصريون الأمثال في الجور والظلم والقهر في حكمه المصريين.

ويمثل ابن مماتى بصفته وحرصه على العلم وكتب مصدر النور والضياء: (في ركن اليسار تظهر بقعة ضوء.. يظهر فيها ابن مماتى وهو يقرأ الرسالة)(١٦٠)

د. أفكار احمد زكى ـ القاهرة ٢٠١٧

---

(١٦٠) حتى يطمئن قلبي" /٤١٠

السيرة الذاتية

الاسم : أفكار أحمد زكي

تاريخ الميلاد: ١٤ فبراير ١٩٦٠

الجنسية : مصرية

العنوان : مصر – الجيزة – مدينة الشيخ زايد بالسادس من أكتوبر– الحي ١٣ – المجاورة الثانية – ع ٢٢ب – ش ٢٩

رقم المحمول : 01002622310

البريد الإلكتروني : dr_afkar@yahoo.com

المؤهل الدراسي: دكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة بعنوان (الطبيعة في الشعر الحر في مصر عند جيل الرواد) ٢٠٠٦

العمل : مدرس الأدب العربي الحديث – كلية التربية – جامعة المنصورة

الأنشطة :

- **عضو مجلس أمناء مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية و الاجتماعية**
- **أمين عام مؤتمر القصة الشاعرة العربي المنعقد في القاهرة أغسطس ٢٠١٦**

الدراسات النقدية:

- **القصة القصيرة عند نجيب محفوظ.**
- **الرومنسية و الواقعية في شعر فاروق جويدة.**
- **قراءة نقدية في نصوص القصة الشاعرة.**
- **دراسة تحليلية لديوان (له علاقة بالمطر) للشاعر أحمد إبراهيم جاد.**
- **بين التاريخ و الواقع المعاصر – قراءة نقدية في مسرواية "حتى يطمئن قلبي" للكاتب السيد حافظ.**

كلمة عن د. أمال شوقى محمد يحيى

تداعبني الحروف وتخلع الخجل.. حتى تجتز وقاري.. أتساءل هل أهدهدها وأتوسل وأذل ذاتي؟ أم أمتطي القرطاس وأداعب سطور الكلمات ليدفعني الفضول لألتحف ويدثرني حفيف الأوراق.. آه من خجل بات ماضياً والحاضر أصبح حجةً والمستقبل للحب أنواع.. هل أكتم حجة الألسن وروائح الرياض وأبني لي صرحاً رغبةً مني لأبلغ كنوز الأبجدية.. طالما غنت القلوب لحروفك طرباً بينما لا تستطيع الأقلام وصفه على الأوراق.. هبت علينا نسائم ريحان الجنة فكتمنا وما زادنا إلا رقياً ووقاراً.. فنرى الجاهلين ممن اعتقدوا الضعف والرداءة والركاكة في النصوص المكتوبة وأيضا أساليب النقد الأدبي.. والمصيبة العظمى عندما تستفحل الفايروسات بين إعلام وقامات المنابر العلمية.. فتصبح كالترع أو كجرف هارٍ فتصبح الحروف كالأرض البور أو كحروف مهاجرة وهنا يلمع طالع الكواكب السيارة في مدار الرواية أو المسرواية وبين هذا وذلك الطالع يظهر حسن الكواكب بعد الغياب فتشرق الشمس بوهجها لتسطع بدفئها جسد الأمة وتجلو نقاوة الحافظية لتظهر بأجمل حلتها وحسنها كعروس جهزها حبيبها بنفائس الأحرف ودرر اللغة العربية هنا للإبداع مكان ومقام وشهود وعقود وشر دائم.. وبغض وحسد.. وكيد ويبتعد ويصل إلى المشاجرة والبكاء أحياناً والسهر غالباً

لنجود بالأجود والأوفر حظاً بالتطور والتجديد والتنوع المتناسق والمتألق حد الإدمان وهذا ما يكون عليه الكاتب الكبير (السيد حافظ) أوضحته لنا (الدكتورة آمال شوقي) الناقدة الراقية الجادة والنادرة المحبة للحرف والكلمة الصادقة وكنز الكنوز بنت موسى وهارون (عليهما السلام) بنت فرعون

وقارون.. بنت العظيمة والعبيطة.. بنت كل من عاش عليها خان.. بنت الدلة والفنجان.. بنت النيل والقاهرة.. بنت أم الدنيا.. رمز من رموز السحر والنور والعلم والبرق وتفكيرها المميز بالأسلوب العلمي ومحاربة التشبث ولن تخشى القول بفصاحة الصدق حول النص البهي فتراها تتحملق بالحرف الجميل والنص الجيد وفق التقنية الأدبية والثقافة الفكرية.. فسجلت نتائج دراستها ونقدها هنا إعجاباً وشهادةً لتمنح الكاتب الكبير والعظيم فرصة إضافية للفرص الإبداع وتطوير الرواية من أجل خلق منحوتة تتعمق في أغوار الواقع الإنساني في جميع معاقله وركزت الدكتورة (آمال شوقي) على النفس والروح البشرية وأقرت بأن الكاتب عزف بأنامله على أوتار روحه.. وترك الفرصة للأبجدية الحافظية أن تعزف وتقول ونحن نقرأ ونستمتع

دام التألق والإبداع.. فلا نعرف المستحيل وانتم من يرفدنا بكنوز باتت تندثر..

إلى هنا وغداً مستقبل مشرق بوجودكن المشرف يا أعلام الهدى ونوابغ الأقلام وساريات الأدب والنقد للأدب العربي..

قال (السيد حافظ):

لمن أكتب؟

أكتب لك أنت.. يا من تراني بقلب الأولياء والشعراء والزاهدين والمترفين بنور العشق وللعشق يقين.. .

السيد حافظ

ينسكب حنانك

بقلبي

أسمع صوتك

أراك

أرتشفك..

هل أنا حرف.. كلمة..

أم هواء وعطر

تستنشقه.. أنت

وأنا

أذوب بمحرابي.. أتعبد

كناسكة..

أصبحت القهوة متألفة بين الفنجان والمتابعة والطاعة والكتمان والتحنن للجمع والتفرق فيالك من كاتب بارع أتقن الجمع بين الروح والخيال والحقيقة بفنجان يرتشفه دون مفرق وعون ومعين ودهاء لنصوصك التي صارت تواريخ العذارى وبشهادة المنافقين قبل الصادقين والتي خيبت أهداف المتسلقين.

وأنت الجادة والشاهدة والحاضرة الصادقة المقتنصة للجمال الفكري والأدبي حررتي القلم من الاستعباد فانطلق بطيب عطره وغاية جماله لينضج ويتألق ما بين العطور والبخور لينضح بروائح الأبجديات في سائر الوطن العربي ولي حق أفخر وأثمن ما قرأت من دراسات نقدية للمتألقات الباحثات الرائعات.

□

تداخل الأجناس الأدبية فى الرواية العربية
" قهوة سادة " نموذجاً

د. آمال شوقى محمد يحيى

دراسة للمشاركة فى ملتقى القاهرة الدولى الثانى للنقد الأدبى
الحوار مع النص.."دورة عبد القادر القط"
٢٦- ٢٧إبريل٢٠١٧

أ-الجنس لغة واصطلاحًا

الجنس لغة

جاء فى معجم تهذيب اللغة أن" الجِنْسُ": كل ضَرْبٍ من الشَّيْء وَمن النَّاس وَالطير، وَمن حُدُودِ النَّحْو وَالْعرُوض والأشياء: جُمْلَةٌ، والجميعُ: الأجناس.

وَيُقَال: هَذَا يُجَانِسُ هَذَا أَي يشاكله، وَفُلَان يُجَانِسُ الْبَهَائِم، وَلَا يُجَانِسُ النَّاس إِذا لم يكن لَهُ تَمْيِيز وَلَا عقلٌ[١٦١]. وجاء فى معجم لسان العرب"الجنس: الضرب من كل شىء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة.. ، والجنس أعم من النوع"[١٦٢].

ومما تقدم نجد أن المعجمات اللغوية تذهب إلى أن الجنس هو الضرب من الشىء، أو الضرب من كل شىء، وأنه يكون من الناس أو الطير ومن الأشياء جملة، والجنس أعم من النوع.

١٦١ – ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامى، ١٤٠٤هـ،ج١، مادة (جنس).

١٦٢ – ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، مج ٣، مادة (جنس).

<u>الجنس اصطلاحًا</u>

ومن المعنى اللغوى ننطلق إلى المعنى الاصطلاحى، حيث لم تفرق المعجمات الاصطلاحية بين الجنس والنوع؛ فذهب سعيد علوش إلى أن (النوع) أو (الجنس) "تنظيم عضوى لأشكال أدبية، كما يمكن تمييز الأنواع الكبرى عن الأنواع الصغرى فى نظرية الأنوع الأدبية التى تقوم على محورين متمايزين:

١- المفهوم الكلاسيكى الذى يقوم على تعريف غير علمى الشكل/ المضمون، ولبعض طبقات الخطاب الأدبى كالكوميديا/ التراجيديا.

٢- مفهوم وقع الأصالة، التى تكشف عن العوالم المختلفة، والتسلسل السردى"[١٦٣].

وفى تعريف جميل حمداوى هو"مبدئًا تنظيميًا للخطابات الأدبية، ومعيارًا تصنيفيًا للنصوص التطبيقية، ومؤسسة تنظيرية ثابتة تسهر على ضبط النص أو الخطاب، وتحديد مقوماته ومرتكزاته وتحديد بنياته الدلالية والوظيفية من خلال مبدأى الثبات والتغير، ويساهم الجنس الأدبى فى الحفاظ على النوع الأدبى، ورصد تغيراته الناجمة عن الانزياح والخرق النوعى"[١٦٤] .

ويُعد الجنس من أشهر التعريفات المنطقية؛ فقد عرفه الجرجانى بأنه " اسم دال على كثيرين مختلفين بالأنواع، وهو كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو من حيث هو كذلك، فالكلي جنس، وقوله

---

١٦٣ – سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص ٢٢٣.

١٦٤ – جميل حمداوى: نحو نظرية الأجناس الأدبية، (نحو تصور جديد للتجنيس الأدبى)، مؤسسة المثقف العربى، ط١، ٢٠١١م، ص ٧.

مختلفين بالحقيقة يخرج النوع، والخاصة، والفصل القريب، وقوله: في جواب ما هو، يخرج الفصل البعيد والعرض العام، وهو قريب إن كان الجواب عن الماهية وعن بعض ما يشاركها في ذلك الجنس، وهو الجواب عنها، وعن كل ما يشاركها فيه كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان، وبعيد إن كان الجواب عنها، وعن بعض ما يشاركها فيه غير الجواب عنها، وعن البعض الآخر، كالجسم النامي بالنسبة إلى الإنسان"[١٦٥].

وقد نشأ اختلاف بين المنطقيين والأصوليين، فالأصوليين إنما يبحثون عن الأغراض دون الحقائق والمنطقيين يبحثون عن الحقائق دون الأغراض. فالجنس في عرف النحاة "اسم يصح إطلاقه على القليل والكثير كالماء؛ فإنه يطلق على القطرة والبحر. وفي عرف الأصوليين كلي مقول على كثيرين مختلفين بالأغراض كالإنسان فإن تحته رجلا وامرأة والغرض من خلقة الرجل كونه نبيا وإماما شاهدا في الحدود والقصاص ومقيما للجمعة والأعياد ونحوه، والغرض من خلقة المرأة كونها مستفرشة آتية بالولد مدبرة لحوائج البيت وغير ذلك"[١٦٦].

وقد اختلط مفهوم الجنس والنوع، فجاء أن الجنس على قول بعض المتكلمين أعم من النوع؛ لأن الجنس هو الجملة المتفقة سواء كان مما يعقل

---

١٦٥ – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ):كتاب التعريفات ،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،الطبعةالأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، ج ١،ص ٧٨ .

١٦٦ – القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ):دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٨٣ .

أو من غير ما يعقل، والنوع الجملة المتفقة من جنس ما لا يعقل قال ألا ترى أنه يقال الفاكهة نوع كما يقال جنس ولا يقال للإنسان نوع، وقال غيره النوع ما يقع تحته أجناس بخلاف ما يقوله الفلاسفة أن الجنس أعم من النوع، وذلك أن العرب لا تفرق الأشياء كلها فتسميها بذلك، وأصحابنا يقولون السواد جنس واللون نوع ويستعملون الجنس في نفس الذات فيقولون التأليف جنس واحد وهذا الشئ جنس الفعل والحركة ليست بجنس الفعل يريدون أنها كون على وجه ويقولون الكون جنس الفعل وإن كان متضادا لما كان لا يوجد إلا وهو كون ولا يقولون في العلم ذلك لأنه قد يوجد وهو غير علم ويقولون في الأشياء المتماثلة أنها جنس واحد وهذا هو الصحيح"[١٦٧].

والجنس الأدبى "اصطلاح عملى يستخدم فى تصنيف أشكال الخطاب؛ وهو يتوسط بين الأدب والآثارالأدبية"[١٦٨]. ويعرف هارى شو **Harry show** فى معجمه للمصطلحات الأدبية مصطلح جنس بأنه:"فصيلة أو مرتبة من العمل الفنى لها شكل محدد وكذلك تكنيك ومحتوى وهى كلمة فرنسية مرادفة لنوع ونمط وأمثلة الجنس الأدبى:"هو أحد القوالب التى تصب فيها الآثار الأدبية. فالمسرحية مثلا جنس أدبى، وكذا القصة.. وهكذا"[١٦٩].

---

١٦٧ – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ):معجم الفروق اللغوية،تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ،ج١،ص١٦٨.

١٦٨– د. لطيف زيتونى: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٦٧.

١٦٩– مجدى وهبه، كامل المهندس:معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، مكتبة لبنان– بيروت،ط٢ ،١٩٨٤م.

وهكذا شكل مصطلح "جنس"Genre إشكالية أدبية قديما وحديثا، فهو مصطلح لم ترس قواعده فى الخطاب النقدى الغربى إلا فى بدايات القرن العشرين. وكانت المصطلحات المستخدمة للتعبير عن معناه قبل القرن الثامن عشر هى Kind أو Sort أو Species. وكلمة جنس ليست قاصرة على الأدب فحسب بل تستخدم فى مجالات أخرى كالرسم والسينما؛[١٧٠]حيث يتضمن مبدأ الأجناس الأدبية معايير مسبقة غايتها ضبط الأثر وتفسيره، ويعتمد ضبط الأثر على وجود ما يسمى شروط الجودة فى الكتابة: فأرسطو حدد هذه الشروط فى المأساة المسرحية. أما التفسير فيستند إلى كون الجنس الأدبى كيانًا يشير إلى غاية، وغاية المأساة المسرحية مثلا هى التطهير[١٧١].

ب- تداخل الأجناس عند النقاد الغرب

لقد دعت الضرورة إلى تقسيم الأدب إلى أجناس؛ تلبيةً لحاجة الإنسان فى التعبير عن موقفه من نفسه والمجتمع من حوله والطبيعة وما ورائها؛ فشرع يكتب الشعر الغنائى معبرًا عن ذاته، وكذلك الأجناس النثرية الآخرى؛ ليعبر عن موقفه من الآخرين فكتب الملحمة والمسرحية والقصة والرواية.. ، وعندما أراد التعبيرعن الطبيعة كتب شعر الطبيعة وأدب الرحلة.. إلى غير ذلك

١٧٠ – انظر ريهام حسنى: تماهى الأجناس الأدبية، معجم المصطلحات الثقافية مؤتمر أدباء مصر، الدورة الخامسة والعشرون"دورة محسن الخياط"، القاهرة، ديسمبر ٢٠١٠م ، ص٩.

١٧١ – انظر د. لطيف زيتونى: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص ٦٧.

من الأجناس؛ ونتيجة لهذا التشعبات المتعددة للأدب ظهرت الحاجة إلى وجود نظرية لوضع حدود وتعريفات لهذه الأجناس المتعددة [١٧٢].

وعلى الرغم من الحداثة النسبية لمصطلح"جنس"Genre، فإن فكرة تقسيم الأدب إلى أجناس قديمة جدًا وترجع إلى أيام أرسطو(٢٨٤-٢٢٢قبل الميلاد)؛ إذ حدد الخصائص المميزة لكل جنس من الأجناس الأدبية، ويعد كتابه"فن الشعر" مرجعًا أساسيًا لدى النقاد فى تصنيف الأجناس الأدبية، وأصبحت هذه الخصائص بمثابة القوانين الثابتة لكل النقاد والمُبدعين والتى يجب الالتزام بها، وقد اعتمد تصنيف "أرسطو "على المحاكاة فى تفريق الأنواع بين غنائى ،وملحمى، ودرامى"[١٧٣]، وظل هذا التقسيم هو السائد حتى بعد مجىء الرومان الذين لم يقدموا جديدا فى نظرية الأجناس الأدبية بل تبنوا ما توصل إليه اليونانيون واستمر الحال هكذا حتى القرن الثامن عشر ومجىء أول مدرسة إنجليزية فى النقد الأدبى والتى سميت "بالكلاسيكية الجديدة" Neo ciassicism بزعامة كل من دريدن وبوب وأديسون وجونسون. وقد أدى ازدهار الطباعة فى هذا العصر إلى انتشار الدوريات التى ساعدت على انتشار الأعمال الأدبية على نطاق واسع، وأتاحت الفرصة أمام فن "المقال " Essay للانتشار كجنس أدبى جديد .

١٧٢ – صادق مجبل الموسوى، قضية الأجناس الأدبية فى الأدب، نوفمبر ٢٠١٠م .

١٧٣ – انظر أرسطو: فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة ، مكتبة المسرح ، رقم ٣ ، مركز الشارقة للإبداع الفكرى ، د . ت .

وبناء على هذا الفصل بين الأجناس ظهر مبدأ "نقاء الأجناس"، ويقوم مبدأ نقاء الأجناس على فكرة استقلال كل جنس بخصائصه المائزة، فلا يحق لجنس استعارة خصائص جنس آخر فى عملية الإبداع الأدبى[١٧٤].

ومع بدايات النصف الأول من القرن العشرين ظهرت بعض الأصوات النقدية التى تبنت اتجاهًا ثار على فكرة نقاء الأجناس، ورفض التقسيمات المقترحة، ومثَّلَ هذا الاتجاه الناقد والكاتب الفرنسى "هوجو"، وبلغ ذروته عند الناقد الإيطإلى بندتو كروتشه (١٨٦٦-١٩٥٢)Bendetto croce الذى تبنى فى كتابه (المجمل فى فلسفة الفن) دعوة صريحة إلى تجاوز التقسيم الأجناسى والناقد موريس بلانشو الذى كان أكثر حدة فى دعوته إلى نفى الأجناس؛ إذ قال "جوهر الأدب هو الهروب من كل تحديد جوهرى من كل تاكيد يجعله ثانتًا."[١٧٥]، كما ظهرت بعض الدراسات التى تنادى بسقوط الجدران العازلة بين الأجناس الأدبية، وذلك ماجاء عند"سبيستان مرسيه"بقوله:"تساقطى، تساقطى أيتها الجدران الفاصلة بين الأنواع؛ لتكن للشاعر نظرة حرة فى مرج فسيح ، فلا يشعر بعبقريته سجينة الأقفاص ، حيث الفن محدود ومصغر"[١٧٦].

ولعل الجدل حول نظرية الأجناس الأدبية قد بلغ ذروته فى فترة ما بعد الحداثة وذلك لظهور مفهوم النسبية والفكر التفكيكى Deconstrictive

---

١٧٤ – رشيد يحياوى، مقدمة فى نظرية الأنواع الأدبية، المغرب ، إفريقيا الشرق ، ط٢ ، ١٩٩٩٤ ، ص ١٩ .

١٧٥ – رشيد يحياوى: مقدمة فى نظرية الأنواع الأدبية، إفريقيا الشرق، ط ٢، ١٩٩٤، ص ٢٥ .

١٧٦ – بول فان تيجم، المذاهب الأدبية الكبرى فى فرنسا ، ترجمة: فريد أنطونيوس ، ط ٣، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ١٩٨٣ م ، ص ١٤٩ .

الذى تبناه دريدا فى قاله " قانون النوع " The Law of Genre ولقد أعطى دريدا فى هذا المقال أبعادًا جديدة لنظرية النوع بقوله:"إن النص الأدبى لا ينتمى لجنس معين بل يسهم فيه،"[١٧٧] كما استند النقاد فى دعتهم لنفى مبدأ نقاء الأجناس إلى عجز الأجناس القديمةالتى تحدث عنها أفلاطون وأرسطوعن الاستمرارية، وبخاصة بعد تحول المجتمعات الأوروبية من العلاقات الإقطاعية إلى العلاقات الجديدة[١٧٨].

ويرى تزفيتان تودروف Tsvetan Todrof أن العمل الأدبى الجيد هو الذى يتخطى حدود الأجناس ليكون شيئًا جديدًا ويضع التحديات فى طريق أى محاولة لتصنيفه ضمن جنس معين[١٧٩].

وبهذا رفضت النظريات الأدبية، من الشكلانيين الروس إلى البنيوية، فكرة الجنس الأدبى لعدم ملاءمتها للنتاج الفعلى، وتوقفت عن النص والأدبية. فموريس بلانشو M. Blanchot يربط بين العصرية وهدم الأجناس الأدبية؛ أما بندتو كروتشة B. Croce فيرى فى الأدب مجموع المؤلفات الفردية، ويرى فى الجنس الأدبى مبدأ لتصنيف المؤلفات الفردية[١٨٠].

ويُلخص الناقد الماركسى "إيجلتون" ما قدمته حقبة ما بعد البنيوية من مفاهيم؛ إذ يقول:"إن النص القابل للكتابة، وعادة ما يكون نصًا حداثيا، ليس

١٧٧ – انظر رشيد يحياوى: مقدمات فى نظرية الأنواع الأدبية، ص ٢٦.
١٧٨ – انظرعبد المنعم تليمة: مداخل إلى علم الجمال الأدبى ومقدمة فى نظرية الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٣م، ص ٢٤٩
١٧٩ – السابق، ص٢٥.
١٨٠ – د. لطيف زيتونى: معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص ٦٨.

له معنى محدد ولا مدلولات مستقرة، لكنه متعدد ومشتت، نسيج لا يُستنفد، أو مجرة من الدالات، نسيج محبوك من الشفرات ونُتف الشفرات، بإمكان التاقد أن يشق خلاله دربه الخاطئ، ليس ثمة بدايات ولا نهايات، ولا تتابعات لا يمكن قلبها، ولا تراتبية "للمستويات" النصية تخبرك بما هو أكثر، أو أقل دلالة، وكل النصوص الأدبية منسوجة من نصوص أدبية أخرى، ليس بالمعنى التقليدى القائل بأن كل كلمة، أو عبارة أو شريحة هى إعادة صياغة لكتابات أخرىتسبق أو تحيط بالعمل. وليس ثمة شىء من قبيل "الأصالة" الأدبية، ولا شىء من قبيل العمل الأدبى "الأول"، فكل الأدب "متناص".

وهكذا، فإن القطعة المحددة من الكتابة ليس لها حدود واضحة: إنها تندرج باستمرار إلى الأعمال المحيطة بها، مولدة مائة منظور مختلف تخبو حتى نقطة التلاشى، ولا يمكن جعل الحديث -الآن- أن يرفعه بثقة. إن اللغة هى ما يتحدث فى الأدب، بكل تعدديتها الحاشدة "متعددة الدلالة"، وليس المؤلف نفسه. وإن كان ثمة مكان تجد فيه التعددية الموارة للنص بؤرتها لحظيًا، فليس هو المؤلف، بل القارئ"[181].

ولعل تلك التعددية الحاشدة التى تنطوى عليها اللغة فى نظر ما بعد الحداثة هى المسئولة عن مجئ كل المفاهيم التى لا تستقر فى مكان. والتى تسمح بمزيد من التداخل. ويُصبح على الكاتب فيما يرى بارت"أن يكون متربصًا وعنيدًا، عليه أن يتشبث، إزاء الجميع وضدهم، بالقدرة على الانحراف

---

١٨١ - تيرى إيجلتون: مقدمة فى نظرية الأدب، ترجمة:أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٦٧.

والانتظار. إن السلطة سرعان ما تستحوذ على متعة الكتابة، شأنها إزاء كل متعة، عسى أن تسخرها وتجعل منها نتاجًا مبتذلا، وليس نشازًا. إن تغيير المواقع يمكن أن يعنى إذن، أن توجد حيث لا تُنتظر، كما أنه يعنى التنكر لكل ماكتب عندما توظفه سلطة التبعية"[١٨٢].

وفى رأى "عبد المنعم تليمة "أن المبدأ العام فى تطور الأنواع الأدبية من حيث نشأة النوع الأدبى وتغيره وتاريخه وتلاشيه فى نوع أدبى آخر أو انقراضه هو أن كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع تجسد علاقتها الجمالية بالعالم فى أنواع أدبية بعينها، تلائم قدرة البشر على فهم عالمهم الطبيعى فى هذه المرحلة ، وطبيعة نظامهم الاجتماعى فيها"[١٨٣]، وهو ما أكده فردينان برونتيير Ferdinand Brunetiere الذى يرى أن الأجناس الأدبية تولد وتنمو وتنضج وتموت كالأحياء، وتفسر المؤلفات، وتسبب وجودها[١٨٤].

ويعترف عبد المنعم تليمة بمسألة تداخل المواقف، ويردها إلى التطور العلمى والاجتماعى فى العصر الحديث، لكنه سرعان ما ينتهى إلى النتيجة نفسها"إغناء متبادل" لا يتعارض مع تمايز الأنواع الأدبية "إن التطور العلمى والاجتماعى فى العصر الحديث أثر تأثيرًا عميقًا فى التطور الفنى، جعل الفنون تتنوع، وتتعاون وتتداخل، وعقد الخبرة الجمالية وصقلها، وأنشأ عادات ومدارك فى التلقى جديدة؛ ولهذا كله وجدنا أن الآداب الحديثة والمعاصرة

---

١٨٢ – انظر رولان بارت: موت المؤلف، ضمن كتاب (درس السيميولوجيا) ترجمة: عبد السلام بنعبد العالى، تقديم: عبد الفتاح كيليطو،دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،ط٣، ١٩٩٣م، ص ٨٥

١٨٣ – د.عبد المنعم تليمة: مداخل إلى علم الجمال الأدبى ومقدمة فى نظرية الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣م ،ص ٢٤٩.

١٨٤ – انظرد.لطيف زيتونى: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص ٦٧.

تحقق بصورة غنية واسعة تداخل المواقف الأدبية الثلاثة فى كل أثر أدبى ناجح فتحققت الملحمية والدرامية فى الشعر الغنائى، وتحققت الغنائية والملحمية فى الأدب المسرحى، وتداخلت المواقف الثلاثة فى الرواية..إلخ. ولم يتعارض هذا التداخل مع تمايز الأنواع الأدبية، بل لقد أفاده وأغناه"[١٨٥].

وعلى هذا فإن النوع الأدبى محكوم فى نشأته وتاريخه بوضع اجتماعى محدد، تحكمه تلك القوانين الاجتماعية المتسببة فى تطوره. كما أن "المواقف" ثابتة، لكنها متداخلة. أما" الأنواع" فمتغيرة، لكنها "متمايزة .

وتلك هى صورة النظرية فيما بعد الحداثة؛ إذ السعى الدائم نحو خلخلة المفاهيم المستقرة، فأصبحت شعارات "الكتابة" و"النص" و"التناص" و"موت المؤلف" شعارات مرفوعة فى مواجهة إرهاب المفاهيم الراسخة، كمفاهيم "الأصالة" و"الصدق" و"الواقع" و"النوع الأدبى" [١٨٦].؛ ذلك أن "النص لا ينشأ عن رصف كلمات تولد معنى وحيدا، معنى لاهوتيًا إذا صح التعبير(هو"رسالة" المؤلف الإله)؛ وإنما هو فضاء متعدد الأبعاد، تتمازج فيه كتابات متعددة وتتعارض، من غير أن يكون فيها ما هو أكثر من غيره أصالة: النص نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة"[١٨٧].

ومما سبق يتضح أن تداخل الأجناس الأدبية أصبح أمرًا متعارفًا عليه وليس منكرًا أو مستبعدًا، كما أن الحدود بين الأجناس الأدبية أصبحت فضفاضة ويمكن للأجناس الأدبية أن تشترك فى بعض الصفات وتتداخل فيما

---

١٨٥ – السابق، ص ١٤٦.

١٨٦ – انظرخيرى دومة: تداخل الأنواع فى القصة القصيرة(١٩٦٠-١٩٩٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م،ص٢٣.

١٨٧ – رولان بارت: موت المؤلف، مرجع سابق، ص ٨٥

بينها، وقد عرف الأدب العربى الحديث أشكالاً ونماذج مختلفة لتداخل الأجناس الأدبية بدرجة يتماهى فيها الجنس الأدبى الفرد مثل التداخل بين الشعر والسرد، والتداخل بين الشعر والمسرح، والتداخل بين المسرح والرواية وهو ما يطلق عليه "المسرواية" التى تتخذها هذه الدراسة نموذجًا لتداخل الأجناس الأدبية .

وتنطلق هذه الدراسة بداية من عنوانها "تداخل الأنواع" من كون الرواية أكثر الأنواع الأدبية قابلية وقدرة لامتصاص الأنواع الأدبية الآخرى بسبب مساحة الحرية المتوافرة فى تقنية السرد، وتفاعل عناصر البناء الفنى للرواية مع الخصائص الفنية للأنواع الأدبية الآخرى، بكونها مفهوما مرنا ومفتوحا، يسمح بالتداخل والتعدد. وهذا اعتراف ضمنى بوجود الأنواع الأدبية وأهميتها فى الدراسات الأدبية.

والدراسة لا تنفى علاقة نصوص الرواية ومادتها بالواقع، بل تطمح إلى طرح صياغة جديدة لهذه العلاقة، تستند إلى فهم مغاير لطبيعة النوع الذى يعتمد أساسًا على الرواية ويقترب من الشعر والدراما والمسرح، ولكل نوع من هذه الأنواع طريقته فى إعادة تقديم الواقع وصياغته وتشكيله.

ج- تعريف المسرواية وأسباب ظهورها

- **تعريف المسرواية:**

تعد المسرواية " شكلاً أدبيًا تتعاقب فيه الصيغتان السردية والمسرحية، وتتواليان بإخراجهما الطباعي المميز"[١٨٨]. وأكد الدكتور وليد الخشاب أن

١٨٨ – وليد خشاب: عندما تلجأ الرواية للمسرحية (عن المسرواية) ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مج ١٢، عدد ١ ،، ١٩٩٣ م .

المسرواية ظهرت في الغرب في نهاية القرن التاسع عشر، عند هاردي، وفلوبير ثم جويس في القرن العشرين حين ظهرت الحاجة لتحطيم القوالب الجامدة في تصنيف الأجناس الأدبية ثم تحطيم قوالب الحياة الاجتماعية والسياسية الراكدة؛ نتيجة ظهور متغيرات اقتصادية واجتماعية (الثورة الصناعية في نهاية القرن التاسع عشر)، وجاءت مسرواية "فلوبير" (غواية القديس أنطونيوس) محطمة للقوالب الجامدة، ومعتمدة على السرد والمسرح معًا".[١٨٩]

- أسباب ظهور المسرواية في الأدب العربي:

عُرفت "المسرواية" في الأدب العربي حينما نشر توفيق الحكيم مسروايته (بنك القلق) فى أخريات حياته الإبداعية (١٩٧٦م)، ويُرجع النقاد السبب في ظهورها إلى:

١- الرغبة في تقليد الغرب.

٢- محاولة الإفادة دلاليًا من الجمع بين خطابي المسرحية والرواية.

٣- الحاجة إلى تحطيم القوالب الجامدة في تصنيف الأنواع الأدبية.

<u>د- المسرواية فى ميزان النقد الأدبى:</u>

وعن علاقة الرواية بالمسرحية والتداخل بينهما، فيرى"رينيه ويلك" أن نظرية الأنواع الأدبية لا تحتل مكان الصدارة فى الدراسات الأدبية فى هذا القرن. ويُرجع السبب فى ذلك أن التمييز بين الأنواع الأدبية لم يعد ذا أهمية فى كتابات معظم كتاب عصرنا "فالحدود بينها تعبر باستمرار، والأنواع تُخلط

---

١٨٩ - السابق نفسه .

أو تُمزج، والقديم منها يترك أو يحور، وتخلق أنواعا جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم موضع شك "[190].

ويرى الدكتور رشيد قريع "أنها علاقة حميمية قريبة، قد عكف الكتاب منذ زمن على الاستلهام من النصوص المسرحية، كما اعتمدوا طرائق فى تقسيم نصوصهم قريبة جدًا من التقسيم الذى تعتمد من قبل الكتاب المسرحيين؛ فصول ومشاهد، فهناك من استعمل هذه الطريقة فى روايته أو لنقل فى مسروايته (السد) " [191].

ويرى الدكتور لؤى خليل: إن تداخل الأنواع حتمية لا مفر منها، بل تكاد تكون ضرورة لتطوير الأنواع واستمرارها [192]. ولكنه يفضى من خلال حديثه إلى تصنيف هذا التداخل بين الأنواع إلى ثلاثة أشكال:

١- الشكل الأول (تفرضه طبيعة الأدب):

ويكون مُنتج النص حريصًا على نوع النص؛ لأن التجديد الذى يريده لا يؤدى وظيفته إلا من خلال موقع هذا النص بين النصوص الآخرى التى تنتمى إليها النوع ونفسه .

٢- الشكل الثانى (يقوم على القصدية السابقة للمؤلف):

والغاية منه إضفاء روح الجدة على النص، من خلال الاستعانة بعناصر نوعية مختلفة تُخرجه عن التنميط النوعى. ويُمثل لهذا التشويش بنص

---

١٩٠ – رينيه ويلك: مفاهيم نقدية، ترجمة:د.محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م ،ص٣١١.

١٩١ – رشيد قريبع: الرواية الجزائرية المعاصرة وتداخل الأنواع ، جامعة منتورى قسنطينة، ص ٥ .

١٩٢ – لؤى على خليل: تداخل الأنواع بين القاعدة والخرق ، مجلة دمشق،المجلد٣٠ ، العدد٣،٢٠١٤م..

محمود درويش (فكر بغيرك)[١٩٣]. ويقترب هذا الشكل من سابقه فى احتفاظهما بنقاء الجنس الأدبى، غير أن حجم التداخل وحساسية الإبداع تعتمدان على الحساسية الإبداعية لمنتج النص،ومُتلقيه فى آن واحد .

٣- الشكل الثالث (لم يعترف بآليات التلقى):

ويتعارض هذا الشكل الأخير مع أفق التلقى، فهولم يضع بعد آليات لتلقيه، كما أنه لو وضع هذه الآليات لوقع فى قالب مع التصنيف التجنيسى. فهو شكل لا يؤمن بالثوابت ولا يعترف بها؛ لذا فهو يتعارض مع الثقافة العربية الإسلامية .

ويُرجع الدكتور لؤى خليل أسباب هيمنة هذا الشكل من التداخل على النوع الأدبى إلى حالة التبعية للثقافات المسيطرة، والتحول العام لدى الناس نحو التخفف من أنظمة التفكير المعيارية، كما يأمل فى تأخير هذا التحول أطول فترة ممكنة حفاظًا على بعض من خصوصية هذه الثقافة [١٩٤].

أما الدكتور عبد الرحيم الكردى؛ فيعدد فى أسباب انفتاح النوع الروائى واستيعابه أنواعا أخرى، ويرجع هذا الانفتاح إلى عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية نرصد منها:

١- الثورة الهائلة فى وسائل الاتصال، مما أدى إلى إلغاء المسافات بين البشر، واتساع دوائر الوعى الإنسانى مما أدى إلى سهولة انتقال الأفكار والقيم .

---

١٩٣ - من مجموعته (كزهر اللوز أو أبعد) ص١٥-١٦ .

١٩٤ - لؤى خليل: تداخل الأنواع بين القاعدة والخرق، ص ١٥٦ .

٢- تحول السلطات التقليدية نتيجة للحرية-الزائدة-، فلم يعد هناك سلطة للمعلم على التلميذ،أو للأم على ابنها؛ مما أدى تغير الأفكار والمفاهيم الأخلاقية، ولنعكس هذا بدوره على الأدب وتداخلاته الأجناسية.

٣- طوفان الأدوات التعبيرية غير اللغوية واحتياجها لمناطق شاسعة من الربوع التقليدية للملكة اللغوية، وساعد على ذلك الانتشار الهائل للقنوات التليفزيونية وشبكات المعلومات؛ مما جعل الكُتاب يشعرون أن التقنيات التقليدية للرواية بل للأدب عمومًا لم تعد قادرة على التعبير عن تجاربهم الجديدة، فمزقوا إهاب النوع الروائى لمرونته.

٤- انهيار القيم الأخلاقية المحلية والقومية، وحل محلها قيم السوق، وبالتإلى تضخمت سلطة المتلقى؛ ولذلك اعتمد التشويق والعرض على أدوات ترضى الذوق الشعبى مثل: مزج الواقعى بالسحرى وحكاية الغرائب، وتصوير الشخصيات غير السوية، وتخفيف الأسلوب، وقصر النصوص.

٥- انتشار البطالة الظاهرة أو المقنعة؛ نظرًا لميكنة الصناعة وعدم احتياجها للعمالة الكثيفة، مما نشأ عنه ظهور ذوق فنى يشبه العاملون .

٦- ظهور ما يسمى بظاهرة الخناثة فى كل مظهر من مظاهر الحياة، ويتمثل ذلك اجتماعيًا فى ذوبان الفوارق بين ملابس الفتيان والفتيات،وذوبان الفروق بين العمل الذى يقوم به الرجل، والعمل الذى تقوم به المرأة؛ وقد أدى ذلك إلى إلف الأشكال المهجنة فنيًا أو لغويًا او عاطفيًا أو فكريًا؛فأصبح من المقبول أن يُوصف الشىء بالوصف ونقيضه فى وقت واحد؛ومن ثم أصبح من المألوف أن يوصف النص الروائى بأنه خُنثى يجمع بين سمات أكثر من

نوع فى وقت واحد، وساد فى السرد الأسلوب اللغوى الهجين [195](الأسلوب الحر غير المباشر).

كل هذه العوامل انعكست على الأعمال الروائية الجديدة؛ فأصبحت لا تكسر فقط الحواجز بين الأنواع الأدبية، بل تعمل على تفجير النوع الأدبى من داخله فهذه الأعمال تتمرد على القيم الجمالية التقليدية للنوع الروائى، وعلى التقنيات السردية الروائية، وعلى الطرق التقليدية فى تصوير الشخصيات والزمان والمكان، بل وتفتت الحبكة والحكاية معا؛ لأنها تصدر عن رؤية مهزوزة عاجزة ومغتربة، ومن ثم لا تملك إلا الاندفاع الهائج للتعبير المباشرعن تيار الثورة المكبوتة محطمة فى سبيل ذلك العناصر الواقعية والروابط السببية للعالم المصور وكأنه بلا حدود. وهذا ما سوف تؤكده الدراسة فى الصفحات القادمة.

هـ - قهوة سادة والتهاوى التدريجى لنظرية الأنواع

بعد رحيل توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧) صاحب المسرواية المتميزة(بنك القلق)، وكذلك لويس عوض(١٩١٤- ١٩٨٩) صاحب(محاكمة إيزيس)، يوسف إدريس(١٩٢٧ -١٩٩١) صاحب المسرواية اللاحقة (نيويورك ٨٠)، أوشك المشهد الإبداعي أن ينسى هذا النوع الأدبى الذى يمزج بين تقنيات المسرح و الرواية والمسمى بـ (المسرواية).

وتأتى مسرواية بنك القلق لتوفيق الحكيم عملا بالمزج بين السرد والمسرح بشكل تتابعى؛ إذ المسرواية كتبت على نسق فصل سردى يتبعه

١٩٥ - عبد الرحيم الكردى: السرد الروائى وتداخل الأنواع نماذج من الرواية المصرية المعاصرة، مؤتمر أدباء مصر"أسئلة السرد الجديد"الدورة الثالثة والعشرون، محافظة مطروح، ٢٠٠٨م، ص ١٣٨-٢١٩ .

فصل مسرحى حوارى كامل من البداية للنهاية. وقد صنف الحكيم عمله بأنه مسرواية تجمع بين الرواية والمسرح؛ إذ كتب على صفحة الغلاف أنها "مسرواية".

لم تنشر"محاكمة إيزيس" إلا فى سبتمبر ١٩٩٢م، ولكنها كتبت فيما بين ١٩٤٢-١٩٤٦ فى زمن دعوته الشهيرة (فلنحطم عمود الشعر) فى مقدمة (بلوتولاند). ودعوته الشهيرة للتجريب. وتصريحه بأن الحكيم قد سبقه فى تلك المحاولة. ونشرت ملحقة بكتاب (المسرح المصرى بين الفن والدين) فى ١٩٩٤م. وهى نص يجمع بين السرد والحوار فى تناوب درامى للأسطورة الشهيرة. وقد عده لويس عوض (مسرحية).

ونُشرت" نيويورك ٨٠" بعد نشر توفيق الحكيم مسروايته- بنك القلق- بأربع سنوات، ولم يصاحبها شرح نقدى يمهد لنوعها. واختلط فيها الحواربالسرد، ولكن غلب عليها الطابع الصحفى أكثر من الأدبى، وهى تنقسم إلى عملين الأول (نيويورك ٨٠)، والثانى (فيينا ٦٠)، فى محاولة لإثبات الصراع المادى والحضارى بين الشرق والغرب.

أما "قهوة سادة" فنص سردى مسرحى تجريبى يتخذ من تقنيات المسرح الحوارية وسيلة للتعبير عن شخصياته وأحداثه، والكاتب يعتمد بجرأة لغته على تقنيات المسرح من حيث تكثيف جمله الحوارية، وهو عمل ينتمى إلى القص التكاثرى أو التوالدى حيث ينبثق عن الحكاية الرئيسة حكايات فرعية؛ فالحكاية الرئيسة أو الحكاية الإطارهى قصة (سهر والعشق والقمر) ومن خلال هذه الحكاية تقوم شخصية "شهرزاد" بدور الراوى الذى يسرد الحكايات

الفرعية، وتعد حكاية (إخناتون ونفر) الحكاية الفرعية الأهم بين حكايات شهرزاد؛ إذ تمثل نصًا مسرحيا فى ثنايا النص السردى.

ومما لا شك فيه أن ظهور المسرواية الجديدة (قهوة سادة) للقاص والكاتب المسرحي التجريبى(السيد حافظ)، يستدعي من جديد هذا النوع من التداخل فى الأنواع الأدبية و تفاعلها الضخم و ما طرأ عليها من الحراك والتداخل البنيوي. فإن كان حُلم توفيق الحكيم أن يكتب المسرواية وقد فعلها؛ فإن للسيد حافظ الآن مشروعًا على هذا الغرار السابق من الكتابة الفوق نوعية للأجناس الأدبية "هذه سردية، وليست رواية عادية ولكنها مسرواية أى رواية تأخذ المسرح معها فى عناق وتلاحم، وهو حلم توفيق الحكيم فى بنك القلق وكذلك كان حلم يوسف إدريس فى "نيويورك ٨٠" وهى ليست حلمى بل مشروعى.. أنت بين يديك الجزء الأول من مشروعى، وبعد عشرات الصفحات تقابل الجزء الثانى.. وتنتظر الجزء الثالث، وهكذا.. فتعطر وتأهب واشرب قهوتك واخلع نعليك واسترخ وتنبه؛ فأنت شريكى وصديقى.. هيا بنا نرحل معًا عبر الحكاية"[١٩٦].

ويتضح من المقطع السابق من المسرواية الجديدة، أن المبدعين العرب، ما عادوا يجدون في نظرية الأنواع الأدبية ما يرضيهم ويرضى أغراضهم التجريبية الجديدة.

وعلى الرغم من عدم انصياع البعض للاستجابة لهذه الموجة الجديدة من التمازج والتلاحم بين الأنواع الأدبية؛ فإن المنصفين لنظرية الأنواع لم

---

١٩٦ – السيد حافظ: قهوة سادة.. قهوة زيادة، ص٣،أضاف الكاتب هذا المقطع فى الطبعة الثانية بعد مرور خمس سنوات على الطبعة الأولى، والتى لم تطبع بعد. وفى الطبعة الأولى أقرَّ الكاتب أنها رواية وذكر ذلك على صفحة الغلاف.

يجدوا مفرا من عدم الاعتراف بشرعية مثل هذه الأنواع وقد رفضوا كل ما استحدث نتيجة التطورات الطبيعية للبيئة الزمانية والمكانية. كشعرية السرد، وقصيدة النثر وغيرها والقصة القصيدة.. ، ولكن هذا المنع لم يسمح فى الحقيقة من استمرارها وتطورها وهكذا ظهرت مسرواية "قهوة سادة" فى هذه الأجواء.[١٩٧]

جاءت "قهوة سادة" للسيد حافظ في نحو من ثلاثمائة و ثلاث وتسعين صفحة من القطع الكبير، وكانت استراتيجية الصدمة الصاعقة للمتلقي ، هي المنحى المهيمن طوال الوقت على تدفقات السرد المدهشة و تعاريجه التي تنثني نحو الماضي والحاضر بحركات سريعة، ممعنة في المراوغة. وأمام حالة النماء الدرامي تتصاعد خيوط "قهوة سادة"، حيث التنوع بين (الماضي) التاريخي الضارب بأطنابه في القدم، و بين (الحاضر) العصري العربي ، المفعم بالسياسية .

وتهدف هذه الدراسة إلى رصد أشكال التداخل بين النص السردى، والشعر، والتراث والتاريخ، والسياسة، والمسرح، و الفنون الحديثة كتقنيات السينما، والسيرة الذاتية.

أولا: التداخل مع التراث الشعبى:

وهو ما يُطلق عليه"الموتيف الشعبى" وهو كما عرّفه د. سليمان العطار فى كتابه (الموتيف فى الأدب الفردى والشعبى)"موقف نمطى يتكرر

---

١٩٧ – من محاضرة فى مختبر السرديات للدكتور حسام عقل عن مسرواية (كل من عليها خان) بعنوان: السيد حافظ والمسرواية..(كل من عليها خان) و التهاوي التدريجي لنظرية الأنواع، ملتقى السرد العربى الدائم ، القاهرة، بتاريخ ٢٠١٦/٩/٣٠م

منتزع من الواقع على يد الخيال، وله ملامح محددة لها قدر كبير من الثبات بعد انتزاعه من موضعه فى سياق عدد غير محدد من الأعمال الأدبية الشعبية والفردية"[198]، وعلى الرغم من تعدد أشكال الموتيف فى العمل الأدبى الواحد إلا أنه تظل نمطية الموتيفات هى العنصر الثابت فى انتزاعها من موقعها الأصلى واستغلالها فى العمل الأدبى.

وقد أجاد السيد حافظ توظيف الموتيف الشعبى فى مسروايته من خلال العناصر الآتية:

١- العنوان"قهوة سادة"

نجد الكاتب يتداخل مع موتيفات متنوعة؛ إذ يبدأ بالعنوان"قهوة سادة" وما تدل عليه من استخدامها فى المآتم والأحزان، وهذا الموروث الشعبى لاستخدام لفظة"القهوة السادة" يلائم الحالة العامة للنص الأدبى؛ إذ تدور الأحداث حول انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، ثم نكسة١٩٦٧، هذا فى الجزء الأول من المسرواية، وأما فى الجزء الثانى ففيه موتيفًا آخر له علاقة بالقهوة السادة؛ إذ حالة الفوضى والضياع والتآمر من قبل الكهنة لقتل "إخناتون" الذى دعا لتوحيد الآلهة فى إله واحد هو (آتون).

بدهى أن أثر القهوة من مرارة فى الحلق هو ما تتركه القهوة السادة حسيًا، وهو ما يُناسب الحالة المزعجة التى يشعر بها الكاتب"وجدت اللبن فى ثدى مصر دم رائحته قذرة ممزوجة بطعم القهوة المر"، كما أن للقهوة السادة

---

١٩٨ – د.سليمان عبد العظيم العطار: الموتيف فى الأدب الفردى والشعبى، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٢م، ص ٣٣.

دلالة أخرى حيث حالة الكاتب العامة التى تميل للحزن والثورة من خلال شخصية البطل"فتحى رضوان".

كما تظهر الرؤية الصوفية بجلاء فى المسرواية؛ إذ تُسلم بالفناء وهو أحد مقامات الصوفية، متخذة من القهوة السادة وحدةً دلالية، لترسل للمتلقى منذ العنوان إيحاء بالفناء الجسدى، وهو ما يؤكده الكاتب فى بداية المسرواية "أنسى أن النساء جسد من لحم ودم، وأذكر أنهن عطر له روح" الرواية ص ١٠.

والكاتب ممثل فى شخصية فتحى رضوان شغوف بحبه للقهوة فهو لا يستطيع أن يتركها وإن منعه الأطباء عنها ".. والصباح بدون القهوة خطر.. هكذا قلت للطبيب حين منعنى من القهوة.. القهوة قبلات للروح كى تنهض.. قلت للطبييب لن أتخلى عنها.. أكره أن روحى تغفل وعقلى يتوقف عن التأمل.. أعتذر ياناهد" الرواية ص ٢٦٦.

القهوة قبلات للروح كى تنهض؛ ففى رأى الكاتب تعد القهوة السادة تنبيهًا للعقل والروح للذكرعند الصوفيين، فإنك تذكر الله وأنت بكامل الوعى والتفكير، والإنسان يسعى دائما إلى النفس المطمئنة.[١٩٩]

٢- استخدام الرمز

أ- الطائر العاشق:

أسقط السيد حافظ على طائر سهر العاشق رمزًا للقلب المعلق بحب ورائحة سهر "نهضت سهر فى الصباح وجدت العصفور لم ينم طوال الليل.

---

١٩٩ –انظر منى نور: الروائى السيد حافظ صاحب" نسكافيه"و "قهوة سادة" و"شاى أخضر"، أخبار الأدب، بتاريخ: ٩/ ١٢/ ٢٠١٢م.

بل ظل واقفًا متوثبًا أمامها يراقبها طوال الليل وهى نائمة.. نظرت فى عينيه وجدت صورتها.. خافت ارتعدت.. ظنته جنيًا.. جاء فى شكل عصفور.." الرواية ص ١٩.

لم يبتعد العصفور عن سهر يومًا فقد قرر " أن نافذة سهر سكنًا له حتى يكون قريبًا منها ويتسلل ليلًا إلى غرفتها" الرواية ص ٢٥.

ولم يكتف السيد حافظ أن يحب سهر ذلك العصفور الكنارى الذى أسماه أصحابه بـ"عصفور سهر" بل جعل سربًا يطير فوقها أينما تسير " جاءت العصافير والطيور فوق سطح بيتها.. جاءت لها.. وعندما تسير فى الطريق تكون العصافير سربًا يطير فوقها.." الرواية ص ٨١.

ونفس الجمال والعطر والرائحة الجذابة –للقريب والبعيد– كانت لروحها الأولى "نفر" التى أخرج جثتها الملاحون بعد أن طافت ثلاثة أيام وجاءت فوق جثتها الطيور تبكى. الرواية ص ٢٩٢.

ب– دودة القز:

يتجسد الرمز الموتيفى للغزل والنقض فى المشهد الأخير لفتحى رضوان فى الرواية مع (دودة القز)؛ فالدودة تغزل شرنقتها بالحرير الثمين وتظل خاملة حتى تصير فراشة، وعلى الرغم من وجود عنصر النقض بموت الفراشة المحتوم إلا أنها خلفت غزلا حريريًا ثمينًا وبيضًا يعود مجددًا لإكمال دورة الحياة.

وبإسقاط هذا الرمز على دودة القز يتبين أن الكاتب يرى بصيص أمل فى حياة الشباب، انطلاقًا من العلاقة بين الأدب والسياسة حيث يسقط الماضى على الحاضر الذى نعيشه لأخذ العبر والعظات منه[٢٠٠].

---

٢٠٠ – انظر دينا نبيل: الموتيف فى رواية "قهوة سادة" مجلة أدب ونقد، مجلة الثقافة الوطنية الديموقراطية، العدد ٣٥٤، نوفمبر ٢٠١٦، ص ١٠٢.

ثانيًا: التداخل مع التراث الأدبى:

استدعى"السيد حافظ" نموذج "شهرزاد" العرافة، ذلك الاسم المعروف والمشهور فى القصص والحكايات، وتعد شخصية شهرزاد إحدى الشخصيات الرئيسة التى تمتلك مفاتيح السرد فهى القناع الرئيس الذى يرتديه الكاتب ليقدم عالمه السردى، الواقعى منه والتخييلى.

وثمة مقاربة ممكنة بين شخصية شهرزاد فى "قهوة سادة" وشخصية "شهرزاد" فى ألف ليلة وليلة؛ فكلتاهما تتمتعان بقدرة فائقة على الحكى والسرد لتقديم عوالم من حكايات من عصور وأزمنة مختلفة لا يربطها جميعًا غير تجربة إنسانية يتصارع فيها الخير والشر. فقد استطاعت "شهرزاد" أن تلهب خيال "شهريار" وتستأثر باهتمامه ومتابعته لها وهى تنقله من حكاية إلى حكاية، ومن عصر إلى عصر لتستثمر الوقت لصالحها؛ فمع تتابع الحكايات وتوالى الليإلى اعتاد شهريار على وجودها فى حياته، ونشأت بينهما الألفة التى كانت طوق النجاة لها من سيف مسرور السياف[٢٠١]. أما شهرزاد فى "قهوة سادة" فإنها تلعب الدور نفسه مع سهر مع اختلاف الدوافع والأسباب؛ وخلع الكاتب عليها الكثير من القرائن والصفات:

أ- الوصف الحسى:

هى العرافة الحسناء، البيضاء وعيناها زرقاوان، ولذقنها وشم أخضر.

ب-الوصف الأيديولوجى:

---

٢٠١ - انظر د. فايزة محمد سعد: كل من عليها خان للسيد حافظ ، رؤيا للنشر، ٢٠١٦م، ص ٣٩٩.

تعد "شهرزاد" نموذجًا للعرافة التى تجمع بين التمكن من قلوب النساء، ولها مكان رئيس فى حياتهن، وتأتى شخصية شهرزاد هنا نموذجًا (للشخصية الاستذكارية) فى تصنيف هامون؛ فهى بالأساس علامة تشحذ القارئ بتلك الشخصية التاريخية الحكاءة المعروفة فى التراث، ويُلبسها الراوى ثوب الحكى فى استخدام نفس المقولة المشهورة "كان ياما كان". تقول شهرزاد:" كان ياما كان فى سالف العصر والأوان فى العصر الفرعونى بنت اسمها نفر"الرواية، ص ٢٠٥ .

وهى العرافة التى تعرف الحكايات وتحفظ كتب السيوطى وطوق الحمامة وتفسر الأحلام وتسهر بالليل والناس نيام، ويقول عنها أهل الحى أنها متزوجة من جنىٍّ، وهذا أيضًا مناطه الحكى الشعبى؛ إذ يتصور العامة أن المرأة يمكن أن تتزوج بجنى يُعلمها على أخبار الغيب فتتنبأ بالمستقبل.

وتقف شهرزاد (قهوة سادة) أمام قوى الشر فى الرواية؛ حيث "شداد" التاجر الذى أراد الزواج من سهر وكان كل عام يتزوج بامرأة ثم يطلقها ويتزوج بغيرها، وإذا تزوجت هى بغيره يمنع عنها وعن أولادها المال والزاد .

أظهرت "شهرزاد" لأهل القرية الفقراء ما يفعله التاجر "شداد" ليقاطعوه ولا يبتاعوا منه الزيتون والتفاح؛ فالمقاطعة خير عقاب للطاغين والمستبدين.

وتتمحور العلاقة بين "سهر"ابنة السبعة عشرعامًا و"شهرزاد" الحكاءة فى مواقف عدة فى المسرواية، يرصد البحث بعضها فى هذا الحوار:

"دخلت سهر بيت شهرزاد الباب مفتوح رائحة بخور تخرج منه

- خالتى"شهرزاد" خالتى "شهرزاد" وينك؟
- ادخلى يا"سهر"

دخلت "سهر"

جلست

- أجيب لك شيئًا تأكلى..؟
- لا أكلت سندوتشًا فى المدرسة وتفاحة أمى عطيتها لى.
- شو القصة خالتى أنا ما نمت البارحة؟
- لا شىء حبيبتى أنا حبيت أريحك..
- من شو تريحينى؟
- من أسئلة كثيرة جواك مو لاقية لها أجوبة..
- مثل شو.. خالتى؟
- أنت مندهشة ومستغربة أن عطرك طبيعى من جسمك.. وكل الناس اللى حولك وكل الدنيا ما بتعرف شو قصة عطرك العرق الطبيعى بتاعك.!!
- إيه والله ياخالتى مسبب لى مشكلة كبيرة كبيرة..مو عارفة أعمل إيه؟
- أقولك الحكاية..
- قولى ياخالتى
- إن روحك هى التى تعطر جسدك ياصغيرتى الأرواح تتناسخ وهناك تقمص الأرواح
- يقال إن الإنسان تنتقل روحه إلى غيره، وهذا ما يدعى بالتقمص.. هناك شعوب يؤمنون بها بشكل كلى.. ونحن منهم نؤمن بالتقمص فى الحياة السابقة حتى المتقمص..ليتعرف على أقربائه السابقين فقد يكون عمره

خمس سنوات يتعرف إلى ابنه الكبير من الحياة.. ويقال إن المتقمص لا يغير جنسه.. فالرجل يبقى رجلًا وكذلك المرأة تبقى امرأة.. وإذا الرجل سيئًا تنتقل روحه إلى امرأة تظل مرأة عقابًا له ويروى عنه" الرواية ص ٢٠٤-٢٠٥.

وهذا المقطع الحوارى الطويل يدل على الآتى:

١- خلع جو من الطقس الصوفى على منزل شهرزاد العرافة (بخور- الباب مفتوح)

٢- العلاقة الودودة بين "سهر" و"شهرزاد"، فها هى سهر عائدة من مدرستها وشهرزاد تسألها عن أكلها، وهذا يدل على قوة العلاقة ويعطى لها بعدا نفسيا من الحب والود بينهما.

٣- إيمان أهل الشام بالتقمص، وشرح شهرزاد لسهر المعنى المقصود من التقمص. وهو ما تقوم عليه فى الأساس فكرة مشروع السيد حافظ الروائى؛ إذ قامت عقيدة الدروزعلى تناسخ الأرواح "وهناك تقمص الأرواح، يقال: إن الإنسان تنتقل روحه إلى غيره، وهذا ما يدعى بالتقمص.. هناك شعوب يؤمنون بها بشكل كلى.. ونحن منهم نؤمن بالتقمص فى الحياة السابقة حتى المتقمص..ليتعرف على أقربائه السابقين فقد يكون عمره خمس سنوات يتعرف إلى ابنه الكبير من الحياة.. ويقال إن المتقمص لا يغير جنسه.. فالرجل يبقى رجلًا وكذلك المرأة تبقى امرأة.. وإذا الرجل سيئًا تنتقل روحه إلى امرأة تظل مرأة عقابًا له"الرواية ص ٢٠٥.

وتتفق فكرة الكاتب مع عقيدة الثنوية (أصحاب الأزليين)، الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان وهم سبع فرق:(المانوية – المَزْدكِيَّة – الدَّيْصانِيَّة – المَرْقَيونِيَّة – الكَيْنَوِيَّة– الصِيَّامِيَّة–التناسُخِيَّة)، والتناسخية منهم قالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد، والانتقال من شخص إلى شخص، وما يلقى الإنسان من الراحة، والتعب فمرتب على ما أسلفه من قبل وهو فى بدن آخر، جزاء على ذلك "[٢٠٢].

– عدم فهم "سهر" لسر عطرها، ورغبتها الملحة فى معرفة هذا السر هو ماجعل الراوى يختم مسروايته الأولى بمعرفة قصة "نفر" التى تتقمص سهر روحها فى الجزء الثانى حكاية "إخناتون مع نفر".

ويبقى سر تلك الرؤية الصوفية من اعتناق بعض أهل الشام للتقمص والتناسخ بين الأرواح هو المهيمن الموضوعى على المسرواية؛ لتبقى ثورة السيد حافظ على الجسد المصرى ومافيه وينأى بروحه بعيدًا عن الأحقاد إلى روح مصر الطاهرة. وهو ما رمّى إليه الكاتب من بداية إهدائه "أكتب هذه الرواية بحثًا عن روح مصر المتخاذلة سبعة آلاف عام.. وبحثًا عن روح مصر أخرى للإنسان فيها معنى وقيمة وحضارة حقيقية فعلا وقولا.."(الرواية ص ١٢).

---

٢٠٢ – انظر الشهرستانى (أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبى بكر أحمد): الملل والنحل ،تحقيق:عبد العزيز محمد الوكيل ،مؤسسة الحلبى ،القاهرة ،ج٢، ص٣٦–٤٠، وللمزيد عن معرفة أصحاب الفرق والتناسخ انظر آمال شوقى محمد: الجنة والنار فى التراث الإسلامى قبل الإسلام (دراسة فى ضوء تاريخ الأفكار) الدراسات العربية فى عالم متغير، المؤتمر الأول لقسم اللغة العربية ، ٢٥–٢٧نوفمبر ٢٠١٤، وحدة رفاعة للبحوث وتنمية المعلومات اللغوية والترجمة، كلية الألسن، جامعة عن شمس،ج ٢، ص ٨٢١. وانظر أيضا برتولد الطائر:مختصر علم آباء الكنيسة ،عربه بتصرف الأب كامل وليم ،ج١ ،صــ٨٠– ٨٦ ،دت ،دط .

ويستمر مشروع السيد حافظ السردى فى حلقة متتالية بدأها ب(قهوة سادة) ثم (كابتشينو) ثم (ليإلى دبى) بجزأيها (شاى بالياسمين) و(شاى أخضر) وتتنقل الروح من "نفر" الروح الأولى إلى "تور"الروح الثانية إلى "شمس" الروح الثالثة، وأخيرا الروح الرابعة لسهر وهى"وجد". ولا زلنا فى انتظار المزيد من جعبته الحافظية.

ثالثًا: التداخل مع تقنيات فن السينما:

يوظف الكاتب الفنون الحديثة فى مسروايته كتقنية "المونتاج"، وهو "أحد الفنون السينيمائية التى استفاد منها الفن الروائى، وتقوم فكرتها على على تقطيع المشاهد الروائية وتتداخل الصور والأفكار المنتمية لأزمنة وأمكنة مختلفة فى وعى الشخصية. وتتحدد فائدتها فى الكشف عن أبعاد وملامح الشخصية والحدث"[٢٠٣]؛ إذ يقدم لنا مونتاجًا مكانيًا لتقديم الأحداث المتوازية فيقدم مقطعًا فى منزل شهرزادفى الشام، ثم ينتقل منه إلى حدث آخر متزامن فى منزل فتحى رضوان فى الإسكندرية. وهكذا ينتقل طوال الأحداث بين الأماكن المتعددة والمتزامنة ، وهذه التقنية حديثة يسير عليها الكاتب فى نصه الحكائى المتشعب والمتشابك.

وكما يوظف الكاتب المونتاج المكانى للتعبير عن تسلسل الأحداث وتزامنها، يُوظف أيضًا المونتاج الزمانى فى الانتقال من عصر إلى عصر باستخدام المفارقات الزمنية الاسترجاعات، والاستباقات من خلال تقديم شخصياته فحكايات سهر وشهرزاد فى الشام بعد النكسة وبعد فصل الوحدة

---

٢٠٣ – انظر حنان مصطفى أحمد على: التقنيات الفنية فى الرواية المصرية الحديثة" منذ سنة ١٩٧٣إلى نهاية القرن العشرين"،كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٠٧

بين مصر وسوريا، ثم ينتقل الحكى إلى العصر الفرعونى من خلال حكايات شهرزاد لسهر عن روحها الأولى"نفر" وسر عطرها وجمالها.

ويلزم الكاتب أسلوبًا فى الكتابة ككتابة "السيناريو" أو "الاسكريبت"؛ إذ يقوم فى معظم الحكى بتحديد المكان والزمان وتحديد الشخصيات قبل الخوض فى المتن الحكائى، ومنه ما استفتح به الكاتب مسروايته، فبدأ بتحديد الزمان والمكان فى حكاية سهر العشق والليل والقمر.

١- الزمان/ ٥ يونيو ١٩٦٧م.

٢- المكان/ فى بلاد الشام، قام بتحديده فى الصفحة نفسها.

وهكذا استعار السيد حافظ من تقنيات كتابة السيناريو علاقة الزمان والمكان الدراميين؛ حيث يُوظف ما يُطلق عليه بالمونتاج المكانى الذى يسمح له بالتنقل من مكان إلى مكان، ويدخل إلى مصر فى زمن مغاير حيث العصر الفرعونى وحكاية إخناتون بتوظيف الزمن الماضى الفرعونى ليغوص فى ذاكرة المصريين جميعًا.

وفى هذه الانتقالات جميعًا يلتزم السيد حافظ أسلوب كتابة " السيناريو" وبخاصة فى الجزء الثانى منها حيث ينص على زمان الحدث ومكان وقوعه قبل بداية الحكاية، فيبدأ بالمكان، ويُثنى بالزمان على هذا النحو:

المكان/ فى قصر إخناتون

الزمان/ جاء الليل. الرواية (ص٢٤٢)

الزمان/ الليلة الأولى فى غياب نفر.. وكى

المكان/ فى قصر نفرتيتى .الرواية (ص ٢٧٧).

ثالثًا- التداخل مع المسرحية:

يتألق النص المسرحى مع الرواية فى تناغم شديد من قلم السيد حافظ؛ إذ يعكس لنا شرعية أكيدة فى تزاوج المسرحية مع الرواية فتتشكل البنية العميقة للنص فى سياقات مسرحية مدهشة تحمل تعابير صادمة ومفاجئة فى سُلم المعرفة والفهم العام للتاريخ؛ حيث إخناتون الذى يدعو لعبادة آتون الإله الواحد والصدامات الأسرية فى مملكته والتنازع على الحكم بين الكهنة والقادة.

وبذكاء فنى شديد من الكاتب ينتقل بتمهيد من "شهرزاد" التى أخبرت "سهر" أنها تتقمص روح فتاة فرعونية اسمها " نفر" لتبدأ حكاية إخناتون مع "نفر" فى الصعود على مسرح الأحداث، ولتحكى شهرزاد (قهوة سادة) متقمصة روح شهرزاد الأصلية فتقول:" كان ياما كان فى سالف العصر والأوان فى العصر الفرعونى بنت اسمها نفر".

وهنا يبدأ الكاتب الانتقال من السرد إلى المسرح فى حكاية (إخناتون مع نفر)، وإهداء جديد- فى عتبة جديدة- لأخيه الراحل "رمضان حافظ" نفحة الروح إذا أظلم الكون"الرواية ص ٢٠٩.

وينتقل السرد من الحاضر إلى الماضى مع هذا الانتقال الزمانى المكانى تنتقل تقنيات السرد إلى تقنيات المسرح فيبدأ بتقديم عمل مسرحى مكتمل السمات الفنية للمسرحية، والتى يعد الحوار أهم عناصرها المميزة. مثل هذا الحوار بين الملكة تى، وسمنغ كارع شقيق إخناتون.

"الملكة تى فى قصرها تلك اللحظة.. وأمامها الأمير.. سمنغ كارع يحتسى عصير العنب قام وقبَّل يديها:

- مولاتى الملكة تى

- قل لى أرجو أن أجد فيك حلمى المنشود أن تنتبه إننا فى وقت عصيب لأن الفرعون أتى بدين جديد.. دين التوحيد. إن العواصف تحيط بنا من كل اتجاه..
- إننى أؤمن بهذا الدين وأساند أخى بقوة..

يخرج الكاتب من هذا المشهد المسرحى عائدًا إلى السرد بذكاء شديد وقطع لزمن الحكاية الفرعية، ويعود لحكاية سهر والعشق والقمر، ويستكمل حكايات فتحى رضوان، وبعدها يعود للمسرحية مرة أخرى "وهنا أدركت شهرزاد أن الوقت قد مضى.. والوقت فات فتنهدت وجمعت فناجين القهوة وقالت لسهر:

"غدًا نكمل حكاية نفر.. خرجت سهر من بيت شهرزاد واتجهت إلى بيتهم.." الرواية ص ٢٨٢.

وهكذا فى كل مرة تحكى (المسرحية) ثم تختم بـ " إلى هنا صاح الديك وغدا نكمل الحكاية ياسهر.. " ص ٢٣١.

فالسيد حافظ فى الأصل كاتب مسرحى متمكن له العديد من الأعمال المسرحية المهمة[٢٠٤]؛ لذا فإن الجزء الثانى الخاص بقصة (إخناتون مع نفر) يمثل الحضور الطاغى والدراما المصاحبة لها؛ ففى ملحمة السيد حافظ المتفردة يرجع إلى العصر الفرعونى ويسرد على لسان "شهرزاد" حكاية "نفر" الروح الأولى لـ"سهر"، و"إخناتون" فى مسرحية متناغمة بين أشكال التداخل.

---

٢٠٤ – صدر للمؤلف العديد من المسرحيات للكبار منها(كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى) و(الطبول الخرساء فى الأدوية الزرقاء)،و (سيمفونية الحب)، و(مسرحية حبيبى أنا مسافر)، وله تسع مسرحيات تجريبية، وله أيضا مطبوعات مسرحية للأطفال مثل (سندس)، و(عنتر بن شداد)، و(سندريلا) و(الأمير)، و(قميص السعادة)، و (الشاطر حسن).

وعلى الرغم من معايشتنا للأحداث الفرعونية وأجواء المؤامرة على إخناتون، سواء من الكهنة أو زوجته نفرتيتى، فإننا نجد إسقاطات سياسية على العصر الراهن من خلال بعض البرديات التى يلجأ الكاتب لإثباتها. وذلك من خلال بعض العبارات التى جاءت على لسان إخناتون مثل:"أخاف على مصر من المؤامرات التى تحاك ضدها من كل صوب."

وتقوم المسرحية أساسًا على الحوار، وهو من أهم المكونات التى تعتمد عليها المسرواية كعمل يجمع بين الرواية والمسرحية، ولكن ثمة اختلاف بين الكلمة فى الحوار الروائى والكلمة فى الحوار المسرحى؛ إذ الكلمة فى الحوار المسرحى وُجدت أصلًا لكى تُنطق، وفى الحوار الروائى وجدت أصلًا لكى تُقرأ، وثمة فرق كبير بين النطق والقراءة وهو الفرق بين العمل المسرحى والعمل الروائى"[٢٠٥].

يُعد الحوار تمثيلًا للتبادل الشفهى، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفيته، سواء كان موضوعًا بين قوسين أو غير موضوع[٢٠٦].

ويختلف الحوار المسرحى عن الحوار الروائى بقدر ما تختلف المسرحية عن الرواية؛ فالفرق يعود إلى طبيعة كل نوع وإلى وظائف الحوار فى كل منهما ونسبته إلى مُجمل النص.

وقد حدد د.لطيف عدة نقاط تجعل الحوار الروائى وسيلة من أهم وسائل الاتصال وتميزه عن وسائل الاتصال- تبادل الكلام- الآخرى:

٢٠٥- فتوح أحمد: لغة الحوار الروائى، فصول ، المجلد الثان ى،، العدد الثانى،كانون الثانى، ١٩٨٢م،ص ٨٣-٩٠.

٢٠٦ - لطيف زيتونى: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط٢٠٠٢،١م، ص٧٩.

١- الحوار المسرحى مباشر يقدم الشخصيات ويستعيد ماضيها، بينما الحوار الروائى قصير يعتمد التلميح ويساعد على اقتصار السرد.

وهذا نموذج للحوار فى الجزء السردى الخاص بحكاية (سهر والعشق والقمر)؛ حيث ببلوغ سهر أنثويًا "ذهبت بها الأم إلى شهرزاد العرافة وقالت لها:

البنت صارت أنثى..

زغردت "شهرزاد" العجوز.. نثرت عليها بخورًا به حبهان وعين الشيطان حرقتها فى النار.. " الرواية ص ١٥.

وجاء هذا الحوار فى النص السردى قصيرًا يعتمد على التلميح؛ فالعبارات لا تحتمل أكثر من تلك الإشارات التى جاءت على لسان الشخصيات.

٢-الحوار المسرحى هو أصل النص، بينما الحوار الروائى محدود؛ لأن الإكثار منه يضر بانسياب السرد ويُشتت الحدث ويضيع انتباه القارئ.

٣- الحوار المسرحى مشاهد متوالية مترابطة - إلا إذا حسبنا الملاحظات التى يدونها الكاتب المسرحى فى بدايات الفصول والمشاهد نوعًا من السرد القصير- بينما الحوار فى الرواية يخضع للسرد ويتكيف بمقتضاه. وهذا ما لاحظه البحث فى المسرحية (حكاية إخناتون مع نفر).

٤-الحوار المسرحى مسموع وغير قابل لإعادة السماع، بينما الحوار الروائى مقروء ويمكن تكرار قراءته.

٥- يستفيد الحوار المسرحى من لغة إضافية قوامها حركات الممثلين وإيماءاتهم وهيئاتهم، بينما الحوار فى الرواية محصور فى إطار اللغة. وهو ما سوف يعرضه البحث فى الأمثلة الآتية.

٦- تختلف أسلوبية الحوار المسرحى عن الروائى؛ فالحوار الروائى ليس كلامًا مسجلًا بل هو إعادة إنتاج لكلام الشخصيات خاضعة لشروط يختلف الكتاب فى تطبيقها. وهو يستدعى إعادة تكوين الوضع من خلال وصف المكان وذكر عبارات تعوض عناصر المقام الغائبة - خشبة المسرح- هذه العناصر تتعلق باتجاه الخطاب، وبنغمية الخطاب، وبشدة النبر، مثل الحوار الآتى بين (نفر، والملكة ميريت) ابنة إخناتون.

فى اليوم التإلى كانت ميريت جالسة فى البستان ومرت نفر من جوارها شمت عطرها

صاحت ضاحكة:

- أنت يامتعطرة بأيدى السماء.. أنت يانفر تعال..

فرحت نفر من نداء الأميرة ميريت وذهبت إليها مسرعة..

- أميرة الأميرات ميريت العزيزة..

- كيف حالك يانفر أتدرين أنت جميلة وتلفتين نظر كل من شاهدك

- أنا فقيرة بنت فقيرة يامولاتى الأميرة..

- سمعت أن حور محب معجب بك وتلتقين به سرا

اندهشت نفر نظرت لها وهزت رأسها فى غضب ناعم:

- يا مولاتى.. أنا لم أقابله إلا أمس صدفة وطلب منى الزواج.

قامت نفر غاضبة:

- طلب منك الزواج أنت؟
- نعم وأنا لم أوافق.
- قلت له ذلك؟
تركته ومشيت..
قالت ميريت وهى تكتم غيظها:
- هل ستوافقين ياتفر الجميلة؟
- لا.. مولاتى الأميرة.
- رائعة أنت.. أنت أميرة جاءت خطأ من أبوين فقيرين..
ضمتها ميريت إلى صدرها وسط دهشة نفر.." الرواية ص ٣٥٢-٣٥٣.
ويتميز الحوار المسرحى السابق:
١- تحديد مكان الحوار (فى البستان).
٢- بوجود حركة للممثلين وتفاعلاتهم (شمت عطرها- اندهشت نفر- قامت نفر غاضبة- قالت ميريت وهى تكتم غيظها- ضمتها ميريت).
٣- جاء الحوار بين الطرفين المتحاورين فى جمل قصيرة لكيلا لا تتحول إلى خطب متبادلة. أما الرواية فإنها ولطبيعتها المرنة تتيح مجالًا أوسع للوصف وللعرض حيث يتحرك فيها الشخصيات وتدور فيها الأحداث[٢٠٧].
٣- الكشف عن تعلق الملكة تى بالقائد حور محب ، وكشف عنه استخدام الفعل (ضمتها ميريت إلى صدرها).
٤- إظهار جمال نفر وعطرها (أنت يا متعطرة بأيدى السماء) .

---

٢٠٧ - عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية (دراسة فى الرواية المصرية) مكتبة الشباب، المنيرة- القاهرة ،سنة ١٩٨٢م،ص ٢٠٧.

ثم تتوقف حكاية شهرزاد (عن إخناتون ونفر) وينتقل الحدث برشاقة من "طيبة" فى زمن الفراعنة إلى "القاهرة" فى السبعينات حيث فتحى رضوان الثورى والكاتب، ومن خلال الحوار بينه وبين ناهد نتعرف على شىء من تفاصيل تاريخ مصر وخاصة الإسكندرية (بلد فتحى رضوان).

وبعدها ينطلق الكاتب وتتصاعد حرارة الرقص على هزائم وأسرار الإنسان ونعود إلى قصة "إخناتون" فى طيبة فنراه يراقب قرص الشمس فى الغروب ويسجد له .

وهكذا جاء الحوار فى قصة (سهر والعشق والقمر) مقتضبًا سريًعا لا يشغل حيزًا كبيرًا من النص، أما المقاطع المسرحية فى (حكاية أخناتون مع نفر) فقد هيمن عليها الحوار وكان من أهم سماتها الفنية.

رابعًا: التداخل مع السيرة الذاتية

من داخل الرواية الإطار تتولد حكاية فرعية هى السيرة الذاتية للكاتب الذى يرتدى قناع شخصية "فتحى رضوان خليل"، ومن ثَمّ يأتى القص بضمير المتكلم فى المقاطع السردية من منظور فتحى رضوان.

وقد جاءت معظم حواراته فى المسرواية بضمير المتكلم، فكان هو الراوى الأساس فى الحوار"ياناهد الكتابة تعوض لى بعض أيام من عمرى الذى سرقه الوطن منى.. سوف أمضى وحدى أمام الله ومعى ماكتبت حتى يغفر لى مافعلت.. " الرواية ص ٢٣٦

ومن خلال نظرة المثقف اللاذعة يحكى عن مصر وما يحدث فيها، ويتخذ من الإسكندرية نموذجًا مصغرًا لما يحدث فى مصر عامة، ويُسجل بنظرة المثقف الشمولى التناقض فى أشياء كثيرة "ياناهد هذه مصر العبيطة.. المدينة التى

حيا بها مدينة الإسكندرية جزء من مصر التى هى جزء من الوطن العربى.. مصر تسمى أسماء الشوارع بأسماء القاتل والمقتول.. فى القاهرة فى حى الزيتون.. اسم بشارع طومان باى البطل الذى قاوم الاحتلال العثمانى.. والشارع المقابل له باسم سليم الأول العثمانى، الذى قتل طومان باى.. فى عقل مصر عقلين.. عقل عظيم وعقل عبيط.. وفى الأقصر معبدين معبد للإله أوزوريس ومعبد للإله ست قاتل أوزوريس. من يريد أن يصلى لإله الشر يصلى.. ومن يريد أن يصلى لإله الخير يصلى.. أنا لست القاتل ولا المقتول" الرواية ص ٢٣٥.

ولا يخفى لنا الكاتب ملامح شخصيته "مكبل أنا باللون الأبيض ويفضحنى البنفسجى بعشقه السرى لى" الرواية ص ٢٣١. فالكاتب صاحب رأى وثقافة عالية، وهوشفاف لا يحب تزوير الحقائق وإنما يحب البراءة والإخلاص الذين يعكسهما حبه للون الأبيض، والرومانسية والخيال الواسع الخصب الذين يفضحه بهما اللون البنفسجى.

فالسيد حافظ ممثل فى شخصية " فتحى رضوان خليل" مشغول بهموم الأمة وحال الكتاب والمثقفين عامة "أنا أعرف عندما لا أستطيع فعل أى شىء.. أمسك بالقلم كى أشعر بالقوة.. وعندما أترك القلم أبكى.. أحن لغسل الروح.. إنه وقت البكاء المقدس" الرواية ص ٢٣٢.

ويتضح أكثرمن هذا فى الحوار مع ناهد

- يا فتحى لماذا تكتب؟
- كى أحرر نفسى من القلق.
- هل تشعر بالتحرر عندما تكتب؟

- نعم وأشعر بالخبل والهذيان وحمى الأنبياء كأننى فى رحلة خارج الزمان.. والمكان.. لأكتشف أنى إنسان.. عندما أكتب أشعر بالمتعة والألم.. أملًا أن يشعر القارئ بهذا.." الرواية ص ٢٣٣.

وفى هذا الجزء الحوارى بين فتحى رضوان مع ناهد حبيبته يسرد لنا فتحى حكايته مع الإسكندرية، وهاهو يسرد لنا معاناته من الكتابة "أشرقت فى نفسى لحظة أكتشفت فيها أن الوجع ليس له هوية وليس له ميناء اكتشفت أن حب الوطن والكتابة عناء ألقيت أشواقى على أحرف اسمك ياوطنى.. فتحولت على الورق إلى ثلاث زهرات ذابلة.. الوطن يذبل ويموت كالزهور ثم يحيا بعد أن نلقى فيه ببذور عشق جديدة" الرواية ص ٣٥.

ويسرد أحيانًا عن ألمه بضمير الغائب "فتحى رضوان ضحية الزمان والمكان.. فمصر زمان ومكان.. زمان مستتر بالتماثيل والآثار وفى الداخل انهيار وعفن يسرى فى النفوس قبل الشوارع منذ سبعة آلاف سنة" الرواية ص ١٨٤. فالكاتب ملَّ من كثرة الحوادث المتكررة فالحاضر هو وليد الماضى، والشعب كالتماثيل لا يتحرك له ساكن، والمثقف هو الضحية فى ذلك الزمان .

ويكثرالجانب التوثيقى فى الجزء الخاص بفتحى رضوان ، فأحيانًا نجد الكاتب يثبت صفحات من مذكرات محمد فريد، أو يثبت بيان ٣٠ مارس الذى ألقاه جمال عبد الناصر عام ١٩٦٨م للإصلاح السياسى، أو يلجأ إلى التفسيرات اللغوية فى بعض الأحيان مثل تفسير كلمة الطاغية " يذكر البستانى تحت كلمة طاغية ويقال: طغى فلان أى أسرف فى المعاصى

والظلم، والطاغية: الجبار، والأحمق،.. والمراد به هنا تولى حكمًا فاستبد وطغى وتجاوز الاستقامة والعدل" الرواية ص ١١٠.

كما يذكر فتحى رضوان – الشخصية التى تعكس الكاتب نفسه– أسماء وأماكن بعينها كانت لها حضور فى الواقع الثقافى مثل قوله فى شكواه لوزير الثقافة الدكتور ثروت عكاشة عام ١٩٦٩م " بالإسكندرية قصران للثقافة الأول فى شارع طريق الحرية يسمى قصر ثقافة الحرية القائم عليه اسمه محمد غنيم.. يمتاز بالثورة الكلامية ويرفض فكرة تكوين اتحاد كتاب الأقاليم التى يطالب بها بعض الكتاب وطردهم من القصر، وبها فرقة مسرحية مع مخرج هارب من القاهرة يدعى أنه يقدم مسرح الجيب".الرواية ص ٢٣٥.

خامسًا: التداخل مع الشعر

تعددت وتنوعت عتبات السيد حافظ فى فواصله الكثيرة؛ إذ نرى عتبات لجبران خليل جبران، ونزار قبانى، وميخائيل نعيمة، وأدونيس، ويوسف الخال، ومحمود درويش، وصلاح جاهين، وعبد الرحمن الأبنودى، وحافظ إبراهيم، وغيرهم، كما وجدت مقولات للكاتب نفسه، إلى جانب عتبات قرآنية، وإنجيلية، ومقولات لإخناتون، بل إننا نجد عتبات لأبطال المسرواية مثل فتحى رضوان خليل، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١– الشعر العامى

لا يخفى على القارئ اللغة الشعرية التى ينبض بها قلم السيد حافظ ، فنحن أمام موسوعة فكرية أدبية رصينة تجريبية جديدة، يقول بعلو صوته فى فواصل كثيرة فى المسرواية من رباعيات صلاح جاهين:

ياطير ياطاير فى السما طظ فيك

ما تفتكرش ربنا مصطفيك

برضك بتاكل دود وللطين تعود

تمص فيه ياحلو ويمص فيك

بعد أن رأت شهرزاد فى منامها أن طائرا ضخمًا قبيحًا خطف "سهر" و"سهر" تصرخ.. قامت شهرزاذ وشربت شربة ماء. ثم ذهبت إلى سهر للاطمئنان عليها، لتجدها هى الآخرى قد حلمت بكابوس"رأيتنى ياخالتى "شهرزاد" أطير فى السماء وحولى تحت الأرض نيران وطائر صغير يحملنى وأخاف أن أقع كنت أصرخ فى الحلم خفت من النار؟"

لا يتخلى السيد حافظ عن ذائقته الشعرية فى اختيار اقتباساته المتعددة ، فها هو بمقطع جاهين يحكى حقيقة فناء الإنسان مستغلا وجود الطير فى منام سهر وشهرزاد.

وهكذا فإن استدعاء السيد حافظ لهذه المداخلات والاقتباسات ماهو إلا إدراك تام منه لأهمية العنصر الشعرى فى الكتابة السردية، وقدرة النص الشعرى على تجسيد التجربة فى كلمات قليلة كالرباعيات وهى غاية الكاتب التى أرادها.

٢- شعر الفصحى

ينسب السيد حافظ كل نص من اقتباساته لقائله فينسب قصيدة "آخر عصفور يخرج من غرناطة" لصاحبها نزارقبانى

النفط يستلقى سعيدًا تحت أشجار النعاس

وبين أثداء الحريم

هذا الذى قد جاءنا
بثياب شيطان رجيم
النفط هذا السائل المنوى
لا القومى
لا العربى
لا الشعبى" الرواية ص ٢٠٣

والنص يتوافق تمامًا مع صاحب النفط الثرى الذى جاء اسمه متوافقا مع صفته "منقذ" هو عريس سهر الثرى ابن الأسرة المحترمة والذى يعمل فى بلاد النفط، والذى تنبأت به شهرزاد لسهر، وهو الذى سيأخذها إلى بلاد العجب والمال والسيارات.

وفى الحقيقة تحتاج هذه العتبات إلى دراسة فنية منفصلة؛ لكثرتها وتنوعها، فقد امتعت القارئ وأضافت قيمة جمالية فنية. كما كسرت الملل الذى قد يُسببه كثرة السرد ،فجاءت الفواصل بين الإمتاع الجمإلى والفنى المعرفى.

ونذكر قصيدة أخرى لأحمد فؤاد نجم، فبعد ذكر سبب نكسة ١٩٦٧ وطغيان العسكر وعبد الناصر، قدّم لمعنى كلمة الطاغية ثم استشهد فى فاصله بشعر أحمد فؤاد نجم

"تبوس إيد سيادتك ورجلك كمان
تخليك معانا ياريس عشان
وجودك ضرورة فرضها الزمان
ومن غير وجودك حقيقى نضيع
دى مصر بتاعتك واحنا ضيوفك

كفايا علينا ياريس نشوفك" الرواية ص ١١١.

٣- الشعر الحديث

ويتداخل السرد مع الشعر داخل القصيدة، حيث تمتلئ جعبة الكاتب الحافظية بالشعرية والسردية مثل قصيدة محمود درويش "البنت الصرخة" تلك القصيدة التى أبكت الجميع .

"على شاطئ البحر بنتٌ، وللبنتِ أهلٌ
وللأهل بيتٌ. وللبيت نافذتانِ وبابْ..
وفي البحرِ بارجةٌ تتسَلَّى بِصَيْدِ المُشَاةِ
على شاطئ البحر: أربعةٌ، خمسةٌ، سبعةٌ
يسقطون على الرمل. والبنتُ تنجو قليلاً
لأنَّ يداً من ضبابْ
يداً ما إلهيَّةً أسْعَفَتْها
يا أبي! قُمْ لنرجع، فالبحر ليس لأمثالنا!
لم يُجِبْها أَبوها المُسَجَّى على ظلِّهِ
في مهبِّ الغِيابْ
دَمٌ في النخيل، دَمٌ في السحابْ
يطير بها الصوتُ أعلى وأَبعدَ
من شاطئ البحر.
تصرخ في ليل بَرّيّة،
لا صدى للصدى.
فتصير هي الصَرْخَةَ الأبديَّةَ في خَبَرٍ

عاجل لم يعد خبراً عاجلاً عندما
عادت الطائرات لتقصف بيتاً بنافذتين وبابْ" الرواية ١٥٨.
وتجتمع كل عناصر القصة فى القصيدة، فالزمان: زمان المجزرة، والمكان: شاطئ غزة، والشخصيات: الطفلة- الأهل- الأب، والأحداث: بارجة صهيونية تقصف الشاطئ وتقتل الأسرة.

ويلاحظ البحث أن التداخلات جميعها جاءت فى الجزء الأول مع حكاية (سهر والعشق والقمر)، أما الجزء الثانى الخاص بحكاية إخناتون مع نفر فاكتفى الكاتب بذكر رباعيات مولانا جلال الدين ابن الرومى التى تناسب حالة الوجد الصوفى بين كاظم (معلم سهر) وسهر الذى لم يعبر عن حبه واكتفى بولعه وسحر عطرها من بعيد؛ ويرجع السبب فى ذلك أن الجزء الخاص بالمسرحية أكثر حيوية من خلال الحوار، والحركة، والمفارقات الزمنية من الماضى إلى الحاضر والمستقبل.

فبعد تقديم الإهداء لأخيه رمضان حافظ فى الجزء الثانى، ثنى بمقولة لفتحى رضوان أحد أبطال الرواية ثم ذكر نشيدًا لإخناتون، وآية من إنجيل مرقص، وكانت مقولة فتحى رضوان معبرة عن الحالة العامة والسياسية للبلاد "الصراعات والمتناقضات التى يمر بها شعبنا الآن هى القوة المحركة للتاريخ.. ليس عيبًا أن أى ثورة بلا مبادئ.. معظم الثورات التى كان لها مبادئ سقطت وقتلت.. نحن نحتاج إلى ثورة عقلية.. متى ينتهى الصراع المفجع بين العبد والسيد.. إن معظم المبادئ خادعة وليست حقيقية" الرواية ص ٢١٤.

ويذكر الكاتب فى فواصله العديد من الأشعار التى تناسب الفكرة التى يطرحها من خلال السرد أو المسرح، مثل رباعيات مولانا جلال الدين ابن الرومى التى جاء ذكرها بعد حالة كاظم - المدرس العاشق لسهر- وما أصابه من حمى فى جسده، وعشق فى قلبه.

"القلب سالك. المعرفة تلين

الجسم ليس منفردًا كجيفة

لكنه غريب كحبة ملح

لا تزال على طرف الجبل" الرواية ص ٢٨٧- ٢٨٨.

وهكذا حاولت الدراسة، أن ترصد تداخل المسرح مع الرواية االمعاصرة وحاولت إلى جانب ذلك أن تلاحظ التداخلات الآخرى فى حلقة القصص مع الحكاية الشعبية ومع فنون حديثة كالسينما، ومع الشعر الغنائى كما لاحظ البحث أن هذه التداخلات كان لها أثرًا فى التماسك النصى العام- وإن طغت على المنظور الأساس الذى تنطلق منه الرواية مع المسرحية-.

وعلى الرغم من هذا التداخل مع المسرحية فى ملحمة السيد حافظ الرائعة إلا أن الترابط والتناغم الشديد بين أجزاء المسرواية جعل منها وحدة واحدة شديدة التناغم بين المشاهد ، كما جعلت نفس المتلقى فى مواجهة قوية مع حاضره وماضيه وزمانه ومكانه.

وقد استطاع السيد حافظ ذلك المبدع الفذ أن يصنع عملا متميزًا وفكرا مغايرا، يُسجل به حقبة فنية جديدة فى الفن المسرحى والروائى؛ ففى مساحة إبداعية شاسعة مُلأت بالحياة، والصيرورة لتكسر الرتابة الأدبية، وتحقق

الإمتاع الفنى جاءت "قهوة سادة" منيرة الطريق للواعين من أبناء الجيل للنهوض والبحث عن ذواتهم وأرواحهم الغائبة .

وضع السيد حافظ فلسفته الخاصة فى الفكر فجاء العمل يجمع كل ركائز التكوين الإنسانى: الأخلاقى والسياسى والدين والحضارى والاجتماعى والثقافى؛ ليصنع للمتلقى فكرا مغايرًا وإنتاجًا ثقافيًا ناضجًا يضع فيه فلسفته فى كتابته الجريئة الجادة فى محاولة لاستنهاض الهمم والعزائم من الركود، وأعمالا للعقل للتشبث بكل ما له قيمة فنًا وإبداعا، فهنيئًا للقارئ العربى تلك الفسحة العقلية المتنوعة وهنيئًا للمكتبة العربية هذا القلم الجاد الحر. ولا يزال القارئ المثقف فى انتظار المزيد من الجعبة الحافظية ومشروعها الكبير.

استطاع السيد حافظ بتمرده على البنية الشكلية للرواية أن يتخلى عن الحبكة الفنية للرواية الواقعية، واستبدلها بالتصميم الفنى للفنون التشكيلية. قافزًا بوثبة عالية على الأنواع الأدبية الفنية منها وغير الفنية؛ مفيدًا من تقنيات المسرح والسينما والسيرة الذاتية والكتابة الصحفية.

□

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

السيد حافظ: قهوة سادة (رواية)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.

ثانيًا: المراجع:

- أرسطو: فن الشعر ،ترجمة: إبراهيم حمادة ، مكتبة المسرح ، رقم ٣ ، مركز الشارقة للإبداع الفكرى ، د . ت، د. ط.
- آمال شوقى محمد: الجنة والنار فى التراث الإسلامى قبل الإسلام (دراسة فى ضوء تاريخ الأفكار) الدراسات العربية فى عالم متغير، المؤتمر الأول لقسم اللغة العربية ، ٢٥-٢٧نوفمبر ٢٠١٤، وحدة رفاعة للبحوث وتنمية المعلومات اللغوية والترجمة، كلية الألسن، جامعة عين شمس،ج ٢.
- برتولد الطائر: مختصر علم آباء الكنيسة، عربه بتصرف الأب كامل وليم ،ج١، دت ، دط.
- بول فان تيجم، المذاهب الأدبية الكبرى فى فرنسا ، ترجمة: فريد أنطونيوس ، ط ٣، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ١٩٨٣ م .
- تيرى إيجلتون: مقدمة فى نظرية الأدب، ترجمة:أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ):كتاب التعريفات ،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،الطبعةالأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ج ١ .

- حنان مصطفى أحمد على: التقنيات الفنية فى الرواية المصرية الحديثة" منذ سنة ١٩٧٣إلى نهاية القرن العشرين"،كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- خيرى دومة: تداخل الأنواع فى القصة القصيرة(١٩٦٠-١٩٩٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- عبد الرحيم الكردى:السرد الروائى وتداخل الأنواع نماذج من الرواية المصرية المعاصرة، مؤتمر أدباء مصر"أسئلة السرد الجديد"الدورة الثالثة والعشرون، محافظة مطروح، ٢٠٠٨م .
- رشيد قريبع: الرواية الجزائرية المعاصرة وتداخل الأنواع ، جامعة منتورى قسنطينة.
- رشيد يحياوى ، مقدمة فى نظرية الأنواع الأدبية ، المغرب ، إفريقيا الشرق ، ط٢ ، ١٩٩٩٤ م .
- رولان بارت: موت المؤلف، ضمن كتاب (درس السيميولوجيا) ترجمة: عبد السلام بنعبد العإلى، تقديم: عبد الفتاح كيليطو،دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،ط٣، ١٩٩٣م.
- رينيه ويلك، مفاهيم نقدية، ترجمة:د.محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.
- الشهرستانى (أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبى بكر أحمد): الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل ،مؤسسة الحلبى ،القاهرة،ج٤.
- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامى، ١٤٠٤هـ، ج١.

- د. فايزة محمد سعد: " كل من عليها خان ، البنية والدلالة وجماليات التشكيل، رواية(كل من عليها خان) للسيد حافظ ، مركز رؤيا للنشر، ٢٠١٦ م.
- عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية (دراسة فى الرواية المصرية) مكتبة الشباب، المنيرة- القاهرة ،سنة ١٩٨٢م.
- فتوح أحمد: لغة الحوار الروائى، فصول ، المجلد الثانى، العدد الثانى، كانون الثانى، ١٩٨٢م.
- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ): جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ١.
- عبد المنعم تليمة: مداخل إلى علم الجمال الأدبى ومقدمة فى نظرية الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م .
- ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، مج ٣، مادة (جنس).
- لؤى على خليل:
- تداخل الأنواع بين القاعدة والخرق، مجلة دمشق، المجلد٣٠ ، العدد٣،٢٠١٤م.
- نص السيولة والصلابة (دراسة فى تداخل الأنواع)، ضمن مجلد (تداخل الأنواع الأدبية ، مؤتمر النقد الدولى الثانى عشر)المجلد الثانى، الأردن ،عمان عالم الكتب الحديث ،إربد ، ٢٠٠٩ م.

- لطيف زيتونى: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النـهار للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مـهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ):معجم الفروق اللغوية،تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»،الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ج١.

الدوريات:

- دينا نبيل: الموتيف فى رواية "قهوة سادة" مجلة أدب ونقد، مجلة الثقافة الوطنية الديموقراطية، العدد ٣٥٤، نوفمبر ٢٠١٦م.
- وليد الخشاب: عندما تلجأ الرواية للمسرحية (عن المسرواية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مج ١٢، عدد ١ ، ١٩٩٣ م .

السيرة الذاتية
آمال شوقى محمد يحيى

- الوظيفة: مدرس مساعد بقسم اللغة العربية– جامعة عين شمس.
- حاصلة على ليسانس الألسن فى اللغة العربية دور مايو ٢٠٠٨م بتقدير عام جيد جدًا مع مرتبة الشرف .
- ثم حصلت على تمهيدى ماجستير دور مايو ٢٠١١ م.
- قامت بالتسجيل للحصول على درجة الماجستير بالقسم فى تاريخ ٢٣ /٣/ ٢٠١٢ م.
- ناقشت الماجستير فى الأربعاء٩/ ٤/ ٢٠١٤م.
- قامت بالتسجيل لدرجة دكتوراة الألسن فى ٨/ ٦/ ٢٠١٥م.

الأنشطة الثقافية:

- المشاركة فى المؤتمر الأول لقسم اللغة العربية، كلية الألسن جامعة عين شمس فى الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ نوفمبر ٢٠١٣م. ببحث بعنوان " الجنة والنار فى التراث الدينى قبل الإسلام دراسة فى ضوء تاريخ الأفكار ضمن محور الدراسات الأدبية.
- المشاركة فى ملتقى القاهرة الثانى للنقد الأدبى دورة عبد القادر القط، بمشاركة سبعين باحث وناقد ومتخصص من مصر ومعظم الدول العربية وأذربيجان تحت عنوان" الحوار مع النص – دورة عبد القادر القط" والذى عقده المجلس الاعلى للثقافة في الفترة من ٨ إلى ١٠ مايو ٢٠١٧ ضمن محور الحوار مع النص السرى وذلك ببحث بعنوين" تداخل الأجناس الأدبية فى الرواية العربية"قهوة سادة نموذجًا".

الدورات التدريبية التى تم الحصول عليها

- دورة "النشر الدولى "فى الفترة ٤- ٦ /٧ /٢٠٠٩ م.
- دورة "معايير الجودة فى العملية التعليمية " فى الفترة ٣٠-٦ إلى ٢-٧ /٢٠٠٩ م .
- دورة "تنظيم المؤتمرات العلمية " فى الفترة ١٢- ١٤/ ٩ /٢٠١٠ م.
- دورة "آداب وسلوكيات المهنة " فى الفترة ١٢- ١٤ /١٠ /٢٠١٠م.
- دورة "أخلاقيات البحث العلمى " فى الفترة ٢٣- ٢٥ /٦ /٢٠١٢ م.
- دورة "إدارة الوقت والاجتماعات " فى الفترة ١٤ -١٦ /٥ /٢٠١٣ م.
- دورة "إرادة التغيير" فى الفترة ١٤-١٥ / ٥/٢٠١٧م.
- دورة "بنوك الأسئلة والاختبارات الإليكترونية" فى الفترة ١٧-١٨/٥/٢٠١٧م.
- دورة"إدارة الفريق البحثى" فى الفترة ١٦- ١٧/ ٥/ ٢٠١٧.

كلمة عن
القاصة والناقدة (إيمان الزيات)

إيمان الزيات كاتبة قصة قصيرة، ناقدة تحمل الكثير من البشائر لمستقبل الثقافة الأدبية والنقدية العربية، فقد برزت ككاتبة وناقدة في الساحة الثقافية في الإسكندرية وتلقفتها واحتضنتها القاهرة بالترحاب في مجلات القاهرة ومجلات الوطن العربي وهي الآن تعتبر من الأسماء المهمة في الساحة الثقافية العربية في مجالي (الأدب والنقد) كثيراً ما تسعى وسعت إلى التطوير والتجديد في مجالاتها الأدبية.. استخدمت أسلوب نقدي حديث لتتميز عن غيرها من جيلها، وهذه هي سمة المجددات والمجتهدات بالرغم من طراوة الشهرة بكونها فتية في الأدب والنقد لكنها تميزت بالإبداع في مجالي القصة القصيرة والنقد. فقد لمست فيها قاصة وناقدة حرة مستنيرة رافضة لكل التخلف والتقليد وداعمة جدية للتطور والتحرر مما يتعلق بأوجه الحياة المختلفة ثقافياً ودينياً، رافضة لكل التحديات وفق برنامجها التطوير والتجديد والبحث وابتكارها أسلوب سلس يصل إلى الهدف الذي تشدو له في تطوير أجناس الأدب. وهنا يوضح لنا فكر وثقافة الناقدة (إيمان الزيات) كونها ركزت على الخليط الذي يجمع المتناقضات. ويقطع فيها الاتصال السردي. واستخدامه الأصناف الأدبية المركبة والأحداث والرسائل والأقوال التي تخترق السرد أي أنها كتابة غير نوعية أو انها امتداد لتلك الكتابات التي تتشكل بخلط مجموعة من العناصر الأدبية (كالشعر والقصة والمقالة والمسرح والواقعية والأخبار والصور) والمزج بين تقنياتها في عمل أدبي يسمح باندماجها واختلاطها في متنة.. وهذا ما يسمى (بالهجائيات المينيبية) فأكدت

الناقدة والقاصة (إيمان الزيات) على أن المسرواية (طاعنة بالسن) لم تستحدث حديثاً بل ترجع ولادتها إلى (القرن التاسع عشر الميلادي) وهي شكل أدبي تتعاقب فيه صيغتين (المسرحية والسردية) تتفاعل مع الأجناس الآخرى بخاصية الحضور عن طريق (الصوت والحوار والخطاب) ولم تتغاضى الناقدة الواعدة المتطورة المبتكرة للتجديد مهارة الماضين (كتوفيق الحكيم) في بنك القلق، و(يوسف أدريس) في نيويورك ٨٠ والمزج بين الحاضر البصري والماضي المستحضر.. هنا تتسائل القاصة والناقدة (إيمان الزيات):

لماذا استحداث واستخدام المسرواية؟.. ربما الأسلوب؛ حيث أن السرد يجعل القارئ يبتعد من القراءة وينتابه الملل فلم يكمل قراءة الرواية. لأنها لم تجد نفعاً كما أطلقت عليها الناقدة (إيمان الزيات) الثوب المهترئ.. لذلك كان على المسرواية أن ترتق هذا الثوب ليظهر بحلته الجميلة زاهية ألوانه متجددة خلايا نسيجه منقوشة بالإبداع وخلط عطور الأدب بجميع أنواعه كما أبدع (الكاتب والروائي السيد حافظ) في تجديد خلايا الرواية في نص مشروعه السباعي للمسرواية بإبداع ليس له مثيل.. بإظهار الشخصيات مقترنة بالزمان والمكان بدلاً من خشبة المسرح لخلق وعي بالموضوعات التي طرحها المؤلف والكاتب.. فهنا أشارت الناقدة إلى نظرية (ميخائيل باختين):

أن الرواية معجونة بعجينة أخرى مختلفة عن الأجناس ومكتملة ولها ذات مختلفة أيضاً.. لذا تعد بهذا الشكل أي أنه (معها وفيها ولد مستقبل كل الأدب.. وأن الرواية وحدها لاتملك قانوناً.. وهنا يجب أن نعترف ونذكر حقيقة.. هي قنبلة العصر لقد حققت المقولة يا نبراس الكتابة للمسرواية وعنوانها (حتى يطمئن قلبي) عندما ولدت لنا الروح الخامسة (لسهر) وهي

(لامار) بعد الأرواح الأربعة (نفر و نور و شمس ووجد) مع هذه الأرواح وبها ولد نصاً أدبياً رهيباً بأوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والتاريخية والحياة والعشائرية وتركه المناصب واستمراره بالكتابة والتأليف ومقاومة الاستبداد والمكر والحقد بعقله وقلمه عن طريق ثقافته وتكوينه الفكري فدعونا نتناول مشواره الثقافي والأدبي ومؤلفاته ما بين المسرح والقصة والمقالات والسهرات التلفازية والمسلسلات ومقالاته النقدية ولقاءاته الشخصية ثم نعد إحصائية بكل سني عمره التي فناها في تقديم هذه الأجناس الأدبية ونجري مقارنه مع الأدباء المثقفين أو أشباه المثقفين.. من يستحق أن يذكر ويكرم بالنوع وليس كماً.. وهذه الدراسات شهادة العصر بإمضاء أكبر وأصدق وأبدع الأقلام الذهبية بل الزاهقه للظلم والاستبداد الفكري والثقافي والأدبي.. إن الباطل كان زهوقا.. هنا تؤكد الناقدة والباحثة على ان الأستاذ الكاتب (السيد حافظ) جمع بين الجمالية والتقنية لمجموعة من الأجناس الأدبية التي نظمها المبدع (السيد حافظ) بحرفية عالية (كأسطورة ولوحة رسمت بتناسق وتنوع مذهل رغم التباين والتجنيس، فهي منظمة متصلة يسهل فصلها ففي داخلها (السرد الروائي.. والحوار المسرحي) إذ تم حياكة هذا الثوب من جديد ليكون أجمل وأكثر أناقة مع العلم أنه لن ينتقص ما يسمى بالمسرواية فوضع أروع تصميم ضم جميع الأجناس الأدبية مما احتوى على أجمل والأجمل العتبات الفنية والفضاءات والهمسات الشعرية الموزونة وحدها إضافة رونق وشاعرية للنص الأدبي عند (السيد حافظ) ومنها.. أفتح صندوق الدنيا فأجد العراق وألقي بالشر الذي حاول ألف مرة أن يقتلني في مصر ونجاني الله منه..

في العراق أفتح صندوق قلبي أخرج منه ألحاناً وأشعاراً للسياب والبياتي والجواهري وأحمر شفاه من عراقية شفتيها ألحان وفي رقبتها عقد فل..

همسة

أنت في عين كل الرجال.. وردة جميلة ولكن أنت لي عالمي وسمائي وكياني وتقشفي ونسكي وسفر روحي وانعزال عن نزوة العشق الفاني..

ولا يسعني هنا بعد أن حلقت بسماء لغة القلم المتجدد للقاصة والناقدة والباحثة (إيمان الزيات) برقيها وتطويرها المتألق لتلتحق في رحاب قامات النقد الأدبي لتلتقي بكوكبة الأقمار (ناقدات الوطن العربي) ليضئن سماء الثقافة العربية للأدب والنقد الأدبي الحديث المبني على الأسس والمعايير الجمالية والتقنية والفلسفية الجمالية والروحية الشعرية وتطوير الذات العربية للثقافة الأدبية.

قراءة فى رواية (كل من عليها خان)
للأديب الكبير السيد حافظ
(رواية كل من عليها خان ونظرية اللعب الحر)
بقلم: ايمان الزيات

إن من الصعوبة بمكان لي عنق ذلك النص المتمرد بوضعه في إطار مدرسة سردية بعينها.. وإنما كل ما نستطيع رصده هو ظهور تلك الروح التفكيكية فيه وذلك بتحطيمه لكل ماهو جاهز ومؤطر ومشكل ونظامي سواء كان نظرياً أو ثقافياً أو تاريخياً من خلال فك النص وإعادة تركيبه وبنائه على أيدي قارئيه ومحلليه وناقديه.. بحضور الدوال وتغييب المدلول وبمعطيات المنهج التفكيكي التى صاغها (جاك دريدا) ومن أهمها:

الاختلاف

الذي يسمح بتعدد التفسيرات بعد مد القارىء بسيل من الاحتمالات مما يدفعه بالعيش داخل النص وبالمحاولة المستمرة لتصيد موضوعية المعنى الغائبة.

ومعط أساسياً آخر شديد الأهمية في هذا النص ألا وهو (نظرية اللعب الحر) اللامتناهي لكتابة ليست منقطعة عن الحقيقة ومستلهمة من أفق واسع للمرجعيات الفكرية والفلسفية والنظم وطرق التحليل وكأن الكاتب يقول لقارئيه:

(أيها القارىء العزيز..

لنلعب سويا لعبة التفكيك من الآن فصاعداً نحن شريكان في كل شىء.. منذ عتبة ولوجك لنصنا هذا فاختر ما تشاء من عناوين له فلن أسميه لك؛ فدوري في اللعبة أن أفكك نفسى أمامك فأخرج لك ذاتي

" الشاعرة / والمؤرخة / والساردة / والمسرحية / والفيلسوفة / والمتأملة / والمتبتلة / والمتبرمة / والمتجهمة / والممنهجة / والعابثة ".

سأرتدى الأقنعة وفي كل مرة حزر أنت من أكون ؟!!

وليس شرطاً أن تكون عبقرياً.. وليس هناك من مانع في أن تكون زنديقاً أو نبياً؛ فأنا أريد من الجميع أن يلعبوا معي تلك اللعبة.. وكل ما تتطلبه اللعبة الكبيرة أن تكون "إنساناً" فحسب .

سأمنحك علامات على طول الطريق بالحوار الماتع والمنولوجات الفلسفية.. والمسرحيات الموجعة.. والشعر المحلق الداهش.

سأنفخ في بوق الهداية بكشف العَور حتى لا تفكر بأنى أصعب المسألة عليك.

سأستخدم الكون والظل والضوء.. وأعري آلامي وأفتح لأحلامي طريق الشهرة بالظهور أمامك.. وكل ما أطلبه منك أن تفتح عينيك على الحقيقة.. فاذهب إلى ماوراء السرد أو قف على السطور وتعمق.. المهم أن تصل)

الواو الحافظية

لو أن لحرف أن يغير مسار السرد من النقيض للنقيض ويجمع الأضداد ويضم المترادفات في تدفق وحنو لكان هذا الحرف هو (واو العطف الحافظية) ذلك الحرف العطفي المذهل الذي يدمج المحسوس بالملموس.. ويكثفهما في جملة سردية ذاهلة تعكس مدى رحابة أفكار ذلك المبدع وتتابعها وتدفقها كشلال هادر يسري بعطاء سردي كريم.

أفاد ذلك الحرف نص المبدع أيما افادة حيث لعبت أكثر من دور بلاغي ولغوي وتقني..

فلقدعطفت العام على الخاص.

وعطفت الشىء على مرادفه.

وعطفت الصفات المفرقة.

وعطفت مالا يستغنى عنه من الكلم.

وتعالوا معي نستعرض مثالاً زاخراً وثرياً بتلك الأحجية الإبداعية الحافظية (وأنا أعرف أن الحب نبي وصبي وبهي وغبي ودني وعتي وشقي وصوفي وفجائي وصدفاوي وقدري وجنوني ومزاجي ونزوي وليس في كل وقت بتقي) .

ويشرح وجهات نظره برحابتها فيقول:

(القمر لا يعرف أسماء الناس والبلاد والعباد)

ويعرف نفسه بشموليتها فيقول:

(وأنا القاص والراوي والبعيد والداني)

لقد تجلت (واو العطف الحافظية) وتزيت وتباهت في هذا النص.. وسيندهش القارىء اندهاشات غير منقطعة بها على طول مشواره القرائي به .

الرواية لدى الأديب هنا عبارة عن معزوفة (بوليفونية) صاخبة بالتعددية في كل عناصرها ومكوناتها البنائية والتقنية.

سنجد تعددية في..

(الضمائر/ الشخوص/ اللهجات / الحوارية / وحتى في الأجناس الأدبية)

وسأكتفي هنا بالاشارة إلى (البوليفونية في الموضوعات) فلقد اشترك وتناص النص في الفكرة والموضوع مع العديد من النصوص العالمية الآخرى سلباً

وايجاباً . وعادة ما نجد النص يشترك أو يختلف مع نص واحد على الأكثر ولكن تلك ليس قاعدة من قواعد الفكر الحافظي الرحب والمتفرد .

فمثلاً لم يجلس في انتظار جودو كما فعل (بيكيت) باحثاً في عبثية الوجود، مستسلماً للزمن.. لم ينتظر أن تأتيه الحلول على طبق من ذهب إنما حلل وعرض وطرح وشرح وقدم فرضيات ومقدمات تجعل المتلقي يصل لنتائج منطقية.. كل هذا في اطار أدبي بديع .

إنها كتابة المنطق في مقابل اللا منطق .

اشترك النص الروائي الحافظي مع (مائة عام من العزلة) (لماركيز) في امتدادها الزمني.. إلا أنه عرض الأحداث بطريقة واقعية بعكس الرواية الماركيزية التى صيغت بداخل اطار خيالي.

وإذا تكلمنا عن الأنثروبولوجيا ودراسة الإنسان في أصوله التاريخية التى تمس جوانبه الإجتماعية وتطوراته الحضارية.. سنجد أن رواية (كل من عليها خان) تقف يدا بيد مع رواية (الكوميديا الإنسانية) لبلزاك الذى انصبت كتاباته أيضا على ذات الموضوع بيد أنه قد حشد في سبيله كل ما كتب من روايات حيث أن الكوميديا الإنسانية عبارة عن كل الروايات التى كتبها بلزاك مجمعة.. أما الفكر الحافظي تخير أن يحشد جيوش التقنيات ويحصن قلاع الأجناس الأدبية في هذا الصدد.. والتى تكفل للنص عناصر الدهشة والجذب والمتعة والمشاركة القرائية التى عمد إليها منذ صفحاته الأولى وحتى نقطة النهاية التى تَعد بالمتابعة القريبة.. حيث لا وجود للنهاية عند المبدع السيد حافظ فهو كما كان بلزاك يقول عن نفسه:

(أما أنا فإنني أحمل مجتمعاً في رأسي).

برعت الذات المسرحية عند مبدعنا الكبير في استخدام تقنية (كسر حاجز الايهام) أو الجدار الرابع.

تلك التقنية البريختية التى طوعها الكاتب تطويعاً مائزاً.. فلقد هدم الجدار العازل بينه وبين القارىء منذ اللحظة الأولى بمنحه حرية اختيار عنوان النص.. ثم وضع عينيه الكتابيتين عليه فبرع بالسكوت عن طريق ايقاف المد السردي قبل أن يتسلل الملل إلى نفس المتلقى ومنحه بدهاء شديد (استراحات فكرية مجانية) من خلال المسرحيات القصيرة بعد أن يقول له بصوت خارجي:

(فاصل ونواصل..

لا تذهب بعيداً)

ثم ينبهه للعودة من جديد ويقول: (عدنا.. اقرأ الآن)

وكأنه كان يتسكع في ردهات الرواية متسلياً بالصور والنظر لأفيشات أفلام وعروض مسرحية أخرى !!

تلك تقنية تجسيدية تشعر القارىء أنه يشاهد فيلماً لا يقرأ نصا .

هذا بالاضافي لجيوش الهجوم اللغوي.. وقلاع التكنيكات وعتبات التناص (اللفظى/ المعنوى / والإيحائي).

إن الكتابة لدي السيد حافظ هي فعل اليقظة الدائمة والدهشة الفريدة..

قرع طبول و دق أجراس ونداءات ونساء ومدن ومتعة لا تنقطع.

سيشهد التاريخ أننا عاصرنا رجلا شحذ طاقاته ووسائله الإبداعية وقدراته الثرية وأعلن الثورة على النمطية ورفع لواء التجديد والابتكار.. رجلا لم تساعده ظروفه بل خدمته امكاناته المتعددة.. ومنحه جرح وطنه الذي يعشقه نكهة خاصة وأنيناً مائزا ونزفاً ابداعياً زكياً. مبدع حفر اسمه على صخر كهوف لم تكتشف بعد فضمن لاسمه الخلود .

إيمان الزيات

قراءة نقدية: الهجائيات المينيبية
ونمط الكتابة عبر النوعية
بقلم: إيمان الزيات

قراءة في رواية (حتى يطمئن قلبي)
للأديب الكبير السيد حافظ

توطئة:

المينيبية هي خليط كتابي يجمع بين المتناقضات ويقطع خيط الاتصال السردي باستخدامه لمجموعة من الأصناف الأدبية المركبة والأحداث والرسائل والأقوال التي تنحرف بالسرد، أي أنها تعد نوعاً من أنواع الكتابة غير النوعية، أو امتداداً لنمط تلك الكتابات التي تتشكل بخلط مجموعة من العناصر الأدبية (كالشعر، والقصة، والمقالة.. الخ) والمزج بين تقنياتها في عمل أدبي واحد يسمح باندماجها واختلاطها في متنه.

المسرواية هي أحد نماذج تداخل الأجناس الأدبية وهو ليس أنموذجاً تم استحداثه بل هو طاعن في السن؛ إذ ترجع أصوله إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وهو شكل أدبي تتعاقب فيه الصيغتان المسرحية والسردية وتتواليان، تقوم على فكرة تراسل الأجناس بتفعيل خاصية الحضور عن طريق(الصوت/ الحوار/ الخطاب) والمزج الماهر بين الحاضر البصري والماضي المستحضر، ومن أمثلتها في الأدب العربي (بنك القلق) لتوفيق الحكيم، و(نيويورك ٨٠) ليوسف إدريس.

لماذا المسرواية؟!!

ربما لأنها النمط الأدبي الذي يقوم جنساه بشد عضد بعضهما البعض، من خلال رتق المهتريء في ثوب السرد بالحوار المسرحي من جهة لتحديد أبعاد الشخصيات واستنطاق حقائقها عن طريق تقابل وجهات النظر حول مسألة بعينها وهو ما يسمى (بالسنكريزات الحوارية)، أو استفزاز الكلمة بالكلمة بواسطة (الأناكريزات الحوارية) كما هو الحال في الحوار السقراطي، ومن جهة أخر ى: محاربة الجفاء النقدي للنصوص المسرحية بالاستغناء السردي، الأمر الذي يسد حاجة النصوص المسرحية الحتمية لتأويل نقدي يتناول دلالات المواقف والتصرفات بالشرح والتحليل، ويجسد الصورة التي أراد المؤلف أن يرسمها لكل من شخصيات مسرحيته بأبعادها (الجسمية/ الاجتماعية/ النفسية/ الأخلاقية) ويصف فضاءات الزمان والمكان عوضاً عن ضرورة مشاهدتها على خشبة المسرح، ويصبح بذلك النص الورقي بمثابة (ماكيت) مصغر للعرض المسرحي الكبير؛ فالعلاقة هنا بين الرواية والنص المسرحي نفعية تكاملية تهدف في النهاية لتخليق وعياً تاماً بموضوعات النص وأفضيته وأطروحاته الإيديولوجية.

يعتقد المنظر الروسي (ميخائيل باختين) أن "الرواية معجونة بعجينة أخرى مختلفة عن الأجناس التامة والمكتملة، وأنها ذات مختلفة، معها وفيها ولد مستقبل كل الأدب" .

ويقول(باختين): "إن وحدها الرواية لا تملك قانوناً"

في مسرواية (حتى يطمئن قلبي) تتحقق تلك المقولة فتولد لنا الروح الخامسة لسهر وهي (لامار)- بريق الذهب أو الألماس- بعد الأرواح الأربعة السابقة (نفر/ نور/ شمس/ وجد)، ويولد معها نصاً أدبياً رحيباً ومهجناً

بامتياز(لا عهد للتجنيس به) يجمع بين جماليات وتقنيات مجموعة من الأجناس الأدبية التي تم تنضيدها بحرفية عالية في مصفوفة متسقة على الرغم من تباينها، ومنظومة متصلة يسهل فصلها، يتماهى بداخلها(السرد الروائي، والحوار المسرحي)، نص تم حياكته جيداً وتوثيق عراه بالتقنيات، والإساءة إليه بقولبته داخل مسمى (المسرواية) الذي أرى أنه انتقص من رحابة العمل كثيراً، ووضع له أطراً قد يتناسى معها النقاد روعات تداخل الأجناس والأشكال الكتابية الآخرى في النص، ورحابة الفضاءات والعتبات الفنية به.

فهو يتموقع في بؤرة جامعة للكثير من الأجناس الأدبية والأشكال الكتابية التي تدفعنا للميل إلى وصفه بالنص المينيبي، الذي تستطيع أن تقرأ وتشاهد فيه مجموعة من المشاهد الحوارية المتنوعة: (حوار أفقي في السرد، و رأسي في المسرحيات، وحوار داخلي في مجموعة الهمسات والتغريدات)، وتستمتع بتقنيات الشعر (كالسجع/ الطباق/ التخييل)، وتقف على مجموعة لا بأس بها من المعلومات التاريخية والمعرفية؛ وتتمظهر بداخله أساليب المراوحة المستمرة بين (الأدبي والتاريخي/ الواقعي والخيالي/ الماضي والحاضر/ الذاتي والعام/ السيسيولوجي والاجتماعي) فيقف النص دوماً على التخوم دون السقوط في هوة التنميط.

ومن هذا المنطلق يكتب الأديب (السيد حافظ) نصوصه الروائية معلناً الحرب على النمطية وعلى نفسه؛ فلا تكرار ولا تشابه، نعم مازالت اللعبة (التفكيكية) حاضرة، ومازال القارىء يستطيع إعادة تركيب النص بطريقته تبعاً لتأويلاته الخاصة، ربما تحافظ نصوصه على ملامحها الأصولية التي بدأت بها كفكرة

(القصة الشجرية) التي تنشأ على لسان الراوية (شهرزاد) وتحكيها (لسهر) عن أرواحها المتناسخة عبر الأزمان، وتتفرع منها مجموعة من القصص الثانوية ما تلبث أن يشتد عودها وتقوى بكيفيات تجعلها لا تقل أهمية وحضوراً عن القصة الجذرية أو القصة الاطار، لكن المغايرة هنا تتمثل في كيفية الولوج إلى الشريط السردي؛ (فشهرزاد) في نص(حتى يطمئن قلبي) تتغير ثيماتها اللونية وتتوإلى من فصل لآخر من خلال مقدمة متغيرة الألوان.. ثابتة الحركات آثر الكاتب أن تتخذها (شهرزاد) كطقس خاص بها في كل مرة تستعد فيها لاستكمال الحكي كالتالي/

"ترتشف شهرزاد القهوة رشفة.. رشفتين وهي ترتدي ثوباً أنيقاً لونه أزرق.. وحذاء أزرق.. تفتح حقيبة يدها.. تخرج منديلاً أزرق يشبه منديل أم كلثوم.. يشع بحكايات حب معطرة تنتشر فتغطي الخليج.. تمسح أطراف شفتيها.. تطويه مرة.. مرتين ثم تحتفظ به في يدها اليسر ي و تخفيه بين النهدين.. تنظر يمينا شمالاً.. أماماً خلفاً ثم تهمس:"

ولقد ساهمت ثيمات (ثوب، حذاء، منديل) شهرزاد اللونية المتغيرة من الأزرق للأسود للأحمر– المنقط – والسماوي، في فتح آفاق التأويل أمام القارىء على تبدل الحالة أو الحدث مع ثبات الشخصية، أيضاً أضفت تلك الثيمات روحاً من المؤانسة، وأزاحت ملل التكرار وخلقت شغف الترقب للحالة التالية التي ستظهر بها شهرزاد، كأن القارىء سيصفح لتوه كتاباً ملوناً بالأحداث، والشخوص، والحالات الإنفعالية، والتشكيلات البصرية.

مازال الكاتب محافظاً على أسلوبه المائز والفريد في (كسر حاجز الايهام) بينه وبين القارىء، والذي استعاره من المسرح، فنجده في البدء يجيب على

تساؤل: (لماذا أكتب كل هذا الكم وكيف؟) وكأن القارىء قد ألقاه على مسامعه تواً!! فمن اللحظة الأولي لبناء النص يستحضر الكاتب قارئيه فيصبحون صناعاً ومشاركين منخرطين معه في خضم هذا الكائن الثائر والمتحور، مترقبين تمامه لمشاهدة وفهم ملامحه بوضوح، ولا ينسى أن يوجه الحديث إلى قارئه من فصل لآخر منبها إياه في مطلع كل فصل تارة بقوله: (عدنا إلى الرواية.. .)، وأخري بقوله: (ومازلنا..)، وفي الفصل الرابع بقوله: (إذا لم تكن عاشقاً لا تمر عليه وانتقل إلى الخامس..)، وفي بداية الخامس يقول: (عدنا إلى الرواية انتبه معي الآن)، ثم في مستهل السادس يخاطب القارىء من جديد قائلاً: (عدنا بعد الركعتين، نعود إلى حكاية لامار وضوء المكان لتحكي شهرزاد)،(عدنا إلى الرواية فلا تحزنوا ولا تفرحوا ولكن فكروا ماذا بعد.. !!).

ومن ملامح التجديد أيضاً في تلك التقنية خلقه نماطاً حركياً خارجياً، مغايراً لأنماط الحركة الداخلية بالنص عن طريق مجموعة من الركعات التي كان يعلن عنها من حين لآخر (كصلاة الغائب) التي تصلى على كل ذي نفع، كعالم أو مجاهد أو غني نفع الناس بماله، ولقد أداها الكاتب هنا على أرواح مجموعة من الشخصيات التي يستحضر المجتمع مواقفها وأقوالها المأثورة من رحم التاريخ إيماناً بقيمتها ودورها وانعكاساً لحاجة تلك المجتمعات إليها الآن مثل: (سعد الدين الشاذلي/ اخناتون/ جلال الدين الرومي/ نزار قباني/ محمود درويش).

ويظل الكاتب يرسل برسائله التنبيهية إلى المتلقي على طول النص وحتى النهاية بتقنية أبعدت عنه شبح الاتهام، وأسقطت قضبان الأسر المحيطة

بأنماطه المينيبية لكونها في رأي بعض النقاد ضالعة في (تغييب الوعي) لد ي القارئ، و أحد أعمدة تشتيته الأساسية.

وفضلاً عن التحديد الدائم، والتحديث المستمرة للزمان والمكان؛ فلقد حرص الكاتب على إضافة بعداً حسياً جديداً يزيد من تعميق الحالة ويرفع منسوب المشاركة النصية ألا وهو بعد (درجة حرارة الجو)، فالكاتب يريد منك أن تتعرق وتشعر بارتفاع حرارة الأحداث، أن تتراسل حواسك مباشرة مع النص، يضعك في بؤرة الشعور ويكمل المحسوس بالملموس. فيهتم بالإجابة على بعض التساؤلات التي ربما تدور بخلدك أثناء القراءة (كم الساعة/ أين نحن/ هل حرارة الجو مرتفعة أم أنا فقط من أشعر بتلك السخونة؟!!) إنه نوع من أنواع الحراك التفاعلي بين الكاتب والمتلقي أضافه (السيد حافظ) إلى قائمة تقنياته النابضة.

- يشير(ماريو بارغاس يوسا) إلى: أن" الكاتب الكبيرمخلوق شره، يضع في جرابه كل ما يصل إليه، ويستعمل جميع الوسائل، يتناول ويُدخل ويعيد تركيب كل أنواع المواد في بناء إبداعه الخاص؛ بحيث يمكن لكل شيء، كل شيء على الاطلاق أن يمارس تأثيرا عليه: كتابا تأمله، أو قراءة بالمصادفة، قصاصة صحفية، إشهارا، جملة ملتقطة من مقهي، استغراق في وجه، في رسم، في صورة ما".
- وهذا بالضبط ما فعله (السيد حافظ) في نص (حتى يطمئن قلبي) حيث امتلك حساً فريداً في ايجاد وإدراك السردي في الأجناس غير السردية (كالتغريدات/ الحكم/ والأمثال الشعبية/ العبارات المسكوكة)، وطعّم النص بمجموعة من (المنمنمات القصصية القصيرة جداً) التي قامت

بوظيفة التو طيءة (وظهرت بمظهر الإبجرامات الأدبية) التي اعتاد كتاب ما بعد الحداثة البدء بها قبل كل فصل من الفصول الروائية.

- واستغل الكاتب ثيمة (رفع الآذان) كمعبر للتعريف بأئمة القراء ومشاهيرهم، فرفعه بصوت الشيخ (محمد رفعت/ محمود المصري/ النقشبندي) لمنح القارىء فسحة ذهنية، ودفقة من الدفقات المعرفة الدينية التي زادت النص إثراءً وفرادة.
- تخيل معي ماذا فعل الكاتب من أجلك أيها القارىء: (جعلك تبدو الآن– في زمن القراءة– داخل بيتك في غرفة المعيشة تحديداً تشاهد محطة تليفزيونية محلية "ربما"، تظهر أمامك على الشاشة قائمة البرامج اليومية على النحو التالي/
- يبدأ البث بالسرد الروائي على لسان (شهرزاد).
- ثم الحوار المسرحي للشخوص.
- يرفع الأذان.
- ومضة "على نمط حلقات المسلسلات".
- يليها برنامج(حكايات قراقوش).
- العودة للرواية من جديد.
- قم لصلاة ركعتين فإن لروحك عليك حق، ثم عد بعد الصلاة وتابع بناظريك المؤقت الدقاق لتعرف (الزمن/ والمكان/ ودرجة الحرارة أيضاً) فربما تحتاج لإحضار غطاء إضافي قبل أن تجلس للمشاهدة)، وهكذا يعاود بث برنامجه الروائي فصلاً تلو الآخر تتغير فيه الأحداث وتتكاثر

الشخصيات وتتشعب معها الحكايا في منظومة تعتمد على التذويب التام (لذات المؤلف).

- التي تترك مهمة طرح الموضوعات على ألسنة الشخصيات وبلهجاتها الخاصة المتسقة مع بيئتها وطبيعتها، دون أن يجد صعوبة أو غضاضة في تحويل ألسنتها من الفصيح إلى العامية، ومن اللهجات الشعبية إلى الإنجليزية مطوعاً جميع المظاهر اللسانية من (صوت/ نغمات/ وضحكات)، ومقلداً لصوت المرأة إذا لزم الأمر كما فعل على لسان (ضوء المكان) حين تسلل متخفياً إلى القصر لرؤية (لامار)، وهكذا انطلقت جميع الألسن وعبّرت بطلاقة من خلال نصه المتأنق بالحوارية البختينية.
- لم يعطل الكاتب (الزمن) عن طريق الوصف فقط بل استعان أحياناً بما أسماه (همسات الروح)، واستخدم أسلوب (النقاط) في اختزال الزمن أو القفز به، قدم وأخر ودفع الحكي للأمام ورجع به للخلف، وجسّده في حالة كينونته ليس عن طريق الضمائر فقط، وإنما بتقنيات (الإضمار/ الاسترجاع/ البناء الدائري) التي عملت على فصل خط الزمن (الكرونولوجي) وخلخلته، والعودة لوصله من جديد. تماهي أيضاً الحاضر مع الماضي وسيرى القارىء تشابها كبيراً بينهما في الأحداث والشخوص، كأن الزمان يعيد نفسه لكن الناس لا تتعلم.
- فضاء العتبة
- شاع في النص واتسع فضاء الصدمات والأزمات والمشاكل،بحيث صارت الأماكن التي يعيش فيها الأبطال أو التي ينتقلون عبرها هي

أماكن موحشة وعدوانية، تثير الاشمئزاز والقلق والغثيان والموت، مهما كانت تلك الأماكن مميزة كقصر الهودج الذي بناه (الآمر لزوجته العالية) على جزيرة الفسطاط والذي كان يتمايل كالموج إلا أنه لم يكن سو ي معبراً للتعاسة لكل من سكنه، وما يمثله قصر الخليفة العاضد الذي إنتقلت إليه (لامار) كسبية من بيئتها البدوية الت ي كانت تحبها. حيث شكل قفصاً للأسر بالنسبة لها ومرتعاً للمؤامرات، (حارة شيحا،حارة برجوان،خيمة عمانويل، البستان، حارة اليهود، دبي.الخ)؛ ففضاء العتبة هو فضاء الكوارث التي تعصف بالإنسان المقهور داخل مجتمع محبط ، تنعدم فيه القيم الأصيلة، وتهيمن عليه العلاقات التشييئية، حيث تتحول القيم المعنوية أو الكيفية إلى قيم مادية واستعمالية قائمة على الغرضية والمنفعة والتبادل.

- ولقد تمظهر هذا النوع في مجموعة من الفضاءات المفتوحة كالممرات الوسيطة التي تفصل الداخل عن الخارج، وترتبط بهذه الفضاءات أزمات خانقة تؤثر سلبا على حياة الأبطال، وتشكل موقفهم الإيديولوجي من العالم، وتحدد مصائرهم في ضوء مصائر الآخرين الذين يعيشون معهم في نفس العالم المحيط بهم.

حتى يطمئن قلبي

- ربما يرى البعض أن هذا النص متشظياً، أو مشتتاً للقارىء أو أنه من النوع الذي يصعب الاسترسال فيه، ولكن حتماً ذلك النص سيجعلك مشحوناً بالأفكار والرؤ ي، وممتلئاً بالمعارف والمعلومات؛ فحتى يطمئن قلب (السيد حافظ) قام بالمراوغة النصية، والثورات الشكلية،

ووقف على عتبات التناص (الديني/ والغنائي/ والشعبي)، واستجلب النبوءات من رحم الموروث، والتغريدات من واقع الحاضر،صاح بالحوار وهمس بالسرد، طرح التساؤلات، وأسس المقدمات التي ستصل بك حتماً في النهاية إلى نتائج حقيقية، حتى كلمات النهاية لا تدعك وشأنك بل تمسك بساعدك لتخبرك أن هناك المزيد من الحكايا التي لن تستطيع أن تجزم كيف سيقوم (السيد حافظ) بسردها وأ ي تقنيات أخر ي يمكن أن يجتذبها ويعيد استخدامها في صياغة نصه !! لكنك تعرف حتماً أنه سيفي بوعده في منحك المتعة والمؤانسة، وأن صحبتك مع أحد نصوصه ستكون صحبة داهشة.

إيمان الزيات

١١ ديسمبر ٢٠١٦

السيرة الذاتية

إيمان أحمد عبده أحمد الزيات

- اللقب الأدبي / إيمان الزيات
- أديبة وناقدة سكندرية.
- عضو اتحاد النقاد العرب.
- عضو مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية.
- محاضر مركزي بالهيئة العامة لقصور الثقافة.
- أحد منسقي اللجنة الإعلامية بجمعية صوت الشارع الأدبية بالجيزة.
- حاصلة على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية جامعة الإسكندرية.
- فازت بالمركز الثاني عن قصة (يراقص الطائرات) بمسابقة الشئون المعنوية السادسة (أكتوبر انتصار شعب) التى أقامتها القوات المسلحة في يناير ٢٠١٧.
- فازت بالمركز الثالث في مسابقة اقليم غرب ووسط الدلتا عن قصة (استماع أخير للجرامافون) مارس٢٠١٧.
- فازت بالمركز الثالث بمسابقة وزارة الشباب والرياضة للقصة القصيرة على مستوى الجمهورية عن قصة (عندما رحل معي) ٢٠٠٠.
- فائزة بقصة "مقعد فارغ للحبيبة " فى مسابقة "مؤسسة" شغف الثقافية . ٢٠١٥.
- شهادة تقدير من مجموعة "الشعر والحب والسلام " ٢٠١٥.
- شهادة تقدير عن مجموعتها القصصية (يمر على روحي كدهر) من مؤسسة الحراك الثقافي ديسمبر ٢٠١٦.
- شهادة تقدير في (مؤتمر المرأة المبدعة) الذي انعقد بدار الكتب

والوثائق القومية بالقاهرة يناير ٢٠١٧.

- **شهادة تقدير وميدالية من مؤسسة (أسرار الأسبوع) الثقافية والإعلامية لفوزها بمسابقة إقليم غرب ووسط الدلتا الأدبية ٢٠١٧ – فرع القصة القصيرة.**
- **شهادة تقدير من مكتبة الإسكندرية عن مشاركتها في فاعليات معرض الإسكندرية الدولي للكتاب الثالث عشر بتنظيم وإدارة أمسية القراءات القصصية بقاعة الأوديتريوم بمكتبة الإسكندرية أمسية ٢ أبريل ٢٠١٧.**

كلمة عن
الدكتورة والناقدة (جميلة رحماني) المغرب

هل أستطيع الكتابة؟ عن الكاتب والروائي (السيد حافظ) أو عن (الدكتورة جميلة رحماني) ففكرت ولم أشرع في الكتابة مع العلم هناك قصص وحكايات كثيرة مدونة أو بمخيلتي.. وأكثر القصص إثارة الآن ما يحدث في وسائل التواصل الاجتماعي غني بالحكايات وممكن استخدام التذويق وتصنيع الكلمات بما يتلائم مع الواقع.. لذا فكرت.. لماذا لا أستعد وأتهيئ وأجمع من وضعن الأسس والمعاير والتوثيق وبإقرار دون مجاملة ولن تتغاضين عن ركاكة النصوص ويكتبن ويبتكرن الجماليات للأجناس الأدبية ويحاولن تداخلها معاً لإنتاج نصوص أكثر جمالية.. فلفت انتباهي ما ركزت عليه هنا الدكتورة الناقدة (جميلة رحماني) الأشياء المتجذرة في واقعنا وحياتنا اليومية وخاصة (الوطن العربي) لنستشهد به ونسترشد في كثير من نصوصنا وأعمالنا الأدبية والنقدية لما لها من الأثر في حياتنا اليومية ومكانتها الوجدانية.. فكل نص أو رواية لها تجربة خاصة عند الكاتب والروائي والناقد أيضاً.

الدكتورة الناقدة (جميلة رحماني) حملت لنا كل معاني الجمال والشموخ والتألق.. وحلقت من المغرب قاصدة أم الدنيا حاملة أسفارها وشموخها وجمال وجدة مدينتها التي ولدت فيها وترعرعت وتغذت الإبداع وجمال الطبيعة الخلابة وقدرة الأمواج لتنمي قدراتها الجمالية والفنية بعد أن تخرجت من جامعة محمد الأول حملت هموم المسرح والأدب فشهرت قلمها كالسيف لتقتل التسويف وتعلن التجديد والتطور وتشارك الرقي والتقدم الذي لوحظ في

(وجدة) بالمسرح والأدب والنقد تلك المدينة المطلة على البحر المتوسط والشارع الذي يفصل بينها وبين الجزائر.. أضاف للمدينة مذاق جمالي وأمواج صاخبة لتتألق في الفن والأدب والمتعة العقلية والروحية والتشويق.. امتلكت الدكتورة القدرة بمقايسها ومعايرها النقدية وضحت شطحات الخيال وحرية حركة الروائي وحقه الكامل في ملكوت العشق وكينوناته مجتازاً كل تلك الأحجار وقوالب الجمود التي فرضت على الكتابة.. داهمت الدكتورة قلم السيد حافظ الثائر وكاتب حزين مهموم بالحب ما بين الوطن والقلب أحياناً نشعر بالتوحد نحتاج دواء وأحياناً نكتئب من الوقائع والنكسات؛ فالكتابة من وجهة نظر (نجاة صادق) هي ملاذ للإنسان أو هي ديوان يسجل ويوثق به الكاتب والكاتبة كل مشاعره وتطلعاته، أحلامه وطموحاته، إحباطاته وأفراحه وآلامه.. إذا هنا أصبحت الكتابة علاجاً.. يجب علينا إذا الربط ما بين العلوم والفنون أي هناك علاقة وثيقة بين الطب والأدب لأنهما يتعاملان مع الإنسان بأجزائه وأحاسيسه وخياله.. فالحب لدى السيد حافظ يكسب معنى للحياة وتلبية لما أهدانا الله سبحانه وتعإلى الهبوط على كوكب الأرض التي استخلفنا الله فيها فأمواج المتوسط العالية كالجبل نظنها ستغدر لكن تتراجع إلى الوراء فتضربنا بعنف فيما إذا وقفنا تأخذنا إلى ما لا نهاية.. لكن لو تحررت وتحركت وفكرت بالتطوير والكتابة بإبداع وربط ما بين الشخصيات والأحداث ونسجت نسيجاً متميزاً ستجد تلك الأمواج الهائجة المقتلعة المميتة.. أصبحت ساجية حال مرورها بك ستضحك وتقذف خوفك بقهقهات عالية وتنقش بأنامل الروح وتقذف الهلع بتراتيل الرحمن وحرية القلم من عبودية الاكتئاب والتوحد.. فنلجأ إلى الاستجمام والتفكير والخيال لنصيغ مصوغات باهظة المعنى

والمغزى.. وها هي شقراء المغرب تمتطي صهوة النقد الأدبي وتتبارى مع الفارسات ممن لهن تاريخ مشرف في الأدب وجماله والنقد ودوائه.

جمالية العتبات وشعرية العنوان.. الدكتورة الناقدة (جميلة رحماني) تداعب حرف السرد لدى (السيد حافظ) الذي تقاسم الحنان كأم تقاسمته مع صغارها حيث تؤكد الناقدة الدكتورة جميلة رحماني.. لا بديل للكتابة إلا الكتابة؛ ففي حضرتها يصمت اللسان ويطلق للقلم العنان ليعبر عن خفايا النفس ومكنوناتها فتهب نسمات وعطر الكتابة محملة بشذى أريج تلك الحروف الناطقة الرقيقة.. هنا تقول الناقدة عبارة استحدثت في ذاكرتي المواقف التاريخية والقذائف التي سقطت على بلادي.. العراق العظيم والكم الهائل من الاعتداءات والضربات الجوية والحصار الجائر وقتل النفس الإنسانية تكالبت كل القوى والأرواح الشريرة لقتل الروح الحضارية العريقة.. لحرق مجلدات وآثار الأجداد ودفن مشاعرهم وإبداعهم الأدبي والفني وخيالهم العلمي تحت أنقاض الأجناس.. نعم.. نعم جميلتي الشقراء مغربية الشوق متأصلة بالعروبة وجمال الجبال وقوة الأمواج وقدرة التصور والخيال التي أتيحت لنا أن نقرأ ما وثقت الدكتورة والناقدة (جميلة رحماني)

فالكل يحتسي القهوة..!

لكن السؤال كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟..

بعضنا يبدأ يومه بها.. وبعضنا يميل لشربها دون سكر والبعض يفضل معها قطعة حلوى.. ربما هنا تعني المذاق.. أما العشاق والشعراء والأدباء.. فتعني الكثير وأغلبهم إن لم أجزم وأقول الجميع تحدثوا عن العشق والقهوة؛ فالحالات تفسر وتتبين حسب تفاوت درجة حرارة ومذاق القهوة.. إذا كان مذاق حلو وساخن.. ستكون العلاقة قوية وجميلة.. وإذا كانت باردة ومرة

فهذا يدل على انتهاء قصة الحب.. وكذلك لها فنون وأصول وجمالية في التقديم والاحتساء منذ الأزل.. أما فنجان فتحي رضوان خليل.. وعندما يقرأ فتحي رضوان خليل يعني (السيد حافظ) ففنجانه يحمل همسات العاشقين وخطوط فنجانه توشي عن الحبيب للحبيبة وعند (السيد حافظ) طقوس لاحتساء القهوة.. الوقت والرغبة والأنغام فغالباً يحب أن يحتسيها وهو يسمع عبد الحليم حافظ وفيروز وهما يصدحان بصوتيهما وشفاهه تلامس شفاه الفنجان وقلمه يداعب شغف قلوبنا فيحلو استفتاح يومنا بالقهوة تربطنا صداقة حميمية وقصة عشق فتحي رضوان خليل والفنجان واحتساء القهوة التي أكدته الدكتورة جميلة رحماني.. فيقول: لا لذة لطعم سيجارتي إلا باحتساء القهوة معك والنظر لعينيك كما لو كنت أقرأ الصحيفة.. هنا كتبت الدكتورة نصاً موازياً إبداعياً لعشق وعناق السيد حافظ للقلم الحر الثائر على الأبجدية ليضخ دماء جديدة في صلب الكتابة السردية ليصنع رواية تحمل بين طياتها حبكة مثيرة ومشوقة تدل على ذكاء الكاتب فيكون بذلك قد شيد جسور الإبداع وما في جعبته يبشر بمستقبل سردي به عمق وروح كما وضحته (الدكتورة جميلة رحماني) ليبعث عطر الحكايا.. وتشيد وتشهد (الدكتورة جميلة رحماني) بأنه مشهود للكاتب (السيد حافظ) بالتنوع والشمولية والجرأة والشجاعة والبوح الإنساني وانبلاج فجر الحرية والأفكار التي طالما حملها القلم المستنير ليتمخض من رحم الأبجدية العربية نصاً روائياً يحمل معانٍ وجمالاً وفناً وأدباً وشعراً ومسرحاً بشكل جديد متطور.. الفضل العظيم للروائي والكاتب (السيد حافظ) والعبقرية الأدبية للدكتورة (جميلة رحماني) التي قهرت امتحان الكلمة التي طالما بعض الأدباء وأشباه الأدباء يجدون الرواية أو الكتابة فيها ملاذاً.. تطل علينا بنت المغرب الشقيق العظيم الجميل لصحصحة ذلك الجسد العليل وتتغلب على لحظات النعاس التي طالما تواتيهم.. أي الأدباء وأشباه الكتاب المتملقين.. الدكتورة (جميلة

رحماني) نحتت حروفها السمراء معطرة بعطر قهوة سادة.. لتسعف النقد الأدبي من السبات والنوم والنعاس المزمن والغش والرغبة الحقيقية في دراسة الرواية أو ما سميت (بالمسرواية) عند الأستاذ والكاتب الروائي الكبير (السيد حافظ) وفق المعايير والأسس النقدية وتوضح الشعرية وجمال العتبات وتداعب العنوان.. قصص العشق عند فتحي رضوان خليل، تلك المشاهد التي تشهد همسات ولمسات البوح والألم والأحزان والتمرد واللقاء والقبل وآثار أحمر الشفاه الذي رسم على شفاه الفنجان وخطوط رسمت علاقات الحب ما بين الإثارة والاستنزاف للشوق واحتساء قهوتهما خلسة لتشهد الشفاه حواراتهم العاطفية والمستقبلية.. والذي أكدته الدكتورة (جميلة رحماني) قرارات سديدة في النقد الأدبي وصريحة بل ليست خائبة ومهمشة كانت تستند في الكثير من الفقرات إلى الموضوعية والجمالية والمستوى الفكري والثقافي أي كان السرد ثميناً يبحث عن الروح ويحاكيها بشعرية موزونة كأنما علاقة الجسد والروح.. وبينما ذكرت الدكتورة (جميلة رحماني) أن السيد حافظ له باع في التجريب إن لم يكن من الأوائل في هذا المجال لكنه أصبح أبرز أبناء جيله الآن في المسرواية بما تضمنت كتابة النصوص الأدبية الأجناس المتنوعة فنقرأ الحكايات والأحداث والسرد والمسرح والقصص القصيرة والأخبار بالإضافة إلى حوادث الماضين وتوثيقها بصورة سلسة لا تثير الملل عند المتلقي.. كما ذكرت الدكتورة (جميلة رحماني) الحبكة المتقنة بذكاء لدى (السيد حافظ) وترتيب الأحداث أي الاتصال والإحساس ومسك جميع أركان السرد للشخصيات مع الشخصية البارزة للمراة (شهرزاد) العارفة لخطوط فنجان الحكايات وما يحدث في الأرواح السبعة لسهر العشق والعطر المتناثر على سطور أوراق السيد حافظ بحكايات شهرزاد التي وجدت شبابها في قلب سهر وابن النيل الأسمر وعشقه اللامنتهي مادام يتنفس الهواء النقي وحب مصر همه الأكبر فتراه ما بين مد وجزر وعذوبة النيل وجمال كردستان

وروحانية بيت الله وأمل زيارة بيت المقدس والاشتياق للوحدة العربية والشوق لامتزاج الثقافات العربية بالثقافات العالمية والتطلع إلى السماء السابعة والروح المحلقة لها.. كيف ستكون شخصية الروح السابعة؟ الكاتب الروائي الكبير (السيد حافظ) ماذا سيقدم للأدب والثقافة العربية من رونق وإبداع منتظر ليذهل القارئ والنقاد والناقدات الحاذقات والمتألقات في الأدب والنقد الأدبي.. سننتظر.. إنني معكن من المنتظرات إن شاء الله.. من الذي وهب (نفر) العطر بجانب جمالها؟

النيل.. النيل

سبب عطرها الذي طالما وقفت أمامه وطلب منها أن تستحم فيه.. رفضت.

بماذا رد عليها العظيم (النيل)

أعطاها سراً من أسراره (ماء مقدس مسحور) لتستحم فيه بالبيت ليكسبها الجمال والعطر والملمس الحرير لجسدها.. هكذا قال: فتحي بن رضوان خليل بقلم (السيد حافظ) وباعتقادي وبتأكيد الدكتورة (جميلة رحماني) والناقدات جميعاً حب مصر، أرضاً وجواً وهواءً وماءً، فقراً وغنى، وبكل الأطياف والأجناس حبه للأرض تجذر وتعمق منذ أن استرضع القطرة الأولى من ثدي أمه وقبلة أبيه.

"قهوة سادة" [٢٠٨] للسيد حافظ
من سلطة العنوان إلى حكايا شهرزاد

الدكتورة جميلة رحماني
المملكة المغربية

في البدء كانت الحكاية

ظل حبر الروائي السيد حافظ – الذي تنوع قطافه الإبداعي بين الرواية والمسرح– يخفق شغبا بانِيا لجوهر الجمال الناطق والحقيقي، سخِيا في طرح القضايا الساخنة؛ يطرقُ بابَ التمرد على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، مشعلا فتيل ضياء السرد. كاتب مشهود له بجرأته وشجاعته المعرفية والثقافية، يعلن موقفه دون مواربة أو خفاء وهو يحدثنا عن كوة ضوء، عبر احتراف هتك الحجب واستنطاق المساحات المسكوت عنها، وكشف المعاني الإنسانية الثاوية في أعماقها. يصيخ السمع لنبضات نصوصه بغية الوصول إلى عمق بوح إنساني قائم على تنوع كوني وشمولي، ممتد إلى تطلعات الإنسانية الرحبة التواقة إلى باحة سلم وقت انبلاج فجر الحرية.

يسألونك عن "قهوة سادة" قل هي:

رواية مصنوعة بذكاء، تحمل بين طياتها حبكة مثيرة ومشوقة. أصر السيد حافظ بإصدارها ضخ دماء جديدة في صلب الكتابة السردية، محاولا تشييد جسور إبداع رجل في جعبته ما يبشر بمستقبل سردي به عمق، وروح، وحياة. فعندما تكون الحروف تائهة على الشفاه، فيعقد معها الكلام؛

٢٠٨– قهوة سادة، السيد حافظ، ٢٠١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ينبثق السرد ويتغلغل الدفْء إلى الأعماق؛ ليتسرب من ثقوب الأيام مزيج من عطر الحكايا.

رواية وأنت تقرأها تطالعك باقات نرجسية فواحة من خلجات النفس والروح والذاكرة؛ ونبض الوجدان، يعطر أريجها دنيا الحب الصوفي. حاملة في ثناياها الشعور الوطني المدثر برداء المعاناة، والمزمل بوشاح الاغتراب، المستعر بلظى نار الألم. حتى أضحت صرخة في وجه الظلم والفقد، حيث حاول الروائي السيد حافظ رسم بدقة معاناة الشعب المصري والإنسان العربي ليكتسب حيويته، فيساعد نهر السرد على شق مجراه. مخترقا التراث اختراقا معرفيا، ومستنطقا إياه استنطاقا فنيا. متكئا في ذلك على التراث والتاريخ والأسطورة. وهو ما أشار إليه في روايته بقوله: "أحبت سهر الجغرافيا والتاريخ.. ذاكرة التاريخ تغذيها بالوهج والخيال"[٢٠٩]. استلهم التاريخ ليشيد فوقه معمارا من خياله الوثاب، فتمتد معها مخيلته لصوغ التاريخ صياغة جديدة لتمنحه قراءة جديدة بل حياة جديدة. ومنح هذا التضافر بينهما –أي بين الخيال والتارخ– الرواية حيوية ونبضا وحرارة. كما كان بارعا في توظيفه أسطورة شهرزاد اقتباسا وتضمينا؛ دون أن يُخلّ ذلك بإيقاع سرده ولا بنبض كلماته أو بصمات تعبيره، وهي ميزة المتمرسين بالكتابة الراسخين في الإبداع. وهو عنوان ثراء مخزون الأدبي الكاتب وغناه، الذي تمثّله واستوْعبه، ثم أجراه متدفقا منسابا عصيا على التقليد.

هل أتاك حديث السيد حافظ المسرحي والروائي

الذي ظل لعقود طويلة يبحث عن دائرة ضوء يخرجه من ظلمة العتمة

٢٠٩- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٢٦.

الذي دثرته لفترة طويلة. ليتحوّل السرد على لسانه، وتحت قلمه، إلى أداة بوح يلملم جراحاته فيصوغها في قالب حكائي يروي عبره عنف المتناقضات داخل مجتمعه؛ فأضحى والسرد متلازمين كالظل منذ بدء الحكاية إلى سدرةِ منتهاها. يقول السيد حافظ:" اكتشفت أن حب الوطن والكتابة عناء ألقيت أشواقي على أحرف اسمك يا وطني.. فتحولت على الورق إلى ثلاث زهرات ذابلة"[٢١٠]. فاقتراف فعل الكتابة هو فعل إثبات الذات والوجود، وتفجير منابع الإبداع ليجري نهرا من الأحاسيس والانفعالات حتى تروي ظمأ وجودها. وتعبير لصيق بالحياة، ورفض معلن للتبدد والإقصاء. يقول السيد حافظ: "وأبعث في الكلمات ورد الحياة"[٢١١].

فلا مناص من أن الكتابة لم تعد عنده سردا للتسلية بل هي اختراق لعقل الإنسان، وسحبه من غيابات جب الواقع، ودفعه للاندماج بالنص، لأن: "الروائي كالشاعر يعذبه وعي حاد بالواقع، وإدراك مرير لتناقضاته المخيفة، لذلك ليست الكتابة بالنسبة له مجرد اشتراك مع اللغة أو مغامرة بريئة مع شطحاتها الصافية، بل كانت صورة لوعيه المعذب، وتجسيد لمواقفه الفاعلة في الحياة، مراجعة ضغوطها"[٢١٢]. إنها صرخة موجعة ومدوية نكاد نسمعها على جدار الرواية؛ للكشف عما يمور في النفس الإنسانية من معاناة، وألم، وقلق، وخوف. ما يؤكده قوله: "أحب البحث عن المجانين في الكتابة لأشبع

٢١٠- المرجع نفسه، ص ٣٥.

٢١١- المرجع نفسه، ص ٤٦.

٢١٢ - الشعر والتلقي، علي جعفر العلاق، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص: ١٣٢.

عطشي للمستحيل"[٢١٣]. فعلى طاولة الزمن الجريح ثمة حكايات تستنشق عبق الأمل؛ وهي تبحث عن فسحة من التفاؤل عبر نافذة الحلم المؤجل، يقول السارد: "كلما حاصرني حب الوطن بنيرانه.. وأسهم حقده.. وحاول قتلي.. هربت منه تحت جلد النساء حتى أضمد جروحي قررت أن أكتب مذكرات شاب في العشرين رواية.. ولم لا"[٢١٤]. يخرج الروائي كلماته ليبعثرها فوق بياض صفحات حياته، وهو يداعب حرف السرد الذي جمع الكل حوله كأم رؤوم توزع حنانها على كل من سوّل له قلمه أن يدخل غمارها، لتأخذه في حضنها الدافئ كأنها تريد أن تعيده طفولته الأولى وهو متأبط أحلامه وآماله. وما إن صار على بعد حضن دفعته إلى تقمص شخصيات مختلفة، ومعايشة أحداث متعددة في لحظة واحدة. فيلقى ما بيمينه ليعبر عن درامية اللحظة وقساوتها؛ فلا "بديل للكتابة إلا الكتابة"[٢١٥]. ففي حضرتها يصمت اللسان؛ ويطلق للقلم العنان ليعبر عن خفايا النفس ومكنوناتها، فتهب نسمات الكتابة محملة برائحة حروف رقيقة اقتلعت من أرض الواقع. يقول: "وجدتني بلا حيلة أمام نور الكلمة وأمام ورقة بيضاء"[٢١٦].

فعندما يختلط حبر السيد حافظ السردي بمشاعره وإحساساته، تنهمر شلالات من البوح والرغبات المتصاعدة في ترسيخ الحضور. ووسيلة لتحرير أحاسيسه؛ والتعبير عن أحزانه وأفراحه، وعن عاطفته المتأججة وعنفوانه المعطّر بمعاني الحب. يقول السارد: "لمن أكتب؟ لمن؟ أكتب لك أنت.. يا من

٢١٣- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٩١.
٢١٤- المرجع نفسه، ص ٤٦.
٢١٥- المرجع نفسه، ص ٣٨٣.
٢١٦- المرجع نفسه، ص ١٠٩.

تراني بقلب الأولياء والشعراء والزاهدين والمترفين بنور العشق وللعشق يقين"[217]. فالكتابة عنده بمثابة الرئة التي يتنفس بها، والهواء الذي يتنسم منه. فهي التي ستعوضه بعض ما ضاع منه قهرا؛ ولم يستطع حينها إداركه، يقول: "يا ناهد الكتابة تعوض لي بعض أيام من عمري الذي سرقه الوطن مني"[218].

<u>جمالية العتبات وشعرية العنوان</u>

شكلت العتبات النصية حقلا معرفيا قائما بذاته باعتباره مكنونا جوهريا؛ فهي: "ذات سياقات توظيفية، تاريخية ونصية، ووظائف تأليفية تختزل قسما من منطق الكتابة"[219]. بفضلها يصبح من السهل على القارئ الولوج إلى عوالم النصوص وفهم معانيها، وأهم هذه العتبات "العنوان" فبواسطته تنكشف المعاني؛ وتتوضح الأفكار؛ ويتلاشى كل غموض. وهو بمثابة المفتاح الإجرائي المساعد على اقتحام أغوار النص؛ وفتح مغاليقه ومجاهيله؛ واستقراء جل أفكاره الخفية، ومدى "ارتباط بنيته ومحدداته الذاتية بشروط السياق الثقافي والاجتماعي الذي أنتجه"[220].

"قهوة سادة" عنوان وَسَمَ به الروائي السيد حافظ روايته، وهو عبارة عن بنية مختزلة، شديدة الاقتصاد لغويا، حيث يلعب هذا الإيجاز في بنية

٢١٧- المرجع نفسه، ص ٢١١.

٢١٨- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٢٣٦.

٢١٩- أرض الأبدية قراءات في تجربة الشاعر سيف الرحبي، مفيد نجم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، منشورات الجمل، ص ١٥

٢٢٠- عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، الناشر مقاربات، ص ٣٢.

العنوان اللغوية دوره في اختزاله للنص مبنى ومعنى، فإن ما تم تكثيفه وتركيزه سيتم توسيعه وتفصيله في النص الأكبر. وبذلك سيفتح العنوان أفقا توقعيا لدى المتلقي فتتكون لديه فرضيات، إذ لن يدخل فضاء القراءة صفحة بيضاء، وإنما لديه خبرة قبلا. فيصير ثريا ذات إشراق دائم في مساحات المتن. لأن اختيار السيد حافظ لعنوان روايته لم يكن اعتباطيا، بل اعتمده على رؤية فكرية ومرجعية.

"قهوة سادة" عنوان عبارة عن جملة اسمية دالة على ثبات الانتعاش الذي يصاحب شرب القهوة وديمومته. جملة اسمية ذات طابع وصفي إنشائي؛ يغيب عنها الفعل كبنية دالة على شرط الزمان. ومن ثم الإمساك بجوهر المدلول؛ دون العَرَضِ الذي يشي به الفعل. عنوان يلبس دثار القوة، لأن الروائي بحار يجيد اقتناص المعاني وامتلاك الخطاب. بحيث ستصبح "قهوة سادة" محور الكلام السردي؛ وقطب الرحّى في عملية الإبداع اللفظي. وأمارة قوية وعلامة ثابتة على نهل السيد حافظ من نكهتها؛ لينسج رواية حلوة المذاق عصية على النسيان.

فلا ريب من أن القهوة قد احتلت مكانة بارزة في وجدان البشرية كلها؛ ومكانة روحية مهمة في الحياة الاجتماعية والثقافية للإنسان العربي، وهي شراب شعبي لكل فئات المجتمع؛ وشراب أولياء الله الصالحين حيث اقترنت بجلساتهم وحلقات الذكر، وهي أول ما يستفتح الإنسان به تباشير يوم جديد من الشراب. يقول السارد: "الصباح بدون القهوة خطر"[٢٢١]. كما كانت جلسات الحكي لا تحلى إلا في حضرة القهوة، "قالت شهرزاد وهي تشرب آخر رشفة

٢٢١- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٢٦٦.

من فنجان القهوة وتطفىء ركوة النار: الآن اذهبي إلى بيتك يا سهر تأخر الوقت اذهبي قبل الغروب.

قالت سهر: ونفر. قالت شهرزاد: غدا سنكمل الحكاية يا سهر."[٢٢٢]. فالقهوة والحكي متلازمان لا ينفصلان عن بعضهما؛ لأن الانتشاء بمذاق القهوة يجعل الحكايا تنساب ماء زلالا، فلا يمل سامعها بل يقول هل من مزيد. وقد ينتشي شاربها حدَّ السكر ولعا بمذاقها المميز يقول: "القهوة قبلات للروح كي تنهض"[٢٢٣]. مشروب ينبه العقل ويوقظ الروح، إنها ثنائية العلاقة بين القهوة والوجدان، بمثابة الحبل السري الذي يربط القهوة بالعشق، حتى أضحى الحديث عن أحدهما هو استدعاء للآخر. يقول "اشتاق لشرب قهوة سادة معك وارتشاف قبلة مع كل رشفة"[٢٢٤]. فثمة علاقة ذاتية ذات ارتباط خاص ينبع من حنين نوستالجي للعودة لسحر جنة العشق ودهشتها؛ حاضرة في وعي شاربها وفي وجدانه، وتوازٍ بين اللهفة لشرب قهوة وبين الارتماء في حضن أنثى يقول السارد: "آه في البرد أحتاج إلى قهوة سادة.. وإلى حضن أنثى وإلى سيجارة وإلى وردة وإلى لحم طري يغطيني يدفئني ينسيني أنثى ليس لها مكان إلا في جنة عشقي ولا يعرف قدرها إلا ملك على قلوب النساء مثلي أحتاج أنثاي في البرد والقهوة السادة قبل وبعد المضاجعة"[٢٢٥]. تأكيد كثافة الحالة الشعورية الطاغية؛ والنزوع لاختراق حدود المسافة بين شرب القهوة واللذة بحثا عما يبقي هذه العلاقة على قيد الاستمرارية.

٢٢٢- المرجع نفسه، ٢٥٦.
٢٢٣- المرجع نفسه، ص ٢٦٦.
٢٢٤- المرجع نفسه، ص ٩٩.
٢٢٥- المرجع نفسه، ص ١٠٦.

"قهوة سادة" عنوان مفتوح غير مقيد؛ كما السرد لولبي أبوابه مشرعة، يبرز عناد السيد حافظ لاجتراح مغامرة حكايا أخرى. يقول في نهاية الرواية على لسان شهرزاد: "هي بنت جميلة عاشت في عهد النبي موسى؟ ما اسمها وحكايتها؟ قالت: اسمها نور غدا نبدأ الحكاية"[٢٢٦].

ثلاثية الفقد والجرح والاغتراب

يُعَدُّ الروائي السيد حافظ من هؤلاء المبدعين، الذين فجروا منابع الإبداع ليجري نهرا من الأحاسيس والانفعالات حتى تروي ظمأ وجودها. روائي لا حول له سوى سحر حرفه، ولا قوة له سوى عبق كلماتها. طوَّع حرفه ليخرق جدار الصمت كمبدع يحس بالواجب المفروض عليه. يلامس هموم الواقع قصد تغيير كل ما من شأنه أن يسيء إلى إنسانيته، وكإنسان يحترم إنسانية غيره لم يتوانى في تعرية وضع لا يتماشى وحقوق الإنسان[٢٢٧]، وفضح القبح وإحداث هزات داخلية ترج الذوات المتلقية. يسجل رؤيته حيال مجتمعه عبر بوابة السرد؛ لنرصد عبرها علاقة جدلية بين الإبداع وبين المجتمع، تلك العلاقة التي يبدو للوهلة الأولى أن المجتمع مفعول به موصوف؛ لكن الحقيقة أنه هو الفاعل لأنه هو الذي كون الكاتب وجعله يقتات منه[٢٢٨].

"قهوة سادة" عمل سردي صادر عن وعي حقيقي؛ ونَفَس جديد غير معهود في الكتابة يتغلغل في أعماق الشعب مسجلا نبض الحياة اليومية،

٢٢٦- قهوة سادة ص ٣٩٣.

٢٢٧- جرت أحداث رواية "قهوة سادة" على عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

٢٢٨- سوسيولوجيا الأدب، روبير إسكارييت، ترجمة آمال عرموني، دار عويدات، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢١.

راسِما بكل أمانة معاناة المواطن المصري في حقبة تاريخية كانت فيه كل الدول العربية على صفيح من نار "أوقفوا ذبح الإنسان وتشريد الأطفال والنساء.. أعلنوا بقوتكم بأنفسكم: إننا لا نرغب في إنفاق الأموال على السلاح.. كفانا سلاح.. أنفقوا الأموال على الفقراء.. على العلم.. على النهوض بالإنسان في أحراش أفريقيا.. في صحراء آسيا.. أنفقوا الأموال على الأراضي غير القابلة للزراعة.. إن العالم يحتاج إلى الكثير"[٢٢٩]. يحاول أن يلامس حالة البؤس التي يعيشها المواطن في حقبة تاريخية، ولا سيما في فترة الحرب الكبرى التي طحنت الشعب المصري:" وجدتني حلما يمسح مؤخرة الوطن الذي يضاجعه الأثرياء من عسكر يوليو الذين سرقوا مجوهرات الملك فاروق وباشوات مصر وأصبحوا باشوات هذا الزمان.. وجدتني بسمة على شفاه أطفال لا تعرف الرياء.. وجدتني أعشق كل الأنبياء وأنه من الغباء ألا نشعر أن الإنسان خليفة الله على أرضه وتحت سمائه.. إذا مر قلبي على بابكم أخبروني فقد ذهب يبحث عن وطن ليتدفأ به في هذا الشتاء"[٢٣٠]. فنجده يسخر قلمه لفضح حالة الاغتراب الحادة؛ ومدى قساوة وقعها حين يعانيها المرء وهو في وطنه، وبين ذويه، إنها حالة نفسية يشعر فيها الإنسان بألم أشد وأصعب. ونجد مثل هذا الاحتدام في قول صاخب للسارد وهو يصف الحكومات العربية بأنها:" نجحت في جعل المواطن العربي يكره وطنه وأرضه ويبحث عن وطن آخر.. في أوربا أو أمريكا"[٢٣١]. رسم بريشة دقيقة معاناة الشعب المصري، كما رسم تيه ذات تلوك قسوة الخذلان، وصور

٢٢٩- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٦٣.

٢٣٠- المرجع نفسه، ص ٣٥.

٢٣١- المرجع نفسه، ص ٢٥.

البيئة المصرية تصويرا دقيقا، حيث التقط أدق جزئياتها ترتيبا عضويا لتصبح الشخصية حية في الرواية. "تحن التلاميذ لم نكن نحمل فقط الكتب في حقائبنا التي كنا نحملها على أكتافنا.. بل نحمل معها هموم عائلاتنا وأحلامنا ومشاكل بيوتنا"[٢٣٢]. وهذا لم يمنعه محاولة العثور على بعضه المتلاشي ليرمم كلا روحيا، والاستئناس بحلم يضج بالحياة، منسوج بدفء واستقرار.

جاء سرده طافحا بمرارة الغربة معبرا عنها بأصدق الأحاسيس، إنها غربة دائمة تهيمن بظلالها على هذا النص السردي، يقول: "منذ نشأة القاهرة في العهد الفاطمي وهي متسخة كما قال الجبرتي وحتى الآن.. إحنا شعب غلبان.. كيف نحارب ونحن لا نستطيع تنظيف شوارعنا من الزبالة.. ولا حتى صناعة كبريت صالح للتصدير"[٢٣٣]. شفاف في فضح القبيح والدنيء، "العربي لا يفلح إلا في مضاجعة النساء"[٢٣٤]. صارم في التنقيب عن عيون المرارة والمعاناة الإنسانية. يقول السارد: "قتل وحرق هتلر آلاف اليهود في المحرقة.. قتل الأمريكان آلاف الآلاف في هيروشيما باليابان بقنبلة ذرية.. قتل الفدائيون الفلسطينيون مئات اليهود.. قتل اليهود مئات وآلاف الفلسطينيين"[٢٣٥]. نتلمظ سفرا نُسج في غيابات الوجدان، ونقتفي أثر لواعج الكيان المُكتوية. فنتعثر خلف تنهيدات تعج انكسارا وحسرة، وشوقا دفينا مغلفا بنوبات العتاب، تذرف الروح هسيسا صاخبا يلف نذوبا لا تقبل

٢٣٢- المرجع نفسه، ص ٧١.
٢٣٣- المرجع نفسه، ص ٤٥.
٢٣٤- المرجع نفسه، ص ٤٥.
٢٣٥- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٤٦.

الإنمحاء. يقول: "العالم والبشر حقراء يشربون دم بعضهم صبحا ومساء"[٢٣٦]. فبالرغم من أن القهر قد نال، وبالرغم من أن النغمة الرئيسة هي الحزن والفقد، فإن الشعور بالاغتراب والضياع يمثل بعدا آخر قد يمتد إلى الصراع القائم بين الذات والوجود. لأن: "محور الشعور بالغربة والضياع هو في الحقيقة؛ تفريع عن المحور الأساسي العام؛ محور الذات والوجود؛ أو هما يتوازيان على مستويين مختلفين"[٢٣٧]. فحينما تصطدم الذات بالوجود؛ فإنها تعجز عن تحقيق تطلعاتها وأحلامها لأنها عندئذ تتحرك وتسير وحدها، وتظل محبوسة في إطارها الضيق مادامت تؤمن بمنطقها ونظرتها الخاصة في تقييم الوجود، وهذا ما نلمسه في كلامه:" الفقراء ليسوا أبناء الله على الأرض.. بل أبناء الشيطان.. الفقر الذي وأد أحلامهم فصاروا أعداء بعضهم بلا سبب.. يكرهون بعضهم بلا سبب.. الفقراء أبناء الشيطان في كثير من الأحيان لأن الرجال الفقراء من كثرة التعب والهزال والمرض..لا يضاجعون النساء.. فيضاجعهن الشيطان نيابة عنهم.. فيخرج أولاد الفقراء مجرمين عشوائيين.. سفهاء.. لا يعرفون الله إلا كلمة لا فعل.. أولاد الفقراء أبناء الشيطان إلا من رحم ربي واصطفى.. أما أولاد الأغنياء معظمهن أغبياء بسبب أكل اللحوم بكثرة.. إلا من وهب ربي وأعطى.. الفقر هو الذي قال للرب لا"[٢٣٨].

٢٣٦- المرجع نفسه، ص ٤٦.

٢٣٧- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، ص ٣٥٦/٣٥٧.

٢٣٨- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٤٩.

جعل الكاتب من إبداعه مرآة للنفس الضائعة والممزقة في متاهات الاغتراب؛ التي تلقي بظلاله الكئيبة على ذات السارد، وتشده إلى قاع الرتابة والإحساس بالضياع مثقلة بالآلام، مضمخة بالحزن على ما مضى؛ والتحسر على ما بات سائدا يقول: "أصبحت الحياة مظاهر.. الملابس والأناقة هما عنوان الإنسان أناقة لا ثقافة.. لا شيء يهم بعد ذلك"[٢٣٩]. حس الضياع والفقد والاغتراب دفعه أن يشعر بفقد الإنسان لقيمة إنسانيته؛ وعدم جدارته؛ أو قدرته على التكيف حتى صرخ بضياع اليقين.

والناظر في سرده يلفت نظره إحساس مريب بوقع الفقر على نفس المواطن، وشكوى صارخة من هوان منزلته الاجتماعية؛ وعدم تقدير المجتمع له، وعجزه عن الأخذ بنصيبه من الحياة. جاء على لسان السارد: "أنا ممن يصنعون ضوضاء أثناء صعودهم وهبوطهم.. دائما أريد أن أشعر أنني من الأحياء بضوضاء الحذاء. أو أثبت لنفسي أني شيء على الأرض"[٢٤٠]. فبين رفاث من أمنيات سحيقة تنقب الذات عن خلاص، عن فجوة صبح تسكب تباشير شمس وفية تداري اختناقا وثقلا قاسيين. فأخذ من الحياة فوضى ليخرجها نظاما، والاضطراب ليصوغه ترتيبا، والانطماس ليجلوه نورا.

وكمثقف واع بما يجري حوله؛ واع بما يحاك ضد الإنسانية؛ سواء عاش في ظل الاستعمار أو في ظل الأنظمة القمعية المصادرة لحرية الإنسان ؛ يعاني كل أنواع الضياع، إذ أصبح رقما من أرقام المدينة فقد فيها إنسانيته وشل فيها تفكيره، وأصبح عاجزا عن التواصل مع المجتمع ومع ذاته

٢٣٩- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٥٢.

٢٤٠- المرجع نفسه، ص ٤٧.

المعطلة. فحين يفقد الإنسان الرضا بما يريد؛ تجف الحياة تماما وتغشاه مسحة من الكآبة لأن الرضا يجلب السرور وفقد الرضا يفجر البكاء من العيون يقول متذمرا: "أنا أتلاشى.. أشعر بأنني غير موجود.. ربما أكون ذبت في الأشعة ورحت إلى السماء لكي أركع تحت أقدام الإله.. أخبره عن رغبتي في أن أكون شيئا. بدلا من كوني لا شيء"[٢٤١]. تحول كل شيء إلى مرارة مخزنة حطمت الإحساس بالرضا والقبول؛ وغدت الأيام سجنا أبديا للإنسان، والأرض وجودا ملعونا، القادم إليها مفقود والذي يغادرها مفقود. فهي سجن مفتوح كل شيء فيها غامض، وسديمي يمشي فيها الإنسان كالأعمى لا يفرق بين الليل والنهار، ولا بين القبح والجمال. يقول: " الطغيان لا يعرف جنسية أو هوية.. الطغيان لا يعرف عنوانا أنا أكره الظلم والطغيان"[٢٤٢].

لازال ذاك الإنسان الطامع في وقت انبلاج فجر الأمل؛ ينام في الحصباء ويلتحف الألم، يعيش في معمعة الواقع باختياره. وهو إحساس تام بالضياع تتساوى فيه الإرادة الدافعة؛ والإرادة المعطلة. فلا شيء يتغير؛ ولا أمل في التغيير. هو ذا اغتراب الإنسان الذي ضاق من قسر الواقع بعد انقلاب حاله لدرجة أصبح من الصعب – إن لم يكن من المستحيل- معها بوجود شيء يطلق عليه "إنسان". يقول في هذا الصدد:"يا أيها الإنسان.. ما أجمل هذه الكلمة عندما يصبح الإنسان إنسانا أو يوجد إنسان بالفعل في الوجود"[٢٤٣]. صارت الأيام للإنسان سجنا أحكم إغلاق أبوابه في ظل الهزيمة والضياع، حتى عندما يفيق على صباح يوم جديد فإنه يعيش غربة عن نفسه

٢٤١- المرجع نفسه، ص ٦٠.

٢٤٢- المرجع نفسه، ص ٧٧.

٢٤٣- قهوة سادة، السيد حافظ ص ٦٠.

مادام قد فَقَدَ القدرة على امتلاك ذاته وتحقيق إنسانيته فيها، يقول:" هبطت إلى أمريكا إلى الدمعة الحزينة في عينها إلى تمثال الحرية الذي يشكو لي مهزلة التقدم المادي"[٢٤٤]. حتى أضحت المدنية بصراعاتها المختلفة وضوضائها، بوتقة تذوب فيها إنسانية الإنسان، ويصبح قطعة من مكوناتها لا يملك القدرة على فرض وجوده وتحقيق ذاته؛ فيمضي في الأرض منقسما على نفس، وحيدا غريبا متلفعا بأحزانه.

ويمكر سردي تشويقي مقصود، من شأنه أن يجذب المتلقي المفترض نحو مشاركة السارد في حلمه، الذي يرجوه أن يتحقق، يقول: "نحن صعاليك الشوارع نملك الحلم والأحلام في بلدنا تداس بالأقدام"[٢٤٥]. ساعيا إلى التخلص من الاغتراب الذي يستبطنه، والتمرد على العصف النفسي الحاد الذي ينتابه، ويهز مشاعره وأحاسيسه، لأنه لا يستطيع أن يعزل نفسه عما يجري في عالمه فهو يتفاعل مع هذا العالم، ويتأثر به، ومن الممكن أن يؤثر فيه. يقول بإصرار الغيور على حال أمته: "اسمع يا راجل إنت انت ليه ما بتبطلش تتكلم عن مصر والعرب والتغيير.. إزاي بس أغير نفسي قوليلي.. نفسي أكون حمارا وغبيا زي كثير من الناس مش عارف.. يبدو أن نعمة الفهم والثقافة نقمة وعذاب"[٢٤٦]. فتجده يعتصر من السحاب رذاذا يروي ظمأ أفئدة مفعمة بعشق الجمال، هذا الفيض من العطاء ودفء المشاعر؛ لا يمكن أن ينبع إلا من روائي مرهف الإحساس؛ إنسان عشق قلما يموت في الكلمات ويذوب فيها. فكتب روايته "قهوة سادة" بحرقة وقلق، دون اغتصاب لحظة

٢٤٤- المرجع نفسه، ص ٦١.

٢٤٥- المرجع نفسه، ص ١٠٨.

٢٤٦- المرجع نفسه، ص ٧٩.

الكتابة بردة فعل رقيب وحسيب، فجاء عطاؤه متحررا، أبيضا ناصعا لا يخنقه سواد الأغلال. فهو مبدع بتركيبة معجونة بماء الجرأة في تعرية الخلل في المجتمع، وفي القيم، وفي الذات، وفي الإنسان.

<u>الحكي فعل تحرري وانعتاق الذات من سجن الألم</u>

استرفد السيد حافظ من الإرث الأسطوري؛ عبر استغلال الأصوات المندثرة في تعرجات شفهية عريقة في القدم؛ عاملا على تشكيل الواقع الأسطوري وفق رؤية جمالية، تكشف عن تناقضات الحياة. لا تروي أحداثا جرت في الماضي وانتهت، وإنما تصور صراعا أبديا تعرفه الحياة الإنسانية، وهو صراع موجود على الدوام ومظهر من المظاهر الحياتية التي قد تصيب الإنسان في أي وقت وحين.

إنها "شهرزاد" المرأة التي دخلت معبد الحكاية، لتدفع القتل عنها وعن بنات جنسها. المرأة الإنسان التي زرعت وردا لاقتلاع شوك الحقد من حديقة الإنسانية، شهرزاد التي كانت وما تزال قائمة، حكيها مستمر. لأنها لم تقل كل شيء، فحالة الصراع بين الخير والشر؛ الصراع الدائر بين السلطة والشعب في الماضي والحاضر لازال قائما لأجل البقاء والحياة.

"شهرزاد" الأسطورة التي ومنذ القديم نالت حيزا كبيرا من اهتمام كل من سوّلت له نفسه اختراق قلاع لياليها، فكانت تفكيره الذي يفكر به، ويده التي يبطش بها، وعينه التي يرى بها العالم، فلقد كانت سراجه المنير الذي يقتفي أثره. فكما شغلت ابتسامة الموناليزا الغامضة الكتّاب والأدباء والرّسامين والفلاسفة، وأسالت حبر العديد، ظلّت شهرزاد دون ابتسامة، لكن بدهائها

وذكائها سلبت العقول، فكانت وستظل اللّغز الذي حيّر وسيحير الأدباء. فهي العنقاء التي تبعث مع مداد كل مبدع فنان.

فلا مناص وشهرزاد بهذه القوة أن يستلهم الروائي السيد حافظ هذه الأسطورة الشهرزادية، فيعيشها كإنسان وناقد لأوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية عاشتها وتعيشها مصر، وكل البلدان العربية بله الإنسانية جمعاء. فشهرزاد الأسطورة مثال للمرأة الذكية والفدائية التي ضحت بنفسها لأجل الحفاظ على بنات جنسها، ومن ثم الحفاظ على الحياة والاستمرارية، هو بعث من جديد يقول: "آه يا سهر لو تعلمين كم أحبك"[٢٤٧]. فعبر سلاح الحكي تراوغ ملكاً مدفوعاً بهوس الانتقام وتغويه بسلطة المعرفة. وبالحكاية المروية بسحر تقهر الموت؛ وتبعد أطيافه. إذ لم تكن تحكي وتتكلم، وتؤلف فحسب، لكنها كانت أيضا تواجه الرجل، ومعه تواجه الموت من جهة، يقول الدكتور عبد الله الغذّامي: "تدافع عن قيمتها الأخلاقية والمعنوية من جهة أخرى، كانت تتكلم والرجل ينصت، فإذا سكتت تعلق شهريار بصمتها يوما كاملا إلى أن تتكلم مرة أخرى لتمارس عليه سلطة اللغة وسلطان النص"[٢٤٨]. لتمثل هذا الانتصار العجيب للبريء والضعيف؛ الذي ينجح في تغيير مصيره بمداهنة جلاّده؛ محولاً الحقد إلى حبّ.

نافلة القول لم يحاول استدعاء شخصية شهرزاد التي حظيت بامتداد عبر الزمن للإمتاع، إنما بغرض تشكيل خيوط متينة في النسيج العام للبناء الروائي، وبلورة طرائق مستحدثة تضمّ خواص الأسطورة العجائبية لتؤلّف

٢٤٧- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ١٦٨.

٢٤٨- المرأة واللغة، عبد الله الغذامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦، المركز الثقافي العربي، ص ٥٧.

نسيجا سرديا تلتقي في رحمه أساليب وبنيات تعكس علامات التجريب بمختلف أنساقها، ومن ثم خلق نص سردي جديد. باعتبارها رؤية "مغايرة للأشياء.. ولذلك تكون الكتابة المتشبّعة بروح الفانتاستيك مغامرةً واستجلاءً للبقايا والهوامش والمقصي من كينونتنا المحاصرة بضغط القوانين والمحرّمات وشتى أنواع الرقابة"[٢٤٩]. ولإماطة ستر طالما حجب شمس الحقيقة عن الأبصار، فهي ببنائها السردي ومضمونها الخرافي تعتبر هروبا من الأوضاع الواقعية المتردية، حدَّ يمكننا القول إن الكاتب يصنع أسطورته الخاصة.

هذه صورتها وذاك شأن الحكي

في النهار تولد الحكاية، وفي أول الليل نحكيها، وفي آخره ننام على وقعها. كان شهريار يسهر كل ليلة مستوحشا فصار سجين حكايا شهرزاد. هذه المرأة التي أوتيت "علم" الحكايا فتسللت لتروي للعالم دور امرأة ليست ككل النساء، أسطورة خلقتها الأزمات والمحن وتواتر الألم. "شهرزاد" أنموذج صقلته الصعاب فكانت أسوة في التحدي، والصبر، والذكاء، يقول السارد: "تلك المرأة الشامخة، أسطورة كل العصور. "قالوا عنها عرافة الجن يمدها عشيقها الجني بالسر.. وأسرار كل البشر.. شهرزاد تحب سهر لأنها تذكرها بشبابها تذكرها بالجمال الذي فتن العقول في شجن.. وألهب خيال الرجال"[٢٥٠]. فهي لم تركن إلى سيل الدموع، وتخفي وجهها وراء غلالة الحزن وتتوقف عن الحياة. بل لملمت شمل حزنها، وابتدأت غدها بفكر مسؤول يعي حجم ما بانتظارها، وما يحمله من تحديات. متأهبة لتكون في عون كل من

٢٤٩- مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف، ترجمة الصديق بوعلام، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص: ٤/٥.

٢٥٠- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ١٨.

لجأ إليها وطلب مشورتها؛ فلا تبخل عليه؛ ولو بالقليل. يقول: "ذهبت أمها بها إلى "شهرزاد" وقالت لها: البنت صارت أنثى. زغردت "شهرزاد" العجوز.. نثرت عليها بخورا به حبهان وعين الشيطان حرقتها في النار"[٢٥١]. راهنت شهرزاد/الحكيمة على أن إشاعة الفرح يأتي دوما بالغد المضيء؛ الذي يرتب الأحزان هنا وهناك، حتى لا يدع المستقبل يتوقف عبر زمن مظلم حاسرَ الرأس، مكلومَ الفؤاد. يقول السارد: "تؤمن بكلام شهرزاد العرافة التي تسكن في كوخ بعيد.. شهرزاد لم تتزوج ولكن سميت باسم شهرزاد لأنها أسعدت أناسا كثيرين بقراءة كفهم"[٢٥٢].

حققت شخصية "شهرزاد" طموح انعتاق الذات الأنثوية فاستطاعت بالذكاء؛ والقدرة على الإبحار في دهاليز الحكي؛ أن تتغلغل في أعماق الذات الجماعية، وتعبر عن فضاءات الكائن والممكن. وهي في ذلك مسكونة بفكرة انعتاق الذات، وفي محاولة دؤوبة لمعانقة جماليات الكلمة في أقصى درجات اشتغالها وبوحها ومعاناتها. تقول الدكتورة فاطمة المرنيسي في كتابها "شهرزاد ليست مغربية": " السرد فن ننجح أو نخفق فيه لكننا نحتاجه لنحيا ونجعل الآخرين يحبوننا، يجب معرفة الآخر جيدا لإغوائه بشكل أفضل"[٢٥٣]. فليس خافيا أن شهرزاد جعلت من إنتاج الكلمة/ الخطاب الذي يحررها/ المرأة من بطش الآخر، حيث اعتمدت بدكائها لولبية السرد لإبقاء البطلة سهر على قيد التفاؤل بغد مشرق؛ ينقذها من قبضة كل رجل سولت له نفسه الارتباط

٢٥١- المرجع نفسه، ص ١٥.

٢٥٢- المرجع نفسه، ص ١٨.

٢٥٣- شهرزاد ليست مغربية، فاطمة المرنيسي، المترجمة ماري طوق، الطبعة العربية الثانية، ٢٠٠٣، ص ٢٣.

بها؛ والاستمتاع بعطرها الساحر، يقول السارد: "لكن العرافة شهرزاد قالت لأبيها: لا.. ابنتك ستسافر إلى بلاد النفط .. بلاد الذهب تتزوج من رجل ثري وتفتح لها المدن ألف نافذة نور.. وستتمرغ في الذهب.. الأب ينتظر أن يأتي هذا الفارس القادم الرحالة.. لترحل معه سهر على سفينته.. ويكون علمها شمس وقمر.. كما قالت العرافة العجوز"[٢٥٤]. تبدأ شهرزاد حكيها مع بداية اللّيالي متخذة من فكرة قطع الحكي/ السرد أداة إغراء تنال من البطلة سهر؛ فتجعل قلبها معلقا بحكاياها، فتنال منها حتى تصل حدَّ الإدمان فلا تستطيع أن تعيش دون حكي. "قالت شهرزاد: إلى هنا صاح الديك وغدا نكمل الحكاية يا سهر.. من باع باع.. ومن اشترى اشترى.. لقد باع أخته.. واشترى الكاهن نفر بثمن بخس.. لقد حول كي إلى غاسل للموتى.. غدا نكمل الحكاية أو بعد غد"[٢٥٥]. جعلت شهرزاد/الساردة حكيها مفتوحا، إذ تنهي كل ليلة قصتها بموقف شائق مفتوح، مردوف بعبارة "غدا أو بعد غد نكمل الحكاية"، وهذا ما يلزم على البطلة سهر إبقائها لسماع نهاية الحكاية، "مرت شهرزاد على بيت سهر.. وبعد تناول القهوة والضيافة همست سهر ومن هي الروح الثانية يا خالتي شهرزاد؟ ضحكت شهرزاد وقالت: هي بنت جميلة عاشت في عهد النبي موسى؟ ما اسمها وحكايتها؟ قالت: اسمها نور غدا نبدأ الحكاية"[٢٥٦]. نسيج حكاياها كنسيج عنكبوتي متداخل ومتشابك الخيوط، معلوم المركز. فمركز الليالي ومحور دورانها هو القصة الإطار؛ التي لخصت دوافع السرد؛ تتبع حيوات الروح الأولى التي تنحدر منها سهر البطلة، ومن

٢٥٤- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ١٧.

٢٥٥- المرجع نفسه، ص ٢٣١.

٢٥٦- المرجع نفسه، ص ٣٩٣.

ثم معرفة سر عطرها الساحر الذي سلب لب كل من استنشقه ولم يعرف سره، هذا السر الذي بات لغزا لا يفقه كنهه سوى شهرزاد التي أوتيت من العلم دون سواها. فالحكاية الأم لها قدرة على توليد حكايات مرتبطة ببعضها البعض، بسمات مشتركة، "قالت شهرزاد وهي تشرب آخر رشفة من فنجان القهوة وتطفئ ركوة النار: الآن اذهبي إلى بيتك يا سهر تأخر الوقت اذهبي قبل الغروب. قالت سهر: ونفر. قالت شهرزاد: غدا سنكمل الحكاية يا سهر."[٢٥٧]. فبين عبارتي " بلغني يا أجمل بنات الجبل" و" إلى هنا صاح الديك وغدا نكمل الحكاية يا سهر " ترسم شهرزاد عالمها بفضاء معماري وهيكل لولبي يرتكز إلى رؤية شمولية. إذ تكمن وظيفة الليالي في كونها تجسد تقطيعًا يبعث على إغراء المتابعة والترقب، ويحث على التتبع والاستمرار، وبدون هذا الفصل السردي ستبدو حكايات شهرزاد تراكمًا لا حضور له، حتى تمر البطلة "سهر" بمحطتي توقف لا غنى له عنهما؛ نهاية الحكاية ونهاية الليلة، وبين هاتين المحطتين تتزايد متعة السرد وبهجته.

لا ريب أن شهرزاد التي أنقذت حياتها وبنات جنسها من الموت بـ"القصة المحكية" عندما قبلت التحدي لتحطم الجبروت والظلم، كانت لها "خزانة مفترضة" وإلا فمن أين لها هذه الذخيرة النصية، يقول السارد: "شهرزاد قد ورثت من أبيها مكتبة بها كتب الشيخ الإمام جلال الدين السيوطي وكتاب ابن حزم طوق الحمامة في فن النكاح.. لم تقل سر علمها بالعشق والغرام"[٢٥٨]. فشهرزاد كانت على قدر كبير من العلم والمعرفة وهذا ما أكده كل

٢٥٧- المرجع نفسه، ص ٢٥٦.

٢٥٨- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ١٧.

من اخترق حصنها. تقول الدكتورة فاطمة المرنيسي: "أعود إلى ذي بدء: علم المرأة وثقافتها. إن مأثرة شهرزاد ما كانت لتتم لو لم تختزن كمّا هائلا من الأخبار التي استخدمتها لتبني قصصها حيث التفاصيل الواقعية المدهشة تنم عن معرفة استثنائية وإلمام عميق بالعالم والكائنات"[٢٥٩]. الأمر الذي سيمكن شهرزاد من تصريف المعرفة لممارسة سلطتها على كل من دق باب حكاياها، إذ ستشكل مصدر قوتها لإحداث التغيير المرغوب، ونقل معرفة ما بالعالم، إلى معرفة أوسع وأشمل لتحقيق التجاوز وفرض البديل الممكن لإعادة الحياة لمجراها الطبيعي والإنساني جاء على لسان السارد قوله: "تجلس النساء تحت ركبتها يشكين من ضعف الرجال الجنسي وجهلهم بالتعامل معهن. فقط هي شهرزاد التي تعرف.. وتنصح بعض النساء بعمل فنجان قهوة على الريحة قبل الجماع بنصف ساعة حتى ينجبن ذكرا.. وتعرف للنكاح مائة اسما فتجلس النساء أمامها في ذهول.. تقول إن النكاح له أسماء كثيرة"[٢٦٠]. فشهرزاد السيد حافظ تشبه شهرزاد ألف ليلة وليلة؛ في سعة علمها وتنوع ثقافتها فأضحت لغزا حيّر عقول المفكرين وسلبه، فهي وحدها قادرة على تفسير نفسها. يقول السارد: "والنساء يجلسن في ذهول أمام علمها قالوا إنها قديسة وقلن عنها لعوبا قلن تزوجت من ألف رجل.. قلن وقلن والناس دوما تقول "[٢٦١].

حملت شهرزاد العالمة على جلب انتباه الآخرين؛ وحملهم على الشهادة لها بقدرتها على الإمتاع في السرد؛ والمعرفة التي هي في الأصل حصيلة

٢٥٩- شهرزاد ليست مغربية، فاطمة المرنيسي، ص ٢٧.

٢٦٠- المرجع نفسه، ص ١٧.

٢٦١- المرجع نفسه، ص ١٨.

ذهنية لتراكم التجارب الإنسانية في بعدها الكوني، وقيمتها في تكسير النظم القاهرة المؤطرة لوجودها. فأضحت قبلة العارفين السالكين طريق البحث عن كينونتهم يقول: "خرجت سهر من المدرسة مبكرا.. ذهبت إلى بيت شهرزاد..لم تجدها جلست سهر أمام بيت شهرزاد.. الروح تعطش لحكايا المعرفة كأنها طفل يعطش لثدي الأم"[٢٦٢]. وقّفت سلطة اللغة لتجعل من المستمع/البطلة سهر بعد كل ليلة من الحكي والسرد طفلا متعلقا بالصمت.

حرص الروائي السيد حافظ على استلهام ذلك التلقي الإيجابي الذي حظي به كتاب "ألف ليلة"، وحضوره الفاعل لنص الليالي في الذاكرة. وشخصية شهرزاد المعجزة التي قاومت سلطة الرجل بسلطة الكلمة تقول الدكتورة فاطمة المرنيسي: "شهرزاد تتكلم والمعجزة تحدث"[٢٦٣].

على سبيل الختم:

هنا تنتهي رحلتنا مع روائي رسم بسرده وثقافته لوحة جمالية، طرزها بأدبه الأصيل، وزينها بدخيرته المعرفية. ولأن الزمن الإبداعي لا يقاس بالعمر البيولوجي، فسيظل هذا المبدع المتمرد القلق الحالم خالدا، سيتجلى مشرقا كلما أظلم ليل في وجه الإنسان. فما زال له حلم الكتابة والإنتاج طالما قلمه متوهج ينبئ بالإبداع والإمتاع.

هنيئا للروائي السيد حافظ المبدع الذي تيمم بتراب الوطن وتوضأ بنور الحرف وصلى في محراب الكلمة.

لائحة المراجع:

٢٦٢- قهوة سادة، السيد حافظ، ص ٢٦٤.

٢٦٣- شهرزاد ليست مغربية، فاطمة المرنيسي، ص ٢٣.

- الرواية: قهوة سادة، السيد حافظ، ٢٠١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أرض الأبدية قراءات في تجربة الشاعر سيف الرحبي، مفيد نجم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، منشورات الجمل.
- سوسيولوجيا الأدب، روبير إسكارييت، ترجمة آمال عرموني، ١٩٩٩، دار عويدات، بيروت.
- الشعر والتلقي، علي جعفر العلاق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، دار الشروق، الأردن.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي.
- شهرزاد ليست مغربية، فاطمة المرنيسي، المترجمة ماري طوق، الطبعة العربية الثانية، ٢٠٠٣.
- عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، الناشر مقاربات.
- مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف، ترجمة الصديق بوعلام، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- المرأة واللغة، عبد الله الغذامي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦، المركز الثقافي العربي.

موجز بسيط عن السيرة العلمية
جميلة رحماني
دكتوراه في الآداب

ـ من إصداراتها:

- "غواية الكتابة ومدارج التأويل قراءة في ديوان "جسد.. جسد" للشاعر الطيب هلو"؛
- "ذاكرة الاغتراب قراءة في تجربة محمود جاسم النجار الإبداعية"

ـ كتابة تقديم:

- رواية "رحلة إلى الهناك" للروائي والشاعر العراقي محمود جاسم النجار؛
- المجموعة القصصية "أنامل ريفية" لمجموعة من المبدعين الشباب؛

ـ المشاركة في كتب جماعية:

- "إيقاعات لدفء المكان" كتاب الملتقى الوطني الثاني للزجل بأبركان ٢٠١٤؛
- "أن يكون ساردا"، قراءة في تجربة الروائي الدكتور أحمد سلام إدريسو الإبداعية
- "إبداعات نسوية جماعية" ٢٠١٧

- كتابة دراسة نقدية لرواية "قهوة سادة" للروائي المصري السيد حافظ نشرت في طبعتها الثانية.
- نشر مقالات نقدية في مجلات عربية ووطنية.
- المشاركة في ملتقيات وطنية وعربية.
- رئيسة صالون رياض الفكر الثقافي.
- مستشارة بالمؤسسة العربية الهولندية للثقافة والتنمية ومؤسسة ودار نشر أوطان للنشر والتوزيع والترجمة.

كلمة عن
د. جميلة مصطفى الزقاى ـ الجزائر

الوطن مستباح.. لا نميز بين الاحتلال والاستقلال.. بين القتل والموت.. بين النواح والأفراح.. وإذا اشتهى قلبي سيرة الحب.. تذكرتك يا ولدي.. قتيلاً.. مدفوناً كلك جروح.. وكل الأعذار مفضوحة.. وكل البيوت مجروحة.. أهلكتني الأحزان والآهات والغربة والأنباء والتضليل.. والتنهيدات تخترق قلبي.. أيها الوطن المستباح ألا تعلم أن الأرواح تلتقي في الحقيقة والخيال والأحلام.. وروحك يا ولدي عطر الزهور.. والذي صبرني على البلاء.. سر القهر وسر الظلم وآية الطهر واللقاء بالأحباء..

اللهم أنزل على أحبتي الضياء والنور.

اللهم أنزل على أحبتي الفسحة والسرور.. واجعلهم آمنين مطمئنين واجعل العراق.. آمناً مطمئناً وانشر عليه رحمتك وصب عليه من بركاتك يا من بيده خزائن السموات والأرض وادحض أعداءه وكد وامكر بمن كاد ومكر له واقلب عاليها سافلها عليهم وانتقم لمن كان سبباً لإراقة دماء أبنائه واستباحة أرضه ويخس ثرواته إنك فعال لما تريد وعزيز ذو انتقام..

الحقيقة لم ألبث أن أتماسك وأمنع عبراتي المتكسرة في صدري وآهاتي المتمردة وأصوات نعي ونوحي التي أضحتني كظيمة لن أرى إلا السواد وأنهار الدماء بين مد وجزر تكاد تفنى الآمال والأشواق في قلوب ضمدها الأمل بضياء الأمن والأمان أصبحت بغداد الحضارة ومنارة العلم والتقدم فانوساً ذا فتيل مطفئ وبصيص متذبذب هنا وهناك يسودها الانقسام والانفصال والتطرف كأنها قطيع أغنام دون راعٍ.. وبينما تشع بقعة متوهجة

بضياء من البحر المتوسط وتسلط نبراس يراعها بقرطاسٍ صنع في بلاد المليون شهيد.. البلد الذي عرَّفنا معنى الوطن والوطنية والجهاد والاستشهاد من أجل نَيل الحرية والاستقلال بلد المرأة المجاهدة (جميلة بوحريد) بلد البطل عبد القادر الجزائري الذي جال بالنصر ثلثي الجزائر ولقن العدو دروساً بالدفاع والصمود والاستشهاد من أجل حب الوطن.. أميرة النقد والمسرح والأدب والدراسات النقدية والتحكيم.. هي الأستاذة الدكتورة (جميلة مصطفى زقاي) من بلد المليون شهيد.. الجزائر الشقيقة المطلة على البحر المتوسط والتي تأثرت بالثقافة العربية والثقافات الغربية وبالأخص (الفرنسية) والإسبانية بحكم موقعها الجغرافي والسيطرة الاستعمارية لذلك النص الذي بين كفينا وتحت أنظارنا يجسد واقعنا المر الذي عاشه الأجداد وعشناه نحن وسيعاني منه الأبناء والأحفاد.. حلقت بسماء الإبداع وتألقت الأستاذة الدكتورة (جميلة مصطفى زقاي) في دراستها ونقدها للنص ((كل من عليها خان)) حين تناولته.. ((تبدو الأحكام والأعراف الروائية قد حكمت على الرواية أنها مجنونة ساخرة.. أو مومسات متعطراتٍ بالمسك والعود ماسكات بأيديهن صولجاناً وسيفاً يحاكمن به الوطن والتاريخ والذاكرة.. وبما أننا الآن مقبلون على جو من التناقضات والانقسامات والاختلافات السياسية والسياسات ووجهات النظر وتنوع السيطرة وأنواع لا تعد ولا تحصى من الخيانات تظهر لنا أرواحا ونفوسا وقلوبا ودماء نقية فتية تضحي وتدفع وتعطي من أجل حب الأرض، حب المولد وأرض التولد ومسقط الرأس وانبعاث الصرخة الأولى.. تكشف لنا الأستاذة الدكتورة (جميلة مصطفى زقاي) النقاب عن أنواع ثلاثة من العلاقات (العلاقة بين القلم والعلم، بين المواطن والأرض،

والعلاقة بين الجد والأب والابن.. والجدة والأم والبنت.. والخصومات والانشقاقات بينهم) هذا ما تنذرنا به الأستاذة الدكتورة (جميلة مصطفى زقاي) يؤنبنا.. ويا ليتهم يؤنبهم ضمائرهم لوجود مثل هذه الانشقاقات والخصومات بين أبناء الوطن خاصة، وساسة الدول الشقيقة ويا حبذا لو أخذوا برهة من الزمن وفكروا بعدم تصدير خلافاتهم خارج حدودهم للحد من الخلافات دون ضجيج وعجيج واصطخاب وتعالج بالتفاهم والتحاور البناء لا بالتضارب والتنافر والخلافات بفرض الهيمنة والحصار للنيل من هذه وتلك الدولة بالخطط والاستعانة بالأعداء على الإخوان كما يقول المثل.. (أنا والغريب على ابن عمي) للأسف حقاً.. الوطنية أصبحت عملة نادرة حاليا وأن وجدت تحارب من قبل الماكرين والحاقدين والمتسوولين والمتملقين المتسلقين للاستعلاء والاستمكان من السلطة وأمامكم دليل على ما أقول.. النص الذي بين يدينا الذي وثقه لنا الأستاذ الكاتب الروائي الكبير (السيد حافظ) في (كل من عليها خان) وبدارسة وافية مجدية كتبت بمداد قلب وفي عرف معنى النضال والجهاد والحب للوطن.. الحب الحقيقي الذي دون مقابل من قلم ينبض بالعز والمجد والرقي خط الكلمات بصدق روحي وكفاءة لغوية بارعة تسابقت النقاط لتكسب الحروف نضال وتألق وأضواء متوهجة لتشع في سوح النضال حماساً وتجديداً لقوى النضال التي تشعر بالوهن في بعض الأحيان للنكسات والخسارة في الدفاع عن الأرض والقضية.. هكذا هو الكاتب والروائي في هذا النص (كل من عليها خان) وفياً منذ نعومة أنامله التي لا تعرف العجز والتقصير مرنة طيعة للقلم والورق لكي يظهر لنا الإبداع ويكون موسوعة ثقافية فلم يغفل الكتابة ولم يحدد (الزمان والمكان) وفتح صمام

العشق للفنون وأجناسها ليقربنا للإحساس والأنا الشعرية ويصاحبنا بمشاعر رقيقة جياشة وجمالية لا مثيل لها.. لن تسمح بالملل والكلل للقارئ حتى بعض المحطات التي احتوت السرد التأريخي.. كرواية تأريخية هي مجموعة روايات تتولد في وطن كسيح وتاريخ مجرم.. وذات تلهث في كل الاتجاهات.. لكن المحرك الأساسي.. هو تحريك الحدث.. من قبل الراوي وخاصة أن الكاتب الكبير الوطني المحب لمصر بجنون.. في كتابه الذي تناول قضايا مصر..

مصر العظيمة ومصر العبيطة ..

أكدت الأستاذة والدكتورة والناقدة الصدوق الصادقة (جميلة مصطفى زقاي) أن الكاتب الكبير أدرك استخدام الشعر والمسرح مع السرد بذكاء وحبكة ذكية إذ قال: أن السرد دون شعر.. كالحكي الشفاهي ما قام به (السيد حافظ) ربط السرد بالرواية هي سرد والسرد يعني تأريخ والتاريخ حكاية والزمن الإنسان واللغة الحية التي تمتلك الدهشة الشاعرية.. فإذا أردت أن تكتب سرداً.. اكتب شعراً.. فالرواية عند الكاتب هنا سرد لصيق بالتأريخ ولغة ذات دهشة وعذوبة جمالية في المرادفات اللغوية الثمينة في المعنى والمغزى بحيث يكون الناقد أو الناقدة في حيرة وامتحان ومخاض صعب إذا ما وضع نص من نصوص الكاتب المتألق بالإبداع المتجدد الراقي (السيد حافظ) حيث أن كل نص من نصوصه يحمل منعطفا وجمالية لغوية تختلف عن ماسبق من نصوص.. مثلاً تقرأ نصاً له يحمل أشعارا موزونة بالحب والعاطفة المستنيرة بتدفق الشوق من الأعماق الروحية والعشق الذي لا منتهى له ينبوعاً للعطاء والنماء.. ونصا آخر يتمرد على الأحزان والآهات والآلام..

ونص آخر يزرع وينمي فينا الأخلاق والمبادئ هذا الذي اتهم مرة أنه يساري ومرة إسلامي متصوف ومرة حاقد وغير محب لمصر والمصرين وهذا ما صنعه الكاتب.. عندما شارك القارئ في (اختيار العنوان) أضاف للقارئ مسؤولية المشاركة في النص من الصفحة الأولى حتى آخر الرواية.. والكاتب يعتبر الأجناس كالأضلاع للرواية فإذا ما فقد أحد الأضلاع تصبح الرواية مجرد حكاية باهتة بلا روح ولا جسد أي بدون إعداد بنائي فتي لعدة الرواية.. قد نسميها (الشعرواية أو المسرواية) لامتزاج الأجناس فيها من شعر ومسرح وباقي الفنون الآخرى ومما قدمه من نحت الأبجدية واختزال ومصانعة الفنون.. لإحداث الدهشة في أعماله المذهلة ذعن لها السمع.. لدهشة التذوق والإحساس بالصياغة والإبداع في النحت والنقش وتزويق الشخصيات ورسمها ونحت معالم الجمال لإظهار جمالها وربطها بالسرد والقصص الواقعية.. والتخيل لرياضة الفكر والعقل البشري وتعزيز وتعميق المبادئ والأخلاق والحب الحقيقي.. وحب الوطن والولاء له قضيته البتة.. هذا ما أكدته (الأستاذة الدكتورة جميلة مصطفى زقاي) في مشاركة الأستاذ الكاتب الروائي الكبير (السيد حافظ) من أول أبجدية الرواية إلى آخر حروفها ومكاشفة القارئ ومشاركته بهذا أصبح مشاركاً في نسيج خيوطها وبطلا من أبطالها وشخصياتها لتوضيح وتصحيح الحقائق التاريخية ووضعها بين دفتي الواقع المهمش.. كما قالت: الأستاذة الدكتورة جميلة مصطفى زقاي..

السيد حافظ: (نبش في السطور المفقودة عمداً حتى بدأ.. مؤرخاً وأركيولوجيا لا يضيع أدنى وثيقة أو منحوتة.. إلا أن يصل للحقيقة ويصحح ما ران عليه غبار الكذب والتضليل..) فهم الكاتب هنا مصر ما جرى لأم الدنيا.. فتبين وظهر لنا فسيفساء الحياة.. وما معاناته وحرمانه وهواجسه

والضياع والمآسي التي عانى منها ما هي إلا قطعة من تلك الفسيفساء المنقوشة بالإدمان الإبداعي، فإصابة الكاتب (بالإدمان الإبداعي.. والتضيق والتهميش والتضليل..) لم يعرف التوقف بل زاده إصراراً وإبداعاً ونجاحاً ومواصلةً لكتابة درر مضيئة في سماء الأبجدية الحافظية.. والإفصاح عن البوح بحضن الحبيب مصر الأب وليس الأم كما كنا نعتقد سابقاً (صححه لنا الكاتب الأستاذ السيد حافظ في الأبجدية الحافظية وقال: مصر اسم مذكر وهو (مصريم بن بنصر بن حام بن نوح عليه السلام) وأن معظم من أتى وسكن مصر حصل على الجنسية المصرية ببساطة وعاش وعمل وأصبح من أبناء مصر..) هكذا الكاتب يوضح لنا دائماً المعلومات بأسلوب إبداعي سلس ليولد إبداعه ليضع لنا لبنة جديدة على من سبق لهم أن أسسوا البنى الأساسية للمسرواية (توفيق الحكيم والأستاذ يوسف إدريس) فيكون الأستاذ (السيد حافظ) أضاف وأسس ليعلو البنيان وتنمو الأبجدية بحروف معطرة ويخبرة وتقنية حافظية بحتة ليشكل البنية الأساس للسرد والحكاية والمسرح وتلاصق أجناسها وانصهارها معاً في بوتقة الكاتب اللغوية الجميلة الرصينة القادرة على الاحتواء.. للمتلقي وللأقلام الصادقة والمتمردة والثائرة لكافة الثقافات .. لم يغض النظر من النصوص القرآنية لدعم الأحداث أصلاً.. (كل من عليها خان) على وتيرة ما جاء بسورة (الرحمن) فاجتاز الكاتب (خط بارليف) للرواية لينتقل بخطى متناسقة أنيقة وذات رشاقة متراقصة على أوتار قيثارة شهريار لشهرزاد الحبيبة.. وعزف مقامات اللامي والبياتي وأحياناً العزف على الآلات الموسيقية المعاصرة والحديثة لخدمة كل الأجناس الأدبية لتشكيل المسرواية المعاصرة المتجددة فيدخل في دهاليز الماضي ويحفزها لإحياء الحاضر ورونقه.. وتبقى سهر سر الحكاية لفتحي رضوان خليل الشاب المصري الأسمر..

الكاتب يؤكد على الشخصية (سهر) بطلته ويظهرها بصورة (أنها ضحية وليس الجانية) وكلنا يعرف أنها خائنة لأنها تقيم علاقة مع رجال كثر.. وهذا ما نسميه (الخيانة الزوجية) التي يعاقب عليها الشرع والقانون.. لكن بنظر الكاتب هنا.. أنها سيدة النساء..امرأة استثنائية لا مثيل لها ولن يكون لها مثيل أبدا

هل العشق عند الكاتب (منزه)..؟ هل الخيانة (منزهة)..؟ هل الإقصاء والانتقام.. منزهان..؟

ماذا؟ وماذا؟ نفسر آهاتنا وأحزاننا أمام مجمل الخيانات التي توالت سهامها لتخترق جسد الأمة العربية وتثقب الأرواح وجرحت القلوب.. فهل ننسى جروحك يا عراق الأحزان؟

كلا لن انسى طعنات الغزاة ولعنات الامهات الثكإلى.. !!!!!!!

يا ترى كيف ستلعنك (تهاني) عندما تستدل على براهين خياناتك يا (فتحي رضوان خليل) لطالما غرقت عيونها وهي تسألك.. كم تحب مصر..؟ وغرغرة الوداع تخنقها.. تخفي أحاسيسها بمعرفتها بخيانة مصر لها..

آه.. آه.. ياعراق بكم خانوك وباعوك.. وكم الثمن للخيانة؟؟؟

(فكل من عليها خان)

يالك من طلسم أفتن وأغنى وأقنى وأجمل وأبدع الأبجدية بطلتها بحروفها الصريحة الصادقة المحبة والعاشقة للوطن الرافضة للخيانة بكل الأوجه

الحب.. أحلى وطن للإنسان وليس المكان.. الحب يبدأ بالنساء وينتهي بحب الألوان..

النساء نور.. جمال.. حنان.. ودفء وحنان.. غيرة وإثارة.. (الكاتب هنا ركز على جمال النساء الذي يستميل به الرجال سواء بالإثارة الجنسية أو العطر والجمال.. فنجح السيد حافظ.. في حبك العلاقات بين الشخصيات

مما زاد من جمالية أيقونات الرواية.. فأبدعت الأستاذة الدكتورة (جميلة مصطفى زقاي) بجمال لغتها في النقد الأدبي ولغتها الحية الشعرية للنص فكان إبداعاً آخر موازياً لإبداع الكاتب والروائي حين يلتقي النص بناقدة مبدعة يحدث شهادة ميلاد حية لتاريخ الأدب العربي والأستاذة الدكتورة جميلة مصطفى زقاي.. إحدى الناقدات المبرزات على مستوى النقد المسرحي والأدبي.. فلذا يمكن أن نقول: أنها اكتسحت الكثير من قريناتها في أدوات وخبرات المسرح بكل عناصره فنجحت في التعرف بسهولة وبقوة إبداعية في تحليل وتفسير النص الأدبي.. (كل من عليها خان).. إلى لوحة رائعة الجمال نقداً وذوقاً فنياً أدبياً

الحب عادة وعبادة.. وأنت يا سيدة الحزن البنفسجي.. عشقي الشجي وتاريخ جنوني.. الحب لا يعرف السلطة ولا الأخلاق ولا الحلال من الحرام.. الحب أحمق فاجر وأحياناً نور يشرق على الأشرار فيحولهم إلى أخيار.. الحب جبار لا يعرف له عنوان ولا مكان ولا زمان..

بينما أنت حبي الأبدي والحقيقي يا وطني.. المستباح..

البنى السردية وروافدها في الخطاب الروائي
لـ "(كل من عليها خان) للسيد حافظ
د. جميلة مصطفى الزقاي – الجزائر

كتابة كلها جدة وأصالة لا عهد للقارئ العربي بها؛ إذ قوض الكاتب الثالوث المحرم–الدين والسياسة والجنس– ليصير ثلاثيا مستأنسا طبيعيا يتماهى بجسم الرواية "كل من عليها خان". فبنى وأسس لا بناء روائيا يحوي نصوصا متداخلة لم يستأذن في عقد القران بين الأجناس والنصوصية.. إذ الرواية روايات تتولد من وطن كسيح وتاريخ مجرم وذات تلهث في كل الاتجاهات لكن المحرض الأساس في تحريك الحدث الروائي الجديد هو "مصر" العظيمة ومصر العبيطة "..

الصفحة الواحدة تشي بأكثر من نص، والصفحة الواحدة قد تنشطر من جوانيتها على الدراما والتأريخ و.. والنفس اللوامة بأسلوب شعري آسر.. يجد القارئ به التريض والراحة والسفر على أجنحة القوافي والأوزان المطردة التي تحوي شجنا وعشقا.. فيأسر الكاتب الرائي القارئ بسحر ترويض الحرف بعبث ومشاكشة وجرأة لا نظير لها.. مع أن التقديم كان بارداً فاتراً نوعا ما، لكن سرعان ما اتقد وشحن أفق انتظار القارئ الذي يبدأ غريبا عن النص فيتملكه بسلسلته الدوالية التي على الرغم من تفكك بناها السردية تشكل شبكة غريبة حلقاتها تبعث الحيرة والدهشة، وأحيانا يفقد القارئ الخيط السردي فيضطر لإعادة كرة القراءة.. لكنه لا يضجر من إعادة القراءة لانها تهدهده بخطابات مختلفة على غرار المسرحية والسيناريو بل حتى الفسح الغنائية لسيدة الطرب العربي أم كلثوم والفنان المتفرد محمد عبد الوهاب وغيرهما..

حتى لكأن الرواية تبدو مجنونة سافرة بثوب مومسات متعطرات بالمسك والعود ماسكات بأيديهن صولجانا وسيفا تحاكمن به الوطن والتاريخ والذاكرة العربية الإسلامية. هذا الوطن الذي غاب عنه إنصاف المبدعين الذين لا همّ لهم غير السعي لقلب موازين الفساد السياسي الضارب بجذوره عبر تاريخ الأمم، لتتبوأ أوطانهم المرتبة النبية التي تليق بها. فكيف يقابل تفاني المبدع من أجل وطنه بالجحود والنكران؟؟ !!!!

بعد بداية فعل الكتابة مباشرة يصير قارئها عبدا لها مسلوب الإرادة أمام كم هائل من المعلومات التي تتعدد قنوات تبليغها بتشكيلة تعبيرية تتدفق شعرية إيقاعية ترقص على أنغامها دلالات عميقة حارقة ذات أبعاد تجل عن الرصد مرفوقة بأمثال شعبية حارقة. ومن الحشد الموضوعاتي الذي طُرق بهذا العمل الفقر والهجرة السرية ومعاناة المصريين بدول الخليج والتركيبة الاجتماعية والدينية الهجنة بمصر، والايديولوجيات السياسية المريضة وناهيك عن الحشاشين وغيرها من المواضيع..

ومن الدلالات والمدلولات الإيحائية إلى العدد الذي كان له نصيبه ب"كل من عليها خان" ويتعلق الأمر بالعدد "سبعة" الذي استغل حقيقة ومجازا وحقيقة وخيالا، فأسهم في جمع شمل حقائق وأحداث ألّفت بين ما هو ديني وما هو دنيوي. فالسبعة التي تصدرت المقام تيمنا وبركة بالكلم المبين كذا لتماهي المقدس بالمدنس من خلال سبع سنوات عجاف عايشها النبي يوسف عليه السلام والتي عكست سبعا أخر عايشتها مصر في عهد المستنصر؛ فنم عنها فظائع يعاف اليراع وصفها ومسحها وذكرها..

حقائق عف المؤرخون عن ذكرها أو مروا عليها مرور التقصير ومحاولة النسيان فعرجوا عليها في سطر، بينما أبى المبدع الكبير السيد حافظ الذي لم يتورع بكل موضوعية عن ذكر الحقائق التاريخية الدامية المتعفنة القذرة التي تخص هذا المنبت الذي كرس له قسطا وفيرا من كتاباته علاوة على روحه وأناه؛ هو الذي ذاق مرارة الغربة عن مصر فأرادها ويريدها أن تعاف أثوابها البالية لتنطلق بنفس جديد ومتجدد. وكأنه من خلال إماطته الغطاء عن تاريخ عاهر يفصح أن لا جرم متعمد لهذه الأرض التي لم تختر ماضيها مثلما لا يختار الإنسان والديه وهما اللذان يربيانه على الفطرة فيسلمانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يهودانه..

"السبعة" اعتلت كذلك العناوين التي ألفها القارئ عنوانا واحدا كما تعود التهميش والغياب في السيرورة الحكائية السردية لكن "كل من عليها خان"جعلته شريكا فعليا منذ الاستهلال حين عرض عليه الكاتب انتقاء عنوان من سبعة عناوين فكان استهلالا بنضح جدة ويعلن عن أسلوب لا عهد للرواية بين الأمس واليوم به. ولئن قُتل المؤلف عند رولان بارت وقد منح الحظوة للقارئ على حساب المؤلف في كتابه لذة النص وغيره ، فإن المبدع الكبير السيد حافظ قد أعلن الوفاق والمشاركة إلى حد المخادنة مع القارئ الذي يلتمس منه بطريقة لبقة ومؤثرة أن يختار عنوانا من بين سبعة عناوين كلها وظيفية وتعبيرية لكن الأولوية ل("كل من عليها خان") هذا العنوان الشرعي الذي اكتسب أحقيته وقد تردد هو وأقرانه لكنه برز أكثر من غيرها لموافقته للمضامين المشفرة .

تجدر الإشارة إلى أن الرقم"سبعة" صاحب المسرحيات القصيرة جدا، ولازم الحكايات عن تاريخ الاسكندرية، علاوة على سبع جيران وغيرها.. هو العدد الفردي الذي كان سليل المرجعية الدينية والتراث الحكائي الشفهي العربي. فاتخذه الكاتب شِفرة أسعفته بمساره في ثنايا ("كل من عليها خان) "متسلحا بحبه المستميت لمصر.

عشق الكاتب لمصر من عشقه حتى الثمالة لشخوص عمله الذين قد يفضلهم على نفسه، فتلفيه يطلق لهم العنان والحرية في التصرف والتفكير، وتراه يسايرهم ويزج بهم في المطبات بحسب أمزجتهم وإيديولوجيتهم ونزواتهم فمنهم النساء اللواتي حملهن فعل السرد بجدارة من بداية العمل إلى نهايته؛ فمن العفيفة التقية "وجد" إلى الجارية المطيعة الطاهرة التقية النقية الوفيةّ "جميلة" إلى السيدة ذات الجمال الأخاذ والفحولة الرجولية "فجر".. إلى الخائنة العاشقة اللئيمة "سهر" إلى الراوية الذكية "شهرزاد" والكاذبة الفاشية للأسرار المألبة على الظلم والجبروت.. ولئن سخر كاتب ياسين الجوقة النسائية بجثته المطوقة فإن السيد حافظ منحهن سلطة السرد والحكي وقلب موازين الحكم ومقاليد الحكومة من الأسوإ إلى الأحسن ومن الضياع والتوهان إلى التغيير والثبات..

وإذا تعلق الشأن بمرتبة الرجال في السلطة الحكائية فقد وظف شخصيات تباينت سلوكا وفعالا وخلالا ؛ فمن نيروزي الذي يمثل الآخر في مصر حبا فيها ونقلا لفكر طائفي أرسى مقاليده بالخلد المصري، إلى فتح الله شهبندر التجار الذي كان الزوج المحب والمصدق لتراهات الشعوذة والحامل لفكر أهواء الاستغلال والاستدمار فكانت نهايته شبيهة بنهاية الطغاة والجبابرة

ماضيا وحاضرا وعربيا وغربيا. نهايته المفجعة تضارع نهاية رب العمل على يد عمال المناجم الفرنسيين الذين عرضهم إميل زولا بروايته"جيرمنال" التي توجها بانتصارهم وانتقامهم من صاحب المصنع الإقطاعي بإخصائه والظفر بعضوه التناسلي، وهم يهللون بانتصارهم على الظلم والجبروت الذي أذاقهم إياه بالمناجم مضرجا بالفحم الذي أتى على صحتهم وكينونتهم.

السيد حافظ يحيلك على كوكبة من الروائيين الذين قد يتقاطع معهم تناصيا لكنه قوض بناءهم الروائي الكلاسيكي التقليدي فأقام لنفسه بناء حافظيا بامتياز لكنه ليس اعتباطيا بل مؤسسا. ولئن كانت فاطمة قالير الكاتبة الفرنسية الجزائرية قد تبنت الرواية والقصة أولا ثم المسرحية ثانيا فتلفي النسيج السردي بمسرحياتها يطغى على الأفعال والحوارات الدرامية التي يثقلها الوصف الدقيق للشخصيات التي تبنيها على تؤدة وحيطة وحذر، فإن السيد حافظ رائد التجريب بالمسرح العربي لا يثقل كاهله بناء بتمرده على الأعراف الروائية التي سنها رعيل من الروائيين قبله. لذلك تجد تلك المسرحيات القصيرة التي تخللت "(كل من عليها خان") في منتهى التكثيف الدرامي الذي يحرض الذاكرة الصورية للقارئ فتنقله مباشرة إلى الخشبة ليعود به ثانية إلى الرواية ضمن توأمة مسرروائية متتالية لا تنتهي إلا بنهاية العمل..

بقي السيد حافظ وفيا لخلفيته وحمولته الإبداعية ولثقافته الموسوعية؛ حيث لم يغفل كتابة السيناريو وفق مشاهد تحتفي بتحديد الزمان والمكان لتعرض حيثيات المشهد وحواره بعد ذلك، فازدانت وتيرة السرد بهذه التقنية الخفية "كتابة السيناريو"التي بدت طيعة مرنة بين أنامل لا تعرف عجزا أو

تقصيرا. كما كان لسيد الفنون والأجناس وأقربهم إلى الإحساس والأنا المنفعلة الحالمة "الشعر" الذي فتح صدره ليستوعب البناء الروائي المتمرد عند السيد حافظ على باقي الأجناس، فيصاحبها بأريحية جمالية لا تسمح بتسلل الكلل أو الملل إلى المتلقي، عدا بعض المحطات القليلة التي رُجح فيها السرد التاريخي على لسان نيروزي مفضيا بها لوجد وهما خليلان عاشقان، فبدا هذا السرد مقحما نوعا ماوقد نغّص لحظات الصفو التي من الأرجح أن تجمع بين الحبيبين المتلهفين للقرب والوصال..؟ !!

يرى راي . RayA أن السردية هي الخاصية المجردة للجنس السردي، ويقترح إمكانية قلبها من أجل كشف السردية في أي جنس لينعت هذا الجنس بالتالي أنه جنس سردي، ويخلص إلى كون كل من التاريخ والشعر سرديين شريطة أن يتوفر فيهما ذكاء سردي intelligence narrative بحسب بول ريكور Paul Ricoeur والذي ينعته فاي j .P .Fay بالبرهان السردي.

يعتري مصطلح "السردي" الالتباس بخاصة إذا ما أريد استعماله في مجال محدد هو السرديات أو علم السرديات narratologie، وبالرغم من ارتباط السردي بجنس الرواية، إلاّ أن هذا لا يمنع حضوره في أجناس أخرى، وهذا ما يكسبه التباسه وتميزه ويسمح بالحديث عن الأجناس غير السردية.

يتطلب إدراك السردي في الأجناس غير السردية ذكاء بغية كشفه، ولتحديد هذا المصطلح" سردي" ينبغي العودة إلى ما ينسب إليه من اشتقاقات لغوية مثل السردnarration والسردية narrativité.

وردفا على ما سبق؛ يربط السيد حافظ فيما بين السرد والرواية فيقول:" هي سرد والسرد يعني التاريخ والحكاية والزمن الإنساني واللغة الحية التى تملك

الدهشة الشاعرية وإذا أردت أن تكتب سردا أُكتب شعرا.. وإذا نقُص ضلع من هذه القواعد لن تكون رواية بل حكاية ضعيفة.. قد تكون الحكاية الشفاهية والحكي الشفهي للرواية أكثر قوة وإبداعا من الحكاء الورقي..لذلك الرواية الورقية تحتاج للتحفز والدهشة المستمرة دائما لتكون قادرة على المواجهة والصمود.

فالرواية عنده سرد لصيق بالتاريخ والحكاية والزمن الذي يعايشه الإنسان واللغة التي لها القدرة على إحداث الدهشة الشاعرية، حيث يتوئم فيما بين السرد والشعر معتبرا العناصر الفنية والأجناسية السابقة من ضلع الرواية وبدونها تفقد بنيانها وتصير مجرد حكاية باهتة بلا روح ولا جسد، كما رجح كفة الحكي الشفهي الذي يؤديه الراوي على كفة الرواية المكتوبة بدون عدتها الفنية البنائية، ويرى أن الرواية الورقية تبقى في مسيس الحاجة إلى التحفز والصمود إذا أرادت أن تبقى وتصمد أمام قريناتها. وفي ربطه بين الرواية والشعر يقر بطريقة غير مباشرة إلى ما يسمى ب"الشعرواية" وفي الحقيقة يحتاج الناقد في موضعته وموقعته لهذه الرواية إلى أكثر من مصطلح وإلى ما يفوق النحت قدرة على اختزال كم الفنون المصانعة في إحداث الدهشة التي أشار إليها الكاتب ولذلك يسعني أن أضيف مصطلح ا"الدرمرواية" .

يحدث أن يلتقي المتن بالهامش في المتن ليصير جزءا من السرد وهنا يتماوج المتخيل الروائي في حضور وغياب مع الواقع اليومي ومع السيرة الذاتية للمؤلف، وهذا ما يضارع في المسرح مبدأ التغريب بكسر الجدار الرابع، لكن الجدار هنا جدار روائي يتهادى ويُقوَّض كما لو أنه يذكر القارئ

–رفقا به– أنه بين دفتي متخيل، له أن يشارك بنسج خيوطه، وبالفعل أتاح له الكاتب هذه الفرصة التي لم يكن يحلم بها مع كاتب آخر ليصير شخصية من شخوص العمل؛ حين شارك في مقاضاة المؤلف على نبشه بالسطور المفقودة عمدا من تاريخ مصر، حتى بدا مؤرخا وأركيولوجيا لا يضيع أدنى وثيقة أو منحوتة ليصل إلى الحقيقة التاريخية مهما كان نوعها أو درجة أهميتها !!! همّ الكاتب من همّ مصر وحياته قطعة من فسيفساء المعاناة والحرمان والتهميش والضياع..تلكم المآسي التي يعايشها المبدع بإدمان إبداعي لا يعرف التوقف ولعل ذلك التضييق يضاعف من إصراره على مواصلة مشواره في البوح والإفصاح دون تشكي أو إذلال.

الحكاية في "كل من عليها خان" حكايات؛ أو هي الحكاية بحضن أختها، ومن أحداث ووقائع هذه تتولد الآخرى فتنمو وتزكو متحدية المسرح في المسرح لبرنادللو، فتشكل بنى حكائية سردية تتوالد من بعضها لتخلق وتحافظ على وتيرة العمل الروائي وإيقاعه المتوثب الذي يشدك إليه بعطر حروفه وتراكيبه الناجمة عن خبرة طويلة بتقنيات الكتابة ومقاليدها وسننها التي تتغير من جنس إلى آخر.

والحكاية لابد أن تكون رصينة جميلة قادرة على احتواء الأحداث، وفي ذلك شاكل المؤلف كوكبة من الروائيين الذين رسموا حكاياتهم بذكاء إذ وبالعودة إلى الريبرتوار الروائي العربي لا غرو سنجد هؤلاء قد جادوا بنصوص قوية البناء محكمة السرد وقد شحنوها بالمواقف الفكرية والسياسية والاجتماعية بذكاء، لكنه خالفهم جميعا بتفاوت في المضامين وفي البناء الروائي الذي خط لنفسه فيه نهجا سرديا لا يلتقي فيه بهم إلا نسبيا.

تعرّف جماعة "أنتروفيون ،entre vernes Groupe d' "مصطلح narrativité على أنه عبارة عن مظهر تتابع الحالات والتحوّلات المسجل في الخطاب، والذي يضمن إنتاج المعنى.

ويؤيد "كورتيس Courtes" هذا المنحى ليرى الحكي وثيق الصلة بالحكائية narrativité والفاصل بينهما يكمن في كون الحكي ينتقل من حالة إلى أخرى، الأمر الذي من شأنه أن يحدث تحوّلا من وضعية أو حالة إلى وضعيات أخرى بصفة متتابعة.

كان حمل الحكاية في "كل من عليها خان" قادرا على الامتزاج بالخطاب القرآني في تناص ديني لجأ إليه الروائي ليدعم الحدث ويخدم الحبكة، بله عن استعانته به ليكون حجاجا وآية يشهرها ليثبت منطقية أحداثه. والتناص الديني بمرجعيته الثقافية ومخزونه الغني الثر، فكان لفظيا كما كان معنويا. من اللفظي وظف قصة قابيل وهابيل وآدم وحواء وقصة يوسف عليه السلام. أما المعنوي فيتمثل في توظيفه لآيات من عروس القرآن "الرحمن".

يسع القول في الأخير إن البناء الروائي ل"كل من عليها خان يتطلب قراءة واعية لان الانتقال من السرد الروائي إلى الحكاية الأصلية والارتكاز على التاريخ مخضبا بالسياسة الماضية التي تحيلك على واقعها الآني ثم الرجوع إلى الهوامش الإحصائية لرتب مصر دوليا..والرجوع في الأخير إلى الحكاية قد يعيق متابعة القارئ العادي لوتيرة الأحداث لكن ما يشفع لذلك هو تلك الجولة المحفوفة بحمولة ثقافية تاريخية وسياسية دسمة ينتشي بها القارئ مرهفا إحساسه للأسلوب الشعري للكاتب وصدقه الحكائي ونقده الذاتي اللاذع.. وبدا الكاتب حريصا بهندسته للبناء الروائي على أن يحافظ على

قارئه الذي دلّله وأمتعه وقزّزه وروح عنه.. وفي ذلك كله فلح في فتح باب السر للرواية التي فض بكرتها لتعيش حياتها بحرية، وقد أخرجها من سطوة الأقدمين ويسر على الكتاب ولوج دهاليزها، لكن ذلك لا يعني أنهم سيفلحون في محاكاة أسلوبه علما أن"الأسلوب هو الرجل نفسه " –بحسب لوفون– فيبقى بناؤه الروائي سهلا ممتنعا وهو عبارة عن فسيفساء حلزونية تشد القارئ من عرقوبه ليواصل قراءة المؤلف بلا هوادة.

المرأة في رواية " كل من عليها خان"

مخادنة سهر وشهرزاد

تتربع "سهر" بعرش حكاية الروح الرابعة وهي زوجة منقذ وعشيقة فتحي الصحفي المصري؛ سر خطير لا تعرف به غير سهر وصديقتها شهرزاد القناة الأصلية للبناء الروائي التي يعول عليها في تحمل السرد الحكائي ذي الحلقات المتكاتلة فيما بينها. شهرزاد هذا الاسم الذي يوحي على الفور بالذكاء والدهاء والحيلة والقدرة على الفتك والنيل من متلقيها، كما أنها الأنثى التي تلت ثلة من النساء قبلها لتوقف سلطة الرجل وتتمكن من دحض جبروته وكسر شوكة تعنته، هي التي أوقفت جرم شهريار وجسدت رغبتها في البقاء، مصدر فتنة واستجابة وسعة صدر وصبر وأناة وتحكم.. فانصاع الرجل لحلاوة لسانها وصنعتها الحكائية التي لم تنل من شهريار فحسب بل سيطرت على أعداد من المتلقين لا تحصى ولا تعد.. شهرزاد "كل من عليها خان" تضارعها حنكة في كسب الزوج وخدمته..وهي زوجة حامد الصقر كما كانت لسهر صديقة وأمّا وخالة تحفظ سرها وتنصحها محاولة تفهمها، وهي العجوز(كما أشارت تهاني لزوجها فتحي) والحكيمة التي استطاعت تشريح

نفسية فتحي من خلال مقالاته عن سهر. ومن ناحية أخرى فهي الرائية التي استشرفت ما سيحدث لها عن طريق عطرها فحدثت النبوءة. كما تمتلك شهرزاد مفاتيح الروح والقلب، بل أكثر من ذلك فهي عمدة دبي المتحكمة بنبض شوارعها وأزقتها وأحاسيسها وانفعالاتها" إن شهرزاد هي التى تعرف مفاتيح الروح والقلب.. وحين سكتت شهرزاد سكتت شوارع دبي..وحين تحزن شهرزاد تحزن دبي..المدن نساء والنساء مدن.. وتعود شهرزاد إلى دور الأم النصوح التي تخاف على سعادة بنتها من بلاعة العشق المجنون وتشور عليها بترك حب فتحي وتعويضه بالإدمان على العمل ليل نهار لتتخلص من قوى الهوى القاتل بخاصة وهي خيانة زوجية.

أما سهر فهي المقصودة أكثر من شهرزاد في هذا العمل، إذ تتحول من المذنبة إلى الضحية وتجعل الآخر يتعاطف معها، مع أن علاقتها بالصحفي المصري خيانة زوجية لا تقر بها ولا تقبلها أية ديانة سماوية أو عرف من الأعراف.. هي الفاتنة التي سلبت عقول آلاف الرجال قبل منقذ زوجها. وتبدو ظاهريا "أبرأ من براءة الملائكة والندى والأطفال"لكنها تقتل بفتنتها يوميا عشرات الرجال والشباب.. هكذا يصور السيد حافظ صورة المرأة فيعتبرها وطنا ومدينة ومسكنا ومرفأ، لكن عشرات النساء تسللن من ثقب روحه فلم يعد يتذكرنهن" وقد كانت مدن النساء تحاصره "وتحاصرني مدن نساء متآكلة الأحلام والرغبة والجنون.."

لكن الوطن على الرغم من خيانته له لا يزال يعشقه؛ فهو العشق المنزه عن النسيان والإقصاء والانتقام فيستنكر التوبة والعدول عن عشقه" كيف أتوب عن عشق وطن زنت به كل الحضارات واحتُل ٧ آلاف عاما.."عقد الكاتب

مقابلة بين عشقين سكناه فيرجح في كل مرة كفة الوطن.. ونسيت أسماء نساء كثيرات مررن من ثقب الروح والقلب المجروح والعشق المفضوح..ولم أنس أن هذا البلد ذو الجورب المثقوب العطن أهانني طوال العمر.. وفي موضع آخر يجيب فتحي عن سؤال زوجته تهاني -هذه الغائبة الحاضرة بقوة التي تحس وتداري إحساسها نظرا لحبها المستميت لزوجها- إن كان لا يزال يحب مصر فيجيبها وقد غالبتها العبرات قدري أن أحب تلك الخائنة..
وانفجرت الدموع من عينه وهو يمضغ الطعام ببطء شديد..

يحدث أن ييأس الكاتب من حب الوطن فيستبدله بحب النساء الذي يسهل عليه الظفر به لانه ملك راحتيه وعنفوانه وعطره، بينما الوطن بأياد أخرى تدنس أكثر مما تنظف وتطهر ولذلك يستسلم لسلطة الحب حيث الدفء والحنان "بينما الأوطان بمثابة أكفان "أنت وطني يا سهر وانا وطنك فهذه ليست أوطان بل أكفان ونخدع أنفسنا ونكذب..الحب أحلى وطن للانسان وليس المكان. الحب يبدأ بالنساء..وينتهى بحب الألوان."

وجد وفجر

وجد المرأة الأسطورية جمالا ورقة وعنادا وإصرارا يفوق التصور، وهي الروح الرابعة لسهر أي أنها نجمت عن سهر.. "كان ياما كان روحك الرابعة في جسد بنت تسمى وجد.." وهي بنت جارية تركية ببيت أحد الأثرياء الذي أعتقها وزوّجها من حلاق مصري إسمه عمار ظفر بها على إثر حلقه لياقوتي التاجر الثري بمهارة واحترافية فحرر جارية وزوجه إياها.
بزغ نجم وجد ووجهها يشع نورا، كما ينبعث من جسمها عطر له دخان خفي يثير الرجال ويضرم غيرة النساء فهي أعجوبة أقرتها القابلة يوم ميلادها "وجد.. كانت أعجوبة زمنها، فعطر جسدها دخان خفي يلهب جسد الرجال،

ويشعل غيرة النساء..ففي لحظة ولادتها قالت القابلة (الداية) عندما رأت النور الذى يشع من وجهها ورائحة جسدها المعطرة وجمالها: البنت دي غريبة فيها سر، وريحة جسمها مسك.." لطالما يلجأ الكاتب إلى هذه التفاصيل الحجاجية التي تسهم في بناء الشخصية من جهة وتبرر مواقفها فيما بعد، إضافة إلى تهييء القارئ لقبول تصرفاتها وأفعالها حفاظا على التكنيك الروائي. ولذا نجدها فيما بعد يطلق عليها اسم "مسك" عوضا عن "وجد" ويفيد الكاتب على لسان شهرزاد باعتبارها قناة سردية أنها خُطبت منذ سن السابعة وكأن عطرها كان يلفح من يمر بجوارها، لكن أباها كان يرفض.

ركز الكاتب على بعض جوانب المرأتين سهر ووجد ولم يجعل الثانية روحا للأولى هباء لكنه يركز على جمالهما الأخاذ وعلى استمالتهما للرجال بعطرهما وكلاهما تثيران غيرة النساء. ويل ذلك على أن السيد حافظ يعتني عناية خاصة بحبك العلاقات فيما بين الشخصيات حتى تبدو وكأنها نسيج حدثي محبوك بعناية. ص٤٧

المدينة بـ " كل من عليها خان "

أ- الاسكندرية

قلت: سيدتي هو سر العاشقين.. قالت: أما زلت تترك للنساء عطرا.. وفكرا.. وجرحا قلت : كيف لعصفور قلق مثلى يجرح النور فالنساء نور..؟؟ ضحكت وأوقفت سياراتها وقالت إنزل..لا أريد أن أضعف..قلت أنا الضعيف والعشق ضيف. قالت أرجوك إنزل حتى لا يشُدَّني الحنين..نزلت وسرت على الخليج..وجع الفضيلة جميل..

د. جميلة مصطفى الزقاي – الجزائر

السيرة الذاتية

الأستاذة الدكتورة / جميلة مصطفى الزقاي

الوظيفة: أستاذة جامعية باحثة في النقد المسرحي والسينمائي والأدبي والترجمة.

الدرجة العلمية: أستاذة دكتورة في النقد المسرحي.

- رئيس المجلس العلمي لمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة تيبازة بالجزائر.
- المشاركة في الكثير من المهرجانات والملتقيات العلمية والأيام الدراسية الوطنية والدولية.
- عضو في أكثر من مخبر ومشاريع بحث.
- عضو منظم للكثير من الندوات والأيام الدراسية والمؤتمرات والملتقيات الوطنية والدولية.
- عضو ورئيس باللجان العلمية للكثير من الملتقيات العلمية والندوات الدولية.
- عضو بلجان التحكيم بمهرجانات وطنية ودولية.
- رئيس لأكثر من لجنة من لجان التحكيم بمهرجانات جزائرية.
- عضو بلجان مسابقات التاليف الوطنية والدولية.
- عضو في اللجنة العليا لـ "عام المرأة في المسرح العربي" بالهيئة العربية للمسرح بالشارقة نوفمبر ٢٠١١ إلى غاية ٢٠١٣.
- من خبراء المسرح المدرسي وعضو بلجنة متابعة مشروع تنمية وتطوير المسرح المدرسي الذي تتبناه الهيئة العربية للمسرح برعاية

سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ٢٠١٤إلى غاية اليوم.

- لها الكثير من الأبحاث والدراسات النقدية والعلمية المنشورة بالعديد من المجلات الوطنية والدولية المحكمة وغير المحكمة.
- لها ثلة من الكتب المنشورة في النقد المسرحي والسينمائي والترجمة..

كلمة عن الدكتورة / حنان حطاب

أتأمل كلمات قد قرأتها يوماً ما لكن أين؟ لا أتذكر.. كما تعلمون العمر يتقدم وسني الزمان رانت على قلوبنا الأوهام والأحزان.. لكن الذات للذات تتصابى وتعشق النفس وقد تكون تحلم وتتمنى في يوم ما يتحقق ذلك الحلم فتكتب على الورق الأبيض بمداد القلب وأحياناً بمداد الروح والدم.. وتقول الذات أشعاراً وقصصاً وروايات.. فمن الضروري استبعاد عواطفنا إذا كنا نريد الوصول إلى قرار سليم.. لأننا نرى بأعيننا، وعواطفنا تسكن بأعيننا..

هل تعلم ذاتي أنني علمت عنك الكثير والكثير.. هو من عرف الكثيرات الكثيرات غيري.. وأنا عرفت واقعاً بعيداً عنه أشواك وأحلام فتاة مهزومة ليست لها ذكريات.. تسربت من بين يديها الحياة تبخرت ذاتها أمام عينيها.. يطلب مني وردة وأنا كلي أشواك.. دليل براءتي صورتي فلن أحتاج أن أقدم برهان طيبتي.. ألا تصمتي أيها الذات وتكملي لنا ما قرأتي..

الأستاذة (حنان حطاب) من الجزائر من النضال والحرية ورفض السيطرة والاستعباد والمقاومة ومناصرة المرأة وإبراز مشاركاتها ودورها في المجتمع للبناء وتجدد الفكر والثقافة.. ليست المرأة القابعة في القبو تنتظر شبح الموت وإنما المتحررة ليس بمعنى البذخ والخلع وإنما بالتعفف والحلم والأناة والتعقل والتدبير والتبصير والتمعن والمشاركة ببناء الحضارة والرقي.. الجزائر التي سجلت في سجلات التاريخ بطولات انتصارات ليس فقط للدفاع عن الأرض وتحررها وإنما لتحرر العقل والفكر من دنس الأبجديات المصابة بفايروسات الأنا والضد والافتقار اللغوي والعاطفي والتقنية الفكرية ومعرفة ما يغذي الفكر ويدعم الأواصر الأيونية للإبداع والتقدم في مجالات الأدب والنقد

الحديث.. من بلد يغذي الفكر ويهتم بالأدب والعلوم والفنون.. بلد المليون شهيد..

الدكتورة حنان حطاب.. ناقدة وأستاذة بجامعة (محمد لمين دباغين) في سطيف الجزائر..

تعددت الدراسات للنصوص الأدبية المتميزة والبارزة ومنها نصوص الكاتب البارع الأستاذ (السيد حافظ) التي حازت على الإعجاب والانبهار وأحياناً أخذت تدرس في الجامعات كمادة مقررة ضمن المنهج في قسم اللغة العربية.. اختارت الأستاذة والناقدة (حنان حطاب) ركن من أركان الرواية والأهم ما في النص لأنه الرابط الوثيق والحبل المتين والعروة الوثقى لا انفصام لها ألا وهو.. البوح والعشق في حرف الأستاذ السيد حافظ.. فقالت: البوح على شرفة الجسد.

(وحين أبوح أفتح لأنثاي جنون الروح وتمرد الكون والمسكوت عنها الذي لا يخاف دوماً أن يلوح وأحياناً أشتهيك شهوة الأنبياء للنساء ومن عجائب البوح نرى العجائب أنه يشيب الشباب والصبايا وله طقوس مختلفة من ذات إلى ذات ومن قلم لقلم في صحراء الفؤاد تتناثر القصص والحكايات ومنها متوج بالحميمية ورشف العشق ومنها ما قتل.. فتكون الكتابة هنا سحراً لمن لا سحر له.. تأكدت أن الحياة كتاب وما بين دفتيه تحفه الأسئلة والقراءات والتأويلات وخطوط بيضاء في ظلمة داكنة من فنجان قهوة سادة..

الدكتورة حنان حطاب.. والأستاذة الناقدة ذات الحرف الممشوق والرشيق الذي إذا ما حل تتراقص الشهقات وتدنو منه الشفاه لتلتقف قبلة منه وتمتص رحيقه لتتعطر وتنشر العطر على جسد العاشقين.. ولحرفها فلسفة في حياة تكتحل بها الذات ويدنو السمر والسهر لقراءة تلك الدرر في سماء

الأدب والنقد.. فماذا أفعل؟ هل أتجاهل؟ أم أحرص وأحرس هذه الدرر من كيد البشر.. بعد كل دراسة نقدية أكتشف قيمة وجمالية وحقيقة لتحفة فنية فأصبحت عاجزة غير قادرة على الإيفاء والخشية والخوف ترتعش أناملي من احتمال أن تتحول إلى لصوص لتسرق هذه الحروف المذهلة والبارعة الجمال بالمعنى والمكنون وأحيانا تطفر دموعي أتذوقها مالحة تحرق جفون الأبجدية ليأسها وتحديها الحاني لتلك المشاعر الخفية المتحدية رغبة الذات لتلوع الجسد.. فتبوح للأبجدية بمصداقية.. هذا ما أكدت عليه الأستاذة والدكتورة (حنان حطاب)..

يقول ابن رضوان: الأوطان أحلام وأكفان وأماكن وهمية تصنع لنا جواز سفر في الروح قبل المدن..

بين القبول والحب شعرة.. الناس تكره وتحب بعضها بلا سبب.. الناس تحب أحياناً بسبب واهٍ.. خلق الإنسان ساذجاً أم شريراً..؟ لا أدري.

البوح على شرفةٍ الجسد.. رشفة من فنجان قهوة سادة.. إثارة فضولي للنظر في تلك الخطوط البيضاء وهي تبوح للعتمة وتشق السواد الحالك للفنجان وأنا أتأمل تلك الصور المرصوصة والأشكال المرسومة مشغولة الفكر في حل رموزها وتفسيرها لأنني عشت أكره الفنجان طول حياتي إلا رشفة من فنجان أبجدية البوح.. هل أحتاج أن أتأكد ما يكن في ذات الذات أم إعجابا وانبهاراً بما رسم على جسد الرواية لكي تغدو كتابة الذات طوقاً للنجاة.. وحبلاً للخلاص الذي يقود تلك الذات لذاتها.. تقول الدكتوره (حنان حطاب).. الكتابة قد تكون احتراف أو هواية.. أو كما قالت الدكتورة: قد تكون عادة.. وفعلاً وجودياً يضمن توازن الذات وتحددها واستمرارها.. فرحلة الذات تكشف الظلمة وبتلك المناطق ذات السواد التي طالما بحثت عنها لتكحلها ببياض البوح وزرقة السؤال الدائم.. إذا هذه هي فلسفة الكاتب البارع ذات الحرف

الذي شهق البوح للجسد ففاح عطر العشق بالقبل وقطرات الندى تساقطت على الشجر وعاد ربيع الأصم ونطق الأبكم..

أبدعت الدكتورة (حنان حطاب) بوصفها للذات ومكنوناتها بذلك الفنجان معتم السواد ربما ينطق من صخب أجساد متعطشة وأرواح متمرة وأحيانا الذوات تفقد ذواتها فتبحث عنها من خلال رشفة من فنجان السيد حافظ في قهوة سادة على رشفة جسد سهر..

تقول الدكتورة (حنان حطاب).. رواية قهوة سادة.. جريئة تعلي صرخات الجسد بكل ركن من أركان الرواية.. فبدأت الرواية (بحكاية عشق سهر والقمر) علاقة سهر والعشق وتنحي عبد الناصر.. بذكاء السرد والحكي لتلك الشخصيات وخيوط الرواية المتشابكة.. لكن الكاتب بذكائه وعبقريته وخبرته والقدرة الفنية والحسية حبكها وجعل المتلقي شريكا معه ومتابعا أيضا..

أنا شمس.. أحرفي تذيب الجميلات في نهر الجنون.. ويشربهن في نخب العشق.. فاحذري الشمس في السماء ضياء.. وفي الأرض بهاء وماء وارتواء ونماء ونساء.. يهمني اسمك.. سهر.. سهر العنوان أنت الوحيدة التي غزت قلبي وروحي..

الدكتورة حنان حطاب.. تعرج على معنى اسم سهر.. يعني الجبل.. الليل البحر.. السحر.. وأحلام الشباب المراهقين والرجال العجائز على أبواب البوح والعشق.. لسهر.

وكاظم وعشق سهر.. عشق المعلم لتلميذته.. وعشق شهرزاد لأرواح سهر.. شهرزاد تلك المرأة الجميلة ذات الوشم الأخضر والجمال الذي يذهل البشر وكل من عرف سرها ذاب واندثر.. ذات البصيرة الخارقة الملمة بالأسرار وحاذقة وذات عين خارقة في قراءة الفنجان.. ملمة بتفاسير الأحلام وقراءة

المستقبل.. ونظرات عيون العاشقين.. وتميز جمال شهرزاد وسهر بذلك العطر والعشق.. المبهر للبشر..

رغم ثورة الجسد ورغبة الذات.. تظل الجميلات يسحرن الرجال ويتزوجن.. القلق والصداع في صمت.. وهل من مدكر.. فالكاتب البارع والمبدع العبقري (السيد حافظ) لن ينسى عذابات الروح.. عذابات الوعي الحسي فللجسد والروح مكانة رفيعة لديه.. فيقول:

هناك أرواح معذبة تأتينا بفيض من نور وإبداع يرفرف على الجسد وعلى الدنيا التي تاه فيها الحق مع الباطل والمفلس مع الغني في الإبداع على مقهى زهرة البستان أو نوادي الإبداع الأدبية والنقدية..

وتستمر سهر وفتحي رضوان خليل..

أترقب ليلى كي أصحو

وأسامر نجمة أو بدرا

بفؤاد منفطر آس

محترق يتقطر جمراً

لا تبتعدين يا سهر.. فأنت الروح والجسد

أنت مني.. فلا تبتعدين عني..

مقام البوح على شرفة الجسد
رشفة من فنجان قهوة سادة

د. حنان حطاب
أستاذة بجامعة محمد لمين دباغين
سطيف – الجزائر

قد تعجز الذات عن فهم ذاتها.. واستيعاب الآخر من حولها، حينها يتحول العالم الإنساني إلى كتلة من التناقضات التي لا تحيلك إلا على أزمة حقيقية، غير أن الذات بوصفها تمردا / ثورة، تحاول الخروج من مأزقيتها نحو عالم التكشف والبوح عن اللامعبر عنه، فلا تجد سبيلا لها غير هداية الكتابة، والانطلاق في كشف عوالمها الداخلية، لتغدو كتابة الذات طوقا للنجاة..وحبلا للخلاص الذي يقود الذات لذاتها وإلى آخرها وتغدو الحياة فعلا كتابيا تحفه الأسئلة والقراءات والتأويلات، وكأن الكتابة إعادة خلق شيء من شيء آخر.. أو بعث للروح بعد أن جفت القرائح والأجساد وتهاوت جثثا مواتا إلا ذات فيها.

من هنا تغدو رحلة الذات كشفا عن المنطقة المظلمة فيها وبحثا في مناطق السواد وتكحيلها ببياض البوح وزرقة السؤال الدائم.

من هنا تغدو الكتابة سحرا لمن لا سحر له.. وفعلا وجوديا يضمن توازن الذات وتجددها واستمراريتها.. فلا تكف مساءلة الذات لذاتها عن مداعبة وعينا في محاولة للانوجاد.. فالبحث عن الذات رحلة وجودية ترتحل عبر مفاصل الحياة الإنسانية، وعبر جسد قهوة سادة فتنطلق ال "أنا" متحدثة

عن رغباتها وأهوائها وتمثيلاتها الغريزية(*) وما تفتقد في الواقع، وتتحول الكتابة من مجرد سواد إلى بياض، إلى نوع من الفلسفة في الحياة، ويتحول فعل الكتابة رغبة في بلورة الأسئلة التي تمنح للوجود معنى حقيقيا، معنى يحرر المبدع ويحرر معه القارئ والمتهم من احتمال التحول إلى مجرد رؤوس وسط قطيع.. فالذات حين تشعر بثقل العالم فوق كاهلها، تلجأ للكتابة فيصير فعل الكتابة معادلا للنجاة، والمخرج الوحيد المضمون للانفلات من ثقل الروح المتعبة..، فالكتابة تمكننا مساءلة المجتمع وتسعى لخلخة قيم استشرت بعنف فيه".(٢٦٤)

و قهوة سادة جاءت لتجيب عن تقلبات هذه الذات وأوجاعها.. كيف تتموقع هذه الذات أمام ذاتها.. ثم كيف تنكشف أمام آخرها، كيف تتعرى ذات سهر وتنكشف أمام ذاتها وأمام آخرها ممثلا في كاظم (العاشق الولهان) وشهرزاد (رمز الحلم والرؤيا) وفتحي رضوان (زوجها بعد ١٥ عشر عاما).

كيف تكون شرفه الجسد مقاما للبوح.. وسبيلا للبحث عن هوية الذات.. كيف ينكشف الجسد أمام الذات؟

كيف تتعرى الذوات في مرآة فنجان من القهوة.. السوداء المعتمة الثقيلة.. المحملة بالأسى والهروب والمتعبة بسواد الليالي الحالكات وبأرق القلوب العاشقة..

(*) قهوة سادة (رواية) للسيد حافظ: رواية من ٤٠٠ صفحة تضم فصلين: الفصل الأول: حكاية سهر والعشق والقمر. وهو الفصل موضع الدراسة الفصل الثاني: حكاية نفر وإخناتون والنيل .صدرت الرواية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠١٢.

(٢٦٤) عمر محمد منيب إدلبي، سرد الذات فعل الكتابة وسؤال الوجود دراسة في فن السيرة الذاتية، إصدارات الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ٢٠٠٨، ص ٦٤.

بين صخب أجساد متعطشة وأرواح متمردة.. ذوات تفتقد لذواتها.. وتبحث عنها من خلال كل رشفة من فنجان قهوة سادة.

.. على شرفة الجسد

يطرح النص السردي اليوم إشكالا محوريا على صعيد القراءة والتأويل حول طبيعة اللغة وعلاقتها بالمتلقي ، ومدى إسهامها في تحويل ادراكاته المعرفية اتجاه آفاق جديدة ومدى احتوائها على أبعاد دلالية ومعرفية وأخلاقية لاسيما بعدما كثر الحديث عن لغة الجسد

منذ الأسطر الأولى، تعلن الرواية وبكثير من الجرأة صرخة الجسد في كل ركن من أركانها، وعبر كل شخصياتها التي تتداخل ضمن لعبة درامية شخصياتها مربكة، متناقضة تعبث بذواتنا وتخدعنا برائحة عطر يتسرب إلينا عبر أحداث الرواية.. رواية تنطلق من تعانق الأجساد لتروم تفجيرها والانسلاخ عنها..

تبدأ رواية قهوة سادة.. حكاية سهر والعشق والقمر، بعلامات النضوج الأنثوي عند سهر واقترانها بحادثة تنحي الزعيم عبد الناصر لتأخذ خيوط الرواية(*) بالتشكل وتتبدى للقارئ –تدريجيا– شخصيات/ أجساد النص..

(*) "بقعة دم على قميص نوم سهر
خافت.. ارتعدت.. بكت.. جاءت الأم مهرولة..وجدت بقعة دم حمراء في ثوبها.. زغردت الأم..ثم ارتعدت..لقد بلغت سهر نضجت اليمامة.. الحمامة..الوردة.. تفتحت مبكرا.. أصبحت طفلتها أنثى.. طفلتها ذات الاثني عشر عاما.. قهوة سادة. ص ١٥.

سهر: "اسم يعرفه الليل والبحر والسحر وأحلام الشباب المراهقين والرجال العجائز على أبواب الدكاكين والمحلات في الجبل في بلاد الشام".(٢٦٥)

أما كاظم.. فعاشق سهر "معلم اللغة العربية في مدرسة سهر ٤٠ سنة، أشقر وسيم.. العاشق لها في صمت يحب كل الصباحات كي يراها.. يريد أن يتنفس وجودها في الفصل.. في المدرسة، في الحي في القرية.. في الكون.."(٢٦٦)

وأما شهر زاد.. فالمرأة ذات بصيرة حادة.. قارئة للمستقبل.. وملمة بعديد الكتب والتفاسير.. قارئة للكف ومفسرة للأحلام.. "شهر زاد لم تتزوج، ولكن سميت بشهر زاد لأنها أسعدت أناسا كثيرين بقراءة كفهم.. شهرزاد على ذقنها وشم أخضر، هي بيضاء عيناها زرقاوان.. قالوا من جمالها تزوجها جني جميل ومنع كل الرجال عنها أو الاقتراب منها".(٢٦٧)

أما فتحي رضوان.. "سيكون حبيب سهر بعد ١٥ عشر عاما(..) شاب ١٧ عاما.. مصري الملامح.. عربي الفكر.. عالمي الإحساس بالجمال، كان يذاكر الثانوية العامة أدبي"(٢٦٨)

شخصيات محورية في رواية قهوة سادة.. تتواطؤ على حب الجسد والغرق في متاهاته.. تتعاتق مع سهر الليالي.. يفضح السارد من خلالها تورط العربي وفشله الذريع في علاقته مع الجسد.. ولهذا يحاول من خلال

---

(٢٦٥) قهوة سادة: السيد حافظ.ص٢٠

(٢٦٦) قهوة سادة: السيد حافظ، ص ٢٠.

(٢٦٧) قهوة سادة: ص ١٨.

(٢٦٨) قهوة سادة: ص ٣٢.

الخوض من مناطقها المحرمة الكشف عن الذاوت من خلال الأجساد.. فيكون مقام البوح من على شرفة الجسد.

ترسم الرواية ملامح شخصياتها من خلال لغة الجسد الذي يصبح مصدرا للتخيل ولبعث عديد الشفرات الوجودية، فهو يتجاوز الجانب الفيزيقي ليكون حمالا لفلسفة أو فكر، ويعكس بشكل أو بآخر الذات التي تختبئ وراء ذلك الجسد.. دون أن تنفصل عنه.. "فالجسد – والقول ل مين دوبيران– Maine de Biran– ليس جسدا عضويا.. وليس كيانا حيا ولا جسدا إنسانيا، إنه جسد يتعإلى عن هذه الظواهر التي من خلالها يقدم لنا نفسه، وبما أنه جسد يعيش في العالم، فإنه يوحد بين شكلين أو نمطين من أنماط وجوده أي وجوده ومظهره في الجسد الشخصي".(٢٦٩)

لم تسلم سهر الطفلة البريئة من لعنة الجسد التي تضفيها قهوة سادة على كل من يرتشفها.. "ابنة السابعة عشر ربيعا التي كلما سارت في الأزقة أو الشارع يبعث نهداها في قلوب الرجال إشارات كهرومغناطيسية بفرح.. هي تعرف أن الله جميل.. وأحيانا يمنح أنثى من روحه ومن وجهه ألقا".(٢٧٠)

سهر مثلما رسمت صورة طفلة جميلة بريئة مثلت نزوة صغيرة في بداية تشكلها، وفتنه كبيرة في قلوب الكثيرين "كل صباح تنظر سهر في المرآة.. تنظر في عينيها.. يرتعش رمشها، تجد فتنة مختزنة لو وزعت على النساء العابرات في مدن الجمال لفتن رجال العالم العابرين على جسور

(٢٦٩) فريد الزاهي: النص والجسد والتأويل

(٢٧٠) قهوة سادة: ص ١٦.

العشق.. "[٢٧١]، بل إن السارد يبالغ في فتنه هذه الطفلة المراهقة وجاذبيتها من خلال تلك العلاقة التي ربطتها بعصفور الكناري الذي لطالما تسلل إلى غرفتها وداعب أحلامها وخصلات شعرها، والذي لم يسلم هو الآخر من فتنة جمالها وإغماءة عطرها إلى درجة أنه تمنى أن يتحول إنسيا.. بشرا يتسنى له عشقها.. "أخذت العصفور في حضنها ونامت.. وتدفأ المجرم الصغير.. ونام بين النهدين يحلم ويسأل الله أن يتحول إنسيا.. ولو ليلة.. ساعتين.. نصف ساعة.. دقائق.. لكن لا فائدة تقدم ببطء من شفتيها ونال قبلة.. فتحت عينيها..

أي.. أي

ضحكت ضمته، وضمته مرة أخرى إلى نهديها وشدت اللحاف، لم ينم العصفور وطاف بخياله ألف حلم.. آه لو كان بشرا يطاف بها في الفراش حول الكرة الأرضية واغتصبها ألف مرة.. تزوجها رغما عن أنف كل البشر.."[٢٧٢]

و يواصل السارد الحديث عن الجسد مع كاظم.. عاشق سهر، وبعيدا عن هيمنة الذكورية التي طبعت النصوص السردية وعبرت عن ملامح الرجل العاشق الدنجواني.. تبرز لنا شخصية كاظم الذي يعيش قصة حبه في صمت قاتل، حب تحت وقع المسكنات، وأقصد أحلام اليقظة وكتب الجنس ومهدئات فرويد وكولن ويلسن.. كاظم الذي "لم يلمس امرأة في حياته، لم يضاجع أنثى.. ولكن أمامه الكتب تشرح ما هو الجنس.. يعرف

---

(٢٧١) قهوة سادة: ص ١٩.

(٢٧٢) قهوة سادة: ص ١٦.

الجنس بأنه جملة من الخصائص التشكيلية والفيسيولوجية العضوية التي تؤمن التكاثر الذي يتلخص جوهره بالتلقيح في نهاية المطاف".[(٢٧٣)]

و هنا تناقش هذه الرؤية علاقة كاظم بالجسد من خلال الاكتفاء بعالم الأحلام والتخيل، الأمر الذي يكشف عن رؤية السارد للرجل العربي والجنس والتي تتسم بالغباوة واللا حرفة "العربي لا يفلح إلا في مضاجعة النساء.. وهذه المقولة ثبت فشلها بعد أن كتبت الأجنبيات الأوروبيات مذكراتهن مع العرب في الفراش، فسمعة العربي في فراش الجنس صدفة وليست حرفة، فمستواه ضعيف ومترد وهمجي مثل الكلاب.. المرة والوحيدة التي نجح في جيش مصر بكرباج محمد علي الذي دربهم على القتال وضعوا في أذن الفلاح المصري اليمنى بصلة واليسرى قطعة قطن حتى يعرف اليمين من اليسار.. فكانوا يقولون باتجاه أذنك التي بها بصلة أو القطنة"[(٢٧٤)]، والأمر ذاته كان مع فتحي رضوان زوج سهر بعد ١٥ عاما والذي عرف بمواقفه السياسية ودفاعه عن الوطن غير أنه تخبط بين ألاعيب النساء وأجسادهن وأكاذيب السياسة ومشاكلها "كان فتحي يسأل نفسه دوما.. لماذا النساء في حياتي ضرورة كالماء والهواء وخطب عبد الناصر والميثاق، ومقالات هيكل يوم الجمعة.. ولم يرتشف الوجود والعدم من سارتر والعبث من ألبير كامي وصامويل بيكيت، لماذا تبحث عن كل كتب كولين ويلسن.. لماذا يبحث عن الجاحظ ويعشق المبني ونهود ناهد حجازي وفيفيان وماجدة، والمظاهرة التي يخرج بها الطلبة من أجل فلسطين والجزائر واليمن.. "[(٢٧٥)]

---

(٢٧٣) قهوة سادة، ص ٢٣.

(٢٧٤) قهوة سادة، ص ٤٥.

(٢٧٥) قهوة سادة: ص ٨٤.

فتحي رضوان الذي اهتم بالأحداث والمواقف السياسية وساند المظاهرات والثورات الشعبية،،، لكن لسان حاله لطالما ردد ".. يدها الحانية، أحن من يد الوطن على كتفي".(٢٧٦)

وفي مقابل هذا الانخذال الذكوري تقتحم الأنثى خصوصية جسد النص من خلال شهرزاد.. فهي عكس كاظم (الفاشل جنسيا) مثقفة جنسيا.. لعوب وذكية وقارئة للمستقبل.. وقد مثلت هي الآخرى مساحة للصخب الجسدي من خلال الخبرة في تعليم النساء والرجال وتلقينهم آداب وفنون العلاقات.. رغم أنها المرأة التي فقد قلبها بوصلته، إلى بر الأمان.. وصار جمالها فتنة ونقمة منعتها من الزواج "هكذا الجميلات يا وردة يسحرن الرجال ويتزوجن القلق والصداع في صمت".(٢٧٧)

على شرفة الروح

في حضرة الجسد تولد أسئلة الهوية والانتماء وفي حضرة الجسد ينحت السرد وتتفاعل الكلمات وتتناسل الأفكار وتتهاوى..فداخل جغرافية الجسد تكتب الكلمات وتسافر في أبعادها الدلالية باحثة عن كيانها/هويتها/وجودها

هكذا بدت الرواية.. عالما من الأجساد التي لا تحسن غير لغة الجسد والحركات.. أجساد تتآكل من الداخل.. تتهاوى نفوسها وتختنق من شدة الحلم ولا الظفر.. أجساد ترفض الانكشاف لأنها اكتشفت أنها بلا هوية.. بلا انتماء.. أجساد عارية لا وجود لها.

---

(٢٧٦) قهوة سادة: ص ٧٣.

(٢٧٧) قهوة سادة: ص ٢٤١.

لكنها أجساد تبحث عن الانتماء والهوية.. هذه الأخيرة التي تمثل عند ادموند مارك "ظاهرة معقدة ومتناقضة، أيضا الواقع أنها ظاهرة التميز والاختلاف غير القابل للاختزال عن الآخرين، لكنها تعني أيضا ما هو مماثل أي ما هو مشابه تماما مع بقائه متميزا (..) إنه يوحي بأن الهوية تتحرك بين التشابه والاختلاف، بين ما يجعل منا فرد متميزا ويجعلنا مشابها للآخرين في الوقت نفسه .يبين علم النفس جيدا بأن الهوية تتشكل بحركة تماثل واختلاف مزدوجة مشابهة للآخرين وتميز عنهم"

غير أنها لا تتشكل خارج الجسد.. بل يمثل دعامة أساسية لتشكل هذه الهوية وتحديد ملامحها، ورغم سطوة لغة الجسد على رواية "قهوة سادة" إلا أن هذا الجسد يحدد هوية الرواية بعيدا عن كونها رواية جسد أو رواية جنس.

إنها رواية جسد يبحث عن هويته عن روحه، يبحث عن السكينة بعيدا عن المساومات.

إنها رواية وقوع الذوات تحت وطأة الجسد وتلاشي الهويات تحت رحمة الشهوة، إنها انعكاس لقلق وجودي.. ولحياة عبثية وسجن إنساني داخل بوتقة الجسد.

اللعبة التي أراد السارد أن يتخفى وراءها ليرسم ملامح الذوات العربية الحائرة والأجساد المتمردة.. إنه الجسد العربي الذي استبيح للجميع فاغتصبوه دون رحمة.. إنه جسد الوطن العربي وأي وطن هذا.. وطن عار من اللباس من الأمان من الحقيقة من الحياة والحياء، وطن بلا روح ،وطن من ورق.

إنه الوجع المصري الذي يتملص من المسؤولية، فلا يجد غير وسوسات الشيطان وإغراءات النساء.. " كلما حاصرني حب الوطن بنيرانه وأسهم حقده.. وحاول قتلي هربت منه تحت جلد النساء حق أضمد جراحي.. " وهو تعبير عن حاله الاستسلام الروحي.. أين تغيب الروح وتعلو سلطة الجسد التي تعري عفن النفوس.

إنها حالة من الاغتراب الروحي والاضطراب النفسي تعيشها شخصيات الرواية لتنكشف من خلال المخاوف والأوهام التي يعيشونها.

فها هي سهر تعيش حالة خوف من مستقبلها وجمالها، وتخشى أن يكون جمالها لعنة عليها مثلما كان مع شهر زاد.. وها هو كاظم غارق في أوهامه ينام على حمى سهر ويستيقظ معانقا أحد كتبه.. وأما شهر زاد فقارئة المستقبل التي عجزت عن قراءة مستقبلها وفشلت طقوسها وكتبها وثقافتها عن نزع لعنة جمالها.. وها هو فتحي رضوان أسكرته المظاهرات والشعارات وأتعبته النساء المتعددات الجنسيات وقاتله الشعور بالازدواجية وألىلانتماء..

"وجدتني أثناء محاكمتي أبكى لأني سمعت دقات قلب الوطن تلازم دقات قلبي.. وجدتني مواطنا بلا وطن.. وجدتني مشروع كاتب في وطن أمتي.. ومثقف وسط أدعياء.. وطبيبا وسط أشرار.. وجدتني حلما يمسح مؤخرة الوطن الذي يضاجعه الأثرياء من عسكر يوليو الذين سرقوا مجوهرات الملك فاروق وسنوات مصر وأصبحوا باشوات هذا الزمان.. وجدتني بسمة

على شفاه أطفال لا تعرف الرياء.. وجدتني أعشق كل الأنبياء وأنه من الغباء ألا نشعر أن الإنسان خليفة الله على أرضه وتحت سمائه".(٢٧٨)

أليست هذه أجساد حائرة تشعر بالانتماء واللا هوية بعد أن سجنتها أجسادها وأفرغتها من روحانيتها.. أفرغتها من حب الوطن وملأتها بحب الأجساد الفانية، أفرغتها من الأمان وملأتها بالوجع، وأي وجع هو:"أه.. أشرقت في نفسي لحظة اكتشفت فيها أن الوجع ليس له هوية وليس له انتماء.. اكتشفت أن حب الوطن والكتابة عناء ألقيت أشواقي على أحرف اسمك يا وطني فتحولت على الورق إلى ثلاث زهرات ذابلة.. "(٢٧٩)

إن السارد ومن خلال "قهوة سادة" يحاول رسم ملامح الجسد العربي عموما والمصري بشكل خاص، الجسد الهارب من هويته وانتمائه والمتخفي وراء لعنة أجساد عارية.. غير أن بذور الأمل ما زالت فيه تبعث فيه الأمل لغد أفضل، ووطن أفضل.. "الوطن يذبل ويموت كالزهور ثم يحيا بعد أن نلقي فيه ببذور عشق جديدة".(٢٨٠)

كانت هذه رشفة من فنجان قهوة سادة.. سوداء كالليالي الحالكة.. ومرة كمرارة الحياة في وطن غريب تاهت روحه واغتصب جسده..

فـ "إذا مر قبلي على بابكم أخبروني فقد ذهب ليبحث عن وطن ليتدفأ به في هذا الشتاء".(٢٨١)

---

(٢٧٨) قهوة سادة: حافظ السيد، ص ٣٥.

(٢٧٩) قهوة سادة: حافظ السيد، ص ٣٥.

(٢٨٠) قهوة سادة، ص ٣٥.

(٢٨١) قهوة سادة، ص ٣٥.

"أكتب هذه الرواية بحثا عن روح مصر
المتخاذلة سبعة آلاف عام، وبحثا عن
روح مصر أخرى، للإنسان فيها معنى
وقيمة وحضارة حقيقة فعلا وقوة"

السيد حافظ

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

السيد حافظ: قهوة سادة (رواية)

الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، ٢٠١٢.

المراجع:

١. فريد الزاهي: النص والجسد والتأويل:

٢. عمر محمد منيب أدلبي، سرد الذات فعل الكتابة وسؤال الوجود دراسة في فن السيرة الذاتية، إصدارات دار الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ٢٠٠٨.

٣. كاترين هالبيرن وآخرون: الهويات الفرد، الجماعة، المجتمع، ترجمة إبراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ٢٠١٥.

السيرة الذاتية

حنان حطاب بنت رمضان زوجة حديدي

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر صنف "ب "

تاريخ ومكان الميلاد: ١٤/٠٢/١٩٨٥ ولاية سطيف – الجزائر

الكلية: الآداب واللغات

الجامعة: محمد لمين دباغين سطيف٢

التخصص: مدارس النقد المعاصر وقضاياه.

عضو في مخبر تحليل الخطاب بجامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢

الهاتف: ٠٧.٩٩.١٦.١٦.٢٨

البريد الإلكتروني: hhattab.hanane@gmail.com

الشهادات المتحصل عليها:

١-شهادة دكتوراه العلوم . تخصص مناهج النقد المعاصر وقضاياه / جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢ /سنة ٢٠١٧/ بموضوع موسوم بـ: في فهم الخطاب السردي مقاربة تأويلية في روايات واسيني الأعرج.

٢-شهادة الماجستير في النقد والمناهج /سنة ٢٠١١ /جامعة عباس لغرور خنشلة/ تخصص نقد ومناهج / الموضوع: اشكالية الاختلاف في تفكيكية جاك دريدا.

٣-شهادة الليسانس في الأدب العربي سنة٢٠٠٨/جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢/ تخصص أدب عربي/ الموضوع: مفاهيم الحداثة عند أدونيس.

٤-شهادة البكالوريا في الآداب والعلوم الإنسانية سنة ٢٠٠٤.

المشاركات في الملتقيات العلمية:

- المشاركة في الملتقى الدولي:" الأدب الجزائري في عيون الغربيين "المنعقد بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة يومي:٠٦-٠٧أفريل ٢٠١٥ بمداخلة علمية تحت عنوان:الرواية الجزائرية في مرآة الآخر "جدل الائتلاف والاختلاف".
- المشاركة في الملتقى المغاربي حول التجريب وآلياته الإجرائية في النص الروائي المغاربي المنظم يومي ٢١/٢٢ أكتوبر ٢٠١٤م بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي بمداخلة تحمل عنوان: الرؤية السينمائية في النص السردي، لاروكاد لعيسى شريط أنموذجا.
- المشاركة في الملتقى الوطني حول النقد الجزائري والمرجعيات المستعارة المنظم يومي ١٤/١٥ أكتوبر ٢٠١٤م بجامعة خميس مليانة بمداخلة تحمل عنوان: التفكيك وأثره في النقد الجزائري المعاصر: قراءة في مشروع بختي بن عودة.

نموذج أخر من ناقدات الأدب العربي..
(الناقدة دينا نبيل عبد الرحمن)

الناقدة والقاصة الموهوبة.. من الصعب والمثير للشك والحيرة أن أهدر أو أتغاضى عن اسم من أسماء الحاذقات والمبدعات اللواتي تتواصل أقلامهن في رسم اللوحات والعبارات والأفكار الواعية والأنفاس المعطرة بحب الوطن وعشق الأرض وقيمة المرأة دينياً واجتماعياً وعربياً ودورها الريادي دائماً وصلابتهن والتزامهن ثقافياً أفتخر بكوني امرأة وبدون مجاملة مما لمست منهن التعاون وأعتز بثقافتهن وطموحهن برقي النقد الأدبي بجمالية فكرية ودلالات وخطوات تكنيكية لتشكل استراتيجية فكرية للنقد الأدبي الحديث وإعلان ثورة الحس والطموح والجمال الفني وتشضي الفنون الأدبية والتحرر من التقليد والتسلق التملقي.

التشظي والشمولية لدى الكاتب والروائي (السيد حافظ) والمصداقية في التوثيق التأريخي في طيات الرواية جعل من الرواية العربية سجل ومصدر توثيق ليس كما كان يسمى (أدب الثورة).. أي الاستمرار في المكاشفة مع القارئ.. أما الافكار فتعتمد على المادة والروح.. (دينا نبيل) أكدت على مصداقية الروح لأنها تعتبر السر الإلهي الذي يجعل الإنسان يسمو بنفسه فوق مطالبه الدنيوية..هذه هي ثورة الأستاذ الكاتب والروائي (السيد حافظ) العارمة الصاخبة.. التي لا تعرف الخوف والتردد يوماً.. يحمل صفات النبي وأحلام الصوفية وأشواق الناسك وتوبة الفاجر وتعفف الفقراء والفناء من أجل الحرية والانطلاق بالرغبات.. هل يعني هنا الكاتب التحرر نحو الإغراء والجنس؟

هل يستعرض الشهوات ويحث على الفساد والاستباحة للعرض؟

هل اعتبر المرأة صفقة تجارية؟ هل العلاقات الحميمية بين آدم وحواء مبنية على العرض والطلب؟ كل هذا وذلك هواجس وشكوك يتبادر للقارئ والمتلقي أو من يظن ذلك عندما يقرأ لكن ما أكدته الموهوبة الليبية الواعية عكس ذلك تماماً وتناولته من منطلق إنساني أولاً بحيث اعتبرت اختيار الكاتب السيد حافظ.. للشخصية (لمى) رمزا لنموذج المرأة وتحررها. معنى يصور لنا استباحة الوطن، وتميز أيضاً بحبه العميق له وعواقب النكسات التي تعرض لها غير من طباع وأخلاق وأصول التربية التي سمعناها وعشناها فهناك الآلاف إن لم يكن الملايين من جنس ونموذج (لمى) في العالم بصورة عامة والوطن العربي خاصة لكن لن يفصح عن هذه الأخلاقيات التي هي الآن أكثر بازدياد التجارة بالجسد مقابل المال والعيش والحصول على متطلبات الحياة بصورة رخيصة جداً

دينا نبيل.. يا صاحبة القلم الفصيح والريادي النقي الذي يؤمر من قبل ضميرك وحبك للوطن حقاً.. الإنسانية الرائعة التي تمتعت بها (دينا نبيل) يجعلنا نستعيد الأمل والرجاء في جني ثمار ما زرع الأجداد والآباء.. الحق أقول: إن المدخل كان عزيزا عسيرا؛ لأننا نفتقد الثقافة الحقيقية. أو أنها مصابة بالتقرح والكتابات المبهمة ذات الكلام المبعثر يخلو من الأفكار الواقعية التي تعالج المجتمع الحالي.. عظيم نسخ قلمك وما خطه أثبت لنا أن النقد الأدبي والكتابة لعبة الجنون المباح.. لعلنا نقترب من الجوهر.. طالما سعينا إليه بعيداً عن السرد التقليدي وانتظار الأحداث.. ماذا فعل البطل والبطلة؟ لعبة اللف والدوران التي تجعل القارئ يتوقع النهاية بعد ربط الأحداث.. بعد كل هذا استبينت مما قدمته (دينا نبيل) بقلمها الذهبي اقتراب

جني الثمار بضربة (مؤنقة) قلبت لنا المدلولات بعمق الإحساس والمصداقية.. بقراءتها وثقافتها ونقدها الذي قهر لغز الورق وفجر مداد القلم.. مما كشف لنا الشرخ في بناء الوطن وعلاقتنا الوطيدة بحبه، وعلاقة الكاتب والثقة المتبادلة بينهما.. أي (الوطن.. الناقد والكاتب والقارئ) إذ الكل في بوتقة واحدة كشف وجع الروح يحدث إما التضحية أو التمرد.. وهذا ما ننتظر.. وسوف يحدث دون شك وجدال.. لقد اتسمت رؤاك بالاتزان والرقي لحسك الأدبي والثقافي الرائع.. فلابد من تنقية الوطن.. من الأدران وبتر وتنظيف التقيح.

هل تحلم مصر بحلم وطني أو قومي أو فردي؟

أو هل تمنت مصر أن لم يمت عبد الناصر؟؟

رواية " نسكافيه ".. بين النكسة والثورة
دينا نبيل عبد الرحمن

" إلى القادم.. لا أدري من أنت ؟

ومن تكون؟ ومن أي مكان ستأتي لتغير وجه التاريخ العربي القبيح الآن..

أكتب لك لعلك تقرأ ما كتبت، وتعرف حقيقة ما جري لي ولنا ، فذنبنا الوحيد أننا وجدنا في زمن الأقزام ، ويظنون أنهم قامات، أكتب إليك ولا أعرف هل سأراك وأنا حيّ أم يراك أولادي وأحفادي، نحن مضطرون أن ننتظرك.. مقاومتنا حتى الآن لا تفيد. / ٩ "

هنا اختار السيد حافظ أن يتكلم.. أن يعزف على كمنجات بلا وتر في ليل محاق طويل مخاطباً فارساً خفيّاً ينتظره لا منذ بضع سنين وإنما منذ آلاف السنين، فينطلق ضارباً يده في عمق التاريخ وفي عمق الشخصية المصرية بمحاسنها ومثالبها في نظام أبدي دون قيود الزمن؛ فيعري الواقع القبيح ويحلله بغية زلزلة ذهن المتلقي حول ما اعتاد التسليم به وإفاقته من غيبوبته للتصدي الحاسم للظلم والقمع. لا تتطرق رواية " نسكافيه " إلى سردٍ يدغدغ مشاعر القارئ ليقدّم نحيباً على أمجاد سالفة ونواحاً على حاضر مظلم ومستقبل ضبابي، وإنما تجسّد حالة إنسانية متشظية عانت ويلات التغريب والانتكاس إثر هزيمة ٦٧ ، يقدمّها الكاتب بمصداقية عالية معتمداً على التوثيق التاريخي والصحفي في طيات السرد. لا تعدّ الرواية منتمية لما يعرف بــ " أدب الثورة " كونها كتبت فقط قبل الثورة أوتنبأت بها، وإنما لأنها تعمد إلى مكاشفة الواقع وإنارة عقل القارئ بحقيقة واقع وطنه الصادمة ، يقول:" ينام الثوار في أحضان الوطن كأنه شوك في أجسادهم ولا يستريحون

أبداً . كان هذا الوطن دوماً عاهرة لا تنحني ولا تستسلم للفضيلة أبداً مهما كانت التحذيرات ، ودائماً يتربص بها القوادون والمرتزقة. / ٢٤٠ ". فجسد البلاد يعانى التفسّخ إذ:" كشفت برقع الحياء، وجاء الفاسدون وضاجعوا عقلها وسرقوا أموالها، وانطلقت سياسات الانفتاح لتفتح كل الأبواب " فما عادت روح الوطن تجد لها مأوىً . يقول العالم الألماني هيجل:" إن أفكار ومفهومات المصريين القدماء نابعة من مصدرين أساسيين وهما: الشمس والنيل، رمزا الإنسانية " المادي والروحاني ، لذا لجأت الحضارة الفرعونية إلى احترام الجسد بالتحنيط لأنه إناء الروح . انطلاقاً من تلك الفرضية تقدم الرواية أنموذجين متناقضين يمثلان الروح والجسد يلتقيان أحياناً وينفصلان أحياناً أكثر، ليطرح الكاتب من خلالهما قضية الجسد المصري المتهرئ المشوّه بغية إعلان الثورة عليه.

١- الروح قبل الجسد:

الروح أصدق وأشفّ من الجسد لإنها السر الإلهي الذي يجعل الإنسان يسمو بنفسه فوق مطالبه الدنيوية، تلك هي خلاصة المسحة الصوفية بمفهومها الثوري لدى السيد حافظ، يقول:" بلا خوف سأدق عليك الباب، بلا خوف أحضرى حقائب أفراحك وذكرياتك المتشردة والنبية والصوفية والماجنة ودقى على الباب فأنا الناسك والفقير والمتجرد وأنا جوهر المقامات والفعل واللب والوجد، وأنا عندما أعشق، أعشق حتى الفناء وأظل ظمأن الروح والجسد " ، فيرى أنّ الثورة الحقيقية هي التخلّص من ربقة الجسد والانطلاق في فضاءات الروح ليشف البدن وتتحرر الروح مما يمكّنها من الرؤية السليمة ومن ثمّ يتمكن الإنسان من التغيير الحقيقي . حتى عند

تعامل الكاتب مع " كتابة الجسد " واقتراب اللغة أحياناً من تابو الجنس، إلا أنّ الكاتب لا يلجأ إلى الإغراء وإنما جرّ المتلقي إلى أنسنته وإلى تعرية واقع الوطن الذي يقع في شراك الفساد واستباحته من قبل الرأسمالية التي أضاعت القيم وجعلت الوطن جسداً أو صفقة تجارية تخضع للعرض والطلب .

٢- " لمى ".. أنموذج الجسد:

يعمد الكاتب إلى " رمز " أنموذج المرأة المتحررة ليصور جسد الوطن المستباح لتقريب الصورة للمتلقي ولعدم قدرته على الإفصاح عن المرموز إليه ." لمى القيسي " – بطلة الرواية – ليست امرأة عربية عادية، إنها صورة صادمة إلى أبعد الحدود ، بل قد تميل إلى استحالة وجودها في الواقع كونها تمتلك ذلك القدر المبالغ فيه من التحرر والشبق نحو الرجال حتى بدت في صورة " المومس" التي لا تقف رغباتها عند حد. فهي المرأة المتمردة الغارقة في الضياع والبوار، وتسخّر كل ماحولها من أجل تلبية مطالبها المادية والجسدية والعاطفية بما في ذلك أبنائها. يلجأ السيد حافظ في هذه الرواية إلى استخدام المرأة كرمز لجسد الوطن، فالمرأة في الأدب رمز للوطن بمعناه الشامل الذي يتسم بالاستقرار والهدوء والعشق، فيكتشف المتلقي تلك الصفعة القوية عندما يقول: " هناك أوطان مومس وأمم وشعوب مومس / ٢١٩. إن ربط الأنموذج المتحرر المتجسّد في شخصية " لمى " بالوطن شديد القسوة لذا يلجأ الكاتب إلى التشفير الدلالي ، فباستقراء القرائن التي لازمت " لمى " على مدار السرد يلحظ المتلقي مدى التشابه بينها وبين الوطن بصورته المرفوضة ؛ فعامر زوجها الذي " يشبه قادة حرب ١٩٦٧ /٢٥ ". فيمثل أنموذج القادة الذين لا يفهمون طبائع شعوبهم مما أدى

لاتخاذهم قرارات فاشلة واختيار خلفاء لهم فتحوا البلاد على انفتاح غير محمود العواقب يجسّده الكاتب في صورة " لمى " التي عانت من ضيق أفق زوجها وعدم قدرته على احتوائها بل وعرّفها على الأغراب ويرى انفتاحها معهم دون تحرج ، فكانت تبحث عن الحب في كل مكان.

وعلى صعيد الأمومة نجد أن تلك الأنثى / الوطن تضحّي بأبنائها وتلقي بهم في الضياع ، فيقوم الكاتب بإدخال نصوصٍ موازية في شكل " همسات " معانقة السرد كي يفضح مفارقات الوطن المغيّب ، يقول مثلاً:" الأمة العربية العظيمة أنجبت ابن رشد ، والأمة العربية العبيطة جعلت ابن رشد يحرق كتبه خسارة فيها / ٩٩ ". ومن هنا تفقد المرأة / الوطن سلطة الأمومة " الماتريركية " الممثلة للحب والمساواة بين الأبناء ونبذ الشقاق، وغدت امرأةً لعوباً تبحث عن ما هو غير شرعي إثر ارتمائها في أحضان الفساد والماسوشية . إن شخصية " لمى " تترجم واقع الوطن بمرارة ، وكيف انتهى العصر البطولي برحيل عبد الناصر وعودة الثورة المضادة والطبقات القديمة وحيتان الانفتاح الاقتصادي والاستهلاكي، وحكم البنك الدولي والشركات متعددة الجنسية. إنّ البحث الشره عن الحب ومطارحة الغرام في حقيقته كشف لحقيقة الشعور الداخلي والثورة المحتقنة التي ترفض الواقع لكن لا تقوى على تغييره ، مما دفعها إلى مقارعة الآخر، يقول السارد: " لمى تتعامل مع الرجال على تبادل الأمكنة هي رجل وهن نساء / ٢١١ " ، فكانت " لمى " تبحث عن منازلة الرجال في خصائصهم التعددية ، لأنها ترفض واقعها ولا تستطيع تغييره ، فغدت صورة مشوّهة للمرأة ، كما صار الوطن جسداً مشوّهاً.

٣ – " وحيد سالم ".. أنموذج الروح:

إذا كانت شخصية " لمى " تمثل رمزية جسد الوطن المستباح ، فإن شخصية " وحيد سالم " تمثل أنموذج الروح المصرية ذات التراث الثقافي والفلسفي العريق وآمال القومية العربية التي تحملها على كاهلها يقول: "مات عبد الناصر وأصبح في مصر لا يوجد أي حلم وطني أو قومي.. بل حلم فردي.. فتّح مخك واضرب واهرب واسرق.. قررت حينئذ الهروب للنساء.. قررت الكتابة والسفر / ١٤٩ " ، مما يدل على الغربة الوجودية والذات الضائعة التي فقدت الجسد المطمئن .

يوظّف الكاتب أسطورة " إيزيس وأوزوريس " وعلاقتها بإعادة الروح للجسد المتقطع عبر علاقة " وحيد " بـ " لمى "، يقول " وحيد ": "وظل الفتى مسكون بحب امرأة استثناء، تجمع قلبه الأشلاء" ، فـ " وحيد" يجد في " لمى " أنموذج " إيزيس " التي تجمع أشلاء جسده وتعيد له الحياة ، ولكن الصدمة الكبيرة كانت في نهاية الرواية عند تنكّرها له إثر خسارته أمواله ووظيفته وصار مهدداً بالطرد والسجن. ومن هنا فقد أوضح السيد حافظ عمق المعاناة الإنسانية عندما يتنكّر الوطن لأبنائه ويقدّمهم قرباناً للفساد ويقتل الإبداع فيهم ، فيرديهم إلى الضياع وتظل أرواحهم هائمة في الخارج بحثاً عن جسد وطن مستقر ، ومن ثمّ يتحول المرء إلى حطام فاقداً هويته وموطنه وذاته ، إذ إن الجسد الراهن قد فقد إمكانيته على الحفاظ على الروح المصرية الأصيلة التي تحدت الصعاب عبر القرون . وأخيراً، وبعد أربعين عاماً من التشرذم وضياع الهوية والكرامة المصرية التي رمز لها الكاتب في الأخير بـ" الحقيبة الضائعة " يعثر عليها الشباب يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ ، ويقدومونها

للبطل . فالكاتب يطرح مبدأ الثورة في بساطته إذ إن الجسد الحالي الذي عانى ويلات الفساد والطغيان قد آن له أن يستبدل إذ أنّ به مرضاً عضالاً قد استشرى وتفشّى ، فلابد من تنقيته من أدرانه وبتر ما يمكن بتره وتنظيف التقيح كي يؤتي العلاج بثماره ، وتعود مصر لروحها القيادية ودورها الريادي.

دينا نبيل عبد الرحمن

□

الموتيف في رواية " قهوة سادة "
للأديب / السيد حافظ
بقلم: دينا نبيل عبد الرحمن

توطئة:

في محاولة لتصنيف الحكايات الشعبية العالمية، قام عالم الفلكلور الأمريكي ستيث طومسون بوضع "معجم الموتيفات في الأدب الشعبي" عام ١٩٣٢، مؤثثاً بذلك مصطلح "الموتيف" لأول مرة والذي صار فيما بعد أساس نظرية فلاديمير بروب في دراسته وظائف بُنى الحكاية العجائبية. ولم يتوقف مصطلح الموتيف عند حدود الحكايا الشعبية والأساطير، وإنما تجاوز كونه (أصغر وحدة جزئية في الحكاية الشعبية [..] لتصبح منهجاً متكاملاً لفهم كثير من الظواهر الثقافية والفنيّة)[١]؛ فصار جزءاً من الفنون التشكيلية والموسيقى إلى جانب الدراما والقص. والموتيف كما يعرّفه د. سليمان العطّار، هو (موقف نمطيّ يتكرر منتزع من الواقع على يد الخيال، وله ملامح محددة لها قدر كبير من الثبات بعد انتزاعه من موضعه في سياق عدد غير محدد من الأعمال الأدبية الشعبية والفردية ثم تجريده، ثم يصنف في مجموعات يطلق على كل منها إطاراً موتيفياً)[٢]، ومثال ذلك الفتاة التي تغادر المكان مخلفة فردة حذائها، فيمكن أن يتغير تشكيل وحدة التعرف على الفتاة ليصبح منديلاً في حكاية أخرى، ومثال آخر الشخص الذي يعود بعد غياب ولا يتعرف عليه أحد إلا من علامة في جسده ، وقد تتغير تلك الوحدة وتصير خاتماً مثلاً أو قرطاً ، فبالرغم من اختلاف تشكيل الموتيف إلا أنّ ملامح الموقف ذاته تبقى نمطيّة. وقد يحوي العمل الأدبي الواحد أكثر من موتيفة، فتبدو الموتيفات كتمفصلات وتعشيقات تفرز ظواهر وتقنيات تؤثر

في البنية السردية، ومن ناحية أخرى تسهم في تحفيز الموضوعة الرئيسة التي يدور حولها العمل الأدبي.

ورواية " *قهوة سادة* " للأديب السيد حافظ الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب لعام ٢٠١٢، رواية ملحمية ليست الأولى للكاتب المسرحي الكبير، الذي أضافت تجربته المسرحية حسّاً فريداً في كتابته الروائية، فـ(كاتب المسرح ليس إلا سياسياً مبدعاً، يسيطر على ما حوله من واقع مفتت سيطرة الوعي المضيء، فيسعى للملمة شمل الفتات المتناثر خالقاً منها صورة متناسقة ذات نظام في عالمه)[٣]. والرواية تنقسم إلى جزئين: "حكاية سهر والعشق والقمر" والتي تمثل الواقع المعيش بين مصر وسوريا بعد حلّ الوحدة بينهما عام ١٩٥٨، والجزء الثاني: "حكاية نفر وإخناتون والنيل" والتي هي حكاية داخل حكاية ، يتنقل فيها القارئ بين مصر الفرعونية ومصر الحديثة والشام، وهي محاولة لسبر أغوار الشخصية المصرية في واقعتين تاريخيتين فاصلتين من تاريخ مصر: هزيمة ٦٧ وثورة إخناتون لتوحيد الآلهة، بوصف الرواية الشكل (الملحمي المرن القادر على تصوير وتحليل وتجسيد بانوراما الحياة المصرية في كليتها الاجتماعية والسياسية والأخلاقية في سباق التطورات والتحولات السياسية والاقتصادية)[٤]، ثم يجمع الكاتب تلك المشاهد المتوالية – الأشبه بالمشاهد المسرحية التي تنبثق من بعضها وتتنقل عبر الزمان والمكان – في توليفة واحدة مما أضاف إلى ثرائها وعمقها. واستعان الكاتب في لحم هذا التقطيع بتعشيقات موتيفية استعارها من الحكايا الشعبية في التراث العربي والأساطير المصرية القديمة والسومرية والإغريقية مما أعطى العمل عالمية أشمل، إلى جانب توظيف

الرؤى الصوفية والتوثيقات التاريخية والصحفية، للتركيز على موضوعة وحداوية العالم وانبثاقه من ذات واحدة ألا وهي الروح .

المحاور:

١- مأتم الجسد (الفناء)
٢- البناء والهدم
٣- الثورة
٤- البحث عن الذات والخلاص

١- مأتم الجسد (الفناء):

يأتي العنوان الموضوعاتي " قهوة سادة " معتمداً على مضمون الرواية عن طريق (المجاز المرسل والكناية المتعلقة بموضوع لا يتموقع الحديث فيه كثيراً)[٥]، فاستعان الكاتب بالوحدة الدلالية – القهوة السادة – التي ترسل للمتلقي منذ مصافحته عتبة النص الأولى إيحاءً بالموت وما يصاحبه من مأتم يسترعي انتباه القارئ لتعقب الجسد الفاني في النص. وهذا الارتباط بين القهوة السادة والمأتم من الموروث الشعبي العربي، لذا فيؤكد الكاتب في "صدر الرواية" على موضوعة فناء الجسد ومايرافقه من غرائز جبليّة:"أنسى أنّ النساء جسد من لحم ودم وأتذكر أنهن عطر له روح /٩"، فيجذب معه المتلقي نحو التسامي عن مطالب الجسد الدنيوية. وقد قام الكاتب بتخليق موتيفة جديدة من وحدة شُرب " القهوة السادة " وربطها بالموت أو القتل من ناحية ، والنشوة الروحانية من ناحية أخرى، ويظل الكاتب يرسلها على دفعات مقدماً معها ارتقاءات إنسانية تبدأ من الجسد وشهواته منتهية إلى الروح .

ففي أول تقدُمة لموتيف القهوة السادة يربطه الكاتب بشهوة النكاح،" تنصح [شهرزاد] بعض النساء بعمل فنجان قهوة على الريحة قبل الجماع بنصف ساعة/١٧" ، ثم يستعين به الكاتب لإظهار شهوة من نوع آخر وهي السلطة وفساد الحكام ، يقول البطل – فتحي رضوان:"دعا ابن عباد القاضي [..] كل حكام الإمارات في الأندلس [..] للغداء ثم الاستحمام في الحمام الجديد الفاخر.. وشرب القهوة السادة هناك.. وأثناء الاستحمام أغلق عليهم الباب.. بالطوب والخشب وجعلها مقبرة جماعية/ ٧٧"، فهذا دليل على تفشّي الدكتاتورية واستغلال المكر والدهاء وتحليل القتل للانفراد بالسلطة – أكثر الشهوات إغراءً للإنسان – ثم يربطها بتوثيق تاريخي لمواقف مشابهة في أزمان مختلفة: محمد علي وجمال عبد الناصر وصدام حسين؛ لأنها أكثر المشاكل التي عصفت بالأمة العربية. كما استخدم الكاتب الموتيف بإيحائه الحسي –المذاق الُمر– كناية عن استنكار الأوضاع في الوطن، يقول فتحي: "هل خدعت الشباب بحبها ؟ وأنها أم الدنيا وأنا لست أولهم؟ [..] أنا قلت لهم إن لبن ثديها نقي تقي ثم وجدت اللبن في ثدي مصر هو دم رائحته قذرة.. ممزوجة بطعم القهوة المرة/ ٨٩" ، فهذه ثورة ضد الجسد المصري الهجين الذي يتسيّده الخدم والرعاع محبو التملق والنفاق، وتعلو فيه رؤوس فساد لا تنظر إلا إرضاء نزواتها. وفي تمفصلٍ فارق في الرواية تبدأ الروح بالانفصال والعلو عن الجسد الضائع، يقول فتحي:" آه في البرد أحتاج إلى قهوة سادة.. وإلى حضن أنثى [..] ينسيني أنثى ليس لها مكان إلا في جنة عشقي/ ١٠٦" ، فتلك الموتيفة وما يصحبها من ملامح جديدة كانقطاع الكهرباء في الشقة ومرافقته زميلته الجديدة ماجدة ، التي تجسد في

سمراوتها مقومات الشهوة، وشعور البطل بالضياع والتخبّط في الظلام، توحي بظلمة دونية الجسد ومتطلباته، لتبدأ بعدها مرحلة الارتقاء الروحي والتصوّف.

تتمظهر الرؤية الصوفية بجلاء في الرواية، كون (الصوفية في العصر الحديث دخلت ساحة الإبداع الأدبي بوصفها أحد العناصر المهمة في التيارات الحديثة وخاصة السريالية)[٦]، فتسلّم بفناء الجسد – أحد مقامات الصوفية – متخذة من " القهوة السادة" وسيلة للتنبيه الروحاني، يقول فتحي:" القهوة قبلات للروح كي تنهض [..] أكره أن روحي تغفل وعقلي يتوقف عن التأمل / ٢٦٦" ، فالقهوة لصيقة بمجالس الذكر الصوفية ، لأنها تعطي فسحة للتأمل إلى حدّ يصل أحياناً إلى الهلوسة، "هذا هو فنجان القهوة أمامي قد برد.. وزهرة على المائدة ذابلة [..] أيتها المدينة التي تدعى القاهرة.. تعالي من وسخ الشوارع [..] تعالي ولو مرة واحدة لتشربي معي القهوة وأنتِ طاهرة / ٣٥٩ ". إنّ الجسد في نهاية الرواية يذوي تدريجياً حتى يصل إلى الفناء وعندها تتطهر النفس من جميع الأدران وتتمكن من الرؤية بصورة سليمة؛ وهذه الرؤية (مزيج من استعداد فطري ومؤهلات اكتسابية بعد رياضة وإجهاد وسياسة للنفس)[٧]؛ فقد عانى البطل واقعاً مؤلماً إثر انهيار كثير من المسلمات عن حاضر الوطن، " فتحي رضوان كان نموذجاً لملايين الشباب العربي والمصري الضائع الذي تطير أحلامهم في السماء كل صباح وترحل في المساء مع السفن المهاجرة إلى أميركا والغرب/١٨٥". وتتداخل الرؤية الصوفية لموضوعة فناء الجسد مع موتيفة البحث عن الخلود بعد الفناء في أسطورة كلكامش السومرية، فحين وصلت رحلة كلكامش إلى نهاية

مطافها، بدت له حقيقة الوجود الإنساني الآيل إلى الفناء الجسدي، فبدأ التفكير في الخلود الأخلاقي من خلال الصنيع الطيب. ومن ثمّ تتضح الرؤية الصوفية عبر الموتيفة كون التصوف(حاجة إنسانية ونفسية للخلاص والسمو والصفاء الروحي الذي لا بد وأن تسعى إليه النفس البشرية)[٨]، بل وتظل الروح تتنقل عبر الأجساد الفانية بغية الخلود، وبإسقاط تلك الرؤية على واقع البلد المرير الذي أودت شهوات أصحابه من حكام ومحكومين به فصار وردة ذابلة ، يقول فتحي:" الوطن يذبل ويموت كالزهور ثم يحيا بعد أن نلقي فيه ببذور عشق جديدة / ٣٥" ، فيدعو الكاتب على لسان البطل أبناء الوطن للتطهر من الشهوات والانبعاث الروحي من جديد.

وبسبب ارتباط القهوة بالتصوف فقد أضيفت لها إحدى لوازم الصوفية وهى ادعاء علم الغيب والكشف عن المستقبل بقراءة فنجان القهوة الذي لم تكن تجيده في الرواية سوى " شهرزاد العرّافة "، إلا أنّ الكاتب استخدم تلك الموتيفة بشكلٍ مغايرٍ، فرغم تنبؤ شهرزاد لمستقبل "سهر" بخروجها من الجبل والشام لتتزوج في الخليج إلا أنّ موتيفة القهوة السادة لم تكن لتلك النبوءة وإنما لكشف واستجلاء روح "سهر" الماضية:"مالت شهرزاد [..] وأخذت تصبّ القهوة ، قالت: بلغني يا أميرة سهر أن الجميلة نفر عاشت في قصر الفرعون إخناتون/ ٣١٠"، وهي محاولة للبحث في الروح الإنسانية الأصلية – الذات الصافية التي لا تتغير عبر العصور ولا الأماكن. وتبعاً للرؤية الصوفية والأسطورة الفرعونية فإن الأرواح تتناسخ وتحل في أجساد الآخرين؛ ومن ثمّ تظهر علاقة اسمي "كاظم" مع "باكا" واشتراكهما في الفونيمة " كا " والتي تعرف في اللغة الهيروغليفية بكونها (مظهراً من مظاهر الطاقة الحيوية

كقوة خلاقة وكقوة تحفظ الحياة)[٩] يعني الروح، وتلك الرؤية جعلت الكاتب يتحكم في عجلة الزمان فيعيدها من الحاضر إلى الماضي ثم إلى الحاضر مجدداً بحلول وأجوبة أصيلة لواقع معاصر محيّر.

٢- البناء والهدم:

تركز الرواية على موضوعة دورة الحياة وتكرار أحداثها حد الثبات ، فتلتقي موتيفة القهوة السادة وفناء الجسد بموضوعة الثبات التاريخي، إذ (التاريخ حلقات من عصور تتكرر، فالزمن ليس تقدماً إلى الأمام بل هو عود على بدء)[١٠]. إن موضوعة العجلة الزمنية المفرغة إحدى إحالات موتيفة البناء والهدم المنبثقة من موتيفة الغزل والنقض في ملحمة الأوديسة الإغريقية، ففي الليل تنقض "بنيلوبي" ما تغزله في النهار في انتظار زوجها "أوديسيوس" وهكذا دواليك ، ومثل تلك الدائرية حاصلة في الرواية ، فنجد مثال ذلك ما ذكره الراوي على لسان فتحي رضوان، أنّ الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل، أعيد بناؤه على يد السادات بعد تداعيه وسُمّي بالحزب الوطني الديمقراطي ليرأسه رئيس مصر، وهو ذاته الذي حُطّم في ٢٠١١ على يد الثوّار، " وتم تغيير اسمه إلى الحزب الوطني الجديد بعد تولّي طلعت السادات رئاسته [..] حتى تم حل الحزب نهائياً بقرار من المحكمة الإدارية /٢٠١١". إنها لُعبة تغيير أسماء وشعارات فحسب وليس تغييراً حقيقياً يتدخل فيه الإنسان بقوة ليرغم تلك العجلة على التوقف عن هزليتها ، يقول فتحي:" كان لابد ولزاماً علينا بعد النكسة مباشرة أن يتغير المناخ الثقافي في مصر [..] كان لابد أن تتغير الكلمة وتنبع من أعماق الشعب وليس من أعماق الزيف [..] تغييرا جذريا ولكن للأسف لم تتغير سوى شعارات أو تغيير بعض

الأفراد وتعيين مرتزقة جدد/ ٢٩٧" ، فإن الرضوخ والتسليم للواقع يقيّد الإنسان في عجلة الزمن وتجعله يرسف تحت نيرها دون توقف ، ومن المفارقات أنّ هذه العقلية من الموروثات الفرعونية ، يقول " بتاح حُتب "– أحد حكماء الفراعنة:(انحن أمام من هو فوقك [..] حتى يستمر بيتك مفتوحاً ويستمر رزقك ومرتبك جارياً ولا تعصه، فإن عصيان من بيده السلطة شر مستطير)[١١]، فالنفس المصرية لديها إيثار الاستسلام للواقع بدائرية حركته على تحمل صعوبة التغيير.

بينما تظهر الحالة الفريدة للبناء الحقيقي فيما أراده إخناتون من تغيير العبادة في مصر لتوحيد شتات العقل والوجدان المصري بين آلهة دونية في سبيل النظر إلى السماء وعبادة آتون "الشمس"، " كان إخناتون أول قائد فعلي في التاريخ لم يهتم برأي الشعب في العبادة، ووقف ضد الرأي العام [..] ومن سوء حظ إخناتون أن يفرض عقيدته في بلد لم يكن فيه رجل يستطيع نسيان الماضي غير إخناتون نفسه/٣٣٣" ، فبينما هو ينقض ما قبله بتحطيمه تماثيل الآلهة القديمة في الليل، ليحكم غزله ببناء المعابد الجديدة لآتون، وتراتيله وأناشيده لتمجيد الإله الجديد ودعوته الرعية لاتباعه في مبادئه ثم إنشاء أكثر من مدينة تحمل الاسم ذاته " أخيتاتون" أي مدينة آتون، إلا أن غزله كان ينقض يوماً بعد يوم من زوجته "نفرتيتي" وقائد الجيش " حور محب" والكهنة المتآمرين على قتله، "وقد أعاد الكاهن الأعظم باسم توت عنخ آمون[ابن إخناتون] عبادة الآلهة القدامى [..] إن سقوط إخناتون كان يعتبر في نظر أعدائه المنتصرين إعادة للنظام الخلقي القديم [..] كان مذهب إخناتون كشهاب لامع وسط ظلام دامس فجذب النظر وترك

بعض الأثر/ ٣٩٢"، وهكذا نُقِض الغزل لتعود الأمور إلى ما كانت عليه. وإن كانت تلك الأحداث منذ آلاف السنين، فإن إسقاطها على حاضر مصر بعد ثورة يناير ٢٠١١ ينقل وعي الكاتب وقلقه على مستقبل البناء الآخذ في التصاعد بعد الثورة وخشية الأيدي الخفية من اللعب بالبناء فيعود النظام السابق كما كان.

وتتجسد موضوعة دورة الحياة قرب نهاية الرواية في آخر مشهد لفتحي رضوان مع دودة القزّ – الرمز الموتيفي للغزل والنقض– لتجسيد الفكرة في بساطتها؛ فالدودة تغزل شرنقتها بالحرير الثمين وتظل خاملة حتى تصير فراشة، يقول فتحي: " فراشة دودة القز ربما هي روح أنثى.. ربما هي أنثاي المسحورة / ٣٨١" ، إلا أنّ عمرها قصير، لأن القاهرة " مدينة لا تحب المواهب الكبيرة ولا المبدعين الكبار.. الحسد يفتك بعقلها / ٣٨٣"، وبالرغم من عنصر النقض بموت الفراشة المحتوم إلا أنها خلّفت غزلاً حريرياً ثميناً وبيضاً يعود مجدداً لإكمال دورة الحياة، وبإسقاط هذه الرموز على الواقع، تتبين بارقة الأمل لدى الكاتب بظهور أجيال جديدة تشبه دودة القز، تغزل النفع والخير، وتنسى نفسها في سبيل مصلحة الوطن .

٣- الثـــورة:

انطلاقاً من علاقة الأدب بالسياسة، تظهر الملامح السياسية في رواية " قهوة سادة " في تبنيها قضايا الثورة على الاستبداد والأوضاع السلوكية بوجه عام وبث الوعي بحقيقة الأزمة العربية. ونتيجة للهزائم المتكررة في تاريخنا العربي، فقد جنح الأدباء إلى استجلاب شخصيات تاريخية وتراثية وأسطورية، إذ (كان من الطبيعي أيضاً أن تتلازم أسئلة التراث والمعاصرة [..] مع أسئلة

الهزيمة التي أنتجت معاً حراكاً ثقافياً عربياً عنيَ بالعودة إلى الجذور لاستلهام التراث بأشكاله كافة)[١٢]، وهو بالضبط ما قام به السيد حافظ في الرواية معتمداً على موتيفات متنوعة.

لجأ الكاتب إلى موتيفات تراثية وأسطورية تجسّد الواقع العربي على الصعيد السياسي وما يعصف به من استبداد من قبل الأقوياء، وموضوعة الثورة في مقابل الاحتكار والاستبداد تتماس مع موتيفة أسطورة " بروميثيوس" الذي تمرّد على احتكار الآلهة للنار، فـ(يرفض الاستسلام ويأبى الخضوع والانسياق ويحلم بالانتصار على الرغم من العذاب الشديد)[١٣]، وإنّ رفض الاحتكار والانفراد بمقومات السلطة من الأسس الأولى للثورة، يقول فتحي:"الطغاة كلما نهبوا طمعوا، كلما دمروا وهدموا، كلما موّناهم وخدمناهم زادوا جرأة واستقووا وزادوا إقبالا على الفناء والدمار. فإن أمسكنا عن تموينهم ورجعنا عن طاعتهم صاروا بلا حرب ولا ضرب/ ٢٣٧" ، ومن ثمّ تتضح علاقة الموتيفة بالثورة ضد مظاهر الاستبداد والاحتكار مع تحمل تبعات الوقوف في وجه من بأيديهم السلطة ، فمصير الثوّار في الغالب إما العذاب والسجن مثل " كاظم " عند اتهامه بالشيوعية أو القتل كما يقول فتحي عن الأمير فخر الدين الشامي المستنير:" يا ويلك يا فتى هكذا يموت الثوار بلا صوت / ٦٠"، أو مصيرهم في طيات النسيان ولا يبقى منهم سوى تذكار ، يقول سالم – والد سهر –:" كان الماضي حياً.. كفاح ونضال وتحرير [..] الآن الأمور ليست هكذا أعطوا كلاً منا نيشاناً ووساماً وشهادة تقدير[..] ولا شيء حصل.. الجنرالات حصلوا على كل شيء المناصب وأراض ومال.. وأصبحت المقاومة في خبر كان/ ١٥٣" ، فهذا ما يحذّر منه الكاتب ومن

مصير الثورة، لاسيما وأنّ الرواية كتبت بعد ثورة يناير ٢٠١١ ، فهو يتكلم بلسان البصير للأمور كي لا تؤول الثورة وحال الثوار إلى مثل من كان قبلهم.

وعلى الصعيد المجتمعي ، تتبدّى الثورة على أوضاع المجتمع من خلال موتيفة العمل من أجل اللاعمل المنبثقة من أسطورة " سيزيف " – رمز العبثية – الذي تحدى الآلهة وقَبِلَ العقاب الأزلي بحمل الصخرة إلى قمة الجبل لتسقط إلى السفح فيعود ليحملها من جديد، و(ترمز أسطورة سيزيف باختصار إلى مجانية العمل الإنساني وضياع الجهد)[١٤]، ويترتب على ذلك وجود من يعمل ويكدح في مقابل من يقبض ثمن هذا العمل دون عناء، لذا فـ(طبقات المعنى الكامنة تحت رمز هذه الموتيفة ستمثل صراع الإنسان الطبقي)[١٥]. ويبدو عبر هذه الموتيفة المجتمع مصغّراً بطبقاته: أسرة " سهر " الشامية البسيطة ذات الكبرياء، فبالرغم من الفقر إلا أنّ " الأب كان سياسياً يحارب العدو الفرنسي المحتل / ٨١"، والتاجر "شداد " الذي يمثّل الرأسمالية البورجوازية، "شداد تاجر فاجر يشتري ويبيع كل شيء.. شداد يشتري النساء كما يشتري الفاكهة.. النساء عند شداد مثل التفاح والتفاح أنواع حسب الطعم والمكان/٨٦" ، فينظر إلى " سهر " كونها صفقة تجارية يدفع من أجل الفوز بها بأي طريقة حتى وإن وصل الأمر إلى الرشوة والخطف، وهذا البَون بين الطبقتين يفرز طبقة دنيئة من البشر تتخلى عن المبادئ وتستغل فاقة الآخرين، مثل مختار القرية " بسام " الذي تبدو فيه موتيفة زير النساء، تقول شهرزاد:" بسام القصير المكير الذي لا يتوارى أبداً عن فعل أي فاحشة في السر وخاصة مع النساء والمطلقات.. واللائي

يسافر أزواجهن إلى العمل بالخارج.. بحجة أنه يرعى النساء المكسورات الجناح /١٠١"، بل ويضحي بأمانيه – الزواج من " سهر " – في سبيل أمانٍ أكبر،" التاجر شداد وعده أن يعطيه أوتوموبيل فرنسي هدية للزواج/ ١١٣ "، ومن ثمّ تظهر الهوة الكبيرة بين والد " سهر " الذي يحارب المحتل الفرنسي، وبين بسام وشداد اللذين يتاجران مع المحتل في سبيل إرضاء رغباتهم. ومن خلال هذا الصراع يتبين لدى المتلقي العلاقة بين " سهر " والوطن كون (العالم المرجو تخليصه هو المرموز إليه بالمرأة)[١٦]، إذ الجميع يطمع في الوصول إليها بطرق شريفة وغير شريفة ويحاولون شراءها إلا أنّ والدها الثوريّ القديم يرفض كل ذلك بحس ثوري بسيط ، ومن ثمّ تتضح أصناف البشر أمام الوطن وتناحر الطبقات إما بالحفاظ عليه أو التفريط فيه والتهاون في حقوقه من أجل المصلحة الخاصة .

كما عمد الكاتب إلى استخدام موتيفات تراثية عربية وتوظيفها مع موضوعة الثورة بطريقة حداثية ، ولعل أكثرها وضوحاً هي شخصية "شهرزاد" التي تتناص جزئياً مع " زرقاء اليمامة " ومن ناحية أخرى مع موتيفة شهرزاد ألف ليلة وليلة. فتلتقي مع زرقاء اليمامة لا في زرقة العينين فحسب وإنما في بُعد النظر، فإن كانت زرقاء اليمامة حادة الإبصار، فشهرزاد حادة البصيرة ، فهي أول من تنبأ لسهر بمستقبلها:" اسمعي يا بنت سالم.. أنت لن يتزوجك ولا واحد من الفلاحين.. سيأتي من يأخذك إلى الخارج صاحب علم وفهم.. ويسافر بك إلى بلاد الذهب/ ١٥١" . وتلتقي مع موتيفة شهرزاد ألف ليلة وليلة إذ يقدّم الكاتب شهرزاد بشخصيتها في الرواية أقرب إلى الأسطورة، " شهرزاد تعرف قصة لسان امرأة مسمّاة بالألفية جامعها ألف رجل/ ١٧" ؛

فهي التي تحفظ الحكايات وكتب جلال الدين السيوطي وابن حزم وطوق الحمامة وتفسّر الأحلام وتنصح النساء بنصائح المعاشرة ويتناقل الناس عنها الأخبار:" قالوا عن جمالها تزوجها جنّي جميل.. ومنع كل الرجال عنها أو الاقتراب منها/ ١٨" وهذا من منطلق الحكي الشعبي أنّ (تصور الزواج بين الإنس والجن وأحياناً تصور الحب بينهما بصورة سعادة واكتساب القوى ومعرفة المستقبل)[١٧]، وهذا سبب امتيازها عن بقيّة النسوة . وهي إلى جانب ذلك تمثّل أحد عناصر الثورة ضد الأوضاع المجتمعية الخاطئة؛ فإلى جانب شرابها مشروب " المتي" الذي كان يشربه جيفارا – الثوري اللاتيني المعروف، كانت تقف أمام قوى الرأسمالية التي يمثّلها التاجر شداد – الذي بدوره يمثّل موتيفة عقدة شهريار – " فهو لا يمانع أن يتزوج أي أنثى [..] شداد لا يتوانى عن شراء أسرة العروس أبوها وأمها وأخوها وأختها.. وعندما يتم الطلاق يترك لها بعض المال ومصاريف العيال [..] لا يعرف أسماء العيال ولا عددهم [..] وإذا تزوجت امرأة قطع عن أولاده منها أي زاد أو زوّاد أو مال.. عقاباً لها لأن أي امرأة تتزوج شداد يجب ألا تتزوج بعده / ٨٧" ، فإن كان شهريار يقتل النساء قتلاً حقيقياً ، فإن شداد يقتلهن معنوياً وحسيّاً معاً ويقتل معهن أبناءهن، فكل عام يتزوج من امرأة جميلة ويتركها ويرحل ، فكانت شهرزاد " قهوة سادة " من أوضحت للأهالي وكشفت سره وألاعيبه على الفلاحين الفقراء لاسيما " سهر" – رمز الوطن في النص – تقول شهرزاد:" الحمد لله كشفت سره لأهل القرية.. حتى أنهم سيمتنعون عن بيع التفاح والزيتون له / ١٥٢" وهذا أساس الثورة الذي تكلّم عنه فتحي رضوان

من إمداد الضعفاء للأقوياء في طغيانهم وبغيهم ، فكان الامتناع والمقاطعة خير عقاب لهم.

٤ – البحث عن الذات والخلاص:

إن موضوعة البحث عن الوطن لا تقتصر على الغياب الحقيقي عن الوطن الذي ولد وعاش به المرء ، وإنما قد يكون البحث مجازيّاً فتكون الغيبة روحية أو غيبة الإنسان عن ذاته حتى يعثر عليها في الأخير. وباستقراء شخصية البطل – فتحي رضوان – نلاحظ أنّه يعيش حالة من القلق الوجودي ، فـ(يواجه الفرد بمسئوليته ، ويدعوه لإدراك وجوده الأصيل)[١٨] ، وتساوره الشكوك ولا يفتر عن طرح الأسئلة حول العالم الذي يعيش فيه لتمييز حقيقته عن زيفه حتى فيما يتعلّق بأكبر الحقائق في حياته – الوطن – " كان يبحث عن سؤال لماذا سميت مصر أم الدنيا؟ مع أن كل حياتها وتاريخها العسكري محتشد بالهزائم المنكرة / ١٨٢" وغيرها كثير عن العروبة والازدواجية وأصل فلسطين هل هي عربية أم يهودية! ، حتى يصل به الحد إلى الاغتراب الوجودي وهو (اغتراب عن وجود الإنسان ذاته ، وإحساس المرء بأنه في العالم لا في بيته)[١٩]، يقول فتحي: " سمعت دقات قلب الوطن تلازم دقات قلبي.. وجدتني مواطنا بلا وطن.. وجدتني مشروع كاتب في وطن أميّ.. ومثقف وسط أدعياء.. وطيبا وسط أشرار/ ٣٥" ومن ثمّ فيفتقد الشعور بالانتماء ويفكّر في السفر ، وتتماس تلك الموضوعة مع موتيفة التنقل والأسفار في حكاية السندباد البحري وبحثه عن الكنوز والترحال؛ (فالسندباد من حيث هذه الدوافع وغيرها رمز لقلق الإنسان وطموحه اللامتناهي إلى الحرية والانسلاخ من القيود، والرغبة في الكشف عن المجهول والغامض بالمغامرة وركوب الخطر وتخطى الصعاب، وتجاوز المكرور السائد)[٢٠] ، فشخصية فتحي

دائمة التنقل والسؤال للكشف عن حقيقة المسلمات، لذا فاستعان الكاتب بالتوثيق الصحفي والتاريخي لإظهار صدق وديمومة بحث البطل عن زيف الحقائق التي يسلم بها الناس بلا تفكير ، فأدرج الكاتب اقتباسات من الصحف الرسمية ومذكرات الزعيم محمد فريد وخطابًا لجمال عبد الناصر وغيرها من كتب السيوطي وابن كثير. وبالرغم من حداثة هذه التقنية إلا أنّ الكاتب أحسن في إدماجها بشخصية البطل ومقارنتها بأحداث مشابهة. وكان تنقل فتحي الجسدي كذلك بانتقاله من الإسكندرية إلى القاهرة ثم التفكير في السفر للكويت بغية حرية التعبير، وكذا التنقل بين الوظائف من خطيب باتحاد الطلاب إلى مصحح لغوي ثم مراسل للأدباء ، فكل هذه التنقلات بما فيها التنقل بين النساء اللاتي أحببهن – ناهد وفيفيان وماجدة – باختلاف دياناتهن وجنسياتهن تؤكد رغبته الجامحة في البحث عن ذاته ووطنه الذي ضاع بضياع ذاته.

وإن كانت حالة الشك الوجودية مسيطرة على البطل ، فهو (يحاول خلالها أن يجد طريقاً للخلاص من سجن العالم الذي أُلقي فيه دون إرادته)[٢١] ، يقول فتحي:" أعلن أنا فتحي رضوان خليل حتى لو هزمتنا إسرائيل والعالم كله و الأمريكان.. لن أهزم أبدا أبداً.. أنا روح وصمود هذا الشعب العنيد العبيط [..] ومن روحه أستضيء.. وأبعث في الكلمات وردة الحياة / ٤٦" ، ففتحي الخطيب الذي يحرك الطلاب ومشاعرهم ، أشبه بالمخلص ، ومن هنا تتلاقى شخصيته مع موتيفة المخلص الذي يضحي بذاته في سبيل الآخرين ووصول الآخرين إلى الحقّ ، فبالرغم من امتلاك فتحي أدوات تجعله يتحكم بالجماهير – الكتابة والخطابة – إلا أنّه لم يضحِ بمبادئه ولم يسلك طرقاً ملتوية أو سهلة ككثير من أصدقائه. وقد عمد الكاتب إلى موتيفة المخلّص بسبب الإحباط العاصف بالذات العربية

فاستنهض (شخصية المخلّص بوصفها رمزاً أسطوريّاً معبّراً عن تطلّعات الجماعة المقهورة وأحلامها، والباحثة عن قوّة تبعثها من رمادها، وتستعيد لها إمكاناتها المضيَّعة)[٢٢]. وطبقاً للرؤية الصوفية في الرواية ، فإن وسيلة الخلاص هي التخلّص من دنس الشهوات الدونية بالتحرر من ربقة الجسد للانطلاق في فضاءات الروح وكذلك (العودة إلى رحم الطبيعة، أو إلى قيم البداءة الأولى، لتحرير الإنسان من بطش القوى السالبة)[٢٣] ، بل والاتحاد مع سائر العصور والحضارات السالفة ، يقول فتحي:" من تلك المنطلقات يدخل في أحرفي العصر اليوناني والروماني والفرعوني يصيرون وحدة واحدة وفضاء بلا خريطة من تلك المنطلقات أشعر أني مجرد نقطة بيضاء وخطوط حمراء وصحراء مزروعة بياسمين شفتيكِ / ٣٦٠" ، وقد أعان الكاتب في تلك النظرة الشمولية كون الإسكندرية هي المسرح الرئيس للأحداث وهي مدينة (كوزموبوليتانية يتعايش فيها الجميع بكل حب وود وسلام منذ الأزمنة القديمة)[٢٤] ، فالأجانب من جميع الأجناس والملل يعاشرون المصريين يقاسمونهم الألم والهم المشترك فيه الجميع كونهم ينتمون إلى المكان ذاته. وتتمظهر موتيفة المخلّص في أكثر مظاهرها جلاءً مع إخناتون بوصفه الإنسان الوحيد في الرواية الذي استطاع تحقيق الصفاء الروحاني، والتجرّد من الاستبداد السلطوي والجسدي والأكثر استنارة وحرصاً على شعبه ، فكان جزاؤه الخيانة والقتل، يقول إخناتون:" الكهنة سبب بلاء هذه البلاد باسم الآلهة يلعبون بعقول الشعب الساذج البسيط . أنا جعلت الآلهة إلها واحدا[..] أنا أجادلهم بالتي هي أحسن ولم أقتل أو أحاكم أحدا يعبد إلها غير آتون/ ٢٤٤" ومن ثمّ يسمو بأناشيده وخلقه عن الدنايا ، فجاء مشهد قتله أثناء الصلاة واختفاء جثّته ليذكرنا بالمسيح وصعوده إلى السماء،

فإن فَنَي جسد إخناتون المخلّص فإن روحه لا تزال موجودة وطبقاً للرؤية الصوفية التي تتلاقى هنا مع موتيفة المخلّص فإنها ستنزل من جديد. وبإسقاط تلك الأحداث ورموز هذه الموتيفة على حاضرنا تتضح رؤية الكاتب وأمله في ظهور تلك الروح من جديد ، ومن ثمّ تتماهى تلك الموتيفة مع رؤية الكاتب التي ذكرها في " الإهداء " ، يقول:" أكتب هذه الرواية بحثاً عن روح مصر المتخاذلة سبعة آلاف عام.. وبحثا عن روح مصر أخرى للإنسان فيها معنى وقيمة وحضارة حقيقية فعلا وقولا./ ١٢"

خاتمة:

" قهوة سادة " رواية ملحمية دسمة تتزاحم بها الرؤى الصوفية والوجودية الفلسفية مع النظرة الواقعية التوثيقية للأحداث مما يضع المتلقي في مواجهة قوية مع ماضيه وحاضره وزمانه ومكانه وذاته والعالم بأكمله . وبالرغم من طغيان المسحة المسرحية على شكل الرواية إلا أنها كانت شديدة الترابط والتناغم بين المشاهد فيما بينها، وساعد على ذلك الموتيفات المتنوعة التي استخدمها الكاتب ، وقد كان لتنوعها الأثر الكبير في أسطرة الكثير من جوانبها وشخوصها بل والنزوع إلى عالميتها فلا تكون قاصرة على شعب دون غيره ، بل وكأنها اختزال كامل للحضارة الإنسانية بأسرها وهو مكمن إبداعها.

الإحالات:

١- الموتيف في الأدب الشعبي والفردي "نحو منهجية جديدة": د. سليمان العطار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط١، ٢٠١٢: ص٩
٢- المصدر ذاته: ص ٢٩
٣- المصدر ذاته: ص ٢١١
٤- أوراق نقدية في الأدب: عبدالرحمن أبو عوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦: ص ١٧٠
٥- عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص): عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨: ص ٧٩
٦- الواقعية السحرية في أدب نجيب محفوظ رواية " ليالي ألف ليلة ": حامد أبو حامد، مجلة إبداع مجلة فصلية للأدب والفن، العدد٩ ، شتاء٢٠٠٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ص١٠٨
٧- بنية السرد القصصي الصوفي(المكونات والوظائف والتقنيات): د.ناهضة ستار، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٣: ص٢١
٨- المصدر ذاته: ص ٢٣
٩- معجم الحضارة المصرية القديمة:جورج بوزنر،سيرج سونرون، جان يويوت،أ.أ.س.إدواردز، ف.ل.ليونيه، جان دوريس، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: د. سيد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٦: ص ٢٧٩
١٠-قال الراوي، تأملات في فن الرواية:أحمد عبدالمعطي حجازي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٧:ص٥١
١١- آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧: ص ١٩
١٢- النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة: د. نضال الصالح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١: ص ٧٣

١٣- أثر التراث الشعبي في القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول) دراسة: د. كاملي بلحاج ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ٢٠٠٤: ص ٨٥

١٤- المصدر ذاته: ص ٨٧

١٥- الموتيف في الأدب الشعبي والفردي: ص ٦٧

١٦- المصدر ذاته: ص ٧٢

١٧- فنون الأدب الشعبي: أحمد رشدي صالح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧: ص١٤٠

١٨- المحاكاة السردية للقلق الوجودي في رواية " عزازيل ": د. حجاج أبو جبر، مجلة الرواية قضايا وآفاق، العدد ٦ ، سنة ٢٠١١، الهيئة المصرية العامةللكتاب ، القاهرة: ص ٣٥٧

١٩- المصدر ذاته: ص ٣٥٨

٢٠- أثر التراث الشعبي في القصيدة العربية المعاصرة: ص ٩٢

٢١- المحاكاة السردية للقلق الوجودي في رواية " عزازيل ": ص ٣٥٨

٢٢- النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة: ص ٧٣

٢٣- المصدر ذاته: ص ١٤٥

٢٤- رواية الأسكندرية في الربع الأخير من القرن الماضي: أ. شوقي بدر يوسف، مؤتمر اليوم الأدبي الواحد ، تطور الرواية السكندرية في الربع الأخير من القرن العشرين، ٢٠١٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الأسكندرية: ص١٥١.

" كابتشينو ".. والهروب بين صهلتين
بقلم: دينا نبيل عبد الرحمن

" توت ".. أنت ساحر وشاعر وأنا لست من السحرة.. أراني أحتاجك..

- أنت تقع بين الإيمان والعشق !

صهل " برق " صهلتين.. * "

بين سحر الحب الإلهي وسحر الحب الإنساني، بين الإيمان والعشق تأخذنا رواية " كابتشينو " في رحلة إلى خفايا الذات الإنسانية عندما تترنح فوق جبال الكبرياء وعند ضفاف التنازل، عندها تكون المقامرة بالحق تمجيداً لأصنام فارغة. إنه خطاب سردي واقعي ذو لمسات رومانسية صوفية رقراقة تتسم بها رواية " كابتشينو "، لتحكي معاناة إنسانية تتكرر عبر العصور ، تتمثل في وقوف الإنسان أمام قوى فساد تفوق احتماله ، فلا تكون وسيلة للنجاة سوى الهروب والتخلي عن الأماني بغية التخلص من حياة منسية في وطن مهزوم، لتبدأ بعدها رحلة الصراع مع مستقبل مجهول في الغربة. فيقع الإنسان في صراع نفسي كبير بين " صهلتين " تتكرران كـ " لازمة " دلالية عبر الرواية: الصهلة الأولى – عشق الإنسان وحبه للمكان بما فيه من ذكريات محفورة وأحلام مستقبلية ، وبين الصهلة الثانية – إيمانه بحقه في الحياة الكريمة دون التخلي عن مبادئه وعقائده ، إلا أن واقع الوطن الأليم يفرض على الإنسان الاختيار؛ فيكون مخيراً بين التنازل أو الهروب ؛ فيفر موسى عليه السلام ببني إسرائيل من بطش فرعون وظلمه مفارقاً مصر التي تربّى فيها وحارب مع جيشها ، ويفر فتحي رضوان خليل من فرعون

معاصر تاركاً وراءه مصر الأم والحبيبة بحثاً عن حرية وكرامة هلامية في الخليج. إن سمة " الهروب الجماعي " التي تسيطر على أغلب شخصيات الرواية ليست إلا محاولة للبحث عن الذات في ظل اغتراب وجودي يفقد الإنسان فيه الانتماء والسكينة الروحية، فتسافر " سهر " إلى الإمارات لا من أجل الزواج فحسب ، ولكن فراراً من أُطر وحدود تحجم روحها الطليقة الصافية ، والتي لم يستطع الزمن الوقوف أمامها ، فكانت تتناسخ عبر عصور سبعة من خلال أجساد فانية – بين زمن الفرسان وزمن الهزيمة المعاصرة في طرح ملحمي شديد الاتساع زمنياً ومكانياً.

تأتي رواية " كابتشينو " بنسيج حداثي تتعاشق فيه لوحات سردية وشعرية وتشكيلية في إيقاع متلاحق ، تذوب فيه الفوارق بين الزمان والمكان مما أكسب العمل عمقاً وأبعاداً جديدة ، فيتنقّل الكاتب برشاقة بين مصر والشام ، وبين العصر الفرعوني والعصر الحديث ، ومن ثمّ تتموضع ثيمة مجابهة الإنسان لعوامل الفساد وثورته عليها عبر الأزمان والأماكن المختلفة من أجل وطن أفضل ، ثم الهروب من واقع الاستبداد المرير طلباً لحياة حقيقية بعيداً عن براثن القهر في وطن يكره التغيير. إن الطرح الجرئ لمشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والأخلاقية ، يمكّن القارئ من القول بأنّ رواية " كابتشينو " إفراز حقيقي لأجواء ثورات الربيع العربي ، فلقد سبق إصدار هذه الرواية روايتان بعنوان " نسكافيه " و" قهوة سادة " ، وبالرغم من اتفاقهما في أكثر من ملمح مع رواية " كابتشينو " – لاسيما في المسحة الشعرية والصوفية وتقطيع مشاهد الرواية على نحو المشاهد المسرحية – إلا أنّ رواية "

كابتشينو " تتمظهر فيها ملامح " الأدب الثوري " الذي يتسم بالعقلانية والعمق في الطرح ، فهي لا تتعرض لإثارة انفعالات المتلقي من خلال دغدغة مشاعره عبر عبارات ثورية أو محض انقلابات تقوم بها الشخصيات الرئيسة لتغير مسار الحدث ، وإنما تتناول بهدوء ونضج مشاكل المجتمع العربي عامة والمصري خاصة ومواجهته بحقيقته بعيداً عن المحاباة بغية تغيير الواقع المهزوم ؛ فتتناول المشاكل السياسية التي حولت المنطقة إلى أرض نزال وصراع بين القوى السياسية والرأسمالية مما أنبت الوساطة والفهلوة والسرقة التي أسقطت الإنسان البسيط ، وجعلته فريسة للفاقة والجري وراء الرزق في زمن تبدلت فيه القيم. إن ما قام به الكاتب الكبير السيد حافظ – ذو الباع الطويل في الأدب والصحافة – أشبه بمواجهة الذات ووضع القارئ أمام نفسه في المرآة ومحاولة الإمساك بالزمن عن الجريان والتوقف للتثبت من موضع الأقدام وموقع الإنسان المصري من ماضيه وحاضره وسط الأمم ، لذا يمكن عدّ الرواية تمثيلاً لما يعرف بـ " أدب الثورة ". ونتيجة لذلك ، تثير الرواية " رغاوي الكابتشينو" الخاوية وفقاعاته الخادعة حول شعارات مزوقة وأفكار بالية تدفع بأبنائه إلى البحث عن حقيقة وجودهم في وسط زخم من أحلام زئبقية يرسمها فراعين نصبوا أنفسهم زعماء ، فيكشف الكاتب برؤية واعية عبر تأملاته في الكتب المقدسة والتاريخ والتوثيق الصحفي، داء الواقع وينفذ إلى جذور المشكلة ويطرح طرق علاجها بعيداً عن أوهام سطحية طافية في فنجان كابتشينو.

وقد استعان الكاتب في النص بالهامش المذيل لصفحات الرواية

، مما أكسب النص حميمية تخفف من وطأة الشحن النفسي الحاصل للقارئ نتيجة تلاحق الإيقاع وتأزم الأحداث ، كما يسهم الهامش أيضاً في تقديم أنموذج حي وصادق لمعاناة الإنسان – لاسيما المبدع في الوطن العربي – عبر الخواطر التي يمررها الكاتب للقارئ ، مما يدعم ثيمة النص. كما تتعرض الرواية لكثير من المشاهد الشاعرية التي تأتي لتكملة الجزء السابق – رواية " قهوة سادة " – ، إلا أن رواية " كابتشينو " يشتد فيها التلاحم بين المشاهد كما تزداد رقتها وحميميتها كمشاهد رقص " كاظم " و" سهر " فوق الجبل ، وإعلانه حبه أمامها ، كما تتكرر تلك المشاهد بين " نور " و" محب " في صراع أشد قوة بين الإيمان والكفر ، مما يمكّن الكاتب من امتلاك عنصر التشويق وانفعالات المتلقي كي يستطيع تمرير رسالته بصورة خفية .

وأخيراً ، إن رواية " كابتشينو " عمل أدبي يسعى نحو الكمال في الشكل والمضمون ، فلا يكتفي الكاتب بتضفير أكثر من جنس أدبي وفني داخل الرواية – إذ لم يضعها اعتباطياً – وإنما لخلق طريقة جديدة في قراءة نصوص مشابهة ، فيجمع القارئ الخيوط ، ويقرأ السرد إلى جانب الشعر واللوحات التشكيلية ، ليس بهدف الإمتاع الذوقي فحسب وإنما لتقريب الثيمة أكثر ما يكون ، إذ أن الكاتب تناولها بطرح جديد يعمد إلى الجدية في المعالجة ، وتلمس خفايا كثيراً ما تم التعتيم عليها حتى بلغت شأن التابو. لقد كان طرح الكاتب لثيمة " الهروب " من الواقع عند الوقوع في الصراع بين " الصهلتين " – العشق والإيمان – إظهاراً لحقيقة الأوضاع التي تزج بالإنسان إلى ترك الوطن إثر عدم التمكن من الجمع بين الاثنين .

السيرة الذاتية
دينا نبيل عبد الرحمن إبراهيم

تاريخ الميلاد: ١٩٨٤/٨/١٠

الجنسية: مصرية

العنوان البريدي: شارع إسماعيل حلمي – ميدان فيكتور عمانويل، سموحة – الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

الهاتف النقّال: +201223458486

المؤهل الدراسي: ليسانس آداب وتربية قسم لغة إنجليزية جامعة الأسكندرية ٢٠٠٥

- طالبة ماجستير، شعبة الأدب الإنجليزي، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.
- عضو بمختبر السرديات بمكتبة الأسكندرية
- نشر لي بعض الأعمال القصصية والنقدية على كتّاب الرواية والقصة المصرية والعراقية في جريدة (العراق اليوم) و(الاتحاد العراقية) ومجلة (آفاق أدبية) العراقية مجلة "رؤى ثقافية" بليبيا ومجلة (روافد) الإماراتية و(أخبار الأدب) المصرية و(الشعب الجديد) المصرية ، مجلة (الهلال)، و(مجلة إبداع) و(مجلة الرواية) و(مجلة المجلة) ومجلة (فصول) و(عالم الكتاب) الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب و(الثقافة الجديدة) الصادرة عن قصور الثقافة.
- فائزة بمسابقة " إطلالة " الأدبية للقصة القصيرة بمكتبة الأسكندرية.
- فائزة بمسابقة " دار ليليت " الأدبية للدراسات النقدية .
- حاصلة على درع المثقف للثقافة والأدب والفن ٢٠١٣ من قِبل مؤسسة المثقف العربي كرمز "للمرأة الناقدة".

- فائزة بمسابقة مركز رامتان / طه حسين ، السنوية للشباب عن دورتها الرابعة عشرة لعام ٢٠١٣ ، فرع الدراسات النقدية عن دراسة " ملامح الحكي الشعبي في رواية خالتي صفية والدير " للروائي الكبير بهاء طاهر.
- مشاركة في مجموعة قصصية "خمائل الواحة" الصادرة عن دار الجندي/ القدس، مع عدد من الكتاب العرب.
- صدر لي كتاب "بلورات سردية" مقالات ودراسات تطبيقية في نقد الرواية والقصة القصيرة ، عن المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٦.

كلمة عن الناقدة الدكتورة / رشا غانم

القلب لامس أطراف الورق.. فغار الغمام وحلق فوق البدر يستشفي قطرات الندى.. فرأى وجنتي البدر خلقت من ذهب.. فاصفرت الغيمة مما رأت بعينيها النرجسيتين وقرأت حروفاً من ذهب تتجدد مهما طمرها الدهر ونال منها الكيد والحسد ترتدي رداء العز رداء الشمس والشباب والنور والجمال والهوا فتنجلي وتبكي أيام الفراق السود وترق براءة الأخلاء وعهد التصابي فتهتز ويتغير مزاجها لأيام البيض وترتدي البهاء والحسن وتنشر نور الصباح وتهبنا أنفاس عبير نسيم العنبر..

الكلمة التي توثق بالورق تكون بمتناول القراء ليس هذا المهم لكن الهدف.. من هو القارئ؟ من هو المتلقي؟ هل تصل لك الصرخة التي أطلقها الحرف ونزف دماً وبيضت عينيه وأصبح الحرف كظيما..

المشروع السباعي للكاتب الروائي المسرحي (السيد حافظ) والمسرواية أو الرواية التي بين يدينا الآن.. (كابتيشنو) التي اختارتها الدكتورة (رشا غانم) الأستاذة في الجامعة الامريكية في مصر الحبيبة، مصر التاريخ الزاخر بالأدب والفنون والثقافة مصر التي عاشت السبع العجاف والشدة المستنصرية مصر المآذن والأهرامات مصر الجمال والذوق سباقة لمساعدة وحل القضايا العربية مصر المحروسة.. وطيبة مصر ما أدراك ما مصر! وهذا الجزء جزءاً من الإبداع الثري الكبير للكاتب الجوهرة (السيد حافظ) وروائع ماقدم في مشروعه السباعي بالإضافة إلى مالافات من عمره الإبداعي الغني بالإبداع الفكري والمعرفي وروائع الأحلام المؤرخة والموثقة والمعطرة برائحة البنفسج بعد أن كانت حروفا مبعثرة رسمها الكاتب المبدع بريشته الفنية

وتقنيته فجمل الأوراق وزينها فقرأت أبجدية مشوقة وقصصا واقعية وأنا أرتشف المشروب الساخن المفضل في ليالي البرد التي بددت صمتي بتلك النقرات القوية.. على زجاج النافذة.. رفعت رأسي من الورق لأنظر عبر النافذة وجدت أن الشمس أوشكت أن تشرق.. فقررت أن أستريح قليلاً..

هل سأستريح؟

لا أظن بل كلي فضول لأعرف هذه الأبجدية وطعمها لأتذوقها.. هل ستكون تلك الحروف أكثر أناقة وجمالا؟ طبعاً ستكون أبجدية مثيرة عابثة شفية فاقدة السيطرة على نفسها أم البوح والعشق لسهر..

وفي نفس الوقت هذه الأبجدية طيبة عريقة تغضب تمرداً وعصياناً وترتبط وتوطد العلاقات بأواصر متينة لحب الأرض وعشق الوطن.. وتغضب الأبجدية مضمرة الحب والطاعة للقوانين والسيطرة لكن تعارض تراخي قبضة الأمن.. والإطاحة بالطمأنينة.. لم تعد الحروف متشائمة ولا حروف شغب بل حروف تنشد أن تنقشع العتمة من تلك الحروف.. (فالأبجدية الحافظية) تحدثنا أن الأيام اللعينة بحرص وتوضح لنا وقائع أشبه بكنوز فنخاف أحيانا عليها وربما نتجاهل بعضها وتشع بعضها كنبراس ينير طريق المثقفين والشباب ولا نستغرب حين نجد من يهتم بالشباب والشعر والوطن.. تناولت الدكتورة الناقدة (رشا غانم) أستاذة في الجامعة الامريكية في مصر فتستهل الحديث عن السرد المزاجي ممسكة بخيوط بنائه السردي الدرامي طبقاً لمعرفته الشعورية والثقافية التي يملكها فنلمح ذاتية الحكي تتآذر مع ما يخلقه لنفسه من سرد أكثر جرأة في أفكاره وطموحاته.. فيعري الواقع بكل تجلياته ويصوره تصويراً فنياً صادقاً استصقى فيه كل خبراته الحياتية ليجعله واقعاً نابضاً

بالحياة مرتكزا على الحبكة الروائية بكل آليتها من الواقع والأحداث.. حيث يجعلنا في دهشة وإثارة مستمرة.. تبصرنا ببراعة هذا.. الكاتب اللعوب..

يقول: (نحن نتزوج كي نضاجع النساء شرعياً.. نتزوج كي ننجب أطفالاً.. عندما يكبرون يصبحون غرباء عنا.. نتزوج لنستقر ونبعد عن الشيطان.. نتزوج لنعرف سر الجنس والإنجاب.. نتزوج حتى نهرب من بيوت آهالينا.. وبعدها ننجب أطفالاً تكبر وتهرب منا..

هل هذه حقيقة أم خيال..؟؟

يقول: السيد حافظ صاحب الأبجدية والحرفية الرشيقة.. الكاتب يجب أن يتطور والمسرح غني بالإمكانيات ولكن سيظل البطل الحقيقي للرواية.. الكاتب شخصياً وهذا هو الأستاذ السيد حافظ.. بأسلوبه الساحر والساخر أحياناً.. مبهر مشوق.. خيالي واقعي.. وطني ثوري متمرد.. شيوعي يساري إسلامي متصوف.. يبغض الطائفية والانقسام يعشق الوطن حد الجنون وأحيانا البكاء..

ماذا يحدث لو احتسينا معاً كوباً ساخناً من الكابتشينو ونتحاور في شاعرية الرواية.. والقوافي التي أسدلها الكاتب لنا ليستنبط المعاني والحكم والمواعظ ما دل ويدل ويستدل به الكاتب ليستعيد الوطن وأرض الأجداد وليزرع الشكوك والظن في قلوب النساء والصمت أحياناً وسيلة لقتل المقابل وإن كان صاحب حق.. فالكاتب حقاً داهية ولعوب كما وصفته الناقدة العبقرية المبدعة بالنقد والأدب العربي (الدكتورة رشا غانم) هل تعجز الكلمات وتتعثر على شفتي أو تصرخ وتموت وتعاني من سكرات الموت أو تغلب عليها النعاس وتنام تحتضن الرواية.. لتحلم أنها البطلة والحبيبة لفتحي رضوان خليل.. أم

هي شهرزاد العرافة.. تتوقف أنفاسي فاختنق من حروف الغدر التي تلفظها.. فأستيقظ وأبتسم أحس بالعطش فرأيتني أحلم بتلك الحروف الصاخبة غضباً وعشقاً لسهر..

فتقول الدكتورة والناقدة (رشا غانم) في الكاتب والشعر حاول الأستاذ السيد حافظ إيجاد عالم يعانق الحرف معانقة بديعة بالشعر فخرج في الرواية.. عالم ساحر غامض مليء بالأحاسيس والمشاعر الفياضة ليستدعي وجداننا.. الشعر وجمالياته ورؤيته.. فالشاعر (عبد العزيز المقالح) يقول: حتى غدونا أمام الناس مهزلة منا الضحايا كما منا المساكينا.. فالنص الشعري وظفه الكاتب للنص الروائي سواء كتب باللغة الفصحى أو باللهجة العامية..

تذكر وتؤكد الناقدة الدكتورة على الفن التشكيلي الذي يسير في أغوار الكاتب الدفينة ليس اعتباطاً بل لرؤية فنية وفكرية للعالم والواقع.. فمن خلال إبداع الكاتب وحصاده الفكري عبر سني عمره نسج وشكل له عالم خاص به وأبجدية متميزة.. وتعرية المستور للعالم المزيف الملئ بالشر والبؤس والشقاء.. في مجتمع يقمع المرأه ويمجد الذكورية..

ولن تنسى الناقدة الدكتورة.. الهوامش في الرواية فتقول:

إن الكاتب يمتلك ثقافة فكرية ففي تلك الهوامش يتعانق الهامش مع النص.. أو يعيد في المتن ما قاله في الهامش فكان النص ثرياً لغوياً واقعياً.. عرض صور واقعية حية نابضة تشفي الغليل.. نطق الحجر واستعاد السليب مازال رنين الحرف يفقدني الأمل ويتزايد إصراري بالصبر

هل سيتبدل حالي..؟؟

أم أقبل بالذل والعتاب وهو يرتوي من صرخات عذابي.. هل زالت نخوة الجاني.. تضرعت له بكل الحروف لعله يرجع.. لكن تضرعي زاده عبودية وإصراراً.. لجأت لخريطة العراق.. قبلتها.. وهمست للبصرة.. بأعلى صوتي.. الرحمة.. الرحمة.. لن أقبل الذل ولم أقبّل الأقدام.. لجنة رسمت لي زيفاً.. فسلبت أموالي.. وأدمعي من عيني حفرت أنهاراً.. فاضت وطوقتني.. بالسيل..

فهل لي من قارب ذي شراع.. لأعلن استسلامي..؟

قراءة نقدية في بنية النص الروائي
" رواية كابتشينو للسيد حافظ "

د. رشا غانم
الجامعة الأمريكية–مصر

في سرد مزاجي يستهل الكاتب عتبة العُنوان لروايته كابتشينو ،هذا المشروب المزاجي أيضا ، وإذا كان من أهم سمات النص الروائي لا يكتب إلا بعد تأمل عميق فإننا حين نقف عند البنية السردية للرواية نجد المؤلف ممسكًا بخيوط بنائه السردي الدرامي طبقًا لمعرفته الشعورية ، والثقافية التي يملكها فنلمح ذاتية في الحكي تتآذر مع ما يخلقه لنفسه من سرد أكثر جرأة ،في أفكاره، وطموحاته،فيعري الواقع بكل تجلياته ،ويصوره تصويرا فنيا صادقا استقصى فيه كل خبراته الحياتية،ليجعله واقعا نابضا بالحياة،مرتكزا على الحبكة الروائية بكل آليتها من الوقائع والأحداث، والمصادفات،حيث يجعلنا في حالة دهشة ،وإثارة مستمرة تبصرنا ببراعة هذا الكاتب اللعوب.

تنهض البنية الروائية في "كابتشينو" على حكاية إطارية هي حكاية الراوي التي تتداخل مع حكايات أخرى نجدها تلتقي بالبنية الحكائية لألف ليلة وليلة بوصفها تتشابك مغ غيرها من الحكايات داخل هذا الإطار ،كما أن بها تيمة دلالية منها (سكتت شهرزاد عن الكلام المباح) ولكنها ليست حكايات منفصلة مثلها فمن جهة أخرى تتجاوز هذا الإطار الموروث مندمجة بطريقة حكائية مشدودة كلها إلى الحكاية الرئيسية ،مثلها مثل وحدات الأرابيسك ،لا قيمة لأي واحدة منها بمعزل عن الآخرى.

تعد هذه الرواية بتقنياتها السردية رواية حداثية تستنكه الأبعاد الغائرة للراوي وما يحيط به من شخوص وأماكن وأزمنة ، ،تتلاقى فيها الحكايات والحوارات التي يفيض بها وعي الراوي.

ويأتي البناء السردي لشخصيات الرواية حيث تحتل شخصيات النساء حيزا كبيرا في السرد ،فنجد شخصية "شهرزاد"وتمثل دور راوي رئيس في الرواية نجدها تبرز المرأة بكل أصنافها فهي امرأة محنكة خبيرة بكل أساليب الحياة ،دوما يأتي إليها الناس للتزود بالمعرفة،فالنساء يعرفن منها ، كيف يعاملن الرجال؟ والرجال يأتون إليها لمثل هذا السبب وأكثر فالأول، حينما أتى إليها مكرم أبو الشوارب يستفسر كيف يقضي ليلة مع زوجته فأعطته الحل في ثلاث خطوات سردها الكاتب بطريقة مشوقة تنبئ عن براعته وتمرسه في الفن الحكائي، والثاني قد يتجاوز سبب المجيء إليها،عندما حاول المختار(أبو وردة زوجة كاظم) أن يحظى بوقت جميل مع امرأة يجدها بكل تفاصيلها تختلف عن كل نساء القرية ، ولكنها بخبرتها في معاملة الرجال لمحت شرارة الشهوة في عينه فردَّته خائبا .

وشخصية سهر البنت الحالمة الوادعة في دنيا الحب هذا العالم البرّاق المليء بقصص الأعاجيب لكل بنت ،وقد أثارت شهيتها للحب قصة نور ومحب التي تحكيها لها خالتها شهرزاد ،ولكنها في نفس الوقت أكثر تمردا لواقعها الذي تعيش فيه هي تريد أن تطير مع عصفورها هي تعرف أن النساء نغمات وليست لحما وعظاما"، فهي ليست كالدجاجة التي تنتظر الديك "كاظم إذا تزوجها ستصبح دجاحة في عشة تنتظر الديك كل مساء" .

أما عالم الشعر الذي زجَّ به الكاتب في الرواية فهو عالم ساحر غامض ملئ بالأحاسيس والمشاعر الفياضة؛ ليستدعي وجداننا الشعر وجمالياته ورؤيته للواقع ،فالشاعر عبد العزيز المقالح يقول:حتى غدونا أمام الناس مهزلة منا الضحايا كما منا المساكينا"

نجد فتحي رضوان خليل وهو راوي رئيس في كابتشينو يقول في نفس الصفحة في معانقة بديعة يتعانق فيها النص الشعري بالنص الروائي "رفضت مع الوطن العربي أمضغ لحم الهزيمة المُرة والانتصار المزيف ،أتشدق بالكلمات بين فخدّي الصحف الخاوية". ،فهنا النص الشعري معنيا بتوظيف النص السردي،حيث تتواتر نصوص لشعراء كثيرين ،قدامى ومعاصرين،سواء من الشعر المكتوب بالفصحى أو المكتوب بالعامية ،فكل هذه النصوص واستدعائها مرهون بوظيفتها السردية.

يقف الكاتب عند الفن التشكيلي يسبر أغواره الدفينة وليس اعتباطيا أن يعرض للوحات تشكيلية كثيرة ، فقد عبَّر عن رؤية فنية ،ورؤية فكرية للعالم والواقع بشكل عام، خلال سنوات من إبداعاته وحصاده الفكري، التي شكّلت له عالما خاصا يختلف عن عوالم الآخرين كما حلل لوحات تشكيلية لسلمان المالك يظهر فيها "أن رأس المرأة في لوحاته قد اختفت ملامحها ،وصار الجسد أقوى تأثيرا وتواجدا كأن الرجل العربي لا يهتم بها عقلا،وهو تعبير عن الحالة الذكورية التي تتعامل مع المرأة العربية".

فكأن تحليل مثل تلك اللوحات يوجهنا إلى سلبيات المجتمع الذي يقمع المرأة ويسيطر عليه الثقافة الذكورية ،فالكاتب يعري المستور ويكشفه مبينا طبيعة

بعض المجتمعات العربية في تعاملها مع المرأة ويعرضه بأسلوب شيق جميل .

تمثل رواية كابتشينو محاولة يسرح بها الكاتب في عالمه الخاص؛ ليحل فيه كل المشكلات التي ضاق بها واقعه مرتديا بعض الوقت ثوب الصوفية ليبعد عن هذا العالم المزيف الملئ بالشر والبؤس والشقاء إلى عالم أكثر روحانية وجمال وصفاء ،وكأنه يشحذ طاقاته الإبداعية ليعود بها مرة أخرى يثري النص السردي ببصمته المتفردة في الفن الروائي.

يبحث الكاتب في سرده الروائي عن اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة "في ظني أني أبحث عن مدينة فاضلة "لأنه" المواطن العربي المقهور ، أو السندباد الذي كسر مراكبه ابتلاء وراء ابتلاء ، ليعرض لنا الواقع المصري والعربي بكل تناقضاته واستلابه للحريات وإهداره للمواهب ، فكان الهروب حلا ليبعد عن الواقع ومآسيه. مؤكدا أننا نحتاج إلى ضمير وطني لحماية هجرة المبدعين العرب ويترك لنا الدعوة مفتوحة لعلها قد تتحقق في يوم ما.

ينبئ هامش الرواية عن تمتع الكاتب بثقافة جمة فأحيانا يتعانق الهامش مع النص ويختلط به،أو يعيد في المتن ما قاله في الهامش، أو ليس له أية علاقة به ولكنه عرض لنماذج وأحداث وتجارب حياتية كثيرة، مما زاد النص الروائي ثراء لغويا تتعانق معه أحداث كثيرة تعري الواقع في صورة حية نابضة.

ملامح النص ما بعد الحداثي
في رواية "كل من عليها خان" للسيد حافظ

د.رشا غانم
أستاذ مساعد النقد بالجامعة الأمريكية- مصر

الحياة لا تُفهم إلا من خلال القصص التي نرويها عنها فمن معين السيرة الذاتية للكاتب يحضر الشكل الروائي في رواية "كل من عليها خان" بصورة درامية؛ ليعيد صياغةً ملامح الواقع حيث يصور الكاتب فيه الواقع تصويرا فنيا صادقا استقصى فيه كل خبراته الحياتية؛ ليجعله واقعا نابضا ، يبصرنا بميول هذا الكاتب في نظرته لواقع مأزوم ملئ بالعبثية والاستهانة .

حضر النص المتشظي بنصوصه المتنوعة من كلمات وأغاني ومقالات ،ومقتطفات،وحكايات قديمة، وسيرة ذاتية،وشعر،ومسرح اخترق من خلاله الكاتب بحكم ثقافته الجمة المكان والزمان بإلصاق مجموعة نصوص منتمية لأجناس متنوعة إلى عالمه الروائي فكانت نصوصا متوهجة وأكثر حركة وتعبيرا عن واقع ملئ بالأعاجيب .

يرتدي الكاتب ثوب الصوفية ؛ ليحل فيه كل المشكلات التي ضاق بها واقعه؛ ليبعد عن هذا العالم المزيف الملئ بالشرور والآلام والشقاء إلى عالم أكثر روحانية وجمال وصفاء ،وكأنه يشحذ طاقاته الإبداعية؛ ليعود بها مرة أخرى يثري النص السردي ببصمته المتفردة في الفن الروائي ،فهو ذو الشخصية البسيطة التي لم تنل من الحياة شيء برغم كل شيء حوله كان مهيئًا له ولكن أبى أن يسير مع الركب ليفسح لنفسه مكانا آخر ببصمته المميزة كـ:" وتسألني من أنت ..!أنا.. من أنا؟ أنا لم أعقر ناقة صالح، ولم أخن الوطن

مرة مثل حور محب أو علي بك أبو الذهب أو ابن خلدون أو السادات .أنا لم أحمل قميص يوسف الملوث بدم كاذب للذئب ورفضت أن أغتصب مثلما فعل عامر وناصر، ورفضت أن أغتصب مصر حين طلبني أمن الدولة لأكتب التقارير عن الأدباء.." يتحدث عن أهل الأديان قديما" كـ:"لا أحد فى الأسكندرية قبل الإسلام يؤمن بأن أحد الأديان خاطئ بينما الآخرصحيح .لا عند المسيحيين ولا اليونانيين الذين كانوا يعيشون سويا فى الأسكندرية وكان كل منهم يعبد آلهته مثلما يتكلم لغته " نجد فلسفة حياتية يضعنا أمامها الكاتب من خلال خلاصة تجاربه المعاشة كـ: "أيها البشر سامحوا كل الأصدقاء.. ليس من أجلهم ولا من أجل السماء، بل من أجل قلوبكم أن تظل بيضاء.. نقية راقية.. دون عناء وأمر ا ض.. أعلنوا الحب على الجميع حتى لا تقتلنا الكراهية والفاعل هو الغباء"

يأتي البناء السردي لشخصيات الرواية أضاء الكاتب من خلاله خبايا كثيرة لعالم النساء والرجال بكل تفاصيله ودقائقه ، حيث تتسم الرواية بأنشودة الحب الأزلية بين "سهر وفتحي" ،"ووجد ونيروزي"

نجد شخصيات نسائية رئيسة مثل سهر، وشهرزاد،وجد، كانت سهر تنهج.. مضطربة.. شهرزاد اتصلت عدة مرات بها، وهي متأكدة أن سهر مع فتحي.. شهرزاد تعرف سر النداء الخفي للجنس.

أما شخصية فتحي رضوان فهو "فتحي رضوان خليل.. مصري المولد وقلبي عروبي وتفكيري وعقلي عالمي."يقول:نعم أنا عاشق أكتب على الماء والهواء ودقات القلوب أنا بحبك مجذوب يا سهر بنت الشام والجبل والتفاح والزهر والورد والعصفور الذي سكن قلبك" كـ: "ولي في عشقك فرح .لي أمل

في الله أن يأتي لي بالفرج.. أن أتحرر من عشقي لأرض لا تعرف الفرق بين الحق والباطل .طوبى للعاشقين مثلي الذين يحملون في صدورهم المطر ووجع الوطن".

وشخصية "وجد" هى ابنة "جميلة وعمار الحلاق "أجمل بنات عصرها.. تتذرع بأي حجة؛ لتذهب إلى السوق لتقابل نيروزي الفارسي الوسيم، وهو يبيع العطور والبخور"..فهو"شاب وسيم جميل القسمات وفد إلى الحي منذ شهور بشكل مفاجئ، وهو الآن يعمل فى تجارة العطور والبخور" وقد أحب وجد كثيرا بالرغم من وجودهما في واقع أكثر ضرواة وشراسة كالبحر الهائج لا يبقي على أي شيء أمامه حيث عاشت "وجد ونيروزي" الشدة المستنصرية يقول عنها الكاتب "آه يا أ يها الجوع الكافر الذي حطمك يا مصر.. يا بلادي آآآه..!"كـ:"وقفت وجد بنت عمار فى طابور الجائعين تنتظر .في هذه الأثناء لمحها نيرو زي"

تتسم الرواية بالحكي الساخر فما أكثر الضحك الذي يشبه البكا في مصر؛ فيعرض لنا الكاتب في بعض نصوصه المسرودة حكيا مسرودا يتسم بالسخرية كـ: نحن أمة المصريين عندما تبنى تهدم..! ويقول: فتحي رضوان "سهر التف الخراب والحقد حول رقاب العرب"،كـ:"والقرية ليس لها شهادة ميلاد.. القرية دائما منسية من خريطة السياسيين." ويقول: "السياسة نجاسة.. وأنا لا أحب السياسيين". يقول:"أكذوبة مصر مستهدفة.. وكل غريب يتهم بأنه جاسوس ويؤخذ حجة كان يستخدمها رئيس الشرطة والوزير بدر الجمالي حتى يرعب الخليفة المستنصر وأسرته ويمرر ما يشاء من قوانين.." ويقول:كتب على المصريين أن يقفوا صفوفا صفوفا فى عهد

رمسيس الثانى، وقبلها فى عهد يوسف بن يعقوب، وقبلها فى بناء الأهرمات بالكرباج.. نساء مصر يتعرضن للتحرش فى الطوابير الطويلة، والخبازون يعاملون الناس بقسوة شديدة" ويقول: الجنسيات تتنافس هنا في دبي من أجل الخبز ومن أجل الحياة .الكل يكره الكل لصالح الدرهم أو الدينار .كل شيء مباح ومستباح في حرب خفية .لا أعرف حتى الآن سرتقدم الصحافة الخليجية عن الصحافة المصرية مع أن مصر رائدة الصحافة بقيادة اللبنانيين.وبالرغم من وجود الكاتب في دبي البلد التي أحبها ولكن لا بد من منغصات يقول:هذا أنت يا ابن رضوان.. أنت الوحيد الذى يعرفون أنك صحفي وكاتب حقيقي فلابد أن تحارب فى دبى والخليج.. غالبية الكل هنا مزيف وكاذب.. لابد أن تصبح مزيفا مثلهم لتريحهم وتستريح، لكن للأسف المزيف هو حقيقي.."

يتحدث عن جريمة المثقفين في كل زمان ومكان يقول:"أنا لا أحزن عندما يخون رجال الدين اليهود أو المسيحيون أو الإسلاميون أوطانهم،والسبب بسيط أ نه منذ فجر الضمير ورجال الدين يخونون . منذ أيام إخناتون خان كهنة آتون إخناتون واستمرت الخيانة تورث مرة اسمهم كهنة آتون.. أو كهنة اليهود أو كهنة المسيحيين أو شيوخ المسلمين..لكني أشعر بالاختناق والاكتئاب عندما يخون مثقف وطنه .لأن اله اختاره وأعطاه من لدنه علماً.. وهو يعلم الحقيقة بكل ألوانها ويكذب ويخون.. ويخون.. ويخون.." ويقول: إذا أردت أن تعرف نظام دولة متقدمة أو متخلفة دكتاتورية، اسمع نشرة الأخبار.. إذا كان أولها قام جلالة الملك أو سيادة الرئيس اليوم باستقبال فلان وعلان.. تعرف أنها متخلفة ودكتاتورية، وإذا كان أول الأخبار عن

حدث عالمي هام زلزال مثلا أو اغتيال سياسي ما، تعرف أن هذه الدولة متقدمة وبها ديمقراطية.. ودائما نشرا ت الأخبار في التلفزيونات العربية تذكر في أول أخبارها الرئيس والأمير والملك ومقابلاته و انجازاته".

استطاع الكاتب في روايته أن يغرف من معين تجاربه في الحياة وأن يثير فينا تساؤلات تنم عن القلق والحيرة والدهشة في أغلب الأحيان فكان سردا أكثر حبكة وإثارة لكاتب له بصمته المتفردة في الفن الروائي.

السيرة الذاتية

رشا أبو بكر سعد عثمان غانم

محل الميلاد: القاهرة.

تاريخ الميلاد: ١٩٧٣/٧/٢.

الجنسية: مصرية.

محل الإقامة: القليوبية – شبرا الخيمة.

المهنة: أستاذ مساعد الأدب والنقد بالجامعة الأمريكية–مصر.

رئيس اللجنة العلمية بصحيفة الحرف الأدبية الصادرة عن البيت الثقافي العربي في الهند.

العنوان: ٣٤ أرض نوبار –الإسكان الصناعي– شبرا الخيمة أول

التليفون: م: ٠١٠٠١١٠٧٦٩١، ت: ٠١٢١٠٠٣٦٨٦٨ /٠٠٢

البريد الالكتروني: rashaghanm@yahoo.com

الدرجات العلمية:

١– دكتوراه الأدب العربي دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير مرتبة الشرف الأولى عام ٢٠١٣م. موضوع الدراسة: (الشعر في شرقيّ الأندلس ٧٥١–١٢٣٨م) دراسة تحليلية.

٢– ماجستير دراسات أدبية ونقدية كلية البنات جامعة عين شمس بتقدير جيد جدا لعام ٢٠٠٨م موضوع الدراسة: (الحركة النقدية حول التحسين الفني في القرن السابع الهجري)

٣– الدبلوم العامة في التربية لعام ١٩٩٦ بتقدير جيد جامعة عين شمس

٤– ليسانس آداب لغة عربية بتقدير جيد سنة ١٩٩٥ جامعة عين شمس

كتب مطبوعة:

١– مقاييس الجمال في مرآة النقد الغربي".الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ٢٠١٥م.

٢- الشعر في شرقيّ الأندلس" دار الكتبي للنشر ،القاهرة ٢٠١٦م.

٣- العروض بنكهة أندلسية دار النخبة للنشر القاهرة ٢٠١٧م

٤- البناء السردي بين النظرية والتطبيق دار النخبة للنشر ٢٠١٧م.

أبحاث محكمة:

١- بحث مشترك بعنوان "التناسق الفني بين بلاغة الكلمة وعذوبة اللحن والكتابة الألكسترالية" أوبريت مجنون ليلى نموذجا" مع د.علاء فتحي"مدرس بقسم التأليف والنظريات بمعهد الموسيقى العربية ، بمجلة فكر وإبداع ،إصدار خاص،مؤسسها:أ.د حسن البنداري أستاذ الأدب والنقد بكلية البنات جامعة عين شمس ، يناير ٢٠١٦م .

٢- بحث بعنوان"خوسيه بيرو بين الأدب العربي والأوربي بمجلة دراسات عربية وإسلامية، مؤسسها أ.د حامد طاهر أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ،جامعة القاهرة،و نائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق عدد(٦٠) نوفمبر ٢٠١٦م.

أبحاث منشورة:

١- بحث تحت عنوان"(فاعلية الأدب العربي في أدب أوربا الغربية الشعر "الأندلسي نموذجا".منشور ضمن أبحاث المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية جامعة واسط إبريل ٢٠١٣م.

٢- بحث تحت عنوان " أثر الاحتلال الأمريكي في الشعر العراقي المعاصر" في المجلة النقدية لجمعية النقد الأدبي إبريل ٢٠١٤م.

٣- الشعر النسوي في العراق "قراءة في تحليل الخطاب الشعري ضمن فعاليات المربد الحادي عشر بالبصرة.

□

كلمة عن الناقدة الأستاذة / رضوى جابر

تغيب الحروف بعد أن اعتدنا حضورها.. نتساءل عن الغياب؟؟

نعلم أنها تتصارع لتهزم الأبجديات المتطفلة على لغتنا الأصيلة.. وتثبت أنها الأقوى في الشدائد والمثابرة.. ولن ننكر فنتفاجئ ونبهر القارئ بالجديد المبدع ليسر ناظره وهو يقرأ.. بعد أن شعر الحرف العربي بعناء وتعب شديد تعافى وأخذ يشعل إبداعاً وتألقاً في سماء الأدب والفن والعلوم.. خلع قبعات المرض والرضوخ والاستسلام.. وأصبح يرتدي قبعات الوقاية من الغرور والتعالي.. هنا تقع علينا المسؤولية الكبرى أن نحافظ على الأبجديات المبدعة التي أحيت الحرف وانتشلته.. فإذا غابت هذه الأبجديات خسف القمر وكسفت الشمس وبحضورها يضئ الكون وتخرج ملاحم وأساطير الإبداع وكوكبة المبدعين والمبدعات وبهندامهن وحليهن وأقلامهن الجبارة الصارخة الناطقة المثابرة المنشودة والمشهود لهن بالإبداع والتطور في إيجاد الأفضل والأبدع.

وقفت هنا أستبصر الدراسات النقدية التي بين يدي.. وجدتها ليست كلاما وحروفا كتبت بالمداد الأزرق أو الأسود لتعانق وتقبل الورق.. لا لا لا وألف لا.. إنها سيمفونيات كلما انتهيت من القراءة أعدت عزفها الشجي لأستلذ بألحانها.. ارتسمت أمامي خطوط واضحة المعالم لتوضح الأبجديات المتميزة والإبداع لدى القاص والكاتب والروائي والمؤلف المسرحي والناقد والشاعر.. فالكل خلية يكمل بعضهم بعضا..

هنا وفي هذا الكتاب البسيط تمر الحروف تكاد تصرخ من جمال ما يكتب من تجديد وإبداع للأقلام الحرة الصادقة التي لم تعزل الأقلام الفتية للشباب

والطاقات اليانعة التي ستتحسسون نبضها وربما تحيا ويترحمون لكم وينحنون لحروفكم بعد أن زاحموكم..

الأستاذة (رضوى جابر) طالبة جامعية وطاقة جبارة لها دراسات نقدية فكتبت وأبدعت في رواية (كل من عليها خان) لتبحث لها عن مكان تحت ظل الأدب والنقد الحديث.. إنها ثمرة من ثمار الإبداع الثقافي والفكري لمصر النيل والهرم..

توصف الناقدة رضوى وتشيد بعبقرية الكاتب البارع والمسرحي الساخر ولن تمضي وتترك حروف القهر تنتظر في محطة التجاهل ولكن عرجت على فترة الجوع والقحط والشدة المستنصرية التي أكل الناس بعضهم بعضاً واختفت الفئران وانقرضت فأصبح كل شئ مستباح.. أما الوضع السياسي والحكم فتقول الناقدة: السلطة أصبحت بيد التجار وكل من في مصر بات جاسوسا وخائنا.. والاتهامات أكلت الناس.. قل القمح وكثرت الملوخية..

الكاتب وحب مصر.. وعشقها في أبجديته..

أنا حين تصاب مصر في صدرها.. أقول..آه.. وحين تصاب الكويت في قلبها يؤلمني قلبي.. وحين تتألم الإمارات في روحها توجعني روحي.. وحين يرتجف العراق أرتجف وحين تتنهد سوريا يدق قلبي..

أنا عروبي حتى النخاع ليس لي جنسية قُطرية محددة وهذا سر عنائي وبلائي.. فلا كل البلاد تعرفني.. وأنا أعرف كل أهلها..

فالوطن مستباح حتى لاتميز بين النواح والأفراح..

الباحثة والناقدة الواعدة ترتقي بحروف العشق وقصص الحب في رواية كل من عليها خان وتستذكر قصة (وجد وشهبندر التجار وزواج الحلاق عمار

من الفتاة التركية الجميلة مقابل حلاقة رأس.. لكن مع سيادة سياسة القهر والاستعباد أصر عمار أن يسعد ابنته بمن تختار وتحب (نيروزي الشاب الوسيم) بالرغم من القهر والذل وأشد أنواع القهر من قبل شهبندر التجار لعمار.. لكنه ظل مصراً على موقفه..

أكدت على الفواصل التي عبرت عن دلالات ومواعظ ومعلومات مهمة.. أيضاً الرواية أبرزت حوادث تاريخية فأطرها بإطار سلس ذكي فني تقني لم يصيبنا بالملل ومتابعة الأحداث بشوق وتشوق للأسف المؤرخين محو سبع سنين من الظلم والقهر والاستعباد.. فكل من عليها خان

نجح الحافظ في إظهار

مدى قهر المصرين ومدى ظلم الحكام..

والمرأة بهتاف لها سقط المستنصر..

آه يا وطن..

نظرة إلى كحل عينيك تجعلني أرى تاريخ عشق الطفولة البرئ لبنت الجيران.. ليس الحب شهوة الروح والجسد مثل الجنة والنار.. فيه نذوق طعمهما. المهاجر له قلبان، وله روحان، معذب بين جنة يعيش فيها ونار يحن إليها..

آه يا ابن رضوان.. تفر إلى المجهول..

التضمين الشعري
في رواية كل من عليها خان
بقلم / رضوى جابر شعبان محمد

نحن نقف أمام عبقرية لن تتكرر للكاتب البارع، والمسرحي الساخر- السيد حافظ -تراه في كل عمل له شخصية جديدة تدعم ما في أذهاننا عنه وها نحن بين يدي روايته) كل من عليها خان (حيث نري فيها التلاقي بين المتناقضات الكثيرة نري الجمع الرائع والمزيج بين ما هو مختلف كالموجب والسالب ولأن مفتاح الأعمال الأدبية كما نري هو العنوان فلننظر معا إلى عنوان هذا العمل الأدبي) كل من عليها خان (ترى بين شمول الموضوع والارتكاز وظهر هذا خصيصا بأتيانه بكلمة (من) ويتناول مفتاح العمل الأدبى ستة مفاتيح مختلفة أنارت لنا الطريق نحو العمل نحن بصدد الحديث عنه وكانت كالآتي :فنجان شاي العصر - الرائي - العصفور والبنفسج - كل من عليها جبان - كل من عليها هان - كل من عليها بان - والعنوان الذي اعتمده الكاتب هو) كل من عليها خان (فنرى أمامنا سبعة عناوين لعمل أدبي واحد، فماذا دار في خاطر(السيد حافظ) حينها؟ وما النقطة التي أراد أن يلقي الضوء عليها من خلال هذه الافتتاحية الرائعة؟ ولعله كان الأقرب لي (العصفور والبنفسج) وعندما بدأت في القراءة رأيت فتحي رضوان العصفور، وسهر البنفسج ورأيت التبريزي العصفور ووجد" مسك "البنفسج كانت الدلالة هنا واضحة فلكل منهما صفات العصفور وللأخر صفات البنفسج وبعد قراءتها سبع مرات واختياري في كل مرة عنواناً مختلفاً للرواية ونري العنوان الذي يتم اختياره في كل مرة مناسباً لذلك العمل الأدبي وهنا تكمن عبقرية

الكاتب حيث أراد(السيد حافظ)من هذه اللفتة أشياء كثيرة أراد أن يلفت نظرنا إليها إلا أنني أميل إلى أن(السيد حافظ)أراد البحث عن الروح، الروح وحدها هي من تتحكم؛ فالروح تقرأ، الروح تنقد، الروح تكتب، فلكل قارئ روح مختلفة، تختلف عن غيرها ووجهة نظر خاصة به وحده يمكن قراءة العمل منها، ولكل عنوان دلالة خاصة به ومن هنا يمكن القول أن(السيد حافظ) نجح في تحقيق مبدأ البحث عن الروح في هذا العمل وظهر هذا من العنوان –المفتاح الأول –والأهم للعمل الأدبي الذي بين أيدينا والذي استوقفني في هذا العمل هو تضمينه للشعر فكان الملمح الأهم لى فيا تري لماذا استعان(السيد حافظ)بالشعر في روايته؟ ..!رأيت أنه أدخل أبياتا في مواضع معينة من النص الروائي تحمل من الدلالة ما يفوق العدد فاقرأ معي أول دخول للشعر في روايته) كل من عليها خان (ص١11٦:

- سهر كيفك؟
- إحكي بالمصرى.. إزّيك يا أستاذ فتحى.. إنت كويس؟

ضحكت..

- إزّيك .إنت يا سهر.. أنا كويس والحمد لله..
- خبّرني منقذ أنك تركت الشغل فى المجلة ورحت جريدة كبيرة..

آهآه.. تذكرت قصيدة عذاب الركابي..

آه لو عندي أقدامُ

المطرْ!!

آهِ.. لو بدلتُ أحشائي

بأحشاءِ الشجرْ،

ما فاجأني البردُ ،

ولا جفف الضحكةَ في قلبي

القدرْ!!

كان يراودني سؤال عند قراءتي للرواية حينما وجدت قصائد شعرية بها.. لماذا أدخل الكاتب شعراً؟ وهل خدم العمل أم لا؟ وعندما بدأت بقراءة) آه لو عندي أقدامُ المطر (!!تصف الأبيات الحالة الشعورية التي كان بها فتحي ومدي حبه لسهر نري أن دخول بعض الأبيات الشعرية في مواضع بعينها داخل النص الروائي خدمت النص فكانت بمثابة فاصل صغير لا تخرج به عن النص إلا للنص ذاته نري في الأبيات كم المعاناة التي يعيشها فتحي فكأن كل كلمة في الأبيات تصف لنا ما عاشه، نري التمني (آه لو عندي أقدام.. المطر !!) فكان اختياراً موفقاً من الكاتب لهذه الأبيات التي تبدأ ب (آه) الوجع الذي مر بخاطر فتحي أثناء محادثة سهر حتي في ختام الأبيات يختتمها الشاعر) ما فاجأني البرد ولا جفف الضحكة في قلبي القدر (الاستحالة؛ استحالة الحدوث، استحالة ان ينتهي الوجع، وجع الوطن، وجع الحياة، وعذاب الحب الملتهب في قلب فتحي.

ونرى دخول الشعر في موضع آخر فى الرواية

أغلقت سماعة الهاتف راحت تقول فى سرها:

يا غبي! أبعد النار عن الفراشة كي لا تحرقها فتندم لم أعد أستطيع مقاومة رغبتي في الحصول علي فتحي قلباً وروحاً وجسداً لم يعد لدي القدرة علي المواجهة!.

جلست سهر علي شباك غرفة الصالون حيث كانت تسكن في الجميرا بعد أن انتقل زوجها من الشارقة ليكون بجوار المجلة. جلست شاردة . دموعها علي خدها.

الروح
تشتهي عكس الجسد
والروح تعشق ابن الغجر..
لا شيء الآن
بيني
.. .. والجنون
سوى
هذا الضجر المضئ
وقمر..
لا شيء الآن
يحاصرني بالظنون
سوى
عصفور طريد
وبعض مطر
(من قصيدة للشاعرة ريتا عودة)

وهنا نريد خول الشعر مرة أخرى ولكن كان فى خاطر سهر- سهر من عشقها العصفور والقمر-.. العصفور الذي كان ينام في أحضانها كانت

دائما سهر تحاول الرجوع إلى الطفولة حيث البراءة وها هو الزوج الغافل عن أحاسيس زوجتة لايشعر بما في داخلها

وهنا لعب الكاتب الدور في توظيف الأبيات الشعرية لخدمة العمل الأدبي وجاء الاختيار موفق وصفت شخصية سهر من خلال هذه الأبيات

(الروح

تشتهي عكس الجسد

والروح تعشق ابن الغجر)

الدلالة هنا واضحة دلالة علي اشتياق لفتحي رضوان هو العشق الذي أصاب قلبها وقلبه وجعل من اللقاء متعة ليس لها مثيل لايمكن الاستغناء عنها ف (سهر) عشقت الروح والجسد والقلب.

ثم تتابعت الأبيات

لا شيء الآن

بيني

.. ..والجنون

سوي

هذا الضجر المضئ

وقمر..

لا يحاصر سهر سوى الضجر والقمر العاشق الآخر لسهر ف لسهر عشاق كثر من البشر حتي وصل عشق سهر إلى العصافير والقمر.

سوى

عصفور طريد

وبعض مطر

العصفور الذي داوم علي عشقها بجنون فدائما كانت العصافير عاشقة لسهر.. تذكرت سهر العصفور الذي كان ينام في أحضان سهر في القرية فعصفورها العاشق هو الوحيد الذي يرجحعها الي طفولتها .

أري أختيار الأبيات هنا كان في صميم الموقف أراد (السيد حافظ) تدعيم فكرته فكان دخول الشعر موفقا في هذا المقام فأكد لنا مافي أذهاننا عن سهر ودعم الحالة الشعورية فيمكننا أن نقول أن الموقف ها هنا بدخول الشعر نشفق علي سهر فتحولت سهر من العاشقة الخائنة لزوجها إلى المرأة المغلوبة علي أمرها.

دائما ما يحاول السيد حافظ تدعيم فكرة الروح.. روح سهر التي كانت تذهب بها بعيدا.. روحها التي تجلب عشاقها حتي جذبتنا ايضا معها .

هكذا كان دخول النص الشعري في الرواية فإنه جعل لها دلالة قوية أتاحت للقارئ الخروج من العالم السردي للرواية والانطلاق للتحليق في سماء الشعر بغير رتابة أو فتور للإحساس والحالة الشعورية القائمة . نري أيضاً حين نقرأ الرواية أن (السيد حافظ) فتح لنا أفقاً جديداً فقد مال بأسلوبه وإحساسه إلي الروح المصرية وبخاصة في الجزء الذي تكلم فيه عن مصر في عهد المستنصر وكيف كان للشدة تأثير قوي علي كل مصري في الأسلوب والتعامل والحياة حتي في الإحساس والشعور، كيف غيرت البناء الداخلي والوجداني للمصرين وقتها .مال(السيد حافظ)إلي إبراز المفارقات ما دامت الفصحى لا تنكرها والعربية السليمة لا ترفضها، أيضاً نراه عبر عما في داخله بألفاظ وجمل محكمة فيها الدقة والقصد وفيها التركيز فلا إفراط في المقدمات ولا لجوء إلي التكرار أيضاً رأينا التصوير بالألفاظ والجمل وتقديم المشاهد

المتتابعة فكان(السيد حافظ) حريصاً علي إيصال الصورة كاملة عن الوطن دون إطالةٍ يذكرها لنا كأننا نعيش في عصرها.

وبالنظر إلي العمل الأدبي ككل فأستعين بما يراه" إيزر "أن العمل الأدبي له قطبان ١- قطب فني ٢-قطب جمالي؛ فالقطب الفني يكمن في النص الذي يخلقه المؤلف من خلال البناء اللغوي، وتسييجه بالدلالات قصد تبليغ القارئ بحمولات النص المعرفية والأيدلوجية، أي أن القطب الفني يحمل معني ودلالة وبناءً شكلياً أما القطب الجمالي فيكمن في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة إلي حالته الملموسة أي يتحقق بصرياً وذهنياً عبر استيعاب النص بفهمه وتأويله.

وأري أن (السيد حافظ) قد حقق في روايته هذه المعادلة بأن يظهر لنا العمل من الجانب الفني بما يحمله من دلالة وبناءٍ شكليٍّ، كما لم يغفل عن القطب الجمالي في عمله الإبداعي حيث أشعرنا أننا نعيش مع العمل وكأننا في زمانه.

وفي النهاية أدركنا بالفعل أنَّ (كل من عليها خان) و (كل من عليها جبان)، رأينا (السيد حافظ) قد سلط الضوء علي وجع الوطن، وكيف كان لهذا تأثيراً على الكاتب وتأثيراً علي أبطال العمل وعلي القارئ أيضاً الذي أصبح شريكاً منذ قراءة أول حرف في عنوان الرواية، فبحث (السيد حافظ) عن الروح التى أصابها في كل منا.

بقلم / رضوى حابر شعبان محمد

القهر في رواية كل من عليها خان
للكاتب السيد حافظ
بقلم: رضوى جابر شعبان

حاول الكاتب أن يصف القهر الذي حل بالبلاد عندما تولي حكم البلاد المستنصر بالله وكم الدهاء الذي كان في حاشيته طالما حكم مصر ولم يكن يحكمها حكامها فالحاشية دائما من تحكم الحاشية الفاسدة ترى أن المحروسة من ممتلكاتهم فلهم الحق في تقسيمها وشرائها وبيعها بل الأكبر من ذلك أن كل من يسكنها هم عبيد عندهم فلا عجب فمصر هي المرآة التي يتم انتهاك حرمتها من كل من يحكمها ونرى أن صورة القهر تمثلت في شخصيات عديدة كانت ظاهرة بشكل واضح تماما فحاول السيد حافظ وصفها بدقة في بعض الشخصيات وبعضها رأيناه في بعض كلمات الكاتب و في حواره الداخلي لبعض الشخصيات في العمل الأدبي حيث كانت مقهورة تشعر بالظلم البين .

ونرى الشخصية التي مثلت ضلع هام من مثلث الروح الرابعة- وجد- وهو عمار الحلاق أبو مسك البنات رجل طيب كّرمه الله بزوجة تركية الأصل كانت جارية لدي كبار التجار واعتقها التاجر مقابل حلاقة له من عمار وتزوجت المرآة التركية عمار وكانت شديدة الجمال وأنجبت له وجد مسك البنات (هي درة الزمان) جاء هذا الوصف علي لسان إسحاق إمام مسجد عمرو بن العاص فقد كانت حكاية من أهل الحارة وحي الحسين بل في مصر كلها ولأجل جمال وجد تقدم لخطبتها كثيرون وكانت ترفضهم دائما إلي أن تطور حال البلاد وبدأت الشدة المستنصرة فلم يأتي النيل فخاف الجميع وبدأ الفزع لعل مصر سوف تمر كما مرت قديما في عهد يوسف عليه السلام بسبع سنين عجاف وبدأ التجار يشترون القمح فلم تعد مصر تزرع القمح بل تزرع

الملوخية حيث قل القمح في مصر.. فكلما ظهر عمار في الحارة يحسدوه المارة علي زوجته وابنته.. مر العام الأول ومصر تبدل حالها أصبح كل مستباح أصبحت السلطة للتجار فقط هم من يتحكمون بمصر ومن فيها ويدأ العام الثاني من الشدة المستنصرة حتى أصبح كل من في مصر جاسوس خائن أصبح الاتهامات كثيرة وسجن كثير من أهل المحروسة خضعت وجد للعشق الذي طالما بحثت عنه إلي أن طلب يداها شهبندر التجار الرجل الثري والتاجر الكبير طلب يداها في فزع من والدها كيف يتزوج شهبندر التجار ابنتي فازداد الأمر تعقيدا وأصبح حال البلاد سيئا الشعب يأكل القطط والكلاب انقرضت الفئران من كثرة أكلها أصبح الرجال يبيعون أبنائهم مقابل القمح وفي هذه الأوانة يحاول شهبندر التجار الضغط علي عمار الحلاق أن يوافق علي زواج وجد من شهبندر التجار مقابل القمح فزع عمار ولكن تحدث المفاجأة أراد عمار أن يحافظ علي ابنته في ظل القهر الذي يعيشه وسلطه شهبندر التجار فزوجها إلي من تعشقه نيروزي الشاب الوسيم تاجر العطور الذي عشق وجد وأحبها بجنون ومرت اشهر وإذ بشهبندر التجار يعرف الحقيقة فمارس اشد أنواع القهر والذل علي عمار الذي كان ذنبه انه أنجب فتاه تحمل من الجمال ما يفوق نساء مصر بأكملها هذا ذنبه الذي لم يرتكبه أهان شهبندر التجار عمار حيث سبه وشتمه ولم يحدث هذا قديما

المشهد الذي وصفه لنا السيد حافظ يعد من أهم مشاهد القهر وما أصاب عمار من قهر وذل ربطه وتعليقه في سقف مخزنه إلي أن تبول علي نفسه.. هذه مصر في زمن أكل المصريون لحوم بعضهم فأصبحت الشدة موجعه وازداد الجوع إلي أكل لحم الموتى فكل من في الدولة يمارس القهر فالحاشية تمارس القهر علي العبيد فكل مصر أصبحت عبيد لديهم أخفوا القمح من

البلاد ومصر أصبحت في مجاعة هذا مشهد من مشاهد القهر وصفه لنا السيد حافظ من خلال الإطار التاريخي بعرض لنا ما حدث في سبع سنوات من الشدة أراد حافظ أن يعرض تاريخ سبع سنوات جاءت في كتب التاريخ عبارة عن سطر واحد الأمن رحم ربي من المؤرخين . نراه في عرضه للإحداث والتتابع الرائع الذي أسر القلوب والفكر وأصبح القارئ شريكا للكاتب في ما يكتبه وما يقرأه حتى أن فواصل الرواية لم تكن تأخذنا عن الرواية فلها دلاله قوية يظهر جانب المرآة في الرواية ظهورا واضحا في دور فجر حيث ظهرت بقوة كيف كانت تساندها وتحافظ عليها من زوجها أحست بوجد فقالت عنها الصديقة والحبيبة والابنة .كما كان لها الدور الأعظم في تفجير ثورة النساء الآتي هتفن بسقوط المستنصر حتى حرك الهتاف " ست مصر" عمة الخليفة فمعظم شخصيات هذا العمل وقعوا في فخ القهر قهر السلطة الذي بدل الحال وأصبحت مصر بلا عدل وفي النهاية أراد حافظ أن يصف المعاناة والقهر فكل من حكموا المحروسة تميزوا بالظلم والقوة وغياب العدالة هذه مصر في زمن المستنصر بالله بل قبل ذلك من حكم الفراعنة لا احد يجروء علي أن يحادث الحاكم أو يراه.. هذه هي المحروسة غابت العدالة فيها وساد الظلم والقهر هذه المحروسة الذي حاول المؤرخون محو سبع سنين من تاريخها حتى لا يعلم الأجيال من هم الحكام ومن هم الشعب..

الشعب الذي بسبب القهر والظلم والطغيان آكلو لحوم بعض

ومن هما يمكننا القول أن السيد حافظ نجح في أظهار مدي قهر المصرين ومدي ظلم الحكام.

بقلم: رضوى جابر شعبان

قهوة سادة بين التجريب والتشتيت
بقلم رضوى جابر ـ الاسكندرية

كلنا نعلم ان الرواية التقليدية أو الكلاسيكية لها معايرها الخاصة بها لا يمكن الإخلال بعامود من أعمدة الرواية أو حذف أحداهم فنجد ان أعمدة الرواية معروفة للجميع (الزمان – المكان – الحدث – الحبكة – العقدة – الشخصية – الحوار– النهاية)

هذه قواعد الرواية المتعارف عليها وجدناها في الروايات التقليدية وخاصة في روايات نجيب محفوظ هي مثال الرواية التقليدية بامتياز.

أما عن الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها هي قهوة سادة رواية ذات طابع خاص اتسمت بالمظهر الجديد لشكل الرواية الجديدة لم يتخذ هذا الشكل روائيين كثر أنما تحلي به السيد حافظ وهو رائد المسرح التجريبي في مصر ، رواية قهوة سادة تميزت بكل عناصر الرواية التقليدية (من الزمن والمكان والحدث والحبكة والعقدة والحوار والشخصية والنهاية)

كما زاد فيها مظاهر أخري دخول الشعر في مواضع بعينها الإتيان ببعض الأحداث التاريخية كتصحيح وتوثيق لبعض التاريخ تنوعت في هذه الرواية أسلوب السرد فلم يقتصر علي سرد متواصل ممل تقليدي أنما قسم علي الهيئة أو الشكل الدرامي المسرحي ولما لا فالسيد حافظ هو الجدير بذلك الأمر ، حين نجد ان السيد حافظ اتبع في روايته قهوة سادة هذه التقنية الجديدة تحيلنا إلي مدخل العمل الأول بعد العنوان وهو الإهداء قال في آخر مقطع منه "هذه الرواية بحثا عن روح مصر المتخاذلة سبعة آلاف عام وبحثا عن روح مصر أخري للإنسان فيها معني وقيمة وحضارة حقيقة فعلا وقولا "

هذا هو إهداء الكاتب للقارئ وكأنه يرشده عن ما يدور داخل الرواية ولما أورد ما أورده داخل عمله من مقتبسات تاريخية وأحداث تاريخية معروفة عند اغلب المثقفين أو من عاشوا تلك الحقبة من الزمن فنجد هدف الكاتب من ما أورده هو تذكير القارئ وجعله ملم بأحداث تلك الفترة أو محاولة لتصحيح ما يمكن ان يكون خطأ عند بعض القراء من تخبط في المعلومات حينها ، السيد حافظ في كتاباته عامة لم يكن مؤرخا قط وإنما جاء مصحح ومذكر للتاريخ من الوجه الصحيح له وليس كما درسناه أو تم زجه في عقولنا بصيغة خاطئة ، ولكن بالنظر إلي ما أورده السيد حافظ في روايته وهذه التقنية الملموسة بشكل واضح يتردد في نفسنا سؤال هام ما دلالة ذكر الأحداث والمقتبسات والحقائق والأشعار الموحية أو المتصلة بالأحداث من قريب أو من بعيد فما دلالة دخول كل هذه النقاط أو الأساليب الجديدة داخل النص؟ كما نوهنا من قبل إلي الإهداء فهو مفتاح مميز في الرواية نجد ان الكاتب أراد البحث عن الحقيقة روح مصر المختفية بالتقارب بين الأحداث من خلال احدث ١٩٦٧ م وأحداث العصر الفرعوني منذ سبعة آلاف سنة الربط الذي جاء في هذا العمل لم يكن محض صدفة أو استعراض من الكاتب بدون وجود دلالة واضحة – والكاتب في غنى عن استعراض لملكاته الخاصة في أسلوب السرد والتقنيات كما قولنا هو رائد التجريب – لذلك جاءت أحداث الرواية مرتبة ترتيب زمني منطقي ليحكي الكاتب قصتين سهر الروح التي يبدأ بها عمله منذ ان أصبحت طفلة ذات طابع أنثوي والحكاية الثانية هي نفر لتسير الحكايتين في مستوي سرد منظم ومنطقي ليتصاعد السرد في الحكايتين بشكل يجذب القارئ ليتخلل هذا السرد المنمق دون قطع فيه بعد

المقتبسات والأحداث التاريخية والأشعار الموحية ذات الدلالة الهامة لتجد الكاتب ليس من محض الصدفة ان يضع مثل هذه الفقرات أنما ليزيد من عمق الدلالة والوضوح والتعمق في المعني ليرسم للقارئ لوحة أراد ان تكون مكتملة بنسيج واحد أحداث الرواية وخلفية لهذه الأحداث تتفاعل إيجابيا مع أحداث الرواية دون قطع في السرد وفصل عنه بل علي العكس إضافة له وكأنها خلفية أساسية متفاعلة إيجابيا مع العمل ذاته لتكمل جمال ورونق اللوحة المرسومة التي أراد السيد حافظ ان يوضحها للقارئ من هنا يمكن القول في هذه الجزئية تحديدا ان السيد حافظ بحث منذ أول العمل عن الروح ولكي نبحث عن الروح لابد ان يرسم كل ملامح العمل بشكل دقيق وسرد شيق مع دس بين سطور وصفحات العمل الحقيقة الكاملة عن الحقبة التي أراد الكاتب ان تكون هي الزمن لأحداث روايته .لذلك نجد ان تقنية السيد حافظ كانت لابد منها في عمل كهذا ولأنه لم يخل بقواعد الرواية التقليدية ولا الرواية الحديثة وإنما زادت التقنيات الكتابية التي يمكن للكاتب ان يتخذها شكلا للكتابة فيما بعد فهل يعد هذا إخلال بالرواية المتعارف عليها حين يريد الكاتب ان يرسم للقارئ اللوحة الكاملة من خلال أدواته وتجربته في (التجريب) ومن وجهه نظري أري ان السيد حافظ قام بمجازفة كبيرة حين طرح هذه التقنية علي الساحة الأدبية والإبداعية وهل سيتقبل القارئ ما يقدمه السيد حافظ من تقنية جديدة ،وهل يتقبل النقاد هذا النوع من الأسلوب الجديد وهل أيضا يحاولون تناول الأعمال من نفس المنظور القديم أري ان النقد مرن يلين مع النص ويتشكل معه وليس النص هو من يتشكل علي قوالب النقد ، لذلك فأسلوب السيد حافظ في كتاباته عامة من قهوة سادة وما بعدها

وصولا إلي الروح الخامسة في (رواية حتي يطمئن قلبي) هو أسلوب محير إلي لحظتنا هذه لذلك لا يمكن ان نناقش أعمال الأديب السيد حافظ من نفس منظور النقد المتعارف عليه ولان الأسلوب مبتكر وذات طابع سحري وجديد علي المتلقي وجب علينا ترسيخ لمعايير جديدة لنتناول بها هذه اللوحات المرسومة بشكل منمق ذات طابع عصري تقبله القارئ دون تشتيت أو ملل حين القراءة لأعماله عامة ، في كتابات السيد حافظ نجد ان الكاتب تنقل بين شخصياته بشكل بسيط مرن لم نشعر بقطع في الأحداث أو

محاولة لان تكون الشخصيتين الأساسيتين في الرواية منفصلين عن بعضهم هناك دائما شيء خفي دائما يربط بينهم ربما عادات تقاليد شكل خارجي أو ربما الروح لعب السيد حافظ في عمله علي هذه النقطة وهي الروح التي مازالت ولا تزال هي العنصر الأقوى داخل أعماله التي يسعدنا بها ، كما ذكرنا السيد حافظ ليس مؤرخا أنا مصححا للتاريخ المغلوط وهو ما صرح به في آخر أعماله ويمكن القول ان هذه المقولة قد تكون جاءت متأخرة ليكتبها الكاتب في آخر عمل صدر له منذ فترة قريبة وكان عليه ان يقول هذا منذ ان بدأ متوالية أو سلسة أعماله التي ذكر فيا ملامح التاريخ بشكل دقيق ليقول لكل من يقرأ انه مصحح لتاريخ مغلوط صُدر لكم ولم نحاول تصحيحه

لذلك لابد علي من يقرأ أعمال السيد الحافظ ان يتحلى بالحيادية والموضوعية وأيضا ان يكون صاحب وجهه نظر نقدية تبني علي دلائل من العمل وخارجه بحيث لا يصدر الأحكام بشكل انطباعي وهذا ليس تقليل من الرأي الانطباعي أو ما شابة حتي ان النقد الانطباعي أو الرأي الانطباعي نجده مهم، فالقارئ العادي له رأي انطباعي فيمكن ان يكون دراس لأي شيء ولا يفقه عن النقد

شيء وانا هو متذوق للأعمال الإبداعية الجيدة وهو ما أعطي الثقة لأن يكتب السيد حافظ إبداعه بشيء من تصحيح التاريخ حتي وصل إلي (حتي يطمئن قلبي)مع وعد منه بالروح السادسة قريبا .

لذلك فالسيد حافظ أظنه في غني عن مدافع لأعماله بل من أراد التاريخ الصحيح اقرأ أرواح السيد حافظ داخل رواياته لتجد روحك وروح الوطن وروح التاريخ الضائعة.

المعايير الجديدة في المسرواية (حتى يطمئن قلبي) للسيد حافظ
بقلم رضوى جابر

ملاحظة مهمة لك صديقي القارئ :

أولا : هذه سرية، وليست رواية عادية ولكنها ربما تكون مسرواية أي رواية تأخذ المسرح معها في عناق وتلاحم ، وهو حلم توفيق الحكيم في بنك القلق وكذلك كان حلم يوسف إدريس في نيويورك ٨٠ وهي ليست حلمي الان ، بل هي مشروعي.عزيزي القارئ بين يديك الجزء الخامس من مشروعي ، ... فتعطر وتأهب واشرب قهوتك واخلع نعليك وأسترخ وتنبه؛ فأنت شريكي وصديقي. هيا بنا نرحل معا عبر الحكاية.

ثانيًا: هذا المشروع هو منفصل متصل يعني أن كل جزء منفصل، وأيضا متصل بالأجزاء الأخرى لأن لي خبرة متواضعة في الكتابة للمنفصل المتصل في الدراما التلفزيونية ولا تندهش أن وجدتها هنا

ثالثا: استعد صديقي وشريكي القارئ في هذه المسرواية أو الرواية أو هذه السردية النوعية سوف أقوم فيها بالابتعاد عن التاريخ المزور والمسكوت جزء قمت بهذا لأننا قمنا بتزوير التاريخ وقدمناه للناس ، وأنا مثلك درست التاريخ المزور في المدرسة وحتي الآن.. ولكن بحثت وقرأت وصححت لعلي أنفع الناس وأكشف الغمامة عن عيونهم وأن يعملوا عقولهم.

تأتي هذه الملاحظة في بداية الشروع لقراءة (المسرواية) الاسم الذي يروق لي بعد قراءة هذا العمل الهام.

بدأ السيد حافظ المسرواية بملاحظات هامة وكأنه لا يريد ان يفاجئ القارئ بما بين دفتي المسرواية لذلك قرر السيد حافظ كتابة هذه الملاحظة مع تقسيمها لنقاط

بدأها بالتعريف هذه سردية أي أنها تنتمي لجنس السرد المتعارف علية ولكن يستأنف الكلام لكنها ليست رواية عادية ولكنها ربما تكون مسرواية ، ليكمل الكاتب كلامه بذكر أهم من كتبوا المسرواية أو الكتابة عبر النوعية أو تعدد الأصوات.

يستدرك السيد حافظ لتوريط القارئ فيهيئه نفسيا وجسديا للقراءة فيقول أنت شريكي وصديقي.

في النقطة الثانية يبرر الكاتب شكل كتابته الجديدة ليمهد للكاتب طبيعة العمل المنفصل المتصل وكأنها دراما تلفزيونية فيقول. لا تندهش أن وجدتها هنا.

في النقطة الثالثة يصدم القارئ بأن كل معظم التاريخ الذي قرأه مزور أو يمكن ان يكون معظمه مزور فكل ما تم دراسته كان خطاء بالفعل وكأننا اصبنا بالعمي حين صدر لنا التاريخ المزيف ، ليصرح ان هدف مشروعه الكتابي يأتي ليزيل الغشاوة والعمي وتصحيح ما تم تصديره لنا من تاريخ مزيف تماما.

من خلال التسمية التي راقت لنا وهي المسرواية. المسرواية كما عرفها السيد حافظ رواية تأخذ روح المسرح معها ، ولم يقتصر عمله الأدبي علي انصهار المسرح بالرواية فقط ولكن تداخلت معظم الأجناس الأدبية فتداخل في الرواية

القصة والومضة والشعر والبرنامج الإذاعي والأذان والمسرح وفواصل كالركعة أيضا.

كلها أشكال دخلت إلي الرواية فزادت من جمالها وتشابكها ومحاولة إثراء العمل الأدبي مما وضعنا الكاتب علي نقطة هامة العمل الذي يجمع كل هذه الأشكال هل يتم رؤيته كما نري الرواية التقليدية الخالصة فقط أم أننا نحتاج إلي ما نسميه هنا (المعايير الجديدة)في قراءة الرواية الحديثة نعم معايير جديدة ليست لشيء جديد ولكن لشيء قد كان واحياه السيد حافظ ببراعة فاقت الوصف ، منذ البداية يضع السيد حافظ أقدامنا علي بداية مفتاح خريطته (المسرواية) حتي لا نتعثر في مستويات العمل الذي بين أيدينا ، بين أيدينا الروح الخامسة التي اختار لها الكاتب شكل المسرواية ولأنه كما وصف علي معرفة بكتابة المنفصل المتصل ، اختار الكاتب من خلال العمل ان يدمج في العمل أشكال معينة من الأدب وأيضا ضمن الأذان والركعات فنجد أول فاصل للكاتب كان عبارة عن ركعتان علي روح أبي ذر الغفاري(ص ٤٨) لعبر بأول فاصل عن روح إيمانية تعم المكان عن الهالة الروحية التي حاول الكاتب ان يحيط بها عمله وكأنه يستغيث بأهم الشخصيات دينيا وثقافيا في مجتمعنا ثم ينتقل بنا ومازال في فاصل الرواية (ص٤٩) مع برنامج حكايات قراقوش قسمها إلي حكايات بالترتيب الحكاية الأولي الثانية وهكذا ومن خلال برنامج حكايات قراقوش يحكي القصة كاملة وكيف كان قراقوش علي حقيقته دون تزيف للتاريخ ليصطدم القارئ بأول أشكال تصحيح التاريخ بكل بساطة وسلاسة في الحكي ثم يعود بعد ذلك إلي الرواية.

نجد بعد انتهاء الفصل الأول من الرواية نجده في ص ٩٦ يقول:

"حان الأن موعد الأذان حسب التوقيت المحلي بصوت الشيخ محمد رفعت "
وبعدها همسة ودعاء ويحيلنا إلي ص ٥٤٦

وها هنا أمام نوع جديد من الفواصل هو الفاصل الثالث في الرواية الأذان وبصوت الشيخ محمد رفعت فلماذا اختار حافظ الشيخ محمد رفعت تحديدا من وجهه نظري أري اختياره له كان لأنه المقرئ المشهور الذي اعتلي معظم أئمة المساجد لما له من شهره واسعة وقيمة عظيمة في نفوس المصرين تحديدا يعد استخدام هذه الفاصلة من النقاط الجديدة التي تحسب للكاتب ليوحي الأذان بالطمأنينة للقارئ مرة وللكاتب مرة وللبطل مرة من هنا يحسب للكاتب هذه التقنية الهامة أو السمة الجديدة.

ليكمل ص ٩٧ بفاصل من نوع مغاير هو الفاصل الرابع وهو برنامج الشعر العالمي وهنا تأتي قضية التضمين الذي تحدثنا عنه في دراسة سابقة بعنوان (التضمين الشعري في رواية كل من عليها خان ، رضوى جابر ، مجلة الثقافة الجديدة)

وهنا يأتي الشعر من خلال برنامج الشعر العالمي ليتضمن مقطع شعري من أشعار جيمس جويس ، ثم يعود في الفاصل الخامس بالحكاية الثانية من حكايات قراقوش ص ٩٨ .

أما عن الفاصل السادس اسماه الكاتب ومضة ص ٩٩ ، لتتعدد فواصل الرواية باختلافها كي لا يمل القارئ وتأتي محملة كل منبها بدلالتها الخاصة التي لا تفصلنا عن العمل بقدر أنها تحاول ان تربطنا به من ملامح الشكل والمضمون لتبرهن اختلاف الفواصل علي ضرورة التزامنا في القراءة بالبحث عن المعايير الجديدة التي نتناول منها النص،

ليعود الكاتب بعد ذلك إلي الفصل الثاني من روايته بعنوان والجوع يسرق الفرح من العشاق محاولا في كل فصل عرض قضية مفضلة لكنها متصلة في ذاتها فيختتم فصلة بفاصل آخر ليعيد الفواصل ولكن بإضافة فاصلة جديدة أو بحذف مؤقت لفاصلة كانت في الفاصل الأول نجد ص ١٣٣ الأذان بصوت الشيخ صديق المنشاوي ومعه نبذة عنه مختصره لعل من يقرأ لا يعرف من هو ويحيلنا إلي باقي الفاصلة لصفحة ٥٥٩ ، ثم يعيد لنا فاصلة الشعر العالمي وما اجمل الاختيار للمقاطع وخاصة شعر بودلير صفحة ١٣٤ ، ثم يحكي لنا الحكاية الثالثة من حكايات قراقوش بسرد وتتابع شيق ص ١٣٦ ، وفي هذا الفاصل الكبير الممتع نجده يضيف الفاصلة من الشعر العربي ص ١٣٧ ليختار في هذا الجانب شعر من أشعار الشاعرة نجاة محمد صادق.

ثم ينتقل إلي الومضة كختام للفاصل كما ختم بها الفاصل الذي قبلها وكأنه يهدي للقارئ فسحة من الفاصل الغير مرهق برع الكاتب فيه بإيصال معلومات شديدة الأهمية التي جاءت في حكايات قراقوش علي مدار فواصل المسرواية ، تنوعت لنسردها هنا بشيء من التفصيل

الأذان : جاء منذ أول فاصل في العمل الأدبي جاء بصوت الشيخ محمد رفعت ، وبصوت محمد صديق المنشاوي ، وبصوت الشيخ محمود الحصري، وبصوت سيد النقشيندي ، وبصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد.

أما عن الركعات: فجاءت ركعتان أبي ذر الغفاري ، ركعتان علي روح سعد الدين الشاذلي ، ركعتان علي روح نزار قباني ، ركعتان علي روح جلال الدين الرمي ، ركعتان الأولي لروح نزار قباني ، والثانية لروح محمود درويش ،

خمس ركعات جاءت موزعة علي فواصل الرواية بالتفاوت وكأنه يذكرنا في كل مرة بشيء في متن الرواية نفسها.

أما عن برنامج حكايات قراقوش فجاءت مرقمة إلي الحكاية التاسعة وأيضا موزعة بالتفاوت علي فواصل الرواية فليس شرطا ان يأتي في كل فاصل بحكاية له.

أما عن الشعر العالمي فجاء عدد ذكره علي مدار المسرواية أربعة مرات تم ذكر الشعر العالمي ومرة واحدة ذكر فيها الشعر العربي.

وضمن الشاعر برنامج فاروق شوشة لغتنا الجميلة وذكر تحت هذا العنوان قصيدة للشاعر سمير عابدين.ص ٤٦٧.

أما عن استخدام الومضة السردية التي تناثرت علي فواصل الرواية جاءت متماسكة حملت معني الومضة في شكلها ومضمونها وكان عددها داخل الفواصل ٦ ومضات سردية جاءت تقريبا بمعدل في كل فاصل ومضة وان دل هذا فيدل علي حب الكاتب لهذا الجنس وانه أراد منه ان يأتي بأفكار لا تسمح بأن تحملها غير الومضة فهي الأنسب لها.

هذا من ناحية الشكل ، الشكل جاء المسرواية مقسمة علي هيئة فصول كل فصل تميز بشيء يخصه كل فصل اتخذ له الكاتب عنوان ألا فصل اختلف إلي حد ما عند الكاتب وهو الفصل الرابع فقال

عدنا من الفاصل إلي الرواية

هذا الفصل القادم من الرواية منفصل متصل

وللعشق بهاء وضياء

هذا الفصل الوحيد الذي اختلف عن فصول المسرواية بتعريف الكاتب به للقارئ وكأنه يقول أنا علي عهدي بك منذ البداية ان اعلمك عن كل جديد داخل نصي المتواضع.

نلاحظ في العمل الذي بين أيدينا الذي سماه الكاتب المسرواية وعرفها في بداية الولوج إلي نصه بأنها مسرواية انصهار الرواية بالمسرح نجد ان الكاتب علي غلاف العمل كتب رواية ويمكن ان يكون هذا حتي لا تكون مختلفة عن سلسلة روايته التي بدأها حتي وصل إلي الروح الخامسة ، أما داخل العمل برغم تصريحه إنها مسرواية ألا انه في كل مرة يعود منها من الفاصل يقول عندنا إلي الرواية ولا يقول مسرواية ألا فقط في الفاصل الأخير الذي انتهي عند صفحة ٤٦٩ في الصفحة التي تليها قال: عدنا إلي (المسرواية) وكأنه أخيرا صرح بالاسم الذي اختفي من أول مره ذكره فيها في البداية ص٨ لينتهي الكاتب من المسرواية ص ٤٨٦ بقوله :

" وهمت به وهم بها "

"سلمي وسرين وبيرتون"

في الجزء القادم إن شاء الله

تمت المسرواية هنا إلي اللقاء في الجزء السادس إن شاء الله

القاهرة الهرم نهاية ديسمبر ٢٠١٦

وهنا اعتراف آخر إنها مسرواية وإنه الجنس الذي أراد إحيائه قبل ان يندثر أكثر.

لا يمكننا تصنيف الرواية أنها تاريخية بحته ولا ننكر أنها قائمة علي التاريخ ألا ان المسرواية كما هي انصهار الرواية بالمسرح هي أيضا انصهار التاريخ

بالاجتماع والواقع ومدي دلالته علي الشخصيات في المسرواية صرح السيد حافظ انه لا يكتب التاريخ بل يصححه

كلنا نعرف ان صلاح الدين كما صدر لنا انه بطل الأبطال القائد العظيم صاحب الأمجاد هذا هو التاريخ الذي تم وضعه في العقول عنه دون تدخل منا وكأننا أطفال يزج لنا الطعام حتي نكبر ولكن حين يصدر لنا التاريخ مغالط ويشوبه الشكوك وقتها لابد لنا ان تبحث عن التاريخ الأصلي دون مغالطة أو تزوير انتهج السيد حافظ هذا المنوال منذ أولي أعماله إلي الروح الخامسة التي بين أيدينا من منا يعرف ان أيام حكم المستنصر بالله اكل أهل مصر لحم بعضهما من شدة المجاعة التي حلت عليهم من منا كان يعرف ذلك وتاريخنا تم طمسه حتي يظهر الحاكم بالشكل المنمق دون شيء يشوبه عادة مصر وعادة أهلها هم من صنعوا الفرعون وهم من عبدوه من منا أيضا كان يعلم ان مصر أيام صلاح الدين كانت في أسوا حال لها وان صلاح الدين كان يهتم اهتمام شديد بالشئون الخارجية وتم إهمال مصر وأهلها وجشع أهلها وتسليم مقاليد الأمور إلي قراقوش الظالم لهذا زوروا التاريخ وطمسوه.

حين خاض السيد حافظ هذا الطريق لم يلتفت بما يقال ولكنه كان دؤوب البحث لم يتفوه فمه كلمه ألا بالمراجع لنجد في بداية المسرواية علي لسان السيد حافظ

"لست أنا الأول الذي يبحث عن صلاح الدين ولست الأول من يقول الحقيقة التي عميت عنها أعيننا فالرجل ليس بنبي ولا ولي ولا من الصالحين فقد وصفه من قبل المؤرخ أبو شامه بقوله "البذيء" ووصفه المؤرخ ابن كثير ب "السفيه" ووصفه المؤرخ محمد كرد علي ب "صاحب الأباطيل "ووصفه معظم

المؤرخين الذي يصفونه بالجهل المطبق والتفاهة والتحامل والاجترار والعمي والذب علي الحق وتزييف التاريخ بكعوب الأحذية!! (حتي يطمئن قلبي صفحة ١١)

هذه هي البداية الخاصة بصلاح الدين داخل العمل لا يمكن ان نصف السيد حافظ هنا بالمتحامل فمن قراء التاريخ جيدا يعرف ان كل حرف يضعه حافظ في هذا الموضع هو صحيح تماما ولا يمكن تكذيبه فلا يبحث السيد حافظ عن معجبين وفلاشات الكاميرات حتي يقال عنه أديب حق هو أديب دون شهره أو جوائز فمن وجهه نظري الكاتب الذي يعري الموجود ليصل اللي الحقيقة هو الكاتب المميز ، لنعود إلي النقطة الشائكة التي طرحها الكاتب من خلال عمله وهي الكشف عنم حقيقة صلاح الدين من هو وهل حقيقة هو ليس رمز البطل المغوار ام ان الكلام محض افتراء ليؤكد السيد حافظ خلال المسرواية كل كلمة يذكرها مدعما ما يقول بالتاريخ والمراجع والوثائق القديمة التي يتعامى عنها أصحاب الأهواء

صفحة ٣٠٥ يبدأ الكاتب بذكر التاريخ منذ تولي صلاح الدين الوزارة فقد تم تعينه بعد ان توفي اشد الدين شيركوه وكان عمر صلاح الدين وقتها عن اثنين وثلاثين عاماً..يستطرد السيدمصطفي.لحديث عن التاريخ فقط مدعما كلامه بالمراجع فأستعان مثلا في هذا الموضوع بعده مراجع

وهي كما ذكرها في هذا الموضع

-دكتور شاكر مصطفي..صلاح الدين صفحة ٩٢

- ابن الأثير ج ١١ صفحة ٣٤٦

- أبي شامة ج ٢ صفحة ٤٥٢_٤٥١

- المقريزي الخطط ج ٢ صفحة ٣٩٦
- ابن تغرى بردي النجوم الزاهرة ج ٥ صفحة ٣٥٥
- أبو شامة في الروضتين ج ١ صفحة ١٧٨

هنا لم يذكر السيد حافظ المراجع حتي يكذبه احد فمعظم المثقفين يعلمون الحقيقة ولا احد يجرؤ علي الإفصاح بها ألا انه ذكر المراجع لأننا بحاجة ان نعرف كل ملابسات التاريخ الذي تم تزويره.

من هذه النقطة لا يمكن وصف كتابات السيد حافظ بالتاريخية كما قولنا البحتة وإنما هو انصهار وفق فيه الكاتب إلي حد كبير في مسروايتة.

لهذا كان علينا ان نبحث عنها مضامين المسرواية بمعايير جديدة لا تخضع لمناهج النقد المتعارف عليها وهذا لا يعني أنكار للمناهج عامة بل يتم منها الاقتباس والاستنباط علي محمور المضمون داخل العمل يمكننا الحديث عن تداخل الأجناس خاصة المسرح أو السيناريو الظاهر بشدة مع أحداث سير الراوية دون خلل في جانب منهم أيضا نجد قواعد الرواية لم تسقط بجانب قواعد المسرح إلي جانب القصة والسيناريو كل منهم له قواعده وكأن الكاتب فنان قادر علي المزج دون خلل في الشكل أو المضمون او حتي الاتيان علي حدود الجنس الاخر.

العمل المنفصل المتصل اعتمد الكاتب بشكل كبير علي هذه التقنية التي تظهر كثيرا في الدراما التلفزيونية ببراعة شديدة وتمرس في هذه التقنية نقلها حافظ إلي مسروايتة التي بين أيدينا لم تظهر من خلال تقنية الكتابة استعراض الكاتب لملكاته الخاصة فقد ظهر لنا التقنية بشكل سلس دون غموض يرهق الذهن أو ملل من القارئ فعلي الرغم من كبر حجم المسرواية

ألا ان القارئ لا يشعر بشيء من الملل مطلقا نظرا لبراعة الكاتب وكيفية سرده للأحداث.

أما علي مستوي اللغة في المسرواية : نجده اعتمد علي عدة مستويات داخل عمله من مستويات للمتلقي المثقف والمتلقي العادي ، واستخدامه للمفردات الحية في كل جزء علي حدا.

القدرة علي الحكي في سلسلة متناغمة برع الأديب السيد حافظ بعرض ثلاث حكايات منفصلة متصلة في عمل واحد الروح الذي يكمل سلستها من أول جزي من الروح الأولي إلي الخامسة وهي "لامار" وقصتين العشق بين" فتحي" و"سهر" "شارو" و"العالية " ثلاث حكايات جاءت بشكل منفصل متصل يبرع الكاتب في المزج وتنامي كل قصة دون قطع في الحكي أو ملل من القارئ فتحسب له كونه كاتب مميز متمرس في الكتابة.

بقلم : رضوى جابر

سيرة ذاتية

الاسم: رضوى جابر شعبان

المهنة: طالبة بكلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها الفرقة الرابعة
الاهتمام بالأدب وخاصة النقد
تم عمل عدة دراسات نقدية وهذا من نتاج ورش من قصور الثقافة المختلفة

<u>الأعمال النقدية:</u>

١ – التضمين الشعري في رواية (كل من عليها خان) للكاتب السيد حافظ.
٢ – القهر في رواية (كل من عليها خان) للكاتب السيد حافظ .
٣ – الوجهة النفسية في المجموعة القصصية (أنصتوا) للقاصين أحمد فضل و مصطفي شكري .
٤ – قراءة سميائية في رواية خيط سحري للكاتب حسام نور الدين.
٥ – النظرة التشائمية في المجموعة القصصية (وجبة عشاء لذيذة مقابل حياتك) للقاص محمد رجب عبده
٦ – قراءة نقدية وتحليلة في رواية الانفوشي للكاتب محمد عزام .
٧ – قراءة تحليلية سميائية في رواية شرائح للكاتب احمد الدسوقي (حائزة علي جائزة احسان عبد القدوس في الرواية)
٨ – قراءة تحليلية في ديوان شعر (زي ما بتقول الاسطورة) للشاعر تامر أنور.
٩ – قراءة موضوعية وتحليلية في ديوان شعر (إليها) للشاعر كارم أحمد.
تم نشر بعض الدراسات في بعض المواقع الالكترونية والبعض الآخر مازال تحت البحث
١٠ – تحت التنفيذ كتاب نقدي يضم هذة الدراسات.

التليفون: ٠١٢٠٧١٩٣٨٦٠
Radwagaber44@yahoo.com البريد الالكتروني
العنوان: ٩٨ ش رشيد رضا القباري الاسكندرية

كلمة عن الدكتورة / عواطف الزين

أنا لن أعني التنظير ولا التميز ولا النقد للنقد.. بل إلقاء الضوء على الإبداع والمبدعات من الناقدات العربيات المتميزات في مجالهن.. فكان نقدهن موازياً لإبداع المبدعين.. أصبحن رموزاً في زمن تتساقط على عتبات الوطن القيم.. إذ نرى البعض من الأدباء والكتاب مازالت نصوصهم الأدبية بكل أجناسها تمنحنا بمرور السنوات قدرة على رؤية الواقع العربي والعالم.. وقيم فنية وثقافية وإبداع متواصل سواء في المسرح أو الشعر والقصة والرواية وجميع أنواع الفنون الأدبية.. هنا يظهر دور الكاتب والناقد والمتلقي المثقف.. للأسف أذكر هنا وأعتذر مسبقاً لما سوف أكتب..

الحقيقة مرة كثيراً ما تبخس بعض نصوص الأدباء وتنسب للآخرين ولم يذكر أنه اكتسب أو استعان بنص الكاتب (ويذكر اسمه) وهذه الظاهرة إن وجدت عند الشباب الذين نتوسم بهم خير للتجديد وملاحم إبداعية متطوره ومتجددة وأتمنى من أديباتنا وناقداتنا المتألقات الحث أو المبادرة بفتح منتديات أدبية في كافة المحافظات والمزيد من القصور الثقافية.. لكن المكتظة بالمثقفين والأدباء والخلط بين الماضي والحاضر أي الشباب والعظام من الكتاب النجوم اللامعة في الأدب والفكر والنقد والإشادة والتكريم لمن رفد الأدب والفن بكتاباته (يوسف إدريس، وتوفيق الحكيم وغيرهما من العظماء) . فكما بثوا الحياة والرفعة والرقي للأدب.. فيجب عليَّ وعلى غيري من المثقفين وبالأخص الأدباء ممن عاصروهم أو قرأوا لهم لكي نكون قد وصلنا الماضي بالحاضر لخلق الإنسان والوجود وليس العدم.. فالنص الذي اختارته الكاتبة والأديبة الشاعرة والروائية والصحفية والناقدة المرموقة (الأستاذة عواطف الزين)

من بلد الأَرز الجمال.. من بلد ولدت فيه أغاني فيروز والرحباني من الصمود والتحدي والحق والتصدي والدفاع عن الامة من لبنان الشقيق والجريح من جنوبه.

لها دواوين شعر ومجموعة قصصية ورواية.. الأستاذة الناقدة (عواطف الزين) حادة وجادة في الرأي وصاحبة صالون ثقافي مهم في الكويت

أتمنى لو أمتلك اليراق لخمس دقائق.. فسآمره أن يحملني لكل أوطان الوطن العربي وأتشرنق في لغتي وأبجديتي وأخترق خارطة قلب الوطن العربي ويتمدد كياني كجسر وأناديك يا سيدة الحرف اعبري لقد توحدت مشاعرنا وارتباطنا بحب الوطن.. ومن خلال قراءة كلماتك في الحوار الذي دار بينك وبين الكاتب وجدت حقيقة إنسانية صادقة وجادة.. أن قهوة السيد حافظ يحتسيها.. سادة أي مرة.. لكنه بعد أن طوع مرارتها بفنية ومهارة أصبحت قهوة ممتعة.. فالصدق يشمل جميع مرفقات الحياة بالإضافة إلى الشخصية في حالاتها النفسية المختلفة وأيضا الغوص اللغوي ومطابقة الواقع مع الخيال وفق الأزمان والأماكن والتراث العربي لأننا نجد فيه دفعاً إلى الأمام ورباطاً طبيعياً يصل حاضرنا بماضينا الحافل بعناصر الاستمرار والإبداع والبقاء بجمالية الأبجديات وليس بغريب على الناقدة والكاتبة الشاعرة (عواطف الزين) التي جمعت ما بين الخيال والواقع والجمال والتألق حين قدمت الدراسة للنص الأدبي.. (قهوة سادة) للكاتب العبقري (السيد حافظ).. فذكرت الكاتبة والشاعرة (عواطف الزين) الرواية النموذج للكاتب وإلى أي مدى يختلف أسلوبه عن الآخرين باتجاهه وتقنيته الفنية وعمله كمؤلف وكاتب سيناريوهات انصهرت مواهبه وخبراته وحروفه مع بعضها البعض

وأخرجت لنا تركيبة حديثة هي المسرواية أو تبلورت بهذه السمات الفنية المذهلة وبترتيبات فنية تتماشى مع نبضات الكاتب فيخلق توازن وكمال في السرد الحاكي والمتنقل الذي ارتبط مابين الخيال للكاتب والواقع.. ولا ننسى الوطن وحبه لدى الكاتب.. والأحداث التاريخية بحيث كل من يقرأ نصوص الكاتب.. يحس أنها مسرحية تاريخية لكنها بالحقيقة تصحيح لواقع مرير.. حيث تطرقت الناقدة والكاتبة (عواطف الزين) كحرب السراويل ما بين القوي والضعيف وخسارة وانكسار الجيوش أمام هتلر.. وأمريكا.. وإسرائيل والنكسات والحروب وتضليل الحقائق التاريخية فهل تهزمني الدموع.

قراءة في رواية "قهوة سادة" للسيد حافظ

بقلم: د. عواطف الزين

مشاهد

مسرحية يمتزج فيها التاريخ ، بالواقع، بسير العشاق..

رواية " قهوة سادة للسيد حافظ هي نمط مستحدث لفن الرواية العربية " الذي بدأ يخلق انماطه المختلفة البعيدة عن التقليد للغرب وعن "التقليدية" السائدة لهذا الفن السردي في عالمنا العربي منذ حوالي نصف قرن من الزمن.. في قهوة سادة نقرأ حكاية سهر والعشق والقمر "عنوان رومانسي لمشاهد واقعية مكتوبة بعناية ودقة يمتزج فيها النضوج الانثوي لسهر بوقائع مؤلمة "مثل تنحي الزعيم الخالد عبد الناصر حيث نتعرف على واقع سمر واسرتها ومن ثم على كاظم معلم اللغة العربية في مدرستها " لنكتشف انه يعشقها بصمت..كما كثير من الأحداث التي تتداعى بصورة فيها من التلقائية والصدق تشعرك بأن الراوي هنا هو "حكواتي زمانه " ينتقل بك كقارىء من مشهد إلى آخر بيسر وسهولة.. لكنها ليست السهولة المقدور عليها بقدر ما هي تطويع للغة وللمضمون وللمشهد بكل تفاصيله..

الانطباع الاول الذي كونته من خلال قراءاتي لهذه الرواية هو انها عبارة عن مشاهد مسرحية تاريخية ملحمية ممزوجة بسير عشاق ليسوا من الخيال وانما من الواقع..وتلك الواقعية اكسبت الرواية مسؤولية تقديم العرض الروائي "اذا صح التعبير "على شكل مشاهد مغرقة في الشفافية والصدق.. ليس بالضرورة ان تبنى الأحداث على خيال الكاتب وإنما ان يوظف الخيال لخدمة الواقع من دون ان يؤثر ذلك في بنية الرواية..ينتقل بك الكاتب من حالة عشق وحبيبة إلى حالة عشق وطن رغما عن مآسيه و"كراكيب " وحرتقات

خياله..هناك قدرة فائقة على التأثير والغوص في غمار ذلك الواقع التاريخي لسيرة الأوطان والاشخاص..وهما الركيزتان الاساسيتان للرواية من الفها إلى يائها..لست هنا في صدد عرض تفاصيل الرواية كمضمون وكبنية فنية وكلغة آسرة حتى في ادق تعابيرها ودلالاتها ومفرداتها..فالمشهد الروائي يحيط بكل ما تقع عليه الأحداث على خشبة الزمان والمكان..ومن خلال عناوين تلك المشاهد يمكننا تلمس جو الرواية العام "البداية مع "حكاية سهر والعشق والقمر.. شعب كالعبيد " العروبة وهم ام حقيقة ؟ هل يعود بك الفجر؟ الوطن ليس وردة " انت رعشة في الدم "حكاية اخناتون لمن اكتب "المساء والقمر في طيبة "وتحكي شهرزاد " الشام " "اخجل ان أقول أنا مصري " اخناتون "قبل الضربة القاضية.. وعناوين اخرى كثيرة موزعة على ٣٩٣ صفحة "من المتعة الروائية "يجسدها السيد حافظ عبر قهوته السادة " أي المرة التي تشبه الزمن المر.. أي زمن الرواية وزمن الواقع.. في ص ٤٤ "تقرأ حب الوطن اكبر خطيئة لانه كائن هلامي يسكننا ونسكنه رغما عنا..لو علمنا ان الله يرث الأرض وما عليها لعشقنا الله فقط " في ذات الصفحة "هزمت سوريا معنا واحتل الاسرائيليون الجولان والضفة الغربية من الاردن "قال الأستاذ هيكل ان الملك حسين خان عبد الناصر والاسد وابلغ اسرائيل بوعد الحرب وساعة الصفر.. وكتبت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل في مذكراتها نفس الكلام..الجيش السوري خلع سراويله وترك الجولان.. والجيش المصري خلع سراويله وترك سيناء وغزة والعريش والجيش الاردني خلع سراويله وترك الضفة..هل؟

والجيش الاسرائيلي السري خلع سراويله أمام هتلر وحرق هتلر اليهود في المحرقة.. والجيش الالماني خلع سراويله أمام الجيش الامريكي والانجليزي في الحرب العالمية الثانية والجيش الاميركي خلع سراويله أمام الجيش الفيتنامي تحت قيادة هوشي منه في حرب فيتنام.

والجيش الفيتنامي خلع سراويله بعد الحرب وقرر التمتع بالقمار والملابس والاستيراد والتصدير وممارسة البغاء.. يا صديقي انها حرب السراويل.. العالم والبشر حقراء يشربون دم بعضهم صبحا ومساء..

إسرائيل حقيقة وليست كما قالوا هزمت ثلاثة جيوش عربية في ٦ ساعات مصر وسوريا والاردن " وفي مكان آخر من الصفحة او المشهد نقرأ "منذ نشأة القاهرة في العهد الفاطمي وهي متسخة كما قال الجبرتي وحتى الآن..احنا شعب غلبان "كيف نحارب ونحن لا نستطيع تنظيف شوارعنا من الزبالة ولا حتى صناعة كبريت صالح للتصدير؟

هذا جزء من مشهد عربي واقعي يتسم بالسخرية والتهكم وهو يعكس حالة العرب المتردية ويعكس هزائم جيوشها في الحروب ويعري مجتمعاتها..

ويذكر في ص ٤٥ ان المرة الوحيدة التي نجح فيها جيش مصر بكرباج محمد علي الذي دربهم على القتال..وضعوا في اذن الفلاح المصري اليمنى بصلة واليسرى قطعة قطن حتى يعرف اليمين من اليسار.

ولشهرزاد أيضا حكاياها في هذا الرواية التي تشربنا القهوة السادة بينما تمتعنا بكل تفاصيلها العميقة والشفافة في آن واحد .من وجهة نظر الكاتب السيد حافظ .الذي يقدم تصورا لروايته من خلال رده على بعض ما تجمع لدي من اسئلة حول الرواية وجول عنوانها الملفت.. ماذا يقد الراوي هنا هل

للاسم من دلالة معينة تخدم الهدف الرئيسي منها؟ وكيف يترجم هذا الاسم ترجمة واقعية من خلال رسم ملامح عامة لزمان الرواية وامكنتها المختلفة أو لنقل عصورها المختلفة.. إذ ليس بالضرورة أن تكون حاضرا يستشف المستقبل أو محملا بذكريات الامس البعيد وعبق زهوره الوارفة حبا وعشقا ودفئا فقط هي مزيج من هذا وذاك..

يقول السيد حافظ: شهرزاد إحدى بطلات الرواية هي إمراة سورية من الجبل تحب القهوة فأحببناها معها اندماجا وتقديرا وتوحدا..

والقهوة عند الصوفيين هي تنبيه للعقل والروح للذكر فإنك تذكر الله وانت بكامل الوعى والتفكير.. والقهوة والشاى عندى مدد الروح للكتابة وعند الجنس فى العشق القهوة وهكذا.

- ما وظيفة قصص الحب مع ذلك الخيط الشفاف من الجنس في بعض المشاهد؟ والي اي مدى تتأثر رواياتك بالمشهد المسرحي الذي تجيد صياغته ككاتب. مسرحي متميز وله مؤلفات مسرحية عديدة .؟

- أعتقد انى متأثر بالشعر والمسرح والسيناريوهات التي قدمتها للشاشة متأثر أنها تجربة القلم وخبرة العشق فلا مناص أن تجدين العشق والمسرح والسيناريو.. إن أخذ الرواية إلى فضائي الحياتى والكتابي .

رواية قهوة سادة أيضا تعكس مرارات واقعنا المتأزم من خلال اسقاطات الماضي على الحاضر وتدور في فلك الأحدث كأنها تحمل قنديلا للدلالة على مكامن الخلل الإنساني لأي مجتمع من المجتمعات فعلاقات الحب او العشق لا تحمل دائما دلالة سلام للنفس او المشاعر قد تكون نابعة من حالات

هروب من ذلك الواقع..وقد تحمل ايضا الأمل في الخلاص من الظلم او الكراهية او الحقد او التعصب ومعايشة الحقيقة وتقبلها..

يسعى الكاتب من خلال روايته إلى وضع النقاط على الحروف بوضوح حتى لا يختلط الحابل بالنابل ويفسر التاريخ على غير محمله.. من ناحية ثانية ليس بالضرورة أن يكون الكاتب هو الذي يحسب ويقيم ويعيد صياغة الوقائع إذا يكفي أن يدلنا عليها.. والا يفقد الكاتب معنى كتابته وهدفها..في رأيي لا توجد كتابة خارج تأثيرات الواقع سلبا او أيجابا ولا يمكن فصل التاريخ عن الحاضر عن المستقبل..هذا تماماً ما يظهر في هذه الرواية العميقة التأثر بالتاريخ الإنساني أولا قبل تأثرها بواقائعها على الأرض..

قهوة السيد حافظ السادة او المرة هي قهوة ممتعة بعد أن طوع مرارتها بفنية ومهارة.

عواطف عبد اللطيف الزين

0096590935012

الكويت ص.ب ٨٧١ حولي

الرمز البريدي ٣٢٠٠٩

سيرة ذاتية مختصرة

د .عواطف الزين

- صحافية وكاتبة وناقدة وشاعرة
- حاصلة على دكتوراه فخرية من جامعة الحضارة الاسلامية
- حاصلة على ليسانس آداب "قسم لغة عربية "الجامعة اللبنانية
- حاصلة على دراسات عليا حرة في المسرح..المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت
- معدة برامج ثقافية في التليفزيون ومؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج .
- العمل في الصحافة من عام ١٩٧٧ وحتى اليوم بين لبنان والكويت
- تولت مناصب رئاسة الأقسام الثقافية والفنية في كل الصحف والمجلات التالية:

  (القبس.. الوطن " مرآة الامة " اليقظة ")
- مديرة تحرير في مجلة السيدة الاولى.. وجريدة الهدف "و مجلة فنون " ودليل التليفزيون ومجلة ابتسامة .
- تكتب المقالة والقصة القصيرة والنقد السينمائي والمسرحي والشعر الحديث والرواية .

<u>لديها إصدارات عديدة في هذه المجالات من بينها:</u>

- كل الجهات الجنوب
- أوراق ملونة
- زمن الصداقة الآتي
- الثقافة وطن

- وجوه للإبداع
- لو ينطق البحر
- عزيزي النابض حبا
- أوراق إمراة
- أنا وحكايا النجوم
- ورواية تحت الطبع بعنوان مؤقت "فتاة المقهى الوحيدة "
- حاصلة على الكثير من دروع وشهادت تقدير من الجهات التالية: (الفرق المسرحية الاهلية الأربع في الكويت)
- نادي الكويت للسينما
- جامعة الكويت
- جمعية الفنون التشكيلية وغيرها الكثير من الجهات والمؤسسات الثقافية في لبنان .
- وزارة الثقافة
- حلقة الحوار الثقافي
- جامعة الحضارة الاسلامية

وغيرها من الجهات

- عضو في جمعية الصحافيين الكويتية
- رابطة الأدباء
- المجلس الثقافي للبنان الجنوبي
- المجلس العالمي للغة العربية
- منظمة لبنان للامم المتحدة وغيرها من الجهات

- تعمل في مجلة الكويت الثقافية منذ عام ١٩٩٣ حتى الآن
- تكتب في مجلة العربي"أحيانا "
- وصحف اليكترونية عديدة
- اجريت لها عشرات المقابلت الاذاعية والتليفزيونية في كل البلاد العربية التي زارتها ضمن مهرجانات سينمائية وغيرها (مصر تونس سوريا العراق الاردن الكويت بالإضافة إلى لبنان)
- مشاركة في مهرجانات سينمائية دولية من بينها مهرجان القاهرة السينمائي الدولي ومهرجان الاسكندرية لدول البحر المتوسط .
- ومهرجان قرطاج
- ومهرجان دمشق
- بالاضافة إلى مهرجانات المسرح والتليفزيون في الكويت والعديد من الدول العربية
- اعدت لتليفزيون الكويت برنامجين ثقافيين هما:

(الثقافة وطن" والصالون الثقافي من عام ٢٠٠٣ حتى عام ٢٠١٠)

- النشاط الثقافي الحالي " اسست صالونا ثقافيا نصف شهري..يهتم بكل ما له علاقة بالثقافة
- إشراف عام على فيلم ترويقة في بيروت ومشاركة فيه .
- هاتف الكويت ٩٠٩٣٥٠١٢ أو ٢٥٣٤٨٩٢٢

Email: awatifalzein@hotmail.com

كلمة عن الدكتورة / فايزة محمد سعد

لقد تمردت وأعترف حين قررت أن أجمع أبجديات الأقلام الثائرة والناقدة للواقع الفاسد في الوطن العربي.. والنقد الأدبي للنصوص التي برقت امامهن في الظلام حيث أطفأت الجمالية والتقنية النور صور واضحة وأخرى باهتة للأدباء والكتاب العرب سواء كان من نتكلم عنهم احتضوا بالشهرة أو من تملقوا للنظام الفاسد القائم الذي سمح لهم الفساد أن يشتري ضمائرهم الأدبية وأبجدياتهم اللغوية.. تحت ستار النقد الأدبي والتحفظ على بعض سلبيات الأعمال الفنية والأدبية وتنوع أجناسها.. فانطلقت المقالات والنصوص والقصص والمسرحيات والأشعار والكتب الأدبية الآخرى والسير الذاتية للأدباء بمهاجمة البعض ومساندة البعض الآخر.. هنا قررت بعد قراءتي الدراسات للناقدات البارعات وثاقبات البصيرة والمتمكنات بالثقافة اللغوية الخلاقة الجميلة.. فبرزت في رأسي وأنا أتصفح وأقرأ وأتابع بشغف وشبق هذه الكتابات للأديبات اللاهثات لتجديد الإبداع والجمال اللغوي.. فلم أفكر بالشهرة أو التملق وإنما لأستغيث وأطلب منهن التواجد المستمر لإثبات الذات العربية بالإبداع والتجديد للفكر واللغة والأدب الحديث المبني على أسس معرفية وثقافة لغوية تخدم الواقع وتعالج الأحداث والحوادث والمشاكل بكافة الجوانب الحياتية.. فأحسست أني في خطر كبير وتوقعت الأكثر أن يتم اغتيالي في أي لحظة أسهو أو أخطأ أمام هذه الكوكبة من المبدعات والمتألقات ودكاترة الدكاترة صاحبة القلم الشجي الصادق السلس والواضح الذي لا يعرف المجاملة والرياء.. القلم الذي خط وكتب ووضح وتحدث بصدق ووعي وكشف نقاط القوة الجمالية في الإبداع وأشاد بها.. ونقاد الغموض والإخفاق لكن بطريقة بناءة ليست هجومية فسطعت كلماتها برأسي صورة التلميذة

والأستاذة.. فأصبحت في حالة انبهار تام بسبب ما قرأت من خطاباتها هنا في (كل من عليها خان) حيث تطرقت وتفضلت مشكورة الدكتورة (فايزة محمد سعد) بتوضيحها أولاً.. كيفية السرد والحكي عند الكاتب وربط الأحداث ونسج الشخصيات والربط بين الزمان والمكان حيث تتماشى الأحداث وسرد الوقائع للأحداث بنفس الزمان والأماكن.. فمثلا ما يجري في بيت فتحي خليل رضوان.. وبيت سهر.. وشهرزاد.. والصحيفة.. والاستفزاز والإثارة فمن الضروري أن نتراجع وننحني لقلمك يادكاترة الدكاترة (الدكتورة فايزة محمد سعد) لما صال وجال وتألق في النهوض بالنقد الأدبي البناء ورفضه للخضوع الذي طالما طال أغلب الأقلام التي لم يسلم البعض من الأذى واللا مبالاة من النصوص الجميلة الراقية إبداعاً ولغةً وجمالية السرد والربط بين الأجناس الأدبية..

أكدت الدكتورة والناقدة (فايزة محمد سعد).. على الشخصيات عند الكاتب وتشابك الأحداث لكن ذكاءه وحبكته وعمله في الإذاعة والتلفاز وكتابته المسلسلات والمسرحيات والقصص القصيرة أظهرت حلة الإبداع وجلت الجمالية لأعماله فكثيراً ماكان يربط السرد بالقصص التاريخية وما حدث لمصر في عهد المستنصر بالله.. والشدة الفاطمية وما أصاب الناس والعامة من مجاعة واستبداد وعنف وقتل وكبت الحريات.. وتطرقت الدكتورة إلى خطوط الربط والنجاة لدى الكاتب (السيد حافظ) بين شهرزاد شهريار.. وشهرزاد سهر.. كاتمة الأسرار لسهر وتعلق شهريار بشهرزاد بعد أن أخذت تسرد له القصص والحكايات في ألف ليلة وليلة مما كان لها طوق نجاة من

سيف السياف وتعلق بها شهريار الذي لن يسلم الجميع من الأذى واستمرت شهرزاد معه.. ونجت..

هنا رأيت أن أتدخل بدافع الحرص على جمالية وتألق الدراسات فجمعتها في هذا الكتيب البسيط حتى يكون كنز الكنوز النقدية للأدب والنصوص الأدبية العربية المتميزة بلمحات وملامح جمالية عربية وإنسانية المنطق.. لكن لا أخفيكم حرصي مقترن بالخوف محاولة التخفيف من وقع آرائكم لأنني لست من باب التخصص بالنقد لكن حباً وتعلقاً بالأدب والكتابة التي تداعب قلبي ومشاعري فحين أقرأ نصاً جميلاً تتدفق ينابيع دموعي وتختد أخاديد في وجهي دون أن أشعر بحرارتها وملوحتها.. علماً أن اختصاصي بعيد البعد عن الأدب والنقد.. إنني اختصاص تاريخ.. لكن أتذوق الكتابة وأكتب الشعر.. فأرجو أن تخلو أفكارنا من الخلافات الفكرية مثل الصراعات الفكرية والأدبية بل تتسم بالإحساس والجودة والجمال وإخلاء الأرض للافكار الخصبة ومراعاة مصالح الفكر والواقع لتحقيق الحياة والكريمة والتقدم والتطور في تداخل الأجناس الأدبية وربط الماضي بالحاضر ليشع المستقبل الأدبي والنقدي ويكون الهدف تحقيق النجاح واحتواء المتلقي وتشجيع الكاتب الروائي المتميز..

هنا سأتوقف قليلاً لأتابع تأثير كلماتك يا صاحبة القلم المتألق والواعظ والمنفذ لما يمليه ضميرك.. قرأت هنا في ما وثقت الدكتورة والناقدة (فايزة محمد سعد) حول الفواصل التي استخدمها الأستاذ الكاتب حيث كرر فاصل ونواصل.. سنعود للرواية فلا تبتعد.. فمثل هذه الفواصل أضافت روحا وجمالية أخرى حيث رفدنا ببعض المعلومات القيمة قد تكون اجتماعية

وعلاقة جيران.. ربما حالات تسعفنا لإيجاد الحلول وأحياناً أخبار اقتصادية وسياسية ولم يبتعد الكاتب عن النصوص الدينية حيث استشهد ببعضها كالحوت والثعبان والديك والجن والكلاب.. وإلى آخره.

انطلقت الدكتورة والناقدة (فايزة محمد سعد) إلى الكلام والتأكيد على الدروز وكيف تنتقل الروح من الأب للابن واذا كانت الروح شريرة تمثلت بأمره وبقى الرجل هكذا.. استخدم الكاتب بذكاء تناسخ الأرواح في مشروعه السباعي ابتداءً من الروح الأولى لسهر إلى الروح الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة.. سهر الحب والعشق.. والجمال والعطر.. الإثارة والشبق.. الخيانة والسذاجة.. الحلال والحرام.. فتحي خليل وسيل الرجال والعشاق لسهر..

هنا وقفت أصابتني الدهشة على منصة الاعتراف.. نتنابذ ونهدد ونجاهر بالظلم والظن لمن أحلهن الله لنا ونرميهن بالريب والشكوك ونحن نعلم أنهن محصنات لا مسافحات.. هل أواصل الكلام أم أصمت..؟ هل أتخذ مكاني كامرأه وزوجة وأُم وأخت وإنسانة.. أم تطلب مني الإذعان والسكوت لملذات وشهوات الخيال والتقمص وتطلق علي رصاصات الغدر لتصيب قلبي وتهرع لعرين سهر وما أدراك ما سهر وبينما أنا أغيب عن الوعي.. يتراءى لي ذلك المفرش وقد لطخ بدماء الخيانة ويفر فتحي خليل رضوان من أمام أعين القراء والمعجبين إلى حضن الخيانة غير مبال بتهاني وما يحدث لها..

هل الزواج لدى فتحي خليل رضوان مهمة قابلة لتنفيذ الإعدام مع سبق الإصرار؟؟

أم حب سهر مهمة قابلة للتنفيذ بعد إزاحة الأثر؟؟

هل سيحقق مع فتحي خليل رضوان.. بجريمة الفاعل والمدبر للإزاحة..؟؟ الزوجة وإحلال العشيقة العاهرة التي شبقت الرجال بعشقها وخياناتها الكثيرة..

يا ليت يسمع صوت ضمير العتاب بداخله.. علما أنه يساعد بتوزيع مبالغ مالية بسيطة لبعض الأصدقاء إلا أنه لم يسأل الأرواح التي حلت برواياته لزهق من أسالت دماء القلوب.. فكل بطل من أبطالك أصبح مخلصاً وصاحب فكر مدمر.. لكن تذكر نظرات تهاني في دقائق التوديع الأخير لك.. كيف عكست أحاسيس عتاب ولوم وتأنيب..

قد يعود الكاتب كما تعود التنقل ما بين الإسكندرية والقاهرة .. لكن كيف يعود بصورة دون صوت؟

بجهاز تسجيل مخابراتي؟

فسيسافر اليوم أو غداً أو قبل الغد.. إلى مكان ما ربما متفق عليه مسبقاً.. ربما كلف غيره للتنفيذ.. ليعود بالأسره الصغيرة التي تحسسه بالذنب.. ربما يعيد نجاة إلى القاهرة بعد تصفية متوقعة منذ أول اللحظات.. بالمراوغة والدهاء والمناورة..

لكن الكاتب واللبيب أحيانا يخدعه ذكاؤه.. كل ما تكسر وتحطم وغادر.. فالهمس والأعذار لا تشفع ولا تذر.. سنتابع الأحداث من بعد على شواطئ الابتعاد والندم همت بركوب قافلة الرحيل لتأخذها لمطار الوطن وتنهال عليها رصاصات الملثم بالثقافة والسمو والرفعة وصفرة الغدر لغربة امرأه وثقت بطائر الحب وأعطت وعداً ورسمت لوحة جميلة رائعة يسودها الوئام ولم تعرف الخصام..

أرسلت بصري إلى الشاطئ الآخر فشعرت بالأسف لأن بدت الأرض شبه بور خالية من موجات الإنسانية والتسامح المنشود رغم أن الناقدة الدكتورة أظهرت جوانب جمالية ولفتات تسامحية وأحاسيس متناثرة هنا وهناك.. كم أشفق على تلك النساء من الذين يتاجرون بالكلام بدكاكين الحب والغرام.. تتسارع دقات قلبي حين قرأت ما خط ونحت قلمك الشهي الشظي البهي الزهي الخطير أحيانا عندما يخاطب الجد والمجابهة والفصح فيكون منافساً خطيراً لابن رضوان.. فهو هنا يلاحق النساء ويطارد الحب مستهتراً مرة وصاحب صميم ومصمم على قراره يتصرف بما يقتمص من الشخصيات التي تهزه ويتأثر بها فينتحر بقصة حب.. فيتسرع بالقرار وداعاً للتسامح ويتهم بالتخاذل ويفرط بها.. ينفض كل شئ لكن الغضب لن يفارق القلوب..

هل تشعر الحبيبة بالإهانة بفداحة الاتهام المعلن عليها علما أنها بمفردها عزلاء دون أسلحة دفاعية ولا عونية (أي عون لها)

أستاذتي (الدكتورة والناقدة فايزة محمد سعد) سأصوغ كلمات قلمك المشرقة سواراً لمعصمي خشية أن أنسى نفسي عندما أتأملها.. سأصوغها كشذرات عقيق عتيقة وأنا أحتمي من أعين القراء وسؤالهم لي.. أنت الشجرة المورقة لنا باركك الله فيك فاخضري بأوراق الأدب والنقد الأدبي تألقي راسخة في أرض الأدب الخصب.. أأكون قد أحيت حرف قلمك المتألق ونص كاتبنا المبدع (السيد حافظ) في (كل من عليها خان)

فلابد من الإشادة هنا بالعثور على الإبداع المتخفي والتواصل مع التغير والتجانس في فنون الأدب للمسرواية.. نتواصل معا للإبداع جميعاً فحين نبلغ ذلك الجسر للتواصل ما بين ماضٍ مضمحل وحاضر مشرق لمستقبل متألق يتلألأ بالنور الساطع للأبجديات التي أبت التهاوي والسقوط فانطلقت

بنرجسية الإبداع المذهل للمتلقي المتشوق بشغف لقراءة نصوص جميلة وأنيقة محاكة برونق وذكاء خارق يحكي بهمس الروح.. بزرع روعة المشاعر والأحاسيس اللاهثة لمصداقية القلوب الصافية.

ويبقى الأمل يراودنا بالإبداع والتجديد الذي طالما ابتسمنا لعبيره بارتياح واستقرار النبض في فضاء العشق وثمة همس يجري بنا فنغادر السقم بسلام من عمليات الغدر والخيانة للأوطان والأحزان للقلوب الطيبة الصافية بعد اجتياز الرحلات المدمرة للقيم الإنسانية فنجلس بعد فوات الآوان عند سماعنا صفرات الإنذار ونواقيس الحذر دون ربط أحزمة الأمان أو دون استخدام كمامات التنفس والوقاية من الهواء الملوث بالخبث والافتراء والتملق.. الآن أخي القارئ وأختي القارئة هل توافقني الرأي أستاذتي الدكتورة (فايزة محمد سعد) في تحضير مشروب المودة والمحبة للأدباء والنقاد من كلا الجنسين لتألق أقلامهم في سماء الإبداع بالأدب والنقد الأدبي.. فلنحضر الشيكولاتة مع كل نص جميل ونهديه للكاتب والروائي المبدع (السيد حافظ) ومن حذا حذوه.. فأستميحك عذراً إن تجاوزت بالكتابة حد الهلوسة الأدبية.. ليس تجاوزاً نقدياً ولا انتقاداً بل شغفاً بكلمات كتبت فنظرتها بقراءة دقت جدران قلبي بطرقها الإبداعي الجميل ولدورك الكبير في ذلك بأمانة أدبية ونقدية حملتيها على عاتقك فأبصم بصمة إعجاب لك في مجال الإبداع والتفاعل الآني مع الأحداث التي تجري ووصفك الجريء بالتعامل مع النص حسب رأيك الخاص في بعض المجالات التي تنخر الواقع إلى حد الرداءة مع العلم لا يعرفها إلا من عاشها بواقع مرير فكتبوا وأبدعوا في الفن والأدب.. فانعكست على نصوصهم الصوفية والفكاهة والمسرح والحكايات..

إلى أن نلتقي بنصوص راقية بالإبداع والتألق..

" كل من عليها فان"
البنية والدلالة وجماليات التشكيل
دكتورة: فايزة محمد سعد

" كل من عليها خان " هى أحدث الإبداعات الروائية للسيد حافظ الكاتب الروائي والمسرحي الذي قدم للمكتبة العربية ما يقارب الستين عملا إبداعيا متنوعا بين الرواية والمسرح والكتابة للطفل والمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية.

وتعدّ هذه الرواية منعطفاً مهماً في مسيرة الكاتب الإبداعية فمن خلالها يواصل الكاتب نهجه فى تحديث بنيه السرد فى الرواية العربية موظفاً تراسل الفنون وتقاطعاتها مع الدراسات الإنسانية ليقدم للملتقى رؤية بينية تجمع بين السرد والشعر والدراما والتاريخ وعلم النفس.. فهي تعبير عما يمكن أن نطلق عليه سمة العصر حيث تذوب الحدود الفاصلة بين الفنون بعضها بعضاً، وبين الفنون والعلوم الإنسانية . فإذا كنا نعيش عصر "المعلوماتية" وتبادل الأفكار والتجارب الإنسانية فإن " كل من عليها فان" ترسخ قيمة تفاعل العمل الإبداعي مع معطيات الحياة ، وتعبر عن موقفه منها ؛ وهو ما يعبر عنه الكاتب تصريحاً في تقديمه الرواية إذ يقول:

" الرواية فى رأى العبد الفقير لله السيد حافظ هي سرد والسرد يعنى التاريخ والحكاية والزمن الإنسانى واللغة الحية التي تملك الدهشة الشاعرية وإذا أردت أن تكتب سردا اكتب شعرا . وإذا نقص ضلع من هذه القواعد لن تكون رواية بل حكاية ضعيفة " الرواية ص

يتسق عنوان الرواية سيميائيا مع الدلالة الكلية لبنية النص السردى إذ تتنوع أساليب الخيانة وأشكالها بدءًا من مستوى خيانة الذات الفردية لمبادئها وقيمها ومنطلقاتها الفكرية ، مروراً بخيانة الإنسان للآخر مثلاً في الخيانات الزوجية، والخيانات فى مجال العمل..وصولاً إلى الخيانة المجتمعية حيث تعلو مصلحة الفرد على مصلحة الوطن ، ومن ثم تنمو الديكتاتورية على أنقاض الشعوب المطحونة بالفقر والجهل والمرض، تلك الشعوب التى تمارس الخيانة أيضاً من خلال الصمت والخوف والسلبية.

وإذا كان العنوان " كل من عليها فان" هو العنوان الرسمي أو العنوان الأول المقترح فإن الروائي الذي يأبى إلا أن يكسر النمط ويخرج على المألوف فى محاولة لتجديد الخطاب الروائي يضع أمام المتلقي ستة اختيارات أخرى ويترك له حرية اختيار العنوان المناسب ؛ إذ يجعل المتلقي شريكاً وعنصراً فاعلاً في إبداع الدلالة فى النص السردي من خلال هذه المشاكسة الفنية غير المألوفة فى تاريخ الرواية العربية ؛ إذ يتوجه إلى القارئ متودداً إليه بخطاب مباشر من صديق لصديقه حيث يسر كل منهما للآخر ويبوح له بما فى نفسه: " صديقي القارئ يمكنك أن تختار عنواناً من السبعة وتبدأ في قراءة الرواية بالعنوان الذي اخترته أنت..دعك من اختيارى فأنت الآن شريكى."

ومن ثم فهي دعوة محفزة للقراءة ؛ إذ إن القارئ لن يستطيع اختيار العنوان إلا بعد الانتهاء من القراءة ليختار العنوان المناسب للنص الروائي.

أما العناوين المقترحة فهي على الترتيب: فنجان شاى العصر/ الراثى والبنفسج/ العصفور والبنفسج/ كل من عليها جبان/ كل من عليها هان/ كل من عليها بان

وتتسق العناوين الثلاثة الأخيرة دلالياً مع العنوان الأول " كل من عليها خان" فى نقد لاذع لموقف الفرد والمجتمع إزاء اللحظة التاريخية وتفاعله السلبي معها.

أما " فنجان شاى العصر" فهو يميل دلالياً إلى بداية الزمن السردى فى الحكاية المركزية فى الرواية التى تتشعب فيها الحكايات وتتقاطع زمانياً ومكانياً ؛ إذ تبدأ شهرزاد حكاية "وجد وفجرو ثورة النساء" ، لتقص على سهر الشخصية المحورية الرئيسة فى النص السردى حكاية روحها الرابعة " وجد" وهما تحتسيان الشاى معا فى نادى الجولف بدبى بعد العصر. ومن ثم فإن فنجان شاى العصر يحيل دلالياً إلى بداية زمن القص للقصة المتولدة داخل الحكاية الإطار

" حكاية سهر".

أما العنوان الثاني " الراثى والبنفسج" فإنه يرد فى الرواية عنواناً للفصل الثانى من الرواية – إن جازلنا تقسيمها إلى فصول – وتحت هذا العنوان يستدعى قول الزعيم الراحل جمال عبد الناصر أنه سيحارب إسرائيل ومن وراء إسرائيل و يعلق الكاتب بأنه فشل فى أن يحارب الفقر وإسرائيل. وتتبادل فى النص السردى القصة التاريخية لبناء مدينة الإسكندرية من خلال فتحي رضوان خليل – ابن الإسكندرية ومنها ينطلق إلى رسم بدايات العلاقة بين فتحي وسهر التي يكنى عنها بالبنفسج . فالرائى هو فتحى رضوان الذي يقدم الكاتب من منظوره السردي تاريخ المدينة وما يموج به المجتمع الثقافي صراعات .

وأما " العصفور والبنفسج" فإنه يحيل دلالياً إلى تلك الأسطورة التى تحكى أن سهر أنثى أسطورية تفصد مسامها عطراً بدلاً من العرق ،فتجذب روح كل من يقترب منها ،وقد عشقها القمر منذ بداية الحكاية فى " قهوة سادة" وعشقها العصفور المسحور بعطرها وأنوثتها ، " وهذا ليس عصفورا بل قلب عاشق هائم بعشقك ياسهر ، المريد يسير والمراد يطير " قهوة سادة ص ٢٣٩ وقد اعتادت سهر أن تحتضنه عند نومها.. وكانت هذه الرائحة مصدر جذب للطيور لتبنى أعشاشها فوق سطح الدار حيث كانت تختبئ وجد الروح الرابعة لسهر.. ومن ثم فإن العنوان على هذا النحو " العصفور والبنفسج" يحيل دلالياً إلى هذه الأسطورة التي تشكل محوراً مهماً وركيزة رئيسة بين ركائز الحكاية السردية

تتكون الرواية بنائياً من اثنى عشر فصلاً لا تحمل عناوين ولا أرقام ولكن يفصل الكاتب بينهما بصفحة بيضاء تحمل جملة واحدة: " فاصل ثم نواصل الرواية" ثم يشير للمتلقي إلى انتهاء الفاصل بصفحة بيضاء تتوسطها عبارة " عدنا للرواية ،اقرأ " ويشكل هذا التقسيم بنية منهجية يلزمها الروائي فى معمار النص السردي ولا يخرج عنها إلا فى مواضع محدودة؛ إذ يستأنف النص السردي بعد الفاصل الثاني والفاصل الرابع، والفاصل السادس، دون أية إشارة نصية إلى انتهاء الفاصل هذا من الناحية التقنية فى هيكلة الفواصل بين المشاهد الحكائية فى النص السردى، أما على مستوى البينة اللغوية فقد التزم الروائى عبارة " فاصل ونواصل مع الرواية لا تذهب بعيداً " فى صياغة الإشارة اللغوية لبداية الفاصل فى الفواصل جميعاً ماعدا الفاصل قبل الأخير، إذ استبدل بها عبارة " فاصل ونواصل لا تذهبوا بعيداً " وفى

الفاصل الأخير إذ استبدل بها عبارة " فاصل ونواصل مع الرواية لا تذهب بعيداً " وهى جميعاً تؤدى الوظيفة اللغوية والسياقية نفسها ؛ فهى تنبه المتلقى إلى نهاية جزء من بنية السرد.

أما تقنيات الإشارة النصية للعودة متن السرد بعد الفاصل فقد تنوعت بين " عدنا للرواية، أقرأ " فى نهاية الفواصل الثمانية الأولى من النص السردي، و" عدنا من الفاصل أقرأ الرواية " بعد الفاصل التاسع و "عودة من الفاصل، تتابع الرواية " بعد الفاصل العاشر، و" عدنا إلى الرواية " بعد الفاصل الحادي عشر. وهى جميعاً على ما بينها من اختلافات طفيفة على مستوى البنية اللغوية تؤدى الوظيفة اللغوية والسياقية نفسها في الإشارة إلى انتهاء الفاصل واستئناف النص السردي.

وغير خفى تأثر الكاتب بتقنيات الكتابة " التليفزيونية أو الإذاعية " إذ قام بكتابة ستة مسلسلات تليفزيونية ، وستة مسلسلات إذاعية، وإذا كان المسلسل التلفزيوني أو الإذاعي يستغل هذه الفواصل في فقرات دعائية فإن الكاتب يقدم للمتلقي من خلال هذه الفواصل جرعات مكثفة من الإبداعات الفنية والقراءات الثقافية مما يجعلنا أمام عمل إبداعي يمثل نسيجاً منفرداً في الإبحار بالمتلقي عبر مسارات مختلفة متباينة سواء فى متن النص السردى أو فيما يقدمه من خلال هذه الفواصل.

يقدم الكاتب سبع مسرحيات تنتمي جميعاً إلى المسرح التجريبي الذى يجمع بين المونودراما ومسرح العبث يطلق عليها " مسرحية قصيرة جداً " وهى جميعاً دون عنوان وتستحق التوقف عندها طويلاً للدراسة والتحليل على

مستوى الرسالة والتشكيل الفني إذ تشكل مثيرا لذائقة المتلقى أو الناقد المهتم بالنص المسرحي وتطوره.

ولا يفوت الكاتب أن يقدم من خلال هذه الفواصل قصة قصيرة جداً ، ليشبع ذائقة المتلقي الذي يتابع ما يمكن أن يطلق عليه " صيحات الكتابة القصصية " ، وما تموج به الساحة الأدبية من نماذج واتجاهات أدبية. هذا إلى جانب مقاطع من أغنيات زمن الفن الجميل لأم كلثوم وعبد الوهاب وكاظم الساهر، ولا يعدم المتلقي فى هذه الفواصل طوافاً فى الصحف المصرية وبعض أخبارها المتعلقة بالشأن الاجتماعي أو الشأن الثقافي أو الشأن الديني..

فهذه الفواصل تمثل نصوصا موازية ، و سباحة عقلية، ومتعة جمالية متعددة المشارب والاتجاهات يخاطب الكاتب من خلالها ذائقة المتلقي ، وينعش وعيه الثقافي ، ليضعه دائماً فى حالة جدلية بين الواقع والخيال أو بين ما هو عقلي وما هو جمالي.

وبينما يمثل محتوى الفواصل قطوفاً متناثرة على هذا النحو فإن الكاتب الحكاء المولع بلعبة السرد يضمن الفاصل حكاية جانبية من مذكرات فتحى رضوان عن جيرانه.وهى مجموعة من الحكايات لا يجمع بينها سوى المكان – بيت الحاج رضوان – وقد اختار الكاتب لها أغنية فيروز "نحن والقمر جيران" مضيفا إليها العنوان الشارح(جيران فتحى رضوان) وهى عبارة عن ثمانى حكايات تمثل كل منها حكاية أسرة من سكان بيت الحاج رضوان فى محرم بك بالإسكندرية ، وقد رتبها الكاتب بدءًا من الدور الأول – الحكاية الأولى – وصولاً إلى الحكاية الثامنة. وهى حكايات تتسم بالاستقصاء بالغ

الدقة لشخصياتها وأبنائهم وأزواجهم.. لتشكل فى نهايتها قصة حي محرم بك وسكانه الذين يمثلون الطبقة الدنيا من المجتمع بمشكلاتهم التى يمكن تلخيصها جميعاً فى الفقر والجهل.

فإذا كان المتن الحكانى يقدم الإسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط بجمالها وروعتها وسحرها من خلال الرؤية السردية لشخصية فتحى رضوان خليل ، فإن مذكرات فتحى عن حى محرم بك تقدم الوجه الآخر لهذه الساحرة.

المتن الحكائى:

تشكل حكاية سهر وشهرزاد الحكاية الإطار التى تتولد عنها سائر الحكايات فى النص السردى.. وهى استمرار لحكاية سهر وشهرزاد التى بدأها الكاتب منذ رواية " قهوة سادة " والتى ينهض المتن الحكانى فيها على فكرة انتقال الروح الطيبة عبر سبعة أرواح تتبعها الكاتب فى رواياته السابقة ، حيث أخبرت شهرزاد سهر بأنها الروح السابعة ومن ثم بدأت منذ الرواية الأولى فى حكاية الأرواح الستة سابقة الوجود على روح سهر ، فأخذتنا معها إلى الروح الأولى " نفر" وحكايتها مع إخناتون ، والروح الثانية " نور" وحكايتها مع محب فى عصر نبى الله موسى ، والروح الثالثة "شمس " وحكايتها فى عصر الحاكم بأمر الله .وفى " كل من عليها خان " ينهض المتن الحكانى على حكاية " وجد " الروح الرابعة لسهروقصتها مع النيروزى فى زمن المستنصر بالله.

ينهض السرد على خطين حكائيين متوازين: حكاية سهر الشخصية الرئيسة وعلاقتها بزوجها من ناحية ، وعلاقتها بالصحفي فتحى رضوان من ناحية

أخرى ، وحكاية وجد والنيروزى الفارسى الذى أحبته وجد وتزوجته فى عصر المستنصر بالله.

ومن خلال هذين الخطين الرئيسيين تتشعب الحكايات وتتوالد عن خط الحكى الرئيس وتتعدد الخطوط الدرامية من العلاقات المتشابكة فى اللحظة الراهنة أو الزمن الحال (سهر/ فتحى) أو فى الزمن الماضى (وجد/ البيروزى).

فمن خلال الحكاية الأم ينبثق عن المتن الحكائى علاقات إنسانية متشابكة (سهر/ زوجها) (سهر/ فتحى) (فتحى/ زوجته) (شهرزاد/ زوجها) (علاقات العمل بالصحيفة))..

ومن خلال هذا المتن الحكائى ينتقل الكاتب بين مدينتى الإسكندرية ودبى ، ولكل منهما عالم خاص له تاريخه وإبهاره ومكانته فى نفوس الشخصيات ؛ فالإسكندرية المدينة العريقة الساحرة الباهرة، بوتقة الحضارات والثقافات الإنسانية ، ودبى مدينة السحر والجمال، مدينة رأس المال، وكعبة المستثمرين من كل مكان..

ومن خلال الخط الموازى فى المتن الحكائى يعرض الكاتب الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمصر فى عهد المستنصر بالله فيما أطلق عليه سنوات الشدة المستنصرية حيث جف النيل وعمت المجاعة ربوع مصر إلى الحد الذي أقدم فيه الأب على بيع ابنه ولجأ الناس العامة منهم والساسة إلى أكل الحيوانات الضالة من قطط وكلاب وفئران بل..

ومن ثنايا هذا المتن الحكائى تنبثق حكايات متعددة يدور بعضها داخل قصر الحكم حيث الصراع بين أم المستنصر وعمته، ودهاء بدر الجمإلى

ومحاولاته الحثيثة للإمساك بزمام الحكم، ويدور بعضها بين العامة فى الحانات والأسواق والمخابز حيث تتجلى الأزمة فى أبشع صورها. هذا إلى جانب الخيط الدرامى المتمثل فى علاقة شهبندر التجار بزوجه " فجر" وعلاقة كل منها بوجد وأسرتها .

ومن خلال هذين الخطين المتوازيين يقيم الكاتب جدلاً بين الواقع والتاريخ حيث تتكرر جملة " لا أحد يحاسب أحداً فى مصر الآن" فيتشكل المتن الحكانى." كل من عليها خان" من خلال هذا الجدل الذى يقيم عليه الحجج والأدلة والبراهين على تشابه المواقف وردود الأفعال مما يدعو القارىء إلى الاستنتاج ما أشبه الليلة بالبارحة.

المبنى الحكانى

يقدم الكاتب المبنى الحكانى من خلال مستويات متعددة من السرد، تتعلق بالمنظور السردى الذى يتسم بالتركيب والتعقيد. إذ تتعدد الرؤى والمنظورات السردية من مقطع سردى لآخر.

فعلى مستوى الحكاية الإطار أو الحكاية الأم يحاول الكاتب الإيهام بواقعية الأحداث فيدع الشخصيات المشاركة فى صنع الحدث تقدمه من خلال منظورها الخاص ؛ فتقوم سهر بحكاية بعض أطراف الحكاية، وتقوم شهرزاد بالتعليق عليها ، بينما يقوم فتحى رضوان بدور مزدوج باعتباره سارداً أو راوياً إذ يقدم أيضاً بعض أطراف الحكاية مع سهر، ومن خلال رؤية كل منهم يجمع المتلقى شذرات القصص إلى جوار بعضها ليكون صورة ذهنية واضحة عن هذه العلاقة وأبعادها وتفاصيلها. ومن ناحية أخرى يرتدى الكاتب قناع شخصية فتحى وهو يقدم مقاطع سردية تحمل وجهة نظره الخاصة، وتحليله

للأحداث وتعليقه عليها ، فثمة مقاربة بين فتحى الصحفى والكاتب المبدع تتمثل فى وجهة النظر السياسة ، والعشق الذى يصل حد الوله بمدينة الإسكندرية، ومن خلال شخصية فتحى يجد الكاتب متنفسا للوفاء بعشقه للمسرح والكتابة الدرامية ÷ فيقدم من خلاله رواية " مذكرات مواطن يضاجع الوطن والتاريخ " بأسلوب درامى يعتمد على تقنيات الكتابة المسرحية .

أما الحكاية الموازية التى تقدمها شهرزاد، فإن رؤية شهرزاد السردية تتوارى لتتيح للشخصيات التاريخية تقديم الأحداث من منظورها الخاص سواء بالسرد أو الحوار، فما أن تبدأ شهرزاد الحكاية انتقالاً من اللحظة الراهنة حيث تجلس مع سهر تتبادلان الحديث ، ينتقل المنظور السردى إلى شخصيات عهد المستنصر بالله ليجد المتلقى نفسه أمام بنية سردة ودرامية يتناوب السرد فيها مع الحوار لتقديم الأحداث والتعليق عليها من خلال شخصياتها التى استدعاها الكاتب من أعماق التاريخ.

فتبدأ شهرزاد بتحديد زمن الحكاية " العام الأول، العام الثانى.. " وتقص ما دار فى اجتماع التجار متبوعا ببردية ة تنتمي إلى يوسف القائم على خزائن مصر حيث يقدم النص السردى جديلة من الشدة المستنصرية فى عهد المستنصر بالله والسنين السبع العجاف زمن سيدنا يوسف فى مصر، وشئنان بين التعامل مع الأزمة فى العصرين.

<u>المونتاج</u>

يوظف الكاتب المونتاج المكانى لتقديم الأحداث المتوازية فيقدم مقطعًا من المتن الحكائى فى منزل شهرزاد، ثم ينتقل منه إلى حدث آخر متزامن معه فى منزل فتحى الصحفى وهكذا ينتقل الكاتب مع قارئه عبر أماكن مختلفة

تتزامن فيها الأحداث وهو نهج تقنى يسيرعليه الكاتب فى تقديم المتن الحكائى المتشعب القصص والحكايات.

وكما يوظف المونتاج المكانى للتعبيرعن تزامن الأحداث، يوظف أيضا المونتاج الزمانى فى الانتقال من عصر إلى عصر عبر انتقال الرؤية السردية من اللحظة الراهنة إلى الزمن الماضى سواء أكان هذ الانتقال فى الماضى البعيد حيث حكاية قابيل وهابيل، وحكاية وجد والنيروزى/ أو فى الماضى البعيد حيث يغوص فى ذاكرة الشخصيات من خلال الاسترجاع الزمنى لتسرد بعضًا من ذكرياتها . فيعرض ذكريات فتحى ومدينة الإسكندرية ، وذكريات سهر وعشاقها فى الشام وذكريات شهرزاد فى الشام..

وفى هذه الانتقالات جميعاً يلزم الكاتب أسلوب كتابة " السيناريو" أو " اسكريبت" العمل الذي يقدم للمخرج تصورا عن حركة الشخصيات وزمان ومكان نوع الحدث ؛ فينص قبل بداية الحكاية على زمان الحدث ومكان وقوعه مستخدماً تقنيات كتابة السيناريونحو:

الزمان/ ليلاً

المكان/ بيت شهرزاد فى دبى ـــ الرواية ص

أو يبدأ بالمكان ويثنى بالزمان

المكان/ منزل فتحى

الزمان/ ليلاً ـــ الرواية ص

السرد والحوار

يتناوب السرد والحوار فى تقديم المن الحقانى فى " كل من عليها خان " بشكل لافت يمكننا معه أن نصنفها بأنها عمل سردى درامى.

فالكاتب يميل بالمقاطع الحوارية مقدماً المتن الحكانى من خلال الأسلوب المسرحى فى الخطابات المتوازية مع النص الإطار، أو المنبثقة عنه، فالحوار يمثل البنية الرئيسة فى حكاية وجد والنيروزى والشدة المستنصرية ؛ إذ يقدم الكاتب ملامح الأزمة وتداعياتها من خلال الحوار بين الشخصيات ، بينما بعد إلى أسلوب السرد حين يكون بصدد تقديم شخصية من الشخصيات الفاعلة فى صنع الحدث، فيقدم الشخصية وتاريخها من منظور شهرزاد – الحكاية الافتراضية فى النص السردى – مثل تقديمها شخصية الشيخ حسن الصباح والتعريف به وتاريخه على سبيل المثال. فما أن يقدم الكاتب الأرضية التاريخية للشخصيات الفاعلة فى الحدث حتى ينتقل المتطور السردى لهم ليصبح منظور السارد المشارك.

وتتميز لغة السرد فى " كل من عليها خان " بشاعرية فائقة تصل فى بعض المواضيع السردية إلى مستوى الشعر المنثور فى إيقاع الألفاظ وتتابعها من خلال معجم لغوى باذخ الثراء ، يضع الناقد فى حيرة حين يختار أحدها للتعليق عليه وهى جميعاً مقطوعات لغوية تشكل لوحة جمالية مدهشة: "وأعرف أن الحب بنى، وصبى، وبهى، وغبى، ودنى، وعتى، وشقى، وصوفى وفجائى، وصدفاوى، وقدرى، وجنونى ، ومزاجى ، ونزوى ،وليس فى كل الأوقات نبقى وليس دائماً بمثإلى.. " ص الرواية

هذا الاسترسال اللغوى والتتابع فى الوصف مع مراعاة الجناس من خلال ياء النسب يشكل إيقاعا موسيقيا متوازنا غير مختل ويحمل نفسا شعريا متصلا غير منقطع يحيل دلاليا إلى ثقافة المبدع وثراء معجمه اللغوى .

ويقول فى موضع آخر بلسان العاشق: "أنا ضوء القمر يسود الفراغ المظلم فى حضارة تموت.. وتحاصرنى مدن نساء متآكلة الأحلام والرغبة والجنون.. أنهض من نومى كل صباح مع قهوتى..أكتشف إنى لم المس جسد نساء عبقريات منذ وقت ليس ببعيد.. الحب يسكن فى دير قلبى وحيدا..وأننى جزء من نور الحب المقدس.. والحب ليس بدعة ولا اختراع..الحب سنة الأنبياء . وإننى عنيد وأعشق حتى الفناء ، وإذا ما حدثتك عنى فأقول إنى نمت سنين عددا ، فغاب الحب عنك وعنى وعن الوطن " الرواية ص

وعن وصف الليل يقول: " الليل يحتضن القرية.. الليل أب قاس وشاعر وفاجر وماجن وحنون ومزاجى وصاحب هوى.. الليل ستار ويغمض عينيه بدهء وشموخ.. ولليل بهاء..أحيانا سكران وأحيانا تعبان . الليل صديق الإنسان والأحلام.. " الرواية ص

فجماليات اللغة السردية تصل أعلى مستوياتها من خلال شخصية فتحى التى تمثل المعادل الموضوعى لشخصية الكاتب ؛ فمن خلالها يتجلى المعجم الشعري فى لغة السرد ، ومن خلالها تبرز ثقافة الكاتب الموسوعية ؛ إذ لا يكتفى الكاتب بهذه التشكيلات الجمالية فى ثنايا السرد ولكنه بمنطق المشاكس لقارئه يضمن العمل الأدبى كثيراً من المقاطع الشعرية المتنوعة ؛ فيقدم من خلال التضمين مقاطع شعرية لشعراء من مصر والشام سواء فى الفواصل أو من خلال المتن الحكائى ، وهى جميعا تتنوع تنوعا يلبى ذائقة المتلقى وثقافته ؛وبصدد تحفيز ذهن المتلقي وتفجير طاقاته الانفعالية بحثاً عن التكامل بين المعرفى والجمإلى فى العمل الإبداعي يوظف الكاتب ثقافته الموسوعية فى خطابه السردى مما يجعل القراءة إبحاراً حقيقياً فى التجربة

الإنسانية. فمن خلال التناص المتعدد المستويات بين التصريح من خلال التضمين أو التلميح ، بأخذ الكاتب قارئه فى هذه المتعة العقلية الوجدانية مبحراً فى الذاكرة الإنسانية . فنجد التناص الشعرى صريحا من خلال تضمين مقطع من القصيدة الشعرية منسوبا لقائله مثل استدعائه جزءا من قصيدة لعمر الخيام أو مقطعا من قصيدة لإلينا مدن أو ريتا عودة.. هذا إلى جانب التناص الخفى أو التناص غير الصريح حيث يصف مدينة دبى مثل القاهرة بالكافرة استدعاء وصف أحمد عبد المعطى حجازى مدينة القاهرة فى قصيدته الطريق إلى السيدة فى ديوانه مدينة بلا قلب حيث يقول:

ياقاهرة

أيا قبابا متخمات قاعدة

يامئذنات خاوية

ياكافرة

وكما يعنى الكاتب بالنص الشعرى تصريحا او تلميحا يعنى أيضا بالقصيدة المغناة سواء أكانت من الفصحى مثل قصيدة إبراهيم ناجى الأطلال التى غنتها أم كلثوم ليشبع ، أو من شعر العامية مثل " قل لى عنل لك إيه قلبى " التى غناها عبد الوهاب .. وهى جميعا تسعى لأن تشبع حاجة المتلقى الجمالية التى تبحث فى العمل الإبداعي عما هو جمإلى ربما قبل البحث عما هو أيديولوجى أو ثقافى.

كما يحفل النص السردى بمواضع التناص مع النص القرآنى وذلك بدءاً من العنوان " كل من عليها خان" الذى يتناص مع الآية القرآنية " كل من عليها فان " فيجعل الخيانة مرادفاً للفناء؛ فالخائن كائن ميت لا روح له ولا وجود ،

وإن الوجود الحقيقى هو للقيمة السلبية للخيانة، فالوجود للوطنية والوفاء وإخلاص العمل.

ويأتى التناص مع النص القرآنى تلميحاً وتصريحاً وسيلة حجاجية تدعم وجهة نظر الكاتب وشخصياته فى مواقف السرد المختلفة . ويشف النص السردى عن عمق ثقافة مبدعه وتنوعها فى مواضع كثيرة يحفل بها النص السردى الذى يعرج على التاريخ الإنسانى فى ملامحه المتشابهة يستخرج منه العبر والعظات ليتسطيع رسم ملامح طريق تتجنب عثرات الماضى وهى تسير فى طريق المستقبل: " أريدك ان تحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام ، وثعبان موسى فى سرعة الالتهام ، ولا تكن ديك الجن ، ولا من كلاب الجن ، ولا ذبائح الجن ، ولا جند الجن ، ولا إبليس الأبالسة.. الدنيا خمر الشيطان ،فمن شرب منها ولم يفق من سكرتها إلا وهو فى معسكر الموتى خاسراً نادماً. قد يكون الرجل عالما وليس بعابد.. وعابدا وليس بعالم.. وعالما عابدا وليس بعاقل.."

الشخصيات:

تحفل رواية كل من عليها خان بعالم من الشخصيات المتفاوتة فى مستواها الاجتماعى والثقافى فى العصور الزمنية المختلفة التى يعرضها الكاتب من خلال خيوط السرد المتشابكة . ويمكن أن توصف معظم الشخصيات الرئيسة بأنها الشخصية النمطية او الشخصية الأنموذج التى تمثل قطاعا كبيرا من الناس فى المجتمع . وكما تتعدد أنماط الشخصيات السردية فى الرواية من حيث دلالتها على المستويات الاجتماعية والثقافية فى المجتمع ، فإنها تتقاوت أيضا فى نسبية اقترابها من عالم الواقع أو عالم الخيال .

تعد شخصية شهرزاد إحدى الشخصيات الرئيسة التى تمتلك مفاتيح السرد فهى القناع الرئيس الذى يرتديه الكاتب ليقدم عالمه السردى، الواقعى منه والتخييلى. وثمة مقاربة ممكنة بين شخصية شهرزاد فى " كل من عليها خان" والروايات السابقة عليها ، وشخصية شهرزاد فى ألف ليلة وليلة ؛ فكلتاهما تتمتعان بقدرة فائقة على الحكى والسرد لتقديم عوالم من حكايات من عصور وأزمنة مختلفة لا يربطها جميعا غير أنها تعبر عن تجربة إنسانية يتصارع فيها الخير والشر . فقد استطاعت شهرزاد أن تلهب خيال " شهريار" وتستأثر باهتمامه ومتابعته لها وهى تنقله من حكاية غلى حكاية ، ومن عصر غلى عصر لتستثمر الوقت لصالحها ؛ فمع تتابع الحكايات وتوالى الليالى اعتاد شهريار على وجودها فى حياته ، ونشأت بينهما الألفة التى كانت طوق النجاة لها مسيف مسرور السياف .

أما شهرزاد فى " كل من عليها خان" فإنها تلعب الدور نفسه مع "سهر" مع اختلاف الدوافع والأسباب ؛ فالعلاقة بين سهر وشهرزاد علاقة صداقة تجعل شهرزاد كاتمة أسرار سهر . وشهرزاد " كل من عليها خان " تمتلك قدرات خارقة، فهى ليست مجرد الأنثى الذكية الحصيفة ولكنها تستطيع أن تقرأ الغيب فى خطوط فنجان أو تأويل أحلام ، أو الوقوف على الجوهر المكنون خلف الظاهر .ومن ثم فإنها تلتقى مع شهرزاد الأسطورة التاريخية فيما تتمتع به كل منهما من ذكاء الأنثى وحنكتها ومهارتها فى التأثير على الآخر وكسب ثقته ليسلم مصدقا ما تقصه من حكايات ومغامرات ، ويمكننا أن نعتبر كلا مهما ذاكرة التاريخ أو كاتمة أسراره من وجهة نظر مبدع الشخصية .

وقد جعل الكاتب شهرزاد الحكاءة موسوعة ثقافية تحفظ فى ذاكرتها التجربة الإنسانية فى مناحيها السياسية والاجتماعية منذ بدء الخليقة حتى لحظة إبداع العمل السردى ، وحتى تستطيع هذه الشخصية التجول بالقارئ عبر العصور المختلفة بدءا من العصر الفرعونى وصولا إلى التاريخ المعاصر أسس الكاتب مشروعه السردى على أسطورة فى معتقد طائفة الدروز ببلاد الشام تؤمن بان " الإنسان تنتقل روحه غلى غيره ، وهذا ما يدعى بالتقمص.. هناك شعوب يؤمنون بها بشكل كلى.. ونحن نؤمن بالتقمص فى الحياة السابقة حتى المتقمص.. ليتعرف على أقربائه السابقين . فقد يبكون عمر الطفل ٥ سنوات يتعرف على ابنه الكبير من الحياة.. ويقال إن المتقمص لا يغير جنسه فالرجل يبقى رجلا وكذلك المرأة تبقى امراة ، وإذا كان الرجل سيئا تنتقل روحه إلى امرأة وتظل امراة عقابا له.. " رواية قهوة سادة ص ٢٠٥

ومن خلال هذه الفكرة نسج الكاتب شخصيتى شهرزاد وسهر ؛ فشهرزاد هى من تمتلك أسرار هذه الروح وتاريخها ، وسهر هى الروح السابعة التى تشكل حكايات روحها السابقة المتن السردى الموازى لحكايات سهر وعشاقها . ومن ثم يمكن اعتبار سهر / الحاضر ، و سهر / الماضى هما محورا القص الرئيسان اللذان ترتكز إليهما بنية السرد والتماسك النصى فى روايات السيد حافظ التى تناولت سهر وأرواحها بدءا من قهوة سادة وصولا إلى كل من عليها خان

فمن خلال تتبع سهر / الماضى عرض الكاتب من منظوره الأيديولجى رؤيته للواقع السياسى وأثره على المتغيرات الاجتماعية فى مصر عبر تاريخها

الطويل . فى " كل من عليها خان " يتناول الكاتب مصر الفاطمية فى عصر الخليفة المستنصر على التوازى مع ما تموج به الحياة الثقافية فى العصر الحاصر من خلال سهر / الحاضر ليقول بأن المشكلات واحدة فى العالم العربى كله وعلى مدى التاريخ الطويل ؛ هى مشكلات السلطة والديكتاتورية وسلبية المواطن المطحون من أجل رغيف الخبز ، وعدم قدرته على المواجهة أو حتى الرفض .

د. فايزة سعد

السيرة الذاتية
الدكتورة / فايزة محمد سعد

- أستاذ النقد الأدبى والأدب المقارن المساعد بكلية الألسن جامعة عين شمس.
- تخرجت بقسم اللغة العربية بكلية الألسن عام ١٩٨٢
- حصلت على الماجستير فى النقد الأدبى والأدب المقارن عام ١٩٨٦ بأطروحة عنوانه " رواية الأجيال فى ثلاثية نجيب محفوظ وفورسايت ساجا لجون جولزورذى .
- حصلت على الدكتوراه عام ١٩٩٦ بأطروحة عنوانها " تيار الوعى فى روايات الطيبب صالح ووفرجينيا ووليم فوكنر: دراسة مقارنة".. لها كثير من الدراسات النقدية حول الدب العربى قديمه وحديثه.

كلمة عن الدكتورة / كاميليا عبد الفتاح

الواقع والخيال يدعم بعضهما الآخر رغم اختلاف الأزمان.. شخصية سهر التي خلفت النور بعطرها واندفع الموج في عيني من عشقها سكنت صورتها بدليل من أحبها كأنما يجلس على أريكة الغيم ويغني أنغام الحلم والأماني البسيطة والهواجس تداعب وسادة فتحي الذي لايرى غيرها.. فتحي العاشق والغارق والمتقد والمرهف والمشاكس والطفل المدلل المعاند.. لا يريد سوى سهر..

آه يا سهر..

سألتك هل تحبينني يا نفحة الروح؟.. لم تجيبي..

كل من سيقابلك في هذا الصباح وينظر في عينيك سيسألك مابك؟

أعترف أنك لن تجيبي.. لن تقولي عاشقة، لن تقولي غارقة في نهر الحب.. بل ستتكبري.. وتقولي متعبة قليلاً.. دائماً نخبئ الأشياء الثمينة والحقيقة.. وقمر الحب نواريه وضوؤه في عيوننا وبريقه..

وهل للقلب مأوى غير الحنين للذكريات الجميلة؟؟

هنا الكاتب الملهم والمحب العاشق.. فضل اللعب بذكاء ولباقة مع الشخصيات والقارئ.. بثقافته الفكرية ونسجه للنص الأدبي المتكامل في جميع المحاور وبالوعي المشترك.. للمتلقي والكاتب والنص.. هذا أضاف جمالية معرفية للنص مما كسب أو بالأصح صعد بالنص من الأدبية إلى الثقافية وأيضا ربط (الإشباع المعرفي بالمتعة الجمالية) هذا ما أشار له الأستاذ (محمد عبد المطلب) في القراءة الثقافية/ ٣٠ ط المجلس الاعلى للثقافة

أشارت الدكتورة (كاميليا عبد الفتاح)

بقلمها البارع والساطع الصادق الصدوق والعاشق للحق والحرف.. فقدمت دراسات نقدية بقلمها المتألق للنصوص الأدبية المتميزة..

الدكتورة كاميليا.. أستاذ مساعد في تخصص الأدب الحديث والنقد وقد درست في جامعة الباحة سابقاً.. مع أنها أستاذة بارعة ناضجة الحرف والرؤية عاشقة للأبجدية والغوص فيها متخصصة بالمسك لتجمل النصوص بكلامها الرقيق فتتخذ مدخلاً لتبسط الترابط العميق والوثيق بعنوان دراستها للمسرواية (حتى يطمئن قلبي).

التعالق بين (الوطن، الكتابة، العشق) للكاتب الروائي (السيد حافظ) فتقول: السرد الروائي أنماط.. السرد الذاتي نمط أو مقولات الحكي حسب ما يسميها الناقد الفرنسي (جان بويون) مما دفعها إلى لعبة الخفاء والتجلي.. ومن خلال الكثافة واندفاع الأحداث وتضافرها ساعدت على إبراز الرؤية أو الأيديولوجية التي جسدها الكاتب في السرد الذاتي.. في مشروعه السباعي ومنها هذا الجزء أو النص أو حلقة من حلقات الأحداث..

الدكتورة كاميليا عبد الفتاح.. مضت بتيقن وإبداع وبلاغة معهودة بالثقة لقلمها الناطق الذي أينما حل بمداده أطربنا بفصاحة الحرف كالنسيم العليل فنلتقط الأنفاس بعد سبات وسهر الليالي فتهدينا السبل لنقذف الهموم والأوجاع مما طال الأبجدية العربية من أمراض وإرهاصات نحتت الحروف وأصيبت بالجفاف ولين العظام.. فنفرت الأقلام الصادقة والبارقة والمضيئة بجنون الحب والعشق للوطن والحبيبة.. ومما يضمرون للأبجدية المتألقة والجميلة مشانق الإعدام وعقارب وأفاعي الغدر يكيدون المكايد بجناح المودة

والدواهي.. فيغرسون سمومهم هنا وهناك.. فقط من أجل النيل بالنص أو شخصية الكاتب..

أقول لهولاء الأشباه والأقزام الأدبية.. يوم لكم ويوم عليكم.. كيف يباح لكم من النيل وقتل الهرم.. في زمن أصم وأبكم والفطحل فيه يتهم.. فالوطن والاغتراب.. الوطن مرتكز عاطفي.. والاغتراب له آثار فكرية ونفسية ومكانية عند الكاتب بشخصية (فتحي رضوان خليل) فعشق الوطن فطري وروحي لدينا.. إذا كان هذا الوطن مستلب من مرتزقة وخونة منافقين ولصوص هم الرموز وقادة الوطن وأبناءه العبيد.. فتميز الكاتب وبرزت الصفة الإنسانية للكاتب الروائي العبقري حيث ذكر الوطن في النص وقال:

عندما سأله صديقه (يسري فايد) متى تحب مصر؟ فأجابه الأستاذ السيد حافظ قائلاً:

وتسألني ياصديقي متى تحب مصر؟ سأجيبك في الحال ياصديقي.. حين توفر لي مصر الخبز والدواء ومعاشي الشهري الآن ٥٥٠ جنيهاً لا تكفي للعيش يومين.. وتسألني متى تحب مصر؟ حين توفر لي الكرامة وهي تهينني كل يوم.. وتسألني متى تحب مصر حين يكون لي مسرحية واحدة كل عام وكتاب واحد كل عام وليس كل عشر سنوات.. متى تحب مصر تسألني يايسري.. حين تحبني مصر. الحب من طرف واحد مشروع فاشل.. السؤال.. متى تحبني مصر ياصديقي ؟!!!!!

وأنا في سن السبعين.. أنا لم تتم دعوتي إلى مؤتمر في المجلس الأعلى للثقافة في مصر لمدة ٥٠ سنة.. لم تتم دعوتي إلى (مؤتمر أدباء الأقاليم في الثقافة الجماهيرية) منذ عام ١٩٦٩.. ولم يكرمني المسرح التجريبي

لمدة ٢٤ سنة وأنا أول من كتب للمسرح التجريبي نصاً في عام ١٩٦٨ ويشهد الفنان (فاروق حسني) والشاعر سمير عابدين على ذلك:

قل لي متى تحبني مصر يا يسري فايد؟؟؟؟؟؟

مع كل هذه الكلمات التي نقرأها في الأبجدية الحافظية لكن حب مصر متجذر في روحه وعقله.. فيقول: (أنا غريب في دبي.. وغريب في بلادي.. مثل طير السمان.. أحب مصر والعرب رغم أنهما جثه عفنة لاتقدر على الطيران والحلم.. هذا وطن البهلونات والمرتزقة وقاطعي الطريق والقراصنة.. وطن ملوث بالحرب والسلام يعرف أن الله للقرآن في تسجيل.. وطن بدوي متخلف.. قاطع طريق الحجاج.. ويبقى الوطن سر عشق الحافظ.. ولاتستثني الناقدة الدكتورة كاميليا عبد الفتاح.. الهمسات والرموز التاريخية والشخصيات البارزة للسلام والسكينة والتصوف والسطوة العسكرية والأرواح التي كان الكاتب قد استحضرها حيث اعتبرها الكاتب رموزا للعشق المطلق الذي له تماس روحي لشخصية فتحي رضوان خليل.. من هؤلاء الأرواح.. إخناتون.. أبو ذر الغفاري.. جلال الدين الرومي.. ولا تهمل الناقدة تلك الفواصل والقصص القصيرة والحكايات داخل الحكاية لذلك أكدت الناقدة الدكتورة كاميليا عبد الفتاح) أن الكاتب أسطورة من أساطير هذا العصر حيث وظف ومزج الأجناس ما بين اللغة الفصحى والعامية ولهجات الشخصيات مع احتواء أزمنة التاريخ وسرد الوقائع وربط وجمع ما بين الواقع والرومانسية الحكي بشعرية اللغة في كل صورها مع أنه اجتاز وحطم التقليدية أي السرد باستخدامه الحكي داخل الحكي وإعتماده الصورة التخيلية والإيقاع بحيث نقرأ رواية أو أكثر من رواية داخل الرواية الأصلية هذا هو ما امتاز به الكاتب

(الأستاذ السيد حافظ) بالرؤية الفكرية والثقافة اللغوية والخبرة لمزج الأجناس الأدبية بحلتها الراقية والخبرة الشعورية والفكرية.

لله درك ما وضحت لنا من جماليات وإبداع للحرف العربي المعتل الذي سينهض بأقلامكن وتألقكن أيتها المتألقات بسماء الإبداع النقدي والأدبي الحديث..

يقول الحافظ في أبجديته الحافظية:

من يعطيني تفاؤل سيدنا إبراهيم (عليه السلام).. ولينين وناظم حكمت وجبران خليل جبران وجيفارا.. وينقذني من حيرة المتنبي وسيدنا موسى (عليه السلام) ورامبو وصلاح عبد الصبور.. وحزن السياب وهيرمان هسه وسيدنا محمد (صل الله عليه وسلم) ونجيب سرور وعبد الرزاق عبد الواحد.. من يمنحني صليب سيدنا عيسى (عليه السلام) وسحر بوذا وعصا سليمان أو تشيكوف أهش بها من يأسي.. من يمنحني حكمة طاغور والحلاج وبن عطاء الله السكندري؟؟

من يمنحني قميص (الحسين بن علي) عليه السلام

أتوارى به عن يزيد بن معاوية؟ من.. من ؟

من يمنحك كل هذا؟؟

الظالم..

لا يهدي

لا يمنح

ثوباً زاهياً.. بل

جروحاً وأرواحاً

تغيب
فلا تعبأ كثيراً
رسائلك أضواء
سنابل صفراء
تصافح
توقد
الشموع لتقهر الظمأ
بقطرات الندى
لتتعافى
القلوب الجريحة
وتنتشل الأمل
لتقتطف الأحلام
قبلات طردتها شفاه
العاشقين
ممن سرقوا الوطن..

(نجاة صادق الجشعمي)

التّماهي والاستلاب بين الذات الفردية ، والذّات الجمعية:
مقاربةٌ نقدية حول رواية " كل من عليها خان "
للأديب الروائيّ الكبير السيِّد حافظ

بقلم د. كاميليا عبد الفتاح
الأستاذ المُساعد في جامعة الباحة (سابقًا)

- هذه الروايةُ تاريخُ ذاتٍ جمعيّة – هي مصر – وتاريخُ ذاتٍ فرديةٍ افتقدتْ الثقة بكثيرٍ من المُسلَّمات والثوابت التي تكفلُ لها اليقين والسَّلام؛ حيثُ شهدتْ الانهيارات الكبرى التي مرت بها مصرُ ، والمجتمعُ العربيُّ – على جميع الأصعدة – وتوصَّلت– عبر رؤية استبطانية – إلى أنَّ الخيانة هي العامل الأساسيّ وراء هذه الانهياراتِ . هذه الدلالة تتسيَّدُ الرواية بدءً من عتبة العنوان " كل من عليها خان ، والذي كُتبَ في صورتين – تؤكدُ كل منهما أن هيئةَ الكتابة جزءٌ من الأساليب اللّغوية في تشخيص الدلالة – الهيئةُ الأولى – على الغلاف الخارجي للرواية – كُتبَ فيها الفعل " خان " بخطٍ كبيرٍ وفي مستوىً أعلى بينما كُتبت بقية الجملة أسفل منه – بخطٍ أصغر، هكذا:

كل من عليها **خان**

هذه الهيئةُ تتعمَّد إبراز فعل " الخيانة " منفردًا – في سطر واحدٍ –عملاقًا بارزًا – من خلال كتابته بهذا الحجم الكبير – كما توحي بدلالتين ، الأولى: وجود خائنٌ مجهول قام بخيانة كلّ من عليها ، الثانية: افتراض وجود تقديم وتأخير في الجملة ؛ ومن ثم إسناد الفاعلية إلى " كلّ " . وفي الحالين يبرزُ فعلُ الخيانةِ سيّدَ المشهد ، وبؤرةَ الرؤية .

الصورة الثانية التي كُتب فيها العنوانُ صورة تقليدية بدت فيها أركانُ الجملةِ متساويةً في الوضعية الأفقية ، ومتساوية في حجم الخط: كل من عليها خان .

وقد طرح الروائي " السيد حافظ " ستة عناوين – فضلًا عن هذا العنوان الأساسيّ – منها : كل من عليها جبان ، كل من عليها بان ، كل من عليها هان ،وكلُّ هذه العناوينُ تُمثِّلُ في بنيتها التركيبية تناصًّا مع الآية القرآنية الكريمة " كل من عليها فان " . ورغمَّ أنَّ التناص مع الآية القرآنية اعتمدَ على المخالفة الظاهرية للدلالة الأصلية فيها – وهي الفناء – إلَّا أنَّه يُضمرُ هذه الدلالة ، ويستدعيها إشاريًّا من خلال هذه البدائل التي حلَّت محلَّ الفناء ، وأعني:

الخيانة ، الجبن ، الهوان ، الكشف (أو الافتضاح) ؛ فالخائنُ ، والجبانُ والذليلُ ، والمُفتضحُ كياناتٌ إنسانية فانيةٌ ، على صعيد القيمِ – والقيمة – وفي ضمائر مجتمعاتهم ؛ وهكذا يبدو التَّماسُّ الإشاريّ مع دلالة الفناء – وهي الدلالة الأصلية للآية للقرآنية – وكأنّه طرحٌ جديد لمعنى الفناء ، هو: فناءُ المُتخلِّين عن قيمهم ورسالتهم ، والتزامهم .

- الإيقاعُ الأساسيُّ لهذه الرواية هو الخيانةُ ؛ فهي إيقاعُ الأحداث ، والإيقاعُ النفسيّ للشخصيات ، وإيقاعُ ما يلي : الأماكن ، التّوقعات والتّربّص ، المشاعر والظنون ، و– كلِّ – ما يصدرُ من شخصيات الرواية من سلوكٍ ، أو قولٍ ، وكلِّ ما يتعلّقُ بها من مساراتٍ نفسية ، وتوجهات فكرية .

- الزمانُ كيانٌ أساسيٌّ في تكوين هذه الرواية ؛ فهو الهيكلُ الفِقري للرواية التي تتوغلُ في تاريخ البشرية حتّى عهد آدم – بحثًا عن أصول الخيانة الإنسانية – كما امتدت إلى زمن الأسطورة ، وزمن الممالك القديمة ، وعهود الاحتلال التي تعرضت لها مصر ؛ لتسرد فصولًا – وألوانًا ومذاقات – من الخيانة التي نالت من تكوين الذاتين: الفردية و الجمعية . وقد وجد بعضُ الباحثين – كما تشيرُ د. أمينة رشيد في كتابها حول تشظّي الزمن في الرواية الحديثة – " أنَّ الرواياتِ التي موضوعها الزمن تعطي لمعضلة الزمن حلولًا متفوقةً على الحلولِ الفلسفية ؛ إذْ يستطيعُ الروائيُّ أن يصلَ إلى أعماقِ الزمن الإنسانيّ بالقدرِ الذي لم يستطعه الفيلسوف " ومن هنا نستطيعُ تبيَّن دلالات الخيانة – ومدى عمق هذه الدلالة – من خلال تتبّع المسار الزماني للرواية ؛ بما يوصلنا إلى أن الخيانةُ تتخذُ بعدًا دلاليًّا غير تقليدي ؛ وأنها لاتتوقفُ عند المدى الضيق – المُتدَاول – بل تتخذ دلالة عميقة ، معقَّدةً ؛ هي مزيجٌ من خيانة الآخر– في كلِّ صوره – وخيانة الذات – مع اتساع مدلولِها – حيثُ الذات جزءٌ من الآخر – فَتدلُّ على الفرديِّ والجمعيِّ – والآخر بعضٌ من الذات – فيدلّ على الفردي و الجمعي . والأديبُ الروائيُّ – السيّد حافظ – لم يكتف بإخضاع التاريخ الإنساني لهذه القراءة الخاصة – المتربّصة بفعل الخيانة وشواهدها فقط – بل أخضع تاريخ الوطن – لهذه القراءة – كما أخضعَ رموز السياسة والثقافة، والفكر والإبداع ؛ وأدانهم من خلال منظوره للخيانةِ؛ ومن ثمّ توجَّه

بالإدانةِ إلى الخديوي إسماعيل، وجمال عبد النَّاصر ، والسادات ، والمشير عبد الحكيم عامر ، وكثيرٍ من الكُتّاب والنقّاد الكبار والمُثقَّفين ، والتّجار، و- كثيرٍ من - المشايخ ورجال الدين ، والجيش – لأنَّه حكمَ بدلا من أن يحمي – كما اتَّهم الشعب بالخيانةِ؛ لأنّه ارتضى التّبعية بدلا من أن يحرص على أن يكونَ محكومًا ، له حقوقُه وواجباتُه.

- وهكذا نلاحظُ التَّماهي بين كثيرٍ من أحداث الرواية مع أحداث زمن القصّ ، من ذلك: سمات القائد السياسي ، مشاهد الجوع في مصر ، شحّ النيل ، انحدار الوضعية الثقافية في مصر.. ؛ بما يشيرُ إلى توظيف الكاتب لخاصية الإسقاط الاستعاريّ في هذه الرواية .
- فضلًا عن التَّماس بين زمن القصّ ، وزمن أحداث الرواية ، يرتكزُ الروائيُّ السيد حافظ على بعضِ السمات الآخرى التي تعدُّ علامةً فارقة للرواية الجديدة – التي ظهرت في الستينيات من القرن العشرين – ومنها: خاصية إدماج الوصف في السّرد – وكأنه جزءٌ منه – خلق الحبكةَ على نحوٍ غير تقليدي ، هو الارتكازُ على المُستدعى من الذاكرة ، وإشعال التشابكَ بين الراهنِ المُعاصر و الماضي ، مع اشتباكِ الأزمنة في ذاكرة الكاتب / الرّاوي ، وتجنّب النمط البِلزاكيّ في السّرد . أمَّا أبرزُ سمات الرواية الجديدة التي ارتكزُ عليها ، فهي: التَّطابق بين الرواية ، والأنا الرَّاوية لها .
- ساهمت الإشارةُ الأسطوريّةُ في منح هذا الطرح الروائي المزيدَ من العمق الدلالي ؛ حيثُ انتظمَ الرواية المسارُ الفكري المائز لأسطورة

" إيزيس " ، وأعني فكرة التمزّق – أو الضياع – ثم الانبعاث – أو العودة – فقد صوّر السيد حافظ الذات الإنسانية كيانًا يعاني التَّمزقِ والضياعِ منذ فجر التاريخ بما يعدُّ إشارةً استعاريّةً لشخصية أوزوريس ، بينما اتَّخذُ الوطنُ الأبعادَ الرمزية لإله الشرّ " ست " ، وبدَت الحبيبة / الأنثى – بل الحبُّ عامة – رمزًا لإيزيس " التي تجمعُ أشلاءَ الذات الممزقة المُستلبة بفعل الشتات المكاني والنّفسي.

- أمَّا الخائنون في هذا الطرح فهُم كثُرُ ؛ بما يؤكدُ أنَّ فعل الخيانة – بدلالته العميقة – جزءٌ من نسغ الوجودِ الإنساني – وجزءٌ أصيلٌ من تاريخ الإنسان – وقد تبوّأُ قابيل قائمة الخائنين في زاوية رؤيوية خاصة أدرجَ بها الكاتبُ قصة " قابيل وهابيل " في الشواهد الدالة على اتِّسام الجبلّة الإنسانية بالخيانة .
- إنَّ البنية المعمارية – الفنيَّة – أو ما يُسمّى بـ " المعمار الروائيّ " – تحملُ تصوّر الكاتب لبنية المجتمع – وبنية الوجود الإنساني – و تصوّره للزمان والمكان في التحامهما – السرمدي – باعتبارهما حاويتين لهذا الوجود . وقد اشتملتْ هذه الروايةُ على أكثر من بنية فنيةٍ – وجنسٍ أدبيٍ – في داخلها ، بما زاد تكثيف العامل الزمني ، وساهم في طرح المزيد من الأصوات الإنسانية ، وهذا بدوره أضفى المزيدَ من الأبعاد التاريخية – والإنسانية – على دلالة الخيانة . من هذه الأجناس الأدبية التي تضمنتها الرواية: جنس المسرحية ، الشعر ، الشكل السينمائي ، الروايات المتعددة على لسان الأبطال، الحكاية التراثية، القصيدة الشعرية. وقد أضفت هذه النصوصُ الأدبية

المتنوعة عمقًا حكائيًا على الرواية الأساسية التي بدتْ – بدورِها – وكأنها معادلٌ روائي حديثٌ لحكايات " ألف ليلة وليلة " – أو كأنّها امتدادٌ فنّيٌّ لهذه الحكايات – لتماسِّها الفني مع الفكرة الأساسية لها، وهي فكرةُ التوالدُ الحكائيّ الموحي بالامتداد اللّانهائيّ للزمن، والموحي – في الوقتِ ذاته – بتشابه الطبيعة الإنسانية وتكرار مواقفها في الخير والشر– رغم اختلاف الأجيال وتواليها – وكأنّ هذه الأجيال جيلٌ واحد.

- وقد ارتكز الروائيُّ السيد حافظ على المعادل الموضوعي في طرح رؤيته الفكرية ، بما يتّضحُ منذ بدء السَّرد من خلالِ التَّماس بين السماتِ الشخصية للرَّاوي – ملامح التكوين – والسمات الشخصية لـ " فتحي رضوان خليل " ، فقد طرح نموذج خليل صوتًا راويًا ، وكاتبًا روائِّيًا، و صحفيا – حاملًا لسمات الشعراءِ وأشواقهم ورؤاهم – وهو ما وسم الرواية بشعرية السّرد إلى حدٍّ لافتٍ – كما طرحَ رواية " فتحي رضوان "معادلًا سرديًّا لروايته الأساسية " كل من عليها خان " ؛ ومن ثمّ فنحنُ نتلقّى روايتين يلتقيانِ في مسارهما الرؤيويّ ، وهذا ما نجدُهُ في قولِ فتحي رضوان: " أنا القاصُّ والرائي ، والبعيدُ والدّاني " ، وهذه هي دلالة أحدِ عناوين التي يطرحُها السيد حافظ لروايته – وهو عنوان " الرَّائي – وكأنَّ " فتحي رضوان " هو الشاهدُ على التاريخ ، والشاهدَ على الوطن ، بل يبدو في كثيرٍ من مواضع الرواية رمزًا لمصر باعتبارها وطنًا مُستلبًا من الخائنين ، وطنًا متخبّطا يجهل المستقبلَ ؛ لا يملُكه .

- تتميزُ الروايةُ بشعرية السَّردِ الطَّاغية – على مدار صفحاتها – والتي تتضحُ من خلالِ ما يلي: الارتكاز على المجاز ، الصور الشعرية المُتدفّقة، المفردات ذات السمت القرابيني الابتهالي المُتَمَاهي مع لغة الوجد الصوفي – وإيحاءات المعابد الفرعوينة – مع تجاوز منطق التوالي الزمني ، وتجاوز النّمو الخطِّيَّ للزمنِ و منطق الزمن السردي . ونُلاحظُ أنَّ هذه الشعرية الحُلميةَ تستبطنُ نسغَ الجملة في موضعين – أو حالين – هما: مناجاة الوطن ، ومناجاة الحبيبة ، بما يطرحُ فرضية نقدية هي التماهي بين الأنثى – المعشوقة – والوطن ، في هذه الرؤية ، أو بين مصر ، وسهر ، وكذلك بين مصر ، ووجد .
- جدلية المدن والنساء:

الوطنُ أرضُ الخرائب – وكذلك الواقع الإنساني عامة – في رواية السيد حافظ ، لكنه يستثني من منظومة القبح: المدنَ ، والنساء ، فكلٌّ منهما كيانٌ مفعمٌ بالجمال والشاعرية ، وكلاهما منبثق الحياة والحنانَ وسعادة الروح . وحين يمعنُ المُتلقّي في هذين الكيانين يتضحُ له مدى التَّماهي بينهما – في الرؤية الفكرية للكاتب – إلى الحدّ الذي تبدو فيه المدنُ نساءً مفعمةً بالجمالِ والفتنةِ والغواية ، كما تبدو النساءُ مدُنًا مفعمةً بالحيويةِ والصخب والحياةِ . المدنُ والنساءُ – في هذه الرؤية – هما مشاعلُ الرغبة ، واستعارُ الغرائز ، وفتنةُ الحياة ؛ ومن هنا أفترضُ أنَّ شعرية السَّردِ – في هذه الرواية – تنبجسُ في المواضع التي تتسيّدُ فيها المدنُ والنساء. كما أن المدن والنساءَ هما وقودُ الصراع البشريّ – في

الأرض – ومن ثمّ فهما المستثير لفعل الخيانة ؛ فالصراعُ البشري – منذ خلق الإنسان – صراعٌ حول النساء ، وحول المال والسلطة والجاه – وكلّ ذلك مزدهرٌ في المدن – وهكذا تبدو المدنُ والنساءُ كياناتٍ إشكالية ؛ مثيرةً للأضداد ؛ يبدوان كما تبدو الحياةُ الإنسانية في تناقضاتها .

- وبعد ، فإنَّ هذه المقاربة النقدية محاولةٌ للاقتراب من عوالم هذه الرواية ، واستغوار زوايا الطرح النقديّ التي تُعدُ الناقد بدراساتٍ تحليلية ثريّةً على صعيد الرؤى ، وجماليات التشكيل اللغوي والأسلوبي . والبنية الفنية ، وتقنيات السرد ، وكيفية التشكيل الزمنيّ ، وغير ذلك من زوايا المعالجة النقدية لعوالم السّرد .

التعالقُ بين الوطن ، الكتابةُ ، العشقُ .
دراسةٌ نقديةٌ حول اغتراب البطل الإشكالي ، ومرتكزات خلاصه في رواية " حتى يطمئن قلبي " للكاتب الروائي السيد حافظ

بقلم د. كاميليا عبد الفتاح

الأستاذ المساعد في تخصص الأدب الحديث والنقد

جامعة الباحة سابقًا

السَّردُ الذاتيُّ نمطٌ من أنماط السرد الروائي – أو مقولات الحكي كما يُسمّيها الناقد الفرنسي جان بويون – ويتمّ فيه تقديم الأحداث والشخصيات من خلالِ وجهة نظر الراوي ، ومن خلالِ تأويله الأحداث ، ودفعها إلى جهةٍ دلالية بعينها ، ويتمُّ كذلك من خلالِ انتخابِ هذه الأحداث – وتكثيفها وإخضاعها للعبة الخفاء والتجلّي– بما يُجعل هذه الأحداث متضافرةً في سبيل غاية واحدةٍ هي إبراز الرؤية – أو الأيديولوجية – التي أراد الكاتب تجسيدها . وفي السرد الذاتي – ubjwctif– كما يقولُ توماتشوفسكي – " نتتبّعُ الحكيَ من خلالِ عيني الراوي – أو طرف مستمعٍ – متوفرين على تفسيرٍ لكلِّ خبرِ ، متى وكيفَ عرفه الراوي ، أو المستمع نفسه " هذا النمطُ من السرد يشيعُ في الروايات الرومانسية ، والرواية ذات البطل الإشكاليّ التي نتوقف بالقراءة النقدية أمام أحدِ نماذجها ، وأعني رواية " حتّى يطمئن قلبي " للكاتب الروائيّ السيد حافظ ، وهي جزءٌ من أجزاء مشروعه الروائي الكبير، وحلقةٌ من حلقات الأحداث في هذا المشروع .

- الشخصيةُ الرئيسيةُ في هذه الرواية – شخصية فتحي رضوان – وهو – في افتراضي النقدي – نموذجٌ مثاليٌّ لتمثيلِ البطلٌ الإشكاليّ – أو كما يُسمّى في بعض المؤلفات النقدية بالبطل المُعضل – وهو البطلُ الذي برز في الرواية ما بين مرحلة الواقعية ومرحلة الرواية الجديدة – و يتميّزُ بسماتٍ فكرية وروحية خاصة ؛ فهو أقربُ إلى المثالية – ولنقل إنه دُون كيشوتيِّ التكوين – وهو يعاني من الصراع والتمزّق بين مُسلَّماته المثالية – قيمِه ورؤاه – وبين الارتكازات المعرفية والقيمية التي يتبنّاها الواقعُ ، وينبثقُ تأزّمُ هذا البطل من انتصار حقائقه الداخلية ورؤاه على أطروحات المجتمع . وقد اعتبر " لوسيان غولدمان " – في كتابه " مقدّماتٌ في سوسيولوجية الرواية " –البطل المعضل الإشكاليَّ شيطانًا أو مجنونًا – ترجمة بدر الدين عرودكي بسورية – دار الحوار، ١٩٩٣م – أمَّا الناقدُ محمد عزّام ، فقد اعتبره بطلًا نظريًّا لا عمليًّا ، ووصفه بأنه يعيش حائرا ما بين الانتماء والاغتراب ؛ فانتماؤه إلى قيم الخير والإنسانية يتواكبُ مع اغترابه عن أفكار مجتمعه– ومنظومة مجتمعه عامة – وينتجُ تأزُّمُه من رؤيته نفسه باعتبارِ "بطلًا في غير زمانه" ورؤية مجتمعه له على أنه "مشكلة" – محمد عزام . البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة، دمشق– الأهالي للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م – وهذا البطل تبدأُ معارضته – اختلافه – مع الوطن ، وتنتهي لتشمل مطلق الوجود .

- ينبثقُ تأزّم فتحي رضوان – بطل هذه الرواية – وتتخلّقُ وضعيته الإشكاليةُ من منطلقِ علاقته المضطربة بالوطن ؛ فالوطنُ مثارُ عشقه الصادق ، و مثارُ اغترابه الفكري والنفسي والمكاني . وللوطنِ مرتكزٌ عاطفيٌّ – فطري طبيعي – في روح فتحي رضوان ؛ فهو الانتماءُ والهويةُ والذكرياتُ والعمرُ والأحبة ، لكنّ هذا الوطن مُستلَبٌ طوال سبعة آلافِ سنةٍ – هي عمرُ حضارته – مُستلبٌ عبر عدة كياناتٍ مُنهِكة ، على رأسها : الحاكم الديكتاتور ، الخونة ، المرتزقة ، المنافقون ، اللصوص ، الجهل والتخلف الفكري الناتجان من هيمنة الحاكم على منظومة العلم والفكر والثقافة ، وإخضاع هذه المنظومة واتخاذها وسيلة لبقائه واستمراره ؛ ممّا أدَّى إلى إقصاء الرموز الحقيقية النفيسة من أهل العلم والثقافة ، في مقابل تمكين الأضعف منهم ، وإطلاق حرياتهم في السيطرة على عقول العامة .هذا فضلًا عن تزوير التاريخ وإبراز الهزائم في صورة الانتصاراتِ ، وإبراز الحكام الطّغاة في صورة القدوة الوطنيةِ الزاهيةِ .
- إنَّ الوعي – غالبًا – يكونُ منبثقَ الاغترابِ ، وهكذا انبثقَ اغترابُ فتحي رضوان من وعيه بهذه الأبعاد المأساوية من مؤامرة اغتيال الوطن . وقد اتخذ اغترابُهُ مسارًا عميقًا ؛ فلم يقف عند دلالته المكانية ، أو النفسية ، بل وصل إلى مصاف الاغتراب الفكري والروحي ، والتّشظي بين الرفض المطلق لفكرة الانتماء لهذا الوطن المُستلَب ، والعشق المطلق لهذا الوطن ، والشغف به ، والتوق للانتماءِ إليه .

ويلاحظُ المُتلقي – ناقدًا وقارئًا – وضوحَ التَّماهي بين الكاتب – السيد حافظ – وبطله الإشكالي – فتحي رضوان – في هذا التأزّم في العلاقة مع الوطن ، وذلك من خلال التَّماس الدلالي بين عتبات الرواية ومتنِها الحكائيّ ، إلى الحدِّ الذي يبرزُ فيه الكاتبُ وبطلُه بوصفهما ذاتًا إنسانيةً واحدةً ، وصوتًا إنسانيًا واحدًا ذا رؤىً موحّدة وإشكاليةً واحدة . بما يدفعنا إلى افتراض نقديٍ مفادُه أنّ البطل الإشكالي فتحي رضوان ما هو إلَّا معادلٌ رمزيٌّ للسيد حافظ ذاته . من النصوص التي تُشجعنا على المُضي في هذه الفرضية – لتماسّها الدلالي – هذا النص الذي يطرحُ فيه السيد حافظ تصوّره للوطن . يقول في مقدمة الرواية: " ما إن اجتزت عتبة باب التاريخ اكتشفت أن مصر لونها رمادى .والبشر مشاعرهم أغلبها اصطناعى.. وعيونهم حزينة ورهيبة ومرتابة بشكل كبير..ما إن اجتزت عتبة المعرفة واجهت قنابل الجهلاء والأغبياء وزعماء فكر بلا روح أو ذاكرة أو إدراك "

يتماسّ هذا النص – رؤيويًّا ودلاليًّا – مع كثيرٍ من الجمل والعبارات التي يسوقُها الكاتبُ على لسانِ فتحي رضوان ؛ ويصفُ فيها مصر وطنًا للوجع والألم – والاغتراب والجهل والغيبوبة واللصوص – وهي في الوقتِ ذاته ليست وطنًا لأبنائها الواعيين بنفاستها ، الصادقين في محبّتها . من ذلك قول فتحي رضوان : " .. نفد صبر القلب على وطن بلا مشاعر أعتذر نفد الوقت وقطار العمر فى الغفلة مضى ." ص ١٢٩

وقولُه : " أنا غريب فى دبى و غريب فى بلادى مثل طير السمان..أحب مصر والعرب رغم أنهما جثة عفنة لاتقدر على الطيران والحلم.. هذا وطن البهلونات والمرتزقة وقاطعى الطريق والقراصنة وطن ملوث بالحرب والسلام

يعرف أن الله شريط للقران فى تسجيل.. وطن بدوى متخلف قاطع طريق الحجاج.." ص ٣٤

وكذلك قولُه   ص ٣٨: " وأظل أحلم بالحرية حتى تدق ابواب الوطن..أيا لهفة الروح أن تعودي لنا يابلادي النبية..وأمضى نحو الحقيقة ويتبعنى ظلى وضحكات الاغبياء تلاحقنى وهم الغالبية العظمى من بنى وطنى.." ويقول:
" أنا لست مع أحد منهم..أنا معهم كلهم.. أنا ابن هذا الشعب الجاهل المتعصب.. دمهم فى دمى..وأراهم يجرون فى دمى يحملون أعلام الاهلى والزمالك وأعلام الاخوان وأعلام الكنيسة وأعلام السعودية وأعلام عبد الناصر وأعلام الملك فاروق.. أنا من نبض هذا الشعب الجاهل القاتل شيعيا أوسنة وبهائيا وملحدين هذا شعبى " ص ١٦٢

- و يبرزُ الرمز والقناع التاريخي على رأسِ الحيلِ الفنية التي صوّر بها الروائي – السيد حافظ – هذا الجانبَ الإشكالي من شخصية فتحي رضوان ؛ فقد استدعى في هذه الرواية كثيرًا من رموز الفكر والإبداع – عبر مراحل التاريخ الإنساني – وأبرزها من خلال هذا الاستدعاءِ بوصفها ذواتًا إنسانيةً مُتماسَّة مع شخصية فتحي رضوان – في جانبٍ ما من جوانب التكوين الروحي أو التأزّم الفكري – من هؤلاء: بودلير ، جيمس جويس ، عبد الرحمن الكواكبي ، بريخت ، المتنبّي ، نزار قبّاني ، محمود درويش ، أخناتون ، أراجون ، لوركا ، المتنبي ، السهروردي ، جلال الدين الرومي ، الخيَّام ، وآخرون . هذا فضلًا عن بعض الشخصيات التي استدعاها على مدار المتن الحكائي ، وطرحها في لُحمة الأحداث . ونلاحظُ تنوعُ هذه الرموز

الإنسانية ، ما بين الشاعر، والحاكم ، والمؤرخ ، والكاتب ، والمتصوف ، فضلا عن تنوّعها في الهوية والمرحلة التاريخية ؛ بما يدفعنا إلى افتراضِ رغبة الروائي في إبراز شخصية البطل فتحي رضوان في صورة ذاتٍ كونية ، لا متناهية ، سواء في أبعادها الفكرية والروحية ، أو في مصاف اغترابها ، وتأزّمها الإشكالي .

- لقد تمّ استدعاءُ الكاتب لهذه الرموز الإنسانية المتنوعة من خلالِ طرح نصوصها – في الفواصل الواقعة بين فصول الرواية – بما يعني ارتكاز الكاتب على أسلوب " التناص " كأسلوبٍ فنيٍّ يُسهمُ في إبراز المزيد من جوانب الرؤية الفكرية في العمل الأدبي . وقد استطاع الكاتبُ – من خلال التناص – أن يُلقي الضوء على جوانب التأزّم الروحي والفكري لبطله الإشكالي ؛ حيثُ اشتملت هذه النصوص على معاني الاغتراب والوحشة والبحث عن الهوية والسلام . وقد طُرحتْ هذه النصوص وكأنَّها مونولوجٌ صادرٌ من ذات الكاتب – أو صادر من معادله الفنّي فتحي رضوان . ومنها: الابتهال الذي رفعهُ الكاتبُ إلى روح أخناتون ، بوصفه صلاةً على هذه الروح التي تمثل – في رؤيته – الحق والنور – يقولُ في " ركعتان على روح أخناتون ":

" الركعة الأولى

حين أتذكرك أتوضأ وأصلى ركعتين على روحك الشفيفة فى الركعة الأولى أسأل نفسى كيف تسلل النور إلى قبك وروحك ورأيت الواحد الأحد .ترى من جزع لغيابك ؟ ومن خانك ؟ وأنت خبز أرواحنا الجوعى وأنت نور بلادى

الجاهلة المظلمة..لاتحزن ياسيدى .فروحك تسكن الأرض والسماء أما نحن البشر فى مصر فلا عزاء. " وفي هذه الركعة الأولى يطرحُ الكاتب أسئلة إدانة لهذا الوطن ؛ فهو يصف أخناتون باعتباره ظاهرة نادرة وروحًا متميزة – تقابل السائد المظلم – ويطرحه مغتربًا تمّت خيانته ، ونورًا رحل من الوطن المظلم .

ويؤكدُ هذه الدلالة في " الركعة الثانية " ، كما يطرحُ بعدًا دلاليًّا للقرب والبعد – من الوطن – أو المقام فيه والرحيل عنه – فيجعلُ العشق الصادق للوطن قربانَ الخلود فيه ، ويجعل الخيانة وغياب الوعي قربان الرحيل عنه ، والحرمان منه . ومن هنا يكونُ أخناتون روحًا باقيةً في مصر . يقول في هذه المناجاة :

" أنت سرُّ مصر والسر هو الروح فأنت لم ترحل من هنا من مصر بل نحن رحلنا من النور إلى الظلام؟ وسرقتنا الخطيئة إلى ألف ألف علامة استفهام " ص ١٦٦

كذلك يستدعي روح أبا ذرٍّ الغفاريّ في مناجاةٍ ، هي أقربُ للمرثية ، ويضعه مع الثائر " جيفارا " في أُفقٍ إنسانيٍ واحدٍ ، أفقٍ يواجه الظلمَ والزيفَ والجهلَ . يقول: " يا سيدي أنت المنفيُّ الأول في تاريخنا الملوث بالدماء و الظلم و الاضطهاد ،ياسيدي أصبح النفي عنوانا لكل من تسول له نفسه أن يقول الحق أو الحقيقة . أولم تدري أننا صرنا أكثر من مليار و لكننا كالغثاء الأحوى ، لا نفكر إلا في النساء و المال و التجارة و الدعارة و لبس الجبة و الصلاة في رمضان ؟ يا أول الغرباء ، وأول من فهم أن الإسلام دين الفقراء قبل الأثرياء و دين المساواة و ليس المحاباة بعد قرن و

ما يزيد ظهر ثائر جديد مثلك اسمه جيفارا رفض المنصب و رفض الجاه و كره الأغنياء . سامحنا فنحن الجهلاء و كان أكثرنا لا يعقلون و لا يفقهون و لا يفهمون ." ص ١٩

وإذا كان الكاتب يستدعي روح أخناتون وأبا ذرٍّ الغفاري ويطرحهما ذواتًا مغتربةً صادقة، فهو يستدعي جلال الدين الرومي باعتباره رمزًا للعشقِ المطلق الذي يتماس مع هذا الجانب الروحي من شخصية فتحي رضوان .

يقول في الركعة الأولى المُهداة إلى روح جلال الدين:

" وكيف لحرفي في العشق أن يتجلى إذا لم يمر بباب حرفك المتخفى وينتشى بشهيق المتنبى وزفير عطر الخيام..كيف تنام اللام على صدر البنات الفاتنات وتنام الهاء على كف هواء البحر في صيف الإسكندرية إذا لم تشم أنفاسك..اللهم إنك كنت نبى عشق وهرب من الجنة ليخبرنا عن سر العشق إذا ماهل علينا دون استئذان..حين أمر بذاكرتى على اسمك يرجع إلى قلبي فكره الشقى ونبضه الأبيض وأشعر بروحى المتمردة تفكره وتذكره فيما مضى بين جنون وسكون المعرفة وتخلعنى الهواجس من الزحام إلى الاعتكاف " ص ٢٣٢

ولا يقف رمز جلال الدين الرومي عند مصاف هذه الدلالة – في طرح السيد حافظ – بل يطرحه رمزًا للسلام والسكينة والانعتاق الروحي ، حين يبرزهُ في وضعية ضدية مع مفردة " الجنرال " – برمزيتها الدالة على السطوة العسكرية المادية – يقول في الركعة الثانية:

" ضمَّنى وهزنى وعلمنى وأدبنى وأنا الخطى والمنسى والمبتدأ المتأخر والضمير الغائب تقديره الشفيف والذى قال لا حين قال الجنرال في الميدان انتصرنا ونحن لم ننتصر فبأيّ ألاء ربى اعترف." ص ٢٣٢

ويدفع الكاتبُ بطله الإشكالي – فتحي رضوان – لقراءة رواية " هرمان هسه " ، ويسوق على لسانه مونولوجًا يبرزُ فيه تماسه الفكري والروحي مع رو ح " هسه " ، وروح جلال الدين الرومي ؛ فرارًا من ضعف الواقع الفني ، وبحثًا عن الكلمة الصادقة النابعة من ذواتٍ تأزّمت من مجتمعاتها ، ومن واقعها الوجودي بأسره . يقول:

"..ترى ما الذي يربطني بهيرمان هسه..كأنه يكتبني أو أنا أكتبه كأننا روح واحدة انشطرت أو كأنه منحنى قبسة من روحه أو منحته جزءا من روحي.. كنت فيما مضى اعشق شكسبير والمتنبي ولكن روح هسه تسكنني أو أسكنه. لابد من التحرر من روحه الصوفية..قرأت لجلال الدين ابن الرومي أغتسل من الهزال الذي يطبع باسم الشعر والشعراء "

إنّ نظرة تأملية في هذه النصوص المُستدعاة تؤكدُ أنَّها ليست عرضًا ثقافيًّا – أو وقفة استجمامٍ من أحداث الرواية – بل هي نصوصٌ متعالقةٌ مع المتن الحكائي للرواية من خلال أسلوب لإبرازِ مثارات تأزّم البطل الإشكالي – ومظاهر هذا التأزّم – من ذلك هذه القصيدة للشاعر الفرنسيّ بودلير ، وقد استدعى منها الكاتبُ هذه الأسطر المفعمة بالاغتراب والوحشة ؛ فبدتْ وكأنّها جزءٌ من المتنِ الحكائي ؛ لاتصالها العضوي بإشكالية اغتراب فتحي رضوان . يقول بودلير:

– " مَن تحب أكثر، أيها الإنسان اللغز، قل؟ أباك، أمك، أختك، أم أخاك؟

- ليس لي أب، ولا أم، ولا أخت، ولا أخ.
- أصدقاءك؟
- أنت تستعمل كلامًا لا يزال معناه حتى اليوم خافيًا عنِّي.
- وطنك؟
- أجهل في أيِّ خطٍّ عرض يقع. " ص ٩٠

تبدو هذه الوشيجة العضوية بين المتن الحكائي للرواية ، وبين النصوص العالمية المُستدعاة في نموذجٍ شعريٍ آخر ، يطرحُ فيه " بريخت " تمزّق الذات ، ووقوفها بين منطقة الانفصال والاتصال بالوطن . وهذا التمزّقُ يصوّرُ به السيد حافظ مظهرا عميقًا من مظاهر اغترابه - و اغتراب بطله الإشكالي - يقول :

" أعطوني مسدساً
وقالوا اقتل عدونا
وحين أطلقت على عدوهم
كان المقصود أخي
هناك يقف أخي
الجوع يوحدّنا
وأنا أسير ، أسير
مع عدوه وعدوي
هكذا يحتضر الأن أخي
وأنا من يذبحه
لكنني أعرف أنه لو هزم

فسوف أضيع أنا "

و تبرزُ الكتابةُ والعشقُ – في رؤية السيد حافظ – بوصفهما قوى الخلاصِ التي يتصدّى بها البطل الإشكالي لعوامل استلابه ؛ ومن خلالِ الكتابة والعشق يبحثُ البطلُ المغتربُ عن الانعتاق والسلام والسكينة ، ودرجة من درجات التوافق مع الذات ، والوطن ، والواقع ، ومطلق الوجود .

وتعدُّ الكتابةُ هي المصدرُ الأول للخلاص ومساراته – في هذه الرؤية – إلى حدّ أننا نرى – في كثيرٍ من مواضع الرواية – مزجًا بين الحبيبة سهر – كذاتٍ أنثوية – وبين الكتابة ؛ بما يجعل " سهر " أميرة النساء في عين فتحي رضوان . نطالعُ هذه الدلالة في هذا الموضع من البوح على لسان فتحي رضوان ، قائلًا لسهر: " أنت لست أفضل امرأة قابلتها.. لكنك امرأة تشبهين تواطؤ العشق وكارثة الكتابة التى تطيح بظلام قلبى حين يطفىء الوطنُ نور قلبى.." ص ١٦٠

ونلاحظُ – في الموضعِ السابقِ – أنَّ الكاتب يطرح الأطراف الثلاثة التي تمثِّلُ إشكالية وجودهِ ، وهي: الوطن ، الكتابةُ ، العشقُ .

ويسوقُ على لسان " تهاني " – زوج فتحي رضوان – جملة تُحرّضُه فيها على السفر ، وتغريه ببديلٍ آخر للوطن ؛ لأنّ هذا البديل يحتفي بإبداعه ، وكأنّ السيد حافظ يضعُ مفهومًا جديدًا للوطن ، هو المكانُ الذي يُقدِّرُ الكتابة . تقول لزوجها: " العراقُ هو مستقبلُك طبعوا لك كتاب " ص ١٤٤

الكتابةُ – وفقَ هذه الرؤية – تماثل الروحَ – في نفاستها – ولذلك فهي دليل استمرار الحياة ، ونبض الوجود . يطرحُ السيِّد حافظ هذه الدلالة في

مقدمة الرواية ، كاشفًا عن جانبٍ من جوانب تأزّمه مع الوطنِ . ومُبرزًا مدى التماهي بينه وبين بطله الإشكالي – فتحي رضوان – يقول:

" أنا أكتب إذن أنا موجود . وحين لا أكتب فأنا مفقود. ونادرا ما يكون الوطن حاضرا ويرى الحقيقة التى أكتبها وغالبا ما يكون الوطن غائبا عن التاريخ ويخرج ثم يعود له الوعى بعد سنين عددا وقد لا يعود أبدا..ويتوه منا ونتوه معه.. "

في هذه الرؤيةِ : يبدو الوطنُ كيانًا مُعاديًا للذاتِ المبدعة – معاديًا بالتجاهلِ وانعدامِ الوعي – ومن ثمَّ فهو كيانٌ مُعادٍ للحياةِ ، مُستلبٍ للوجود ؛ لأنَّ الكتابةَ تُمثِّلُ – في هذا الطرحِ – حضور الذاتِ وشرط الحياة .

ويبرزُ العشقُ – في طرح السيد حافظ – مسارًا قويًّا لخلاص البطل الإشكالي من اغترابه وتأزّم علاقته بالوطن وبالذات . وتتخذُ الأنثى الحبيبةُ – سهر – سمات الأنثى الكونية – ممّا ينسجم مع اصطباغ الذات الإنسانية لفتحي رضوان بهذه السمة – ويطرحها الكاتبُ ذاتًا مُطلقةً متكاملة الجسد والروح ، خالدة تمتدّ عبر مراحل التاريخ – فيما يشبه فكرة التناسخ – من خلالِ انتقال روحها عبر عدّة ذواتٍ أنثويةٍ – ومنها روح لامار –- فهي عبارةٌ عن مجموعة من الأرواح التي تتخلّقُ منها في النهاية روحٌ أنثوية كونية فاتنة الجسد والروح ، تكتنزُ قدرة عالية وطاقة أسطورية لإثارة الشهوة ، والسمو ، والتأمل التجريدي . وتبدو وكأنها روح الوجود أو سره ، أو كأنها تشتمل على سر الخلق وأول التكوين ، هي الأنثى الأسطورة ، والذات المكتملة . هي أسمى من الجسد ؛ فلها عطرٌ خاصٌ لا ينبعثُ من جسدها ، وهي الجسدُ الشهوي ، كما تبدو فكرة مجرّدة ، وبديًلا حالما للوطن ؛ ولذلك يُهرعُ إليها

فتحي حين يستشعر الوحدة والوحشة . الحبيبة – سهر – وفق هذا الطرح – هي العنفوان والصبا والصبابة والغوايةُ والعقلُ والخلاصُ والحنو والملاذُ ، و الأنثى الكونية التي يلوذ بها البطلُ خلاصًا من اغترابه . ولذلك يستحضرُ الكاتبُ هذه الحبيبة كلما شعر بإبعاد الوطن له ، أو تأزّمه منه ، كما في هذا الموضع ، حيثُ يقول محتدًّا من المفارقة بين نسبة الأمية في مصر ، وبين وضعيتها الحضارية:

" أين نحن من الحضارة.. أشعر بالخجل. لاشيىء حقيقى لاشيىء أجمل من عينيك تمسح حزن أيامى أيتها المرأة المدينة الغارقة فى القلق.. " ص ١٦١

ويقول: " آه ياسهر ، من علمك سر النور من الروح للسماء وسر الكحل في عيون النساء وسر التنهيدة وخيانة حرف الراء لى وخيانة الرفاق وسر سورة قاف..مثلث مرعب..أعيش فيه.. سحقا لوطن متعثر ٧ الاف سنة ومازال يركب الحمير في القرن ٢١ هل هو وطن جدير أم مهرج كبير..؟؟ أمضى إلى نهديك كل مساء لأنى افتقد الحنان من الوطن واقتسم معك القبلات والفراش. أحيانا أشك أن العدل غائب والقضاء فاسد والوطن يحتاج إلى زلزال وأنى بين شفتيك مهاجر . "

وممَّا يتبعُ هذه الرؤية الإبداعية – للعلاقة بين العشقِ والأنثى والاغتراب والوطن – المنظور الخاص الذي يطرحه الكاتب للخيانة ؛ فهو لا يصف عشق سهر لفتحي رضوان – أو عشقه لها – بالخيانة – لكونهما متزوجين – ودافعه إلى هذا أن هذه العشق ليس محض علاقة جسدية ، بل هو علاقةٌ روحيةٌ جسديةٌ لها دوافعها المعقدة التي يبدو فيها الوطنُ المُستلب مسؤولا

مسؤولية تامة . يطرحُ السيد حافظ رؤيته للفارق بين خيانة الزوجة والوطن في هذه العبارة:

" حين تفتح الباب وتجد زوجتك فى أحضان رجل آخر تخونك.. تطلقها.. وتنساها.. ولكن حين تفتح باب التاريخ لتجد وطنك أقصد بلادك تخونك ٧ الاف سنة وتظن أنها شريفة ونظيفة وطاهرة وهى العكس تماما..ماذا تفعل؟.. سيان أن يكون الوطن بخير أو فى ضجر..فهو قاتل على مر الزمان لكل البشر.." ص ١٥٨

وإنَّ اتسّام الأنثى الحبيبة والبطل الإشكالي بالسمة الكونية – في هذا الطرح – ليدلُّ على وجود أبعادٍ دلالية عميقةٍ للعلاقة الإشكالية بين الوطن والعشق والكتابة . هذه العلاقة تبدو متعالقة تعالقًا لا نهائيًّا ؛ إذ يحتاجُ كلُّ ضلعٍ منها إلى الآخرين .

من هنا نلاحظُ وجود زمانٍ ومكانٍ دائريين في بدء الرواية وختامها ؛ فالروايةُ تبدأُ ليلًا في شرفة شهرزاد ، وتنتهي فجرًا في الشرفة ذاتها . كما تبدأُ – بحكاية الروح المماثلة لسهر – وهي روح لامار – وتنتهي ببدءٍ جديد مع روح أخرى مماثلة لسهر ، هي روح سلمى وقصتها مع بيرتون . وينسجم هذا الختام مع مخاض سهر ، وإنجابها ولد جميل ، ممَّا يؤذن بامتدادها في الوجود من خلال ابنها الوليد ، ومن خلال روحها الأنثوية " سلمى " ، وبذلك يبدو العشقُ لا نهائيًّا في هذا الطرح ، وتبدو الحبيبةُ أنثى خالدة ، لا محدودة ؛ لتظل هي الكتابة والوطن حين يضنّ الواقع بالوطن ، وبالكتابة .

نحنُ أمام نصٍّ روائيٍ هو مزيجٌ من السيرة الذاتية – الفردية والجمعية التاريخية – وفن السّرد ، وفن المسرحية – وغير ذلك من أجناس الأدب –

أمام نصٍّ روائـيٍ يتعالقٍ مع عدّة أجناسٍ أدبية أخرى – رغم أنّ الكاتب وضع له تصنيفًا على الغلاف هو المسرواية – وأفترضُ أنّ هذا التعالق هو الشكلُ الفنّي الذي استطاع استيعاب رؤية الكاتب لإشكالية الذات والوطن ؛ واحتواء أزمنة التاريخ – المُستدعاة في المتن الحكائي – واستشراف المستقبلِ ، وسرد وقائع الذات، في كيفية تجمعُ بين الرومانسيّ والواقعيّ ، وتتسمُ بالحداثةِ ؛ لهذا المزج بين الأجناس – من جهةٍ – ولتوظيف طرائق الميديا – ومنها الفواصل – و المزجِ بين اللغة الفصحى والعامية واللغة الثالثة في الكتابة. وقد اتّسم الحكيُ بشعرية اللغة – في كل صورها – من خلالِ الارتكاز على الأسطورةِ والرمز ، والاستعارة ، وتحطيم الحبكة التقليدية ، فضلًا عن اعتماد الصورة التخييلية والإيقاع .

هذا فضلًا عن ارتكاز الكاتب على كيفية خاصة في السرد ، هي الحكي داخل الحكي – من خلال تعدد الرواة – بما يؤدي إلى وجود رواية – أو أكثر – داخل الرواية الأصلية . وهذا الكيفية – أو المنهج – في الحكي تراثيةُ الأصل مُستقاةٌ من الكلاسيكيات الخالدة ، وعلى رأسها " حكايات ألف ليلة وليلة " ؛ ولذلك استحضر الكاتبُ روح " شهرزاد " لتكون امتداده ، أو الراوي المعادل له ، وجعلها مفتتح الرواية ، ومنتهاها . إن هذه الخصوصية في المبنى الروائي تؤكدُ ما ذهب إليه "إيكو" – في كتابه تأملات في السرد الروائي – من أنّ النص " يُبنى كعالمٍ مغلقٍ ومُكثّفٍ بذاته من حيثُ التحديد الدلالي الذي يُسقطُه المؤلفُ"، هذا التحديدُ ما هو إلّا الرؤية الفكرية الناجمة من الخبرة الشعورية والفكرية.

سيرةٌ ذاتية موجزةٌ

د. كاميليا عبد الفتاح حفني

أستاذة أكاديمية وناقدةٌ أدبية ، وشاعرةٌ ، وكاتبةٌ قصصية.

حاصلة على الدكتوراة في الأدب والنقد من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

من أبرز المؤلّفات المطبوعة:

١- **القصيدة العربية المعاصرة** دراسة نقدية تحليلية في البنيةِ الفكرية والفنية. دار المطبوعات الجامعية. أمام كلية الحقوق بالإسكندرية. ٢٠٠٧ م

٢- **الأصولية والحداثة في شعر حسن محمد حسن الزهراني.** دراسة تحليلة نقدية. الطبعة الأولى. ١٤٢٩هـ . النادي الأدبي بمنطقة الباحة. المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية . دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٧م .

٣- **الشعر العربي القديم.** دراسة تحليلية نقدية في ظاهرة الاغترابِ (أبو العلاء المعري نموذجًا). دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٨ م

٤- **إشكاليات الوجود الإنساني:** دراسة نقدية تحليلية في القصيدة الواقعية والحداثيّة. دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٩ م

٥- **رثائيات الفارس المُغيّب** دراسة نقدية في شعر د. صالح سعيد الزهراني - دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية. ٢٠٠٩ م

٦- **بواعث الاغتراب وجموح التكوين.** دراسة نقدية في شعر د. يوسف العارف: دراسة تحليلية نقدية. الطبعة الأولى. النادي الأدبي بالقصيم . المملكة العربية السعودية ١٤٣٢هـ. الطبعة الثانية دار المطبوعات الجامعية بالإسكندرية عام ٢٠٠٦م.

٧- **خصائصُ التشكيلِ الفني في القصيدة العربية المعاصرة.** دراسةٌ تحليلية في أساليبُ الأداء اللغوي، وأنواع الصورة الشعرية ، وأنماط الإيقاع ، وبِنيةِ القصيدة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الإسكندرية ٢٠١٦م

٨- **الذات والمرايا.** دراسة نقديةٌ تحليلية حول تمرئي الوضعية العربية الراهنة في الطرح الشعري المُعاصر. النادي الأدبي بمنطقة الباحة. المملكة العربية السعودية. ٢٠١٦م

- المُشاركات العلمية:

شاركت بالدراسات النقدية في العديد من المؤتمرات النقدية – والإبداعية – في الجامعات المصرية والعربية ونشرت العديد من القصائد والدراسات النقدية داخل مصر وخارجها.

- العضوياتُ: عضو عامل في اتّحاد كُتّاب مصر، وأتيليه جماعة الفنانين والكُتّاب بالإسكندرية، عضو رابطة العالم الإسلامي العالمية. عضو لجان تحكيم الدواوين الشعرية، والكتابات المسرحية والقصصية في أدبي الباحة. وعضو في الجمعية المصرية لأصدقاء مكتبة الإسكندرية. حصلتُ على العديد من شهادات التقدير والشكر من المؤسَّسات العلمية – والأدبية – في مصر – والمملكة العربية السعودية.

□

كلمة عن الدكتورة والباحثة والناقدة
(ليلى بن عائشة)

كلما توغلت في غياهب الدراسات النقدية التي بين دفتي هذا الكتاب أجدني أقتبس قبساً من نور الفكر والإبداع وأندمج مع مهارة وشخصية متفردة بإيقاع جمالي وحس شعري يتصف بالأصالة والتجذر ومن قلم يتميز بنقد موضوعي مستقل بشمولية موضحاً وموكداً شخصية الناقدة والباحثة القوية الصلدة التي لم ولن تتراجع عن قول وكتابة كلمة الحق والصدق.. هي (الدكتورة ليلى بن عائشة) تكاد الدكتورة ليلى بن عائشة تكون أول باحثة بالجزائر تتخصص في المسرح التجريبي.. وأختارت رسالة الماجستير التي استمرت (٤ سنوات) تضمنت رسالتها قراءة وتحليل ونقد أعمال السيد حافظ في (المسرح التجريبي) وصدرت رسالتها ككتاب بعنوان (التجريب في مسرح السيد حافظ) وبهذا تعد هي الرائدة والتي سبقت كل النقاد والباحثين في الجزائر العظيمة.. لتكتشف أرضاً جديدة في الإبداع.. وهي المسرح التجريبي مع الرائد العربي المصري للمسرح التجريبي قبل خمس عشرة سنة.. فتفجرت لغتها وأبدعت ولها خصوصية لغوية فريدة بجمالها الفلسفي.. وثمن هذا الإبداع والتفجير اللغوي البكر.. فتحملت سهام الحاقدين والحاسدين وأشباه المبدعين الذين يقعدون له بالمرصاد والحصار الذي يمارسه هؤلاء الأشباه.. قد نالها منهم بعض السهام والتهكم من فاقدي هوية الإبداع وخصوصية اللغة.. وعمق الروى، وظلت ليلى بن عائشة.. شامخة صلبة قادرة على غزو المسرح العربي من المحيط إلى الخليج.. بمقالاتها وأبحاثها برؤى عميقة حديثة سابقة لعصرها.. نعم ليلى بن عائشة سابقة لكل النقاد والناقدات في الجزائر العظيمة الغنية بالإبداع. وشاركت في معظم المهرجانات

العربية للمسرح ولفتت الانتباه ليس فقط بلغتها المتمكنة ورؤيتها الثاقبة بل بقوة دفاعها وثقتها بنفسها.. كأميرة في عالم الأقزام من أشباه المثقفين؛ فأينما حلَّت تجلى قلمها مضيئاً كجوهرة تضفي إضاءته في سماء الإبداع ليشرق بلغتها صفحات وفضاءات النقد الأدبي فهي كالقنديل يتدفق نور أفكارها لتفتح للإبداع مساراً ومداراً جديداً وبكل هذه العبارات لا يسعني أن أقول أنك أيقونة التبصير والحوار للنقد الأدبي طالما تجلت بقلمها لتبني لها صرحاً وتشذره بلغتها لتسبح في ملكوت الأدب النقدي وتصبح علماً من أعلام النقد في الوطن العربي.. أما تناولها أعمال السيد حافظ ليست عابرة ولا سطحية بل متجذرة في أيدلوجية السيد حافظ الإبداعية المتنوعة ما بين المسرح والرواية والقصص القصيرة. فكتبت مقدمة ودراسة (مجموعته لك النيل والقمر) التي صدرت في (المجلس الاعلى للثقافة في مصر) سنة ٢٠١٥ ثم شاركت في ملف عن الرواية عند السيد حافظ في (مجلة الرواية) التي تصدرها الهيئة العامة للرواية المصرية.. فلا يكفي ما كتبت وأشرت به إليها.. إنها فاتنة النقد تمتلك حساً نقدياً إبداعياً ليس تقليدياً، متطورة مع التيارات الأدبية النقدية الحديثة بلغتها التي تميل إلى الشعرية مستندة على فلسفة الجمال.

أخيراً كلما ظهر لي اسم ومسكت القلم ترتجف أناملي أمام نابغات ومبدعات وباحثات ومفكرات لهن تاريخ ومعايير ومناهج ولغات وثقافات تخطت كل الصعاب والمسالك الوعرة والكتابات العشوائية والعلاقات المشبوهه من قبل بعض المهللين لكل من هب ودب والمتعاملين مع الأقزام وأشباه المثقفين.. التي سببت في طمس الثقافة المصرية..

وسيبقى لي من لدنك نوراً ونبضاً وروحاً

شعرية اللغة وجماليات السرد
في رواية نسكافيه
قراءة بقلم د. ليلى بن عائشة

إن الكتابة قلق لا ينتهي وهمّ إبداعي لا قبل للمبدع به ما لم يطور آلياته ،ونحسب أن الأديب الحق هو ذاك الذي لا يقف عند حدود النور في الكتابة بل يتعداها إلى حدود العتمة لينير المظلم منها ويلامس بسحر كلماته ما هو عذري بكر..ثم إن الانتقال من لون أدبي إلى آخر في الكتابة يحسب للأديب خاصة إذا أثبت قدرته على امتلاك زمام هذا اللون الذي أراد خوض غماره .

ولا أخالني أغالي إذا قلت هذا هو حال أديبنا السيد حافظ الذي تحول من كتابة المسرح إلى كتابة الرواية باقتدار ، وهذا ما تنبئ به روايته الأولى نسكافيه..التي يبدو عبرها الكاتب مولعا بالتجريب كما عهدناه في المسرح ،وباعتقادنا أنه بدأ من القمة وسبح ضد التيار فبدل أن يتدرج في كتابة الرواية بحسب ما هو معهود وجدناه يختزل كل المراحل ليكتب الرواية التجريبية حيث كسر تقاليد الكتابة السردية بابتكاره لعالمه السردي الخاص ومصطلحاته التي تكفل له التعبير عن كل ما يختلج بذاته وكأننا بتفاصيل الرواية ومساحة البوح والسرد فيها غير كافية ليقول ما يود قوله.. فكانت التنهيدة مساحة والهمسة مساحة، وتفاصيل الرواية مساحة أخرى.. وبين كل هذه المساحات فضاءات للمتلقي يطلق فيها العنان لذاته ليبدي رأيه، فيشاطر الكاتب ويقاسمه همومه أحيانا أو ليقف معارضا أو معترضا عن بعض أفكاره ربما أحيانا أخرى ،.. فرواية نسكافيه مساحة لشتى أنواع المتلقين يجد فيها كل متلق حيزه الخاص.. فالمولع بالجنس والنساء سيجد ضالته.. والمعترض

على أساليب السلطة واضطهاد النظام سيجد من يتكلم بصوته.. والإنسان الحالم والرومانسي لن يجد أفضل من مساحة البوح الرومنطيقي الذي حبلت به هذه الرواية..والمتمرد على كل الأعراف والتقاليد سيجد ذاته بين ثنايا شخصيات نيسكافيه..

نسكافيه رواية حالة لا لشيء إلا لأنها كتبت شهادة ميلادها بنفسها دون أن تكون بحاجة إلى مرجعية أو سند ،لبها تجربة الكاتب وسيرته الذاتية ،هي رواية سيرة بل سير ولكنها غير السير المعهودة، المتخيل فيها حاضر ولكن الحقيقة هي الحاضرة بقوة،.. نسكافيه رواية سيرة بعبق التاريخ واستعراض مهم لمحطات مشرقة ومشينة في تاريخ مصر والأمة العربية عبر همساته المتنوعة..كما أن تنهيداته تُقتلع من أعمق أعماقه ، بعضها كان متوائما بشكل كبير مع نسيج الرواية أي ان التنهيدة في بعض الأحيان تتواءم مع ما سيأتي في تفاصيل الرواية نأخذ على سبيل المثال:

((وكان يرى أباه الحاج وحيد سالم يرتل القرآن فى الليل ويصيح ويؤذن وهو نائم.. ويدعو الحاج سالم الله فى الليل تضرعاً، ويجلس الطفل وحيد يترقبه من فوق السرير في دهشة حالة والده في التجلي خارج الوعي)). ثم تأتي التنهيدة في توافق تام مع ما سبق ((تنهيدة.. (إلهي تسبح لك السموات وما فيها والأرض وما عليها وأسبح لك خجلا وأملا سبحانك من خلقتني ووهبتني نعمة الحكمة والقلم إلهي في الروح والنفس ألم.. إلهي أنت المجير وأنا المستجير وأنت المغيث وأنا أستغيث اجعل لى نوراً أمامي كثر الظلام والظلم حولي ومن يغير حولي وحالي وأحوالي إلا أنت ربى ورب الناس إلهي هب لي

من لدنك حكماً وعلماً ونوراً.. أخرجني من الظلمات أو المؤامرات احمني ودافع عني وأمكر لي وارزقني بفضلك يا رحمن يا رحيم..) آمين..)).

وبعضها الآخر كان بعيدا ،ولا نحسب أن الكاتب قد عنى بالتناغم بين الهمسة والتنهيدة وفصول الرواية بقدر ما عني بالفكرة في حد ذاتها وما تحمله من معاني وما يود للقارئ أن يستشفه.

رواية نسكافيه أيضا رواية استشرافية للغد الذي لا نعلم كيف سيكون لكننا وفق رؤية الكاتب ندرك كيف سيكون انطلاقا مما هو كائن.. وما نهاية الرواية إلا تقرير حالة لما سيؤول إليه الأمر إن لم تتغير الأوضاع ،وتقوّض الأنظمة الفاسدة.. ،.

((استيقظت في الصباح.. شربت نسكافيه.. أمسكت القلم ثم نظرت حولي.. أمسكت الصحف الصباحية.. وجدتها باللغة العبرية.. لم أصدق عيني.. فتحت التلفزيون.. نابل سات.. وعرب سات.. وجدت كل القنوات تتحدث بالعبرية من المحيط إلى الخليج.

رفعت سماعة الهاتف سمعت الهاتف يقول شالوم ويتحدث عبري قلت لا..

قالوا: ربما نمت سنين عددا..

العرب انتهوا منذ زمن..

قلت: كم نمت..؟

قالوا: ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا.. والله أعلم..

بكيت.. نزلت دموعي على الأرض تكتب.. كنت عربياً.))الرواية.ص.٥٢٢.

الرواية كتبت قبل ثورة يناير لكنها حملت في ثناياها –كما هي كتابات السيد حافظ– روح الثورة وبذرة التمرد.. كانت الجامعات المصرية هي نبض

الوطنية ووقودها.. الطلبة من قادوا كل حركات المقاومة المصرية.. واتفق الشعب المصري ومؤرخوه أن لا يذكر اسم الطلبة أبداً.. الرواية.ص ٢٢٠.ويستشرف الكاتب واقعا جميلا يتفاعل فيه بميلاد صلاح الدين من جديد ووجود القائد الذي ينتشل الأمة من الضياع بل إنه يكتب لهذا القادم ويخاطبه قائلا:

((إلى القادم..

لا أدرى من أنت؟

ومن تكون؟ ومن أي مكان ستأتي لتغير وجه التاريخ العربي القبيح الآن.. أكتب لك لعلك تقرأ ما كتبت وتعرف حقيقة ما جرى لي ولنا، فذنبنا الوحيد أننا وجدنا في زمن الأقزام ويظنون أنهم قامات، أكتب إليك ولا أعرف هل سأراك وأنا حي أم يراك أولادي وأحفادي نحن مضطرون أن ننتظرك.. مقاومتنا حتى الآن لا تفيد.

أيها القادم النبيل الجميل العنيد، نحن بلاد يسكت فيها كل البشر حتى الحجر نحن كمنجات بلا وتر، ونحن قمر بلا ضوء نضر لا أجرؤ أن أقول لك أننا صرنا لا بشر)). الرواية.ص.٧ .

غير أن التفاؤل يشوبه بعض التشاؤم الاستشرافي بأن المقاومة لم تثمر ثورة وإن أثمرت لم تنجح ((مقاومتنا حتى الآن لا تفيد.))هذه الثورة التي لم تولد بعد ثورة يناير ،التي نجحت في مسارها ما لم يجعلها الفاسدون تتحول عن مراميها النبيلة..

إذا تأملنا اللغة فشعريتها تراوح الشعر في موسيقاه ،الكلمات محملة بعبق الرومانسية الحالمة وإذا كان في الشعر العربي المعاصر ما يسمى بالقصيدة

النثرية فلنا أن نقول أن لغة الكاتب في مجملها في رواية نسكافيه نثر شعري على قدر كبير من الشعرية والجمالية ،لغة ترتقي بالذوق وتراوح مكانها بين دفتي النثر والشعر ومن ثمة فالكاتب اعتمد كثيرا على ما يصطلح على تسميته بشعرنة الخطاب السردي.ولنتأمل لغة هذه التنهيدة ((تنهيدة:

(بعض النساء يتحولن إلى زهور.. وبعض الزهور يتحولن إلى نساء.. وبعض الزهور تظل زهورا سجينة البستان.. وبعض النساء تظل نساء سجينة القصور.. وبعض الرجال لا يعرف انه تزوج من أنثى اصلها وردة؟

وبعض البستانيين لا يعرفون أن زهورهم أصلها نساء؟؟ وأنا أعرف أنك كنت زهرة وتحولت إلى أنثى كي تزرعي نفسك في قلبي وعقلي وروحي وأشم عطرك كل صباح ومساء. أنت بعض كل البعض) .الرواية.ص.٣٤٤.

لم تغفل الرواية –كما كان الكاتب دائما في مسرحياته–الجانب الإنساني الذي يبتعد فيه عن المحلية الضيقة ،كما ينأى فيه عن كل تفريق ديني أو طائفي ليركز على الإنسان في عمقه كإنسان، وعلى الوطنية بجوهرها التي لا يفرق فيها بين مصري مسلم أو مصري مسيحي أو يهودي فالمصري في عرف السيد حافظ مصري وكفى.. يقف حائلا وسدا منيعا بكلماته دون كل الثغرات التي قد يتسلل عبرها العدو لزعزعة الاستقرار وزرع الفتن ،وعلى رأسها النعرات الدينية والنزعات الطائفية..

((أحب بلادي الحقيرة الخائنة التي استطيع أن أضمها كل ليلة في حضني كوردة أو وسادة أو جملة في عبارة وهى على حافة المقبرة ملطخة بالدم

والفساد من آلاف السنين أنا الصامد للفساد وتردى المعرفة أنا القاهرة ومصر الخفية الطاهرة لا الظاهرة وأنا العروبة الخفية النادرة وليست العروبة الحالية..

أكل نفسى بها امال وافراح رغم ان كلها جراح احب بلادى الحقيرة الخائنة التى استطيع ان اضمها كل ليلة فى حضنى كوردة او وسادة او جملة فى عبارة وهى على حافة القبر ملطخة بالدم والفساد من آلاف السنين انا الصامد للفساد ونردى المعرفة انا القاهرة ومصر الخفية الطاهرة لا الظاهرة وانا العروبة الخفية النادرة وليست العروبة الحالية.. أنا الإنسان.. الرواية ص.٤. كما يقول السيد حافظ في موضع آخر في شبه تناص مع محمود درويش وإن كان التناص لديه يحمل قوة الابتكار وروح الجدة وجوهر الإبداع ليوسع هنا رؤيته فيتحدث بلسان كل الأعراق والأجناس والاتجاهات والأحزاب، يتكلم بلسان المصري والعربي والإنسان في كل مكان يحي أهله في ظل ذات المأساة ،مأساة هدم الإنسان.. تحت مسميات كثيرة:

(تنهيدة: سجل أنا عربي قال محمود درويش وأنا أقول لك سجل أنا عربي أنا مسلم أنا مسيحي أنا نوبي أنا شيعي أنا سني أنا أرميني أنا يهودي أنا علوي أنا درزي أنا فاطمي سجل أنا فرعوني سجل أنا خليجى فلسطيني سوري لبناني تونسي أنا فتحاوى أنا حمساوى أنا قومي أنا شيوعي وإخوان مسلمين أنا وهابي سجل أنا عربي أقصد رعبي أقصد بعرى أقصد عبري أقصد غبي إرهابي وأظن إني ظل نبي). الرواية ص.٤٧.

باختصار لم نقف في هذه القراءة المقتضبة إلا على بعض النقاط المضيئة في هذه الرواية الاستثنائية، وما استوقفنا كثير على غرار تداخل الأزمنة

،والأمكنة وسلاسة الانتقال بين الماضي والحاضر والمستقبل المُسْتَشْرَف ،واعتماد تقنية التغريب التي تبقي القارئ متيقظا غير مندمج في الرواية وربما كانت الهمسات والتنهيدات إحدى قنوات التغريب الذي تحقق بقوة عبر الرواية ،ناهيك عن التبئير الذاتي أو الداخلي بوصفه تقنية أساسية اعتمدها الكاتب لينقل الأحداث ويسردها من وجهة نظره الخاصة ،وربما كانت الأنسب – كما نعتقد– لأن الرواية قائمة على سيرة ذاتية يتم فيها توجيه الأحداث وروايتها وفق ما يراه الكاتب من وجهة نظره الخاصة مستعينا في الوقت نفسه بالمونولوج والحوار مع الذات ،ومع ذلك نجد أن فضاء الرؤية والتعبير والرأي الآخر متاح لشخصيات الرواية بحيث قدمت وجهات نظرها من منطلق ما هي مؤمنة به بحرية ولم نشعر للحظة أن الكاتب يقف دون تعبيرها الفعلي عن آرائها بخاصة شخصية لمى..

وما نود التأكيد عليه في ختام هذه القراءة أن رواية نسكافيه رواية مغرية بالقراءة والاكتشاف،لأنها تسائل القارئ وتجعل منه قارئا مختلفا، إنها ببساطة تنتج قارئا إيجابيا يتجاوب مع النص الإبداعي ويسهم في ترتيبه وكتابته من جديد..وإذا حاولنا تحديد هوية هذه الرواية فلنا أن نقول أنها تتقاسم مع الكاتب كينونتها عبر سؤاله في التنهيدة الموالية، مشركا المتلقي في أسئلة الهوية تلك ،ومن ثمة نقطع الشك باليقين لنقول (نسكافيه) الرواية=الكاتب (السيد حافظ)

والكاتب (السيد حافظ) = الرواية (نسكافيه)

(تنهيدة: تسألوني من أنت؟ قلت أنا الصفر وأنا السفر..أنا القلم وأنا الألم أنا الحب وأنا الجرح.. أنا جسد العروبة العجوز وروح الأمة المتعبة.. أنا

الحاضر والماضي والمستقبل.. أنا الكبير الصغير والصغير الكبير وأنا الأسير في العشق بل طريق. أنا الغريب في الوطن.. وأنا وطن كل الغرباء.. وأنا الغربة وأنا الغنى الفقير.. والفقير الغنى..)

وأنا الجمهور الجائع للخبز والغاز والعطش للماء وأنا الانتماء النادر وأنا النيل النقي وأنا التقي وأنا الموسيقى والشعر والنثر وأنا الصمت الزى يصبح غناء وأنا جهل العروبة والعروبة الضائعة وأنا مصر يعنى مصريم بن بنصر بن حام بن نوح عليه السلام وأنا السلام والصمت والكلام والقهر والانسجام وأنا القصيدة العبقرية والسراب وأنا الحضور في أفكاركم وأنا الدنس والقداسة وأنا الطهر والنجاسة وأنا عبد الوهاب وفريد الأطرش وسيد درويش وصوت عبد المطلب أول رمضان وأنا لست أنا في خارطة الوطن الأعمى.. الوطن الإنسان وأنا الإنسان حين يصير الوطن إنسان..). الرواية ص٥١٩.

سحر المكان عطر الزمان.. وروح الإنسان
كابتشينو رشفة على شفاه الأنا
قراءة بقلم د. ليلى بن عائشة

<u>نرجسية الكتابة وحمى التجريب</u>

كان التجريب ولا يزال ضالة المبدع المبتكر الذي يسعى سعيا حثيثا إلى تجديد دماء إبداعه بطفرة إبداعية أو تجريبية تغير معالم الجاهز والمعهود إلى اللامألوف المبهر الصادم والمختلف ، ولعل السيد حافظ أسير التجريب منذ عهده الأول بالكتابة.

إن المتأمل لكتابات السيد حافظ سيجد لا محالة ذاته مبثوثة في ثنايا الكلمات وروح إبداعاته التي تحيلنا على انه يعشق الكتابة حد الجنون إنه يعشقها في ذاتها ولذاته لا لذاتها ، قد يكتب للمتلقي في دعوة مفتوحة له ليشاركه أحاسيسه ومشاعره وأفكاره ، ويبثه شكواه ، ولكن الخفي واللامعلن في الأمر أنه لا يكتب سوى لذاته وإرضاء لها، قد ينظر البعض إلى الأمر من زاوية الأنانية والنرجسية المفرطة من قبل الكاتب،الذي يرى في ذاته حكيما باختياراته التي اقتنع بها رغم ما تجره معها ،والأديب الحق ينبغي أن يكون كذلك "طوال عمري كنت أفسد حياتي باختياري للحكمة والحب والمعرفة والكتابة" ص.١١٤.ولكنها من زاوية نظر أخرى قمة التواصل والتلاحم مع الآخر ؛إذ لمن يبث الإنسان شكواه ويروي عذاباته وأناته ولواعج نفسه، ومر وحلو أحاسيسه إلا لمن يحب وبمن يثق، فقد صفا ود الكتابة لديه حتى أضحى شفافا يرُى منه كل شيء لذا اختار أن يكون كذلك أمام القارئ الذي يتلقى روحه عبر كلمات تنبض نورانية وروحانية وحسية أيضا، ليكون ملكا مشاعا للجميع، وعلى الرغم من تصريحه بعدم الاعتداد بالنفس إلا أنه يؤمن

أنه متفرد يقول ذلك على لسان شخصياته التي تحمل فكره وروحه ،"قلت دون ادعاء: أنا من تخلع النساء أحذيتهن عند عتبات داري ومن يتعطرن له حين يقرأن كلامي ومن يتوضأن ويصلين شكرا لله ركعتين عند عتبات داري.. "ص.١١٥، لذا وأنت تقرأ له فأنت تقرأه من الألف إلى الياء ، وأنت تقرأه فأنت تطلع على سرائره ، والسرائر هنا جمع لذاته المتقلبة بين الحزن والفرح بين الأمل واليأس بين الاعتزاز والاعتداد بالنفس والانكسار والقهر ،بين الاعتراف والجحود والنكران..فبين التقلبات المزاجية العديدة لا يملك هذا الكاتب إلا مساحة الكتابة فقد بات الصوت مبحوحا ولا يكاد يصل، وأي المنابر ستسمع أناته وزفراته، كل المنابر عاجزة أو جاحدة..لكن وحدها الكلمة التي يسجلها التاريخ تبقى أزلية وصوتها المهموس والمجهور مسموع وإن سدت الآذان فهو يخترقه ليرتسم نقشا على العقول والقلوب . يدرك الكاتب أنه ذاته /وليس الآخر ، فالاعتداد الواضح بالنفس يعكس هذه الذات التائهة ربما والتي تبحث عن نفسها ،أو تبحث لنفسها عن مكان لا يستقيم مع ماهو موجود ولا يمكن أن تتموقع في حيز محدد، وهذا منتهى الاعتداد بالذات ولكنه في لحظات ما يستدرك ويدرك أنه ليس هذا أو ذاك بل إنه يحمل من صفات الهذا أو الذاك، ما يزكيه ويزيده رفعة "أنا لا أستطيع أن أكون أبا حنيفة ، ولكنني قد أشبهه في بعض الأشياء في قولة الحق ولقد خسرت كل شيء في حياتي بسبب هذا "ص.١١٣ .

<u>كابوتشينو أنوية وتناسل الحكايا</u>

لا روح للسرد مالم يكن أفق الروائي واسعا وخياله متقدا ، يخلق الحكايا من رحم اللاشيء ليبهر ويأسر القارئ ، وليعلن عن ميلاد عوالم موازية ولكنها

مختلفة في الوقت نفسه عما نعيشه، وكابوتشينو هي ثلاث حكايات تخترقها مئات الحكايا، شخصيات متباينة، في أزمنة مختلفة ومتباعدة ولكنها متشابهة أو بالأحرى ثمة ما يصل بينها:

حكاية سهر وكاظم..

حكاية فتحي رضوان وتهاني /فاتن.. .

حكاية نور ومحب/موسى وفرعون..

لكنها حكايا عن الذات وتقلباتها ،عن بناء الإنسان /بناء الحضارة ،عن الماضي/ والحاضر ،عن المستقبل الذي يستشرفه الكاتب/يحلم به،هي سيرة ذاتية /غيرية ،هي تاريخ/ وفلسفة ، هي نبوءة/ واستشراف حياة،هي أنا /وأنت ،هي الأنا /والآخر، هي الهو /والهو،.. باختصار هي تشكيلة من الثنائيات المتلازمة ،المتضادة المتلاحمة ، هي مشروع يتعدى مجرد سرد حكايا لقارئ يتسلى.. هي ماذكر آنفا وأكثر..

ليس من السهل الكتابة على الأنا والوقوف أمام القارئ عاريا؛ حيث خبايا الروح وحناياها تشف من بين الضلوع لتعلن عن إنسانية الإنسان في أدق تفاصيلها ،وأحلى معانيها ،إنسانية يتجرد فيها الإنسان من الحقد الأزلي والضغينة التي تعتم على كل ماهو جميل ،إنسانية يترفع فيها عن العنصرية ،والفرقة الدينية والفكرية والطائفية، ليرسم دروبا للمحبة والنقاء المفتقدين في عالم تغيرت فيه ملامح الإنسانية وأضحى التطرف ينخر كل شيء حتى المشاعر.أبى السيد حافظ عبر شخصيات روايته هاته بل رواياته أن ينشر ذاته بين ثنايا كل منها ،لتتوزع هذه الذات المتفردة عبر مئات الشخصيات ليقرأها ويستقرئ مكامن الضعف والجمال والعنفوان في كل منها ،وكأنه روح عاشت بألف روح،أو روح حلت في ألف روح وروح وتناسخت وحلت هنا وهناك

،لتتجلى تجربته في معرفة تفكيرها وعلمه بحالها وأحوالها والغوص في أعماقها ،ولكنه في كل هذا وذاك يقدس ذاته بنرجسية عبر الكشف عن ما تنطوي عليه هذه الشخصيات على اختلافها وتنوعها ،ويبث روحه المشرئبة إلى عودة الإنسان إلى منابعه الأولى والفطرة التي جبل عليها،رغبة منه في أن تكشف هذه الشخصيات عن ضعفها الذي هو أمر طبيعي وإنساني ، وليحملها على تقبل ذاتها،كما يتقبلها هو ، فذاته رغم تعاليها وإحساسها بالتفرد والتميز تهفو إلى جوهر الإنسان وروحه التي خلقها الله وأبدع في خلقها ،لا ينشد في ذلك المثالية بقدر ما ينشد الإنسانية الحقة على فطرتها بعلاتها وضعفها ولحظات قوتها ،لأنه ببساطة إنسان..

أنسنة[٢٨٢] المكان وروحانيته:

لعل سيطرة البحث عن إنسانية الإنسان ،الإنسان /الذات/الآخر هيمنت على فكرة السرد في هذه الرواية حتى أسبغ الكاتب صفاتها على كل شيء،فـ" إذا كان المكان الواقعي يتحدد بعلاقاته المكانية فإن المكان الروائي (..) يتميز بأنه فضاء لفظي (وهو لا يتشكل إلا من خلال اللغة)، وفضاء ثقافي (وهو ماتعبر عنه اللغة من التصورات والقيم والمشاعر،..)، وفضاء متخيل (وهو الجانب الحكائي المتخيل من يا الروائي)"[٢٨٣]. ولكن هل يخضع المكان في المتن الروائي "لكابوتشينو" لهذه التحديدات والأطر ؟.

282 -Good writers use figurative language like personification to give their writing life and to connect with their audiences. By giving inanimate objects human qualities, personification helps to relate ideas and objects to people, allowing an author to convey his meaning more effectively. http://figurativelanguage.net/Personification.html

٢٨٣-محمد محي الدين مينو:معجم النقد الأدبي الحديث ،ط.١.منشورات دائرة الثقافة والإعلام الشارقة ،٢٠١٢.ص.٢٧٨.

ولئن كان غاستون باشلار قد تحدث عن الأطر التي تحدد المكان وتعطيه أبعاده الجمالية والفنية، والتي تتسع وتضيق بحسب طبيعته وشكله ونوعية الفضاء والحيز الذي ينطوي عليه، فإن المكان في رواية كابوتشينو يتخذ أبعاد وأطرا تتجاوز حدود ما أطر ،وتتحدى نواميس المنطق المعهود لترسم لنفسها معالم من أخاديد الروح وعذابات النفس، وسمو المشاعر وقدسية الحب، وحرية الاعتقاد " والله أخوي كاظم ما عدنا نعرف مسلم من مسيحي من درزي لسني لعلوي لشيعي..

-أحسن هيك..إنك تسيب الموضوع ده لله في السماء..أحسن هيك "ص.١٥ . لتكون هذه الرواية مفتوحة على التأويل لكن الثابت أحد أهم أسبابها هو التسامح والحرية في المعتقد وفي أشياء كثيرة من مناحي الحياة وحب الإنسان للإنسان ، وهي التي تشكل جوهر الحياة.

<u>أنسنة القمر:</u>

لقد غدا المكان في هذه الرواية أيقونة تحيلنا على قراءة جديدة ومختلفة للمكان الذي أُنسن فأضحى شخصا من دم ولحم وروح،لذا ونحن نسترق السمع، نجد القمر قد نزل من عليائه فنسمع صوته وهو يئن ويشكو، وشهرزاد القديمة المتجددة تأبى أن تستقبله.

"لن أفتح الباب..ربما هو صوت القمر نزل ليطمئن علي ويشكو لي من النساء " ص.٤٦

بل يخلع الكاتب على القمر الصفات الإنسية ليغدو عذراء يحمر وجهها خجلا..

"ماذا بي؟.. عندما سأقول أحبك يحمر خد القمر لا أعرف لماذا؟ " ص.٦٨.

قد يصبح المكان كلمة لا فضاء أو حيزا تشغله مادة فيزيائية، بل المكان كلمة مصيرية للذات التي تنشدها،كما نشدها محب كلمة العفو من قلب نور "كان يشم هواء البيوت ليهدأ قلبه ويستطيع النوم أبحث عن فردوس كلمة العفو التي أود أن أنطق بها لها" الكلام على لسان محب ص.١٨٦.

جمالية المفارقات في الأنسنة:

ونحن نغوص في سحر الكلمات وعبقها نكتشف أن كابوتشينو رواية حبلى بالمفارقات الصارخة التي تعمق الصورة وتجعلها أكثر شفافية ووضوحا، لترسم صورة بالكاد نتلمسها ونستشعر غرابتها وجمالها في الوقت ذاته ،وهنا يؤنسن الصمت ويصرخ بملء فيه:

"متى يكف صمتك عن الصراخ في دمي" ص.٦٨

بل يغدو الصمت إنسانا يرقص في لحظات الحب "الصمت يرقص معنا "ص.٨٥

ولعل من المفارقات الملفتة استشعار الجمال والأمان في مفارقة تجمع بين (الحمّام) والرقص مثلا ،ليغدو الحمّام فضاء حميميا دافئا،يحتضن الجسد ليرقص ويتردد في فضائه الصوت هروبا من الواقع الأليم وتحديا له ،فالحمّام في عرف كابوتشينو قد يكون أنسب مكان للرقص وانطلاق المشاعر "أجمل الاشياء أن ترقص بمفردك..وأنت في الحمام وأن ترقص وتغني..وأن تسمع صوتك وأنت تشدو لتقاوم الحزن والوحدة والاكتئاب.."ص.٨٩.

الحشيش وطن وسكن للروح المتعبة

حتى الحشيش في عرف المتن السردي لكابوتشينو سكن بل وطن للمهمشين، فعبره تتحقق المساواة والعدالة الإنسانية بين بني البشر

ليتساوى الجميع في عالم النشوة وتعديل المزاج توسلا للنسيان ، وبحثا عن لحظات السعادة الهاربة ،ففي عالم المحششين تغيب الفوارق الاجتماعية وتذوب الطبقية ،

"الحشيش يجمع الأمير مع الخفير..الثري مع الفقير.." ص.٤٩

بل يصبح الحشيش وطنا وسكنا ،وطمأنينة لفئة معينة ممن لا وطن لهم ولا سكن ، ثم إن ضيق واتساع المكان/الحشيش يرتبط بالكلمة في حد ذاتها ،حسب ما قد تحدثه من تأثير على الشخص " الحشيش الوطن السفلي للضائعين..عالم الحرافيش والمهمشين والسفلة..متسع وضيق لا يعرف اتساعه إلا من ملك كلمة السر.. حشيش.."ص.٤٩.

أنسنة الجبل:

كان الجبل ولا يزال مكانا يلجأ إليه المتمردون والثوار ،بحثا عن سبل تكفل لهم انتزاع الحرية ،وعادة ما يرتبط بالسلاح والطريق اللامسالم في تحصيلها ،وقد لا يكون تمرد الفرد إلا على نفسه ومن هم حوله كما هو حال كاظم " خرج من الدار..صعد الجبل..لتصعد الروح للحرية للنور للسماء"ص.١٤ وقد يكون الجبل رجلا يطمئن على النساء في وحدتهن، " ربما هو الجبل جاء على هيئة رجل ليزورها [ليزور شهرزاد]" ص.٤

وقد يشكل الجبل مكانا للحرية والتحرر ،ولكن عبر ممارسة طقوس الرقص "قالوا الرقص هو الخلاص أرقص فوق الجبل ليتحرر الجسد والروح من الوجع والسهد"ص.٨٥ مثلما رقص العاشقان نور ومحب في غمرة الحب ونشوته " رقصت نور ومحب فوق الجبل..وقف الحصان برق يراقبهما

بعيد"ص.٨٨ وهنا يصبح الرقص الذي يسمو بمشاعر المحبين حياة أو "روح الحياة بل صلاة قبل ظهور الأنبياء" ص.٨٩

إن المكان في هذه الرواية يشكل بؤرة السرد وجوهر الرواية بلا منازع،ولعل أنسنته أسهمت في جعله عنصرا فاعلا في تأكيد شعرية اللغة السردية وحسن توظيفها،وجمالية الصورة المشهدية الناطقة والنابضة بالحياة عبرها.

أنسنة المشاعر:

أنسنة الحب/الروح تسكن الحب

الحب إنسان وسكن وسكينة وطمأنينة، هو الفضاء الذي يحتوي الروح أو بالأحرى الذي تسكنه الروح بدل أن يسكنها، بل للحب روح تسكنها روح المحب، هي صورة في منتهى العمق والجمالية تلك التي وصف بها الحب في كابوتشينو ،" الحب روح لا تسكننا بل نحن نسكن روح الحب..حتى نغسل نفوسنا من الحزن والشر" ص.٧١.أكثر من ذلك فالحب فضاء هلامي وحيز لا يرى لكن يمكن تحسسه والإحساس به ، والسكن في رحابه

"الحب قصر نسكنه ولا نراه"" ص.٨٤.

الحب سر من أسرار الخالق المبدع المحبوب من العبد المؤمن به المقر بعظمته ،والمدرك لرأفته وحنانه ،فحبه سر الكون الذي انعكس على العباد فتحابوا.. "الحب.. سر الكون سر الله فينا..سر الروح، ومن شعر بأن الحب فات ومات وذبل هو لم يذق طعم الحب الحقيقي"ص.٣٨٤.بل إن الحب مرتبط بالإيمان وكلاهما قوة لا تضاهى" يا خالتي..الإيمان والحب قوتان "ص.٣٧١ .

ولا شك أن الحب الذي يملأ على الإنسان كيانه قد يزلزل وجدانه ويهد أركان السكينة في ذاته ،ويهدهد الروح أحيانا ويخلخلها أحايين أخرى "أنا أعلم يا صغيرتي الحب زلزال"ص.٣٨٩.فقد يكون الحب نقمة على صاحبه ويموت حين لا يحظى بالقبول فتكون حياته وروحه في أفول ،ومآله إلى التلاشي والانسحاق ،" الحب يسهرنا..يعذبنا يفرحنا ويؤلمنا..الحب يعذبنا بقوة ، ويفرحنا بجنون.."ص.٥٢. والمؤكد أن الحب علاوة على كل هذا وذاك بوتقة تنصهر فيها جملة من المشاعر المتناقضة والمتضاربة، والمتعارضة لتضطرم "الحب غالبا يعشق الصمت وأحيانا يحب الكلام وربما الغناء..الحب حيرة، وبحيرة فرح وأحزان مختلفة لا تعرف كيف تفصل الحزن من الفرح ومتى يكون الربيع ربيعا والشتاء شتاء"ص.ص.٢٢٢/٢٢٣.

ويرتبط الموت بغياب الحب أيما ارتباط ليصبح وجوده حياة وغيابه موتا وفناء لا محالة "الإنسان الذي يشبع من الحب هو إنسان ميت حي" ص.٣٨٣.

<u>حضن الأم وطن/ والوطن غربة وألم:</u>

الأم أيقونة الحب اللامتناهي ونبع الحنان الذي لا ينضب ،في صورة جميلة تنضح إنسانية ودفء يصف الكاتب موسى عليه السلام وهو في أحضان أمه يوكابيد ليكون هذا المشهد أبلغ صورة عن دحض التراكمات السلبية التي عششت في الأذهان (الرجال لا يبكون مثلا – الأنبياء مقدسون أي نعم مقدسون لكنهم بشر) – ،لتؤكد على إنسانية الإنسان أيا من كان ،فيكون حضن الأم بذلك وطنا لكل إنسان أينما كان "وارتمى في أحضانها وبكى ،بكى موسى وهو في الأربعين.. أليست أحضان الأمهات لنا أوطانا مهما كبرنا "ص.١٤٨.وقد يصبح الوطن الحضن الدافئ مكان يضيق بأبنائه تماما كما

حدث مع موسى الذي يتحدث الكاتب بوجعه على لسانه فكلاهما عاشا تجربة قاسية ،فالألم واحد لا يفرق بين إنسان عادي ونبي ،بل إن الإنسان المبدع هو نبي أيضا نبيالكلمة، نبي دون وحي ..

"آه يا مصر الوجع.. على الرغم من أني أنجو بنفسي من مصر فإني أنتحر يا مصر الوطن..الرحيل كفن والهجرة والسفر عذاب وقتل بطيء وخطر.. آه يا مصر الذكريات والحب والوطن.. لماذا تفعلين بي هذا؟"ص.١٥١.فيؤنسن المكان ويعاتب كما عاتب موسى /السيد حافظ الوطن .

<u>أنسنة الزمان</u>:

من أجمل صور أنسنة الزمان في رواية كابوتشينو ما ورد على لسان فتحي رضوان وهو يشخص الزمن ويوصي بسؤاله "إذا مر الزمان ببابكم سلوه أين حقائب أحلامي التي أخذها ؟ وأن يشتري حذاء لكل الحفاة في مصر والبلاد العربية"ص.٢٩ .

وفي صورة أخرى لا تقل جمالية وحياة وألقا يقول السيد حافظ على لسان كاظم العاشق مؤنسنا ومتحدثا عن مجيء الليل وخجل القمر ، واستيقاظ الفجر وهمسه، وبكاء النجوم والكتابة على خدودها ، بتصوير نابض يجعلنا نستحضر شعرية الموقف، وجمالية المشهد وبانورامية الأنسنة بصفات تتوزع على مخلوقات الله من غير الإنس:"يجيء الليل عند قدميك يا سهر وينام القمر مغشيا عليه ،أو في حالة خجل ، ويصحو الفجر مستترا ،وينسحب بصوت الهمس حتى لا يوقظ قلبك أو يقلقك، وأنت في أحضانك حلم بي ،يهون علي بكاء النجوم وهي تعطرك، وأكتب على خد كل نجمة أحبك.. "ص.١٣. ويؤنسن الليل مرة أخرى من خلال غيرته –بوصفه رجلا– التي

تظهر بالعقاب الذي سلطه على سهر عبر هوائه الذي تسبب في مرضها "أصابها هواء الليل البارد الذي غار من عشق سهر للعصفور "ص.٢٢٤.

<u>تشخيص القبح/القداسة عبر أنسنة المكان</u>

القرية التي تخنق كاظم وتكتم أنفاسه وترمقه بنظرات الريبة والتتبع والشك في سلوكه ودينه ومعتقده ، هي سجن ومكان مقفر ، وهي قرية تستحق الغياب فاختيار اللفظة يحيلنا على القرى وما أصابها في غابر الأزمان ،لتشير هذه اللفظة على كل سلوك مستمج يقوم على الجحود والنكران والإمعان في إيذاء الآخرين " جحيم القرية"ص.١٤.

"قريتنا مكان أم حزن أم سر الأنبياء"ص.٤٨.

ويستحضر الكاتب في موضع آخر من الرواية وصف الوهراني لمصر مشخصا ومؤنسنا إياها، جامعا في توصيفه جملة من المتناقضات والمتضادات التي لا تستقيم، ولكنها استقامت وانسجمت عبر جمالية الوصف وإبداع الكلمة، وحسن صناعة الصورة بقوله: "هي عجوز محتالة وطفلة مختالة ، وروضة زاهرة، وامرأة عاهرة ،ولدت في السعود ونشأت بين الطبل والعود،حتى إذا هرمت سعودها، وذوى في الترب عودها، رميت بالرواعد،فأتى الله بنيانهم من القواعد "ص.٣١. كما يصبح الحب بعيد المنال طوقا يلف رقبة صاحبه ، والكره سجن يأسره ويكبله "..وجلس فوق الجبل سائلا الله أن يخرجه من أسر طوق سهر، وسجن وردة "ص.١٤.

<u>تشييئ الإنسان:</u>

إذا كانت الأماكن تؤنسن وتشخص لتمتلك روحا فإن الإنسان المنبوذ وغير المرغوب فيه، في كابوتشينو يشيّء ويحمّل عاطفيا بسمات سلبية ،وبكل ملامح القسوة والوحدة ،وغيرهما تماما كما هو الحال بالنسبة لشخصية

وردة زوجة كاظم فهي سجن لزوجها؛بحيث أضحت مكانا مقفرا تغيب فيه ملامح الحياة والدفء ، مكان تضيق فيه الأنفاس " وأظل أنا وحيدا سجينا مع وردة "ص٤٨. و"سجينا مع وردة" هنا لا تعني بمعيتها بقدر ما تعني أنها السجن في حد ذاته .

تشيء وردة في أحاسيسها ومشاعرها والتعامل معها ،فغياب الحب معناه تشييء الإنسان " بدي اياك تتكلم معي ما تتركني هيك مثل الكرسي والكنبة والتلفزيون " ص.١٤.ولكن بالمقابل وجود الحب يعني أنسنة الجماد وتشخيص الموجودات..

ومن نافلة القول أن رواية كابوتشينو حملتنا عبر تقنية الأنسنة والتشييء وتشخيص عناصر الطبيعة والكون، وأنسنة المشاعر وما حملته من مشاهد جمالية، عمقت السرد على مستوى تواتره ،وشعرية بنائه مما جعل الرواية تنوء بسر من أسرارها ألا و وهو الأنسنة والتشخيص اللذان أسهما في عمق بناء الصور الجمالية ،و أضفيا على عناصر السرد مهابة لغوية وفكرية متميزة تجعل من الرواية تطلق دعوة للقارئ ليحتضن جملة هذه الصور التي أبدعها الخيال وصدقتها اللغة وترجمتها عبر السرد /والأحداث/ وتفاعل الشخصيات لتكون هذه الآلية واحدة من الميكانيزمات التي أعطت دفعا للرواية لتكون ماهي عليه رواية الإنسان / وأنسنة المكان والزمان ،فينعكس سحر المكان ليعبق الزمان بعطر الروح،وسمو المشاعر.. فتولد كابوتشينو قطعة من روح الكاتب.. وتستمر الحكايا بعطرها الأخاذ..

السيرة الذاتية

د. ليلى بن عائشة

Leila Benaicha (m) Gouali

أستاذة محاضرة بجامعة سطيف ومذيعة سابقة بالإذاعة الجزائرية

- حاصلة على شهادة الدكتوراه في الفنون الدرامية.
- حاصلة على شهادة الليسانس في اللغة الإنجليزية ٢٠١١ .
- تشغل حاليا منصب أستاذة محاضرة (أ) بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات بجامعة محمد لمين دباغين سطيف.
- حاصلة على أربع شهادات خبرة في مجال الإعلام والاتصال بالتنسيق بين الإذاعة الجزائرية ومنظمة اليونسكو ٢٠٠٢/٢٠٠١/٢٠٠٠/١٩٩٧ .
- عضو مخبر أرشفة المسرح الجزائري بجامعة السانية وهران.
- عضو هيئة تحرير مجلة فضاءات المسرح الصادرة عن نفس المخبر.
- رئيسة فرقة بمخبر اتجاهات النقد المعاصر بكلية الآداب واللغات جامعة سطيف.
- عضو لجنة القراءة بتظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٥.
- رئيسة الملتقى العلمي للمسرح الأمازيغي بباتنة دورات ٢٠١٥/٢٠١٤/٢٠١٣/٢٠١٢ .
- رئيسة ورشة تقنيات الكتابة الدرامية وأصولها بأكثر من مهرجان..
- عضو لجان تحكيم بأكثر من مهرجان مسرحي وطني.
- عضو لجنة جائزة فخامة رئيس الجمهورية علي معاشي للمبدعين الشباب دورتي ٢٠١٦/٢٠١٧.
- صدر لها أول كتاب عن التجريب في المسرح بعنوان التجريب في مسرح السيد حافظ سنة ٢٠٠٥م بالقاهرة.
- وكتاب مخطوط عن نقد النقد المسرحي قراءة في تجارب بعض النقاد المسرحيين العرب .
- ومخطوط بعنوان: البحث عن المسرح الحلم مقاربة تأويلية... لها عدد من المسرحيات قيد الطبع..محاكمة نسوية ، أنوثة مصادرة ،سوق النساء،السوق نتسذنان، أمغار تامنوكالت باللغتين الأمازيغية والعربية..

- أعدت واقتبست عددا من النصوص العربية والعالمية من بينها لعبة السلطان والوزير لعبد الله البوصيري والتي أسمتها زيدني نزيدلك المشاركة في مهرجان المسرح العربي بالكويت٢٠١٦..
- ومسرحية التقرير: إكرفالن عن ذكرى سنوية لتشيكوف ، ومسرحية بوسعدية عن نص بابا مرزوق ليحي موسى..
- نالت مسرحيتها ورنيد أكيدرنيغ جائزة أحسن عرض متكامل في مهرجان المسرح الأمازيغي بباتنة الجزائر دورة ٢٠١٤ .
- نالت جائزة أحسن نص عن مسرحية "ورنيد أكيدرنيغ" في نفس الدورة .
- شاركت في عدد من الفعاليات الثقافية وفي عدد من الملتقيات الدولية والعربية منذ ٢٠٠٥ حتى الآن.
- مشرفة ومعدة لبرنامج منمنمات ثقافية بالتنسيق مع المسرح الجهوي بالعلمة ٢٠١٧
- للباحثة عدد من المقالات في النقد المسرحي والدرامي التلفزيوني..على صفحات المجلات الفنية العربية والمجلات الأكاديمية المحكمة
- شاركت الباحثة في إعداد دراسات متنوعة في عدد من المشاريع البحثية المعتمدة من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر وجلها عن المسرح وقضاياه في الجزائر والوطن العربي .

رقم الهاتف: 00213796147746 / 0021392392448
Email:leila_benaicha@yahoo.fr

□

كلمة عن الدكتورة/ لبلبة فتحى خليفة

أخذت فنجان من قهوة سادة.. وارتشفت رشفة وقلبته لأتسلى بالنظر لما رسم وحفر من مسالك وخطوط وأنا آمر تلك الخطوط أن لا تغفو كي أقرأها.. هل أستدعي شهرزاد؟ وتمنيت أن تكون معي لتشاهد خطوط فنجاني وتقرأ طالعي وما كتب لي الفنجان من مآسٍ وآلام وحكايات.. تذكرت بعضها.. وتلهفت لرؤية الأحلام.. بحرائق الشوق لأغادر ذكريات صباي المحمومة بحمى الحزن والقلق.. فتنهدت بقوة.. وهمست للفنجان.. مهزومة أنا.. تعجل وأنقذني يا فنجان قهوتي وأرني حلمي الذي اغتاله الزمان والحظ.. الحقيقة هنا بين يدي الآن دراسة عن رواية (قهوة سادة) للكاتب الأعجوبة والكاتب الضرورة جعلتني أتأفف وأتبرم من الورق وأكاد أحرق الأورق، ولأن الورق غبي ولم يحتفظ بالحروف ويمحوها لكن لا يعلم أن ذاكرتي مركز حفظ لكل ما هو جميل وراقٍ يشدني لأقرأ وأبروز ما شدني ببرواز عبقري يليق بما خط وكتب.. أعترف أنني تجاسرت وأفرجت في رغبتي فليس هي مزحة وإنما الكاتب أهدانا لوحة ارتسمت في مخيلتي شخصيات ساحرة ومثيرة وشريرة ومعطاءة وآكلة لأجساد البشر ومتصبغة بين الحب والمصلحة ومنتزعة للحقائق والجمال تماماً مثلما لو قارننا بين الزهور.. منها الطبيعي والاصطناعي.. فماذا نستخلص.. أي ماهو الفرق؟؟؟

يسقط هنا الحرف أمام عدسة بصيرتك أيتها الناقدة والدكتورة المتألقة.. (لبلبة فتحي) أستاذة في جامعة طنطا كلية التربية النوعية.. مدرس مسرح.. ليستعيد عدساته من بصيرتك وليركز أبجديته ويرفع هامته ويستقيم..

قدمت الدكتورة والناقدة (لبلبة فتحي خليفة) دراسة وافية ومذهلة بعنوان المرأة والحب في روايات ونصوص السيد حافظ..

وقالت: الحب والازدواجية والصراع بين الفئة المستغَلة والمستغِلة (بكسر الغين) تطفوا على أكتاف الأمم بدعوى الرشيدة والحب المزيف والوصايا الماكرة.. فكلها مبررات لإقصاء الحب الحقيقي من أجل المصالح الذاتية وإقصاء القيم المطلقة ومن يحب بدافع الحرية.. فالكاتب يربط مصير الحب بالمواقف التاريخية من خلال (فتحي رضوان خليل) بحيث بعد كل موقف تاريخي للوطن تتطور الأحداث في قصة حب سهر.. بشكل يؤكد صراع الشخصيات نحو حبها ونصل إلى نتيجة حتمية ملزمة لموقف كل شخصية .. تتصارع فيه الأحداث وتتشابك فيأخذ قصة (سهر والظروف المجتمعة في زمانين ومكانين مختلفين وكأن (فتحي رضوان) في قصة وحكاية سهر في صراع مع ذاته لتحديد مصير الوطن الذي يراه في حياة سهر مع الحب.. لإثبات أن شرط وجود الحب وتحقيقه هو.. الالتزام.. والمسؤولية.. وبحكاية سهر والنكسة و٢٥ يناير.. حكاية حب وعدم استقرار مع من أحبوها والعكس.. ذلك لأن عندما ننظر حقيقة الموقف نعي حريتها والتالي نستطيع تحقيق الحق واختيار المستقبل الأفضل.. لكن سهر طالبة ثانوي لا تملك الخبرات والمعرفة إلا من خلال عرافة القرية كانت تستمد الخبرات والمعارف.. المرأة العارفة برؤى المستقبل.. (شهرزاد)

كاظم المدرس المغرم بتلميذته.. سهر وفشله للوصل لها لم يستطع فعل شئ من أجلها انتابه إحساس ما بين اشتهاء وردة وخوفه من معرفة سهر فينتابه القلق يؤكد الكاتب هنا على الديانات والانجراف نحوها لن يفي بالغرض إلا بالنفوذ والسلطة وهذا أيضا لم يتحقق إلا بالدعم المالي والقوة وهؤلاء سماسرة الأوطان في كل زمان ومكان..

وتدخل البعض في حجب الحقائق.. مثال (العجوز الحيزبون) تتدخل لتحجب أخبار سهر عن كاظم ويتزوج وردة وسهر تتزوج من منقذ.. ولكل هذه الأحداث هناك قصص وتجارب حب منها (نفر وسهر) وكما استطاعت وردة السيطرة على كاظم.. استطاع الكهنة السيطرة على روح نفر.. من خلال أيدلوجية وعقيدة راسخة على مر التاريخ وهي (خدر الحب)..

فالسعادة الحقيقية هي الاتصال بالذات وأن تفني ذاتك وجسدك في سبيل السعادة، فيقول الكاتب:

(أجنحة الأحلام المنكسرة على ضفاف النيل التعيس أحياناً.. طيبة توشوش الليل والنيل والبحر ونفر عشيقة القمر.. وأحلى بنات هذا الزمن..

تنقلنا الناقدة الدكتورة لبلبة إلى حب آخر.. حب وعشق ابن رضوان للوطن.. فنحلم ونحلق في سماء الحب إلى كوكب الأرض لنحتضن الأرض ونلامس شفاه الوطن ونطلب الرحمة من الله للوطن.. من البخلاء والصيادين والصقور والسياسين والحاقدين والناقمين بأن الله يحفظه ولا يجعله مقبرة لسحق الورود والأوفياء والشباب والشهداء والشرفاء والأدباء والمخلصين والمبدعين والعاملين بجدٍ واجتهاد.. في زمن كل من عليها خان..

هل الخروج من الأوطان هو قارب نجاة؟؟؟؟

فتحي رضوان يحب مصر والأوطان يطير ويبحر في سفن الهجرة.. لكنه يحب صدَّام رغم أنه يعتبره.. (دكتاتوراً)

صدَّام مثقف مستنير متفهم له ذوق في الشعر والقصيدة والحياة.. يحب بل يعشق مصر..

هل صدام ضحية الدكتاتورية؟

هل صدام القائد الضرورة لوطن أبناؤه جهلاء؟
هل صدام ضحية الثروة المشؤمه (النفط)؟
لماذا كلنا نبحث عن الأسباب؟
ونبحث عن المسببات ونحن السبب والمسبب..
الحب والعشق للأوطان في نقص دائم وأصابنا بافتقار الحب للوطن
وأخيراً.. أتمتم بيني وبين الله والنور في قلبي: أنا التي هربت من حضن الوطن وليس غباء وإنما غباء الوطن موجع.. نسى حبي وعشقي له.. كعشق الأنبياء
فلا تنبذني بالعراء.. مهلاً مهلاً سرقت روحي وأحلامي.. ودفنتني وغبت عن الوعي.. فحسبتني وسجلتني بسجلات المتوفين.. وأنا أقبل ترابك وحروفك وأكتب تاريخك بدمي وعشقك منقوش على جدار قلبي..
يا عراق العاشقين..

المرأة والحب فى رواية قهوة سادة
للكاتب السيد حافظ
بقلم د/ لبلبة فتحي خليفة
مدرس مسرح بكلية التربية النوعية

أن المرأة فى صراع دائم نحو الحب هذا الصراع هو الذي يشكل وجودها وماهيتها ، فهي تصارع العدم المتأصل بداخلها من أجل الوجود وتقاوم اليأس من أجل الأمل وتسعي إلي الحرية والإلتزام وتحي حاضرها ، وفي الوقت نفسه تتطلع إلي مستقبل مختلف عنه ، فالحب هو الذي يعطي لها معني للوجود.

يسعي الروائى السيد حافظ للبحث عن مستقبل الحب فى حياة المرأة ويرهنه بالخلفية الثقافية علي مر التاريخ من خلال قصة " سهر " بطلة الرواية والتي إكتملت إنوثتها فى يوم تنحي عبدالناصر بعد نكسة ٦٧ وكأن مصير سهر فى البحث عن الحب هو مصير مصر فى البحث عن الحرية والاستقرار وبدأت حكاية سهر بالبحث عن العريس المناسب فالأبنة هي مستقبل الأب ومستقبل المجتمع وتطلعاته وأمنياته فى أن يكون له مستقبل أفضل من حاضره ويربط الكاتب القصة بضرورة تغير المناخ الثقافي بعد النكسة فى مصر وأن يتغير كل فناني مصر وتتغير الكلمة وتنبع من أعماق الشعب وليس من أعماق الزيف ، ويعبر الكاتب عن الحلم بالحرية بحلم عصفور من الزواج بسهر لتحويل حلم الحرية إلي ممارسات. لجاء الكاتب للتاريخ بحثاً عن هذه الحرية الضائعة التي تعبر عن الحب فى كل مكان وزمان والتي إن وجدت كانت الحضارة وكانت قيمة الإنسان المهدرة علي مر

التاريخ سواء رجل أو أمرأة ليكتشف "فتحي رضوان " الشخصية المؤرخة لفترة ما بعد ٦٧ أنها عصور بربرية فوضوية.

ويتساءل الكاتب علي لسان "فتحي رضوان" ما سبب إزدواجية الشخصية المصرية هل جينات العبيد الذين إشتراهم محمد علي وإشتراهم المماليك هم بلاء الشخصية المصرية للخضوع والإستلام وهل ستظل مصر بين قبضة الفساد والمفسدين؟؟؟ ، فمشكلة مصر الدائمة هي الدستور – دولة القانون – العدالة الإجتماعية ، وإذا سلمنا بتشريط الشخصية المصرية علي مر العصور فهذا دليل علي أزدواجية مصر بين الأنا والآخر ، الرجل وامرأة ، السياسية والمبادئ ، النور والظلام ، الحرية والطغيان هي جميعها تجسيد لإزدوجية "الحب والقهر" فالمرأة دائماً مقهورة علي مر العصور مثل هذا المجتمع تماماً حتى أن وجد الحب يستغله المتسلط كمظهر من مظاهر القهر لتبرير طابعة الإستغلالي كما قال "مصطفي حجازي" فى كتاب سيكولوجية القهر إذاً فما هو الحد الفاصل بين العشق والكره كما يتساءل الكاتب. وسنتعرف علي تفاصيل هذا التساؤل من خلال جدل أبطال رواية "السيد حافظ" قهوة سادة ليوضح لنا علاقة المرأة بالمجتمع ومصير الحب فى الرواية والتي تنقسم شخصيتها بين العشق والكره وفي تجريب تاريخي فى مختلف العصور يخرج الكاتب من عصر إلي عصر بشخصية المؤرخ "فتحي رضوان" ليروي لنا باقي القصة بشخصية الرواية "شهرزاد" مكملة لهذا العصر وملابساته وظروفه وثقافته ومصير الحب فيه، اختار الكاتب شخصية شهرزاد كعرافة وهي شخصية لها خلفية تاريخية من فنون الحكي ولكن الكاتب أراد أن تكون "شهرزاد" نفسها معبرة عن عصر فى الماضي له إمتداد فى الحاضر

وهي "سهر" بطلة الرواية إشارة إلي أن الزمن متوقف عند شهرزاد التي لم تعثر بعد علي الفارس المناسب الذي يخرجها من التخلف فجميع رجال بلدتها غير قادرين علي إكتساب حبها لوجود نقص ما يحول بينهم وبين حبها ولذلك فهي تجسد الماضي الأليم.. وسهر هي الحاضر الذي لم يمل فى البحث عن الحب الذي لم تجده شهرزاد وتبحث عنه هي الآخرى مع سهر فى توحد لمصير لم يتحدد بعد.

تحاول العرافة "شهرزاد" أن تتنبئا لمستقبل "سهر" من خلال قصة فرعونية "تفر" حيث تربطهما نفس الروح العطره ، فإذا أعتبارنا أن مصير الحب والمرأة فى أي عصر هو عنوان تقدم العصر أو تخلفه ، نجد تسأل الكاتب عن مستقبل الفترة من ٦٧ إلي ٢٥ بناءاً علي المقدمات والمعايير الأدبية التي وضعتها القصة وهي مصير المرأة ومستقبلها وعلاقتها بالرجل بإعتباره سلطة أو نظام ينظم العلاقات ويحدد الحقوق والواجبات والمسئوليات ، لا تري "سهر" مستقبل واضح مع المنقذ خارج البلاد فتلجأ إلي شهرزاد لتربط قصة "سهر" العصرية "بنفر" الفرعونية فسهر لها نفس عطر نفر الذي يسحر الألباب فروحيهما واحدة علي مر العصور وبدون حواجز الزمان والمكان قصة العشق والعطر واحدة ، فما هي قصة "تفر" التي وصلت إلي نهاية فلسفة الوجود من خلال مواقفها فالأب نجار وكان يفضل ابنه "كي" علي ابنته "تفر" فى حين يحاول الأخ أن يستغل أخته ليعتلي منصب الكاهن وبينما "تفر " فى أسرتها الصغيرة لا تستطيع أن تأخذ حقها فهي مباحة ومستغلة فأسرتها الصغيرة تجسد عامة الشعب ونجد علي صعيد الحكام والقصر صراع بين الأم " تي " أم الفرعون وزوجته "تفرتيتي " كأنه صراع

علي المصير فأم الملك "اخناتون" "تي" تكره زوجة الأبن وتحاول أقصاؤها فهي لم تنجب سوء البنات فقامت بتزويجه بالملكة "كية " التي إنجبت له الولد وكان صراع الملكة "تي" هو صراع علي تثبيت نظامها وعقيدتها فى عبادة " أمون " وترسيخ لكهنة المعبد ، ولكن أخناتون كان يفكر فى عبادة الإله الواحد "أتون" وكان يكره كهنة المعبد ويعتبر هذا أنقلاب علي نظام الملكة وثورة علي السائد والموروث وبرغم نجاحها فى تزويجه إلا أنها لم تنجح فى تثبيت عقيدته فقد تعلقت روحه بعقيدة التوحيد. فعقيده نفر وإخناتون هي تحدياً للثقافة الرسمية والعقيدة السائدة التي إستطاع اخناتون أن يثور عليها لأنها ضد "نفر" ولا تجسد الحب الحقيقي فهي ثقافة إستغلالية يشوبها التبرير الكاذب لمصير الهلاك الذي ينتظر نفر علي يد الأب والأخ ، فقد إستخدم "كي" أخو "نفر" شعار الحفاظ علي العقيدة من خلال التضحية بأخته كعروس للنيل ولكن فى الحقيقية هو الحفاظ علي السيطرة والتسلط يتجسد ايضا في وخوف الأب علي غياب الأبن دون الإنتباه علي غياب الأبنه بالرغم أنها هي التي تدير المنزل فى حين أن الأبن عاطل هي صورة لمجتمع أبوي متسلط.

ومن هنا تتضح فكرة الكاتب في أن صراع وهلاك الأمم يكمن فى الفئة المستغلة التي تطفوا علي أكتاف الأمم بدعوي المصلحة الرشيدة والحب المزيف والوصايا الماكرة ، فهي مبررات لإقصاء الحب الحقيقي من أجل المصالح الذاتية وبالتالي إقصاء القيم المطلقة فى قيم نسبية لا تبغي حضارة ولا إنشاء دول عميقة بقدر ما تبغي السيادة والسيطرة . ومن هنا تبرز

مشكلة الحب والمرأة التي تعاني من أزداوجية الحب فهناك من يحب بدافع المصلحة ومن يحب بدافع الحرية.

يربط "السيد حافظ" مصير الحب بالموقف التاريخي من خلال "فتحي رضوان" حيث بعد كل موقف تاريخي للوطن تتطور الأحداث فى قصة "سهر " بشكل يؤكد صراع الشخصيات نحو حبها ونصل لنتيجة حتمية ملزمة لموقف كل شخصية تتصارع فيه الأحداث وتتشابك بين قصة سهر والظروف المجتمعية فى زمانين ومكانين مختلفان وكأن "فتحي رضوان " فى قصته وحكايته فى صراع مع ذاته لتحديد مصير الوطن الذي يراه فى حكاية "سهر مع الحب" لإثبات أن شرط وجود الحب وتحقيقه هو إلتزام ومسئولية من أحب ويمكن التنبأ بذلك من خلال ردود أفعال الشخصيات فى مواقفها المصيرية نحو الحب والاستقرار فى قصص "فتحي رضوان " مع النكسة حتى ٢٥ يناير ومع حكاية سهر مع من أحبوها والعكس وذلك لأنها عندما تعي حقيقة الموقف تعي حريتها وبالتالي تستطيع تحقيق الحق أو إختيار المستقبل الأفضل ولكن سهر طالبة الثانوي لم تكتمل علمياً وثقافياً تستمد بعض المعارف والخبرات من عرفة القرية "شهرزاد" وفي ضوء موقف سهر تجاه من أحبوها يأتي موقف من أحبوها لنجد الأستاذ "كاظم " مدرس اللغة العربية لم يحدد موقفه تجاه سهر لأنه لم يحدد موقفه من الحاضر الذي يحياه لكي يصنع مستقبله الذي يبغاه ولذلك فشل فى الوصول إلي سهر لأنه لم يستطع فعل شئ من أجلها فكان بمثابة رد فعل لإرادة "وردة " أبنة راغب فى زواجها منه حيث إنتابة إحساس بالقلق بين إشتهائة لوردة التي يخاف من وجودها فى منزلة وخوفه من معرفة سهر بذلك لأنه إلزم نفسه بحبها ، ولكن بالرغم

من حبه لسهر إلا أنه لم يستطيع مواجهة راغب أحد سماسرة الأوطان فى كل زمان ومكان فأصبح صراعه ضد راغب وأخته وردة حتى لا ينجرف فى تيار دنياهم الزائفة غير متكافئ بسبب فقر كاظم فحبه وعلمه لا يكفيان فلابد أن يدعمهما قوة المال والنفوذ وذلك لأن سماسرة الأوطان فى كل زمان ومكان تستطيع إفساد أي مشروع أمثال ابو راغب المختار – "إبنه وإبنته وميثاء العجوز الحيزبون " فكل منهم كان له دور فى حجب حب كاظم فنجد ابنه راغب وقد تقدم للزواج من سهر من جانب وأقدمت وردة لإيقاع كاظم فى حبها من ناحية أخري وهي إرهاصات بإقتناص روح كل من كاظم وسهر ليعيشا دنيا راغب وأبنائه الزائفة.

فكاظم فى حياة سهر يعبر عن الحلم بالمستقبل الذي لم يأتي وما زال فى الغيب هل ستنهض سهر بحبه ، هل سيستفيد "كاظم " من قصص "فتحي رضوان" عن التاريخ والماضي لوضوح رؤية مستقبلية يهتدي بها هذا الحب ؟ أما أن هناك نقص ينتاب تجربته ولابد أن ينظر فى نفسه أولاً ليتدارك أي نقص يهدد هذا الحب وما هي المقومات الأساسية لبناء أي مجتمع حضاري.

يتضح أن هناك توازي فى قصص فتحي رضوان عن التاريخ ومصير الحب فى حياة الوطن وفي حياة كل من "سهر ونفر" فكما أستطاع راغب المختار وأبنته وردة من السيطرة علي حياة كاظم ، سيطرة الكهنة علي حياة نفر من خلال أيدلوجية وعقيدة راسخة علي مر التاريخ وهي "حذر الحب" التي ترسخت فى أذهان الشرقيين وثقافتهم ولذلك استطاعت شخصية " المحبش " أن تثير الفتنة علي أجمل فتاتين فى حارة فتحي رضوان جعلت أخوها يزوجها إلي إسكافي ليستر الفضيحة الوهمية وبذلك حبس جمالها فى

الأحذية وهجر الجمال الحارة ، فعندما شبه الكاتب هزيمة سوريا ومصر أمام إسرائيل وترك سوريا للجولان ومصر لسيناء بحرب سراويل حيث خلعت مصر وسوريا سراويلها أمام الأسرائليون فأني أري أسرائيل فى كل من " المحبش وراغب المختار وكهنة المعبد " فهناك توازي فى المصير يفعله المتسلط دائماً ضد ضحيته والذي ينجح فى أغلب الأحوال ل

نقص فى مقومات التكامل ينتاب الضحية ، هذا النقص نتيجة لانفصال الفكر ومحاولة ابتلاع الأنا للأخر ، فسفاحون الأوطان ينتصرون فى كل زمان فحرب الكهنة فى قصة " نفر" علي ترسيخ وإرساء شرعية العقيدة والدين ليجعلوا العامة تلتف حولهم ويجردوا العقيدة من مضمونها ورحها بقتل روح أخناتون التي تجسد روح العقيدة أما فى قصة سهر فقد إنتصر راغب المختار فى حربه دفاعا عن الشرف وتزويج إبنته لكاظم هو إدعاء كاذب لإرساء شرعية وجود إبنته فى حياة كاظم . وبالرغم من أن فكرة إنتهاك شرفه إدعاء مزيف إلا إنه استطاع أن يزوج كاظم من إبنته "وردة" الوردة التي ليس لها رائحة ، وفرض دنياه المزيفة الخالية من الحب ويرضخ كاظم لمصيره بعد إستعلاء علي فكرة الزواج لفترة عامان .

وبهذا نجد المتسلط يستغل الحب كمبرر لطمس طابعه الإستغلالي من خلال إحاطة ضحيته بمجموعة من الأساطير تجعله يبدو مشروعاً وطبيعياً فعندما أراد " كي " أخو "نفر" أن يتزوج منها حاول أن يطمس طابعة الاستغلالي من خلال شرعية معينة ولكنه ليس أله حتى يسمح له بذلك وعندما لم يجد بد من ذلك فذهب لكي يقدمها للكهنه " قرباناً للنيل " ومن هنا إستغل " كي " إخته "نفر " تحت شعار الحفاظ علي الهوية والعقيدة ولكن

فى الحقيقة هو الحفاظ علي السيطرة والتسلط وعندما يضحي " كي " بنفر" فهو فاقد للعقل والحكمة بالإضافة إلي الفقر غير قادر علي العطاء ولذلك عمل بالمعبد مغسل للأموات.

أما راغب المختار فجعل من ذهاب إبنته إلي كاظم بالمستشفي وحبها له أسطورة حول إنتهاك شرفه وخطيئة إرتكبت فى حقه وكان هذا مبرر لتزويجه كاظم لإبنته علي غير إرادته ليصبح كاظم المختار تجسيد للعبودية المختارة فى حياة كاظم.

لقد إستطاع السيد حافظ أن يوضح أن المفارقة بين الماضي والحاضر والمستقبل هي جوهر الحرية الإنسانية ، فالمفارقة بين الحب والحرية إتخذت أشكالاً مختلفة عند التطبيق فى ضوء الظرف الإجتماعي والتاريخي بين فتحي رضوان وقصة كل من "سهر وكاظم" ، "نفر وإخناتون" وتذكرني الأخيرة بالتجريب فى المسرح بإعتباره تحدياً للثقافة الرسمية والهامشية معاً وخروجاً عليها حيث يجسد إخناتون الثقافة الرسمية وتجسد نفر الثقافة الهامشية وكيف إنتقلت نفر من إبنة نجار إلي قصر فرعون حيث كانت نفر فى توحدها مع فكر إخناتون أكثر تضامناً من زوجته التي تضامنت مع عقيدة الكهنة الموروثة لإنقلاب الفرعون ضد السائد والموروث والتطلع إلي عقيدة التوحيد وكانت نهاية إخناتون علي يد الكهنة و "كي " أخو "نفر " هي نهاية لنفر ، فإذا كان جسد إخناتون يجسد الدنيا فروح نفر العطرة تجسد عقيدة اخناتون للتوحيد ، ومنا هنا نصل إلي النقص الذي ينتاب المحبين ليصلوا بمن أحبوا إلي بر الأمان وهو ضرورة أن يستند الحب إلي فكر تنويري حتى لا يصبح الحب وهماً زائفاً أو شكلاً بلا مضمون ، فقصة نفر هي

الصورة المثالية لمستقبل " سهر " التي سردتها العرافة "شهرزاد " علي "سهر" حتى تتنبأ من خلالها بمستقبلها والتي تحمل فكرة الكاتب عن الحب والوجود فوجود الحب لا يكمن إلا فى إنتفاء الذات ذوبان الجسد من أجل بقاء الروح والوجود الحقيقي للحب هو الإيمان بفكرة أن الوجود مستمد من التوحيد ، وأن كل الأعمال الطبية من أجل الله ومن هنا جاءت نهاية قصة "سهر " منطقية ، حيث إكتشف الأستاذ كاظم بعد إستعلاءه عن زواجه من "وردة" أن السعادة الحقيقية هي الأتصال بالذات الألهه وأن يفني ذاته وجسده فى سبيل السعادة الأبدية وأن الجسد شئ نسبي يجسد سعادة وقتية دنيوية فأخذ يمارس حياته ولأول مرة مع "وردة" بطبيعية ، أما حرية "سهر" التي ستأخذها علي يد " المنقذ "هي حرية لا تلتزم بشئ لأنه لا معني لوجودها أو حريتها فى وطن أخر غير وطنها فما معني وجودها بدون إنتماء ، ولا حرية بدون إلتزام ، ولا حب بدون مسئولية ، فالمنقذ العريس المنتظر إختيار الأسرة لن يحقق الحرية لسهر وبالتالي لن يكون هو الحب الحقيقي حيث لا حب ولا حرية بلا وطن وإلتزام ومسئولية ، فأمواله لا قيمة لها بدون وطن تنتمي إليه " سهر ".

يقول الكاتب " حب الوطن أكبر خطيئة فهو شئ هُلامي يسكننا ونسكنه رغماً منا ، لو علمنا أن الله يرث الأرض وما عليها لعشقنا الله فقط".

تجسد هذه المقولة فكرة الكاتب عن الحب والوجود . ولكني أري أن حب الوطن عندما يكون فى المطلق فأنا أعشقه لكي يكون للجميع ولكن لو نظر كل فرد للوطن علي أنه ملكاً له ما أستطعنا أن نحافظ علي هويتنا وكرامتنا فالحب المفقود يجهله كل من يحاول أن يصنع القيود فى أيد "سهر" أو يمنع طائر الحرية أن يسكن صدرها فغياب الحب هو غياب الحرية.

ودعاء عصفور الحرية إلي الله من أن ينقذه من الصيادين والصقور وأن يجعل صدر "سهر" وطناً له وأن يعتقه من كونه عصفوراً إلي بشر هو دعاء بأن تصبح الحرية التي نحلم بها ونحن نحلق فى سماء الحب إلي حقيقية تلامس أحضان الوطن وأن يرحمه من البخلاء والصيادين والصقور هو تجسيد للكهنة والمختار وابن الصياد الذي يريد أن يتزوج من " نفر " فهم بلاء لا يسمح للحب بالعيش علي الأرض وليس فى كوكب واحد بل فى كوكب الأرض.

يؤكد السيد حافظ فكرته عن أهمية الخلفية الثقافة والتاريخية علي لسان فتحي رضوان من خلال حكاية (الجبرتي) مع محمد علي وعلاقته بالحب والوطن من خلال قصته الشخصية فثقافة الجبرتي هي القرآن الكريم وعلاقته بالحب والمرأة تكمن فى زواجه للمرة الثانية بعد ثلاثين عاماً عندما إكتملت ثقافته عندها عرف الحب وأنجب مستقبلاً من الحرية والحب متجسداً فى أحب أبناؤه "خليل" وعندها لم يفلح محمد علي فى تحويل (الجبرتي) إلي مجرد موظف يحدد مواقيت الصلاة ويكتشف الهلال وحتى لا يدون الجبرتي تاريخ ويوميات مصر إغتال محمد علي ابن الجبرتي " خليل " وبإغتيال "خليل" إغتيل الحب والحرية من حياة الجبرتي ، ففي كل عصر نجد الدكتاتور يحول المثقفين بعيداً عن دورهم التنويري لإقصاء الحرية وبالتالي أقصاء الحب فنحن مجتمعات تربت علي الاقصاء حتى فى ثقافة الجنس نجد ظاهرة "الختان" التي تمنع المرأة من حقها ، فمشكلة المرأة هي مشكلة الرجل فى الأساس فكيف يأخذ الرجل حريته حتى تستطيع المرأة أن تعطيه الحب إذا فالحرية والحب مستهدفاً علي مر العصور وكل من يحاول التجريب يغتال

جسدياً أو نفسياً ومن هنا نستطيع أن نقول أن مأساة " سهر ونفر "هي فقدان الحرية فالحب المفقود يجهله كل من يحاول أن يضع القيود فى أيد "سهر ونفر " فغياب الحب هو غياب للحرية والجهلاء الذي يضعون القيود أمثال "المحبش" فى قصة فتحي رضوان هم دائماً متفقين مع النظام السائد ضد الحب والحرية لأنهم فقراء العقل والقلب أمثال " ميثاء " جارة " سهر " التي أرادات أن تساعد التاجر " شداد " فى خطف "سهر" لتزوجها فميثاء عجوز حيزبون فقيرة ناقمة علي رفض أم سهر لشداد الغني ، كما أراد راغب أن يزوج سهر لتجار الوطن ، فالحب البديل المزيف لا يعرف إلا التجار وسماسرة الأوطان والمضللون من الجهلاء وأصحاب القوة والنفوذ. فنهاية حب كاظم لسهر بزوجه من وردة هو أنتصار لأصحاب القوة والنفوذ وإنتصار الحب المزيف ليصبح الوطن مقبرة فى شكل وردة وترتفع الروح إلي السماء فلا وجود للحب علي الأرض.

بخطبة سهر للمنقذ وهي تجسيد لهجرة من أحب الوطن من حضن الوطن وروحه العطرة إلي بلاد النفط وتركهم لروح الوطن بعد نكسة ٦٧.

د/ لبلبة فتحي خليفة
مدرس مسرح بكلية التربية النوعية
جامعة طنطا..هاتف ٠١٠٠١١٣٩٩١٠

السيرة الذاتية
للدكتورة / لبلبة فتحى خليفة

مدرس بكليه التربيه النوعيه جامعة طنطا حاصلة علي بكالوريوس الإعلام شعبة مسرح عام ١٩٩٧م

حاصله علي الماجيستر والدكتوراة من المعهد العإلى للنقد الفنى تخصص نقد أدبى بأكاديمية الفنون.

من الأبحاث المنشوره:

١-عبثيه الوجود بين المطلق والنسبي تطبيقيا علي مسرحيه الزلزال التجريب بين الباتافيزيقا وتباين الخطاب المسرحي.

٢- تجليات التراث بين الحلم والاسطورة.

الأعمال المسرحيه التى قمت بإخراجها عديده من أهمها:

١- أرض لا تنبت الزهور "محمود دياب"

٢- مسرحيه باب الفتوح "محمود دياب"

٣- الغجري "بهيج اسماعيل "

٤- حلم يوسف "بهيج اسماعيل "

٥- زنقه الرجاله "بهيج اسماعيل"

٦- الغوله "بهيح اسماعيل "

٧- رحله حنظله "سعدالله ونوس"

كما شاركت بإخراج مسرحيات وتصميم استعراضات لأطفال الأيتام بقرية SOS كما أخرجت عدة مسرحيات لأطفال بجامعة الطفل لمدة عامين على التوإلى بجامعة طنطا.

كلمة عن الأديبة / منى عارف

أنِسَت إلىَّ وأنِستُ لها.. صارت تؤرقنى.. توقظنى من سبات عميق.. أجد نفسى أنساق معها إلى عالم آخر مترع بالدهشة، والحيرة، والأمل.. جعلتنى أسن أقلامى، وإذا بى أرسم وجوها أحبتنى أو لا.. أو مرت بى أو مررت أنا بها فى لحظة مجهولة من العمر.. صار معها الذى عشناه أو نفر منه.. أو الذى غادرناه أو الذى غادرنا يعود من جديد.. حتى ذكرياتنا التى تخبو والأحلام التى طارت بعيدا عنا.. صارت الكلمات تعلن عن بقائها الأبدى.. أمسك بتلابيب اللحظة.. تتلبسنى الفكرة.. تسيطر على حواسى.. تقودنى إلى المستحيل.. هكذا أنا وهى تلك الغواية: غواية الكتابة.

الأديبة منى عارف حاصلة على ليسانس الآداب – قسم اللغة الفرنسية عضو اتحاد الكتاب – عضو الهيئة العامة للفنون والآداب في الإسكندرية – عضو بنادي القصة – مصر

منى عارف عضو مركز الإسكندرية للإبداع التابع لصندوق التنمية الثقافية – عضو الجمعية المصرية لأصدقاء مدينة الإسكندرية – عضو جمعية إحياء التراث – عضو جماعة الأدب العربي – عضو ندوة الإثنين بالإسكندرية التابعة لقصور الثقافة ولها مقالات سياسية واجتماعية نشرت في جريدة الوفد وجريدة القاهرة – نهضة مصر صوت الأمة المصري اليوم وجريدة الجماهير وحصلت على العديد من الجوائز ولها أعمال منها..

ليالي القمر.. أطواق الياسمين.. روائح الزمن الجميل.. وشوشات الودع.. أشجان الرحيل.. إيقاعات متفردة.. لعبة الظلال.. وأجمل ما قرأت عن هذه المبدعة أنها تدين بكل الديانات السماوية.. في إيقاعات متفردة تسبح منى

عارف ببحر قصيدة البحر لتبحث عن محارات النص وبالأحرى الرواية التي بين أياديَّ وتحت أنظار عمالقة وقامات النقد منها كمبدعة رائعة حيث بدأت أستاذتنا بالشوق والاشتياق تصف شوقها كالثرى حينما يشتاق للمطر كم هو وصف جميل سيدتي. والأجمل هو محراب العشق. لعلنا نستمر بالتلذذ بتلك القصائد لكي نغوص معاً في بحر المشاعر والقوافي والمفردات المذهلة الراقية..

تناولت الأستاذة منى عارف إبداع الكاتب والروائي السيد حافظ..

اختارت ما يدور بين كاظم الذي هو أحد أبطال الرواية وسهر بطلة الروح والعشق والجمال والحلم والخديعة والسفر.. الذي هو حلم سهر إلى الإمارات كم تمنت أن يتحقق حلمها وخيبة الأمل بزواج وردة من البطل كاظم.. استمر حلمها بالسفر.. ما أجمل وصفك للوطن والدفء والقلب.. مسلوب الإرادة وصفته الأستاذة المبدعة هنا بأنه ضائع في كتاب الإنسانية وما بين الخديعة والهوس والرحيل والروح التي تبحث عن شئ مجهول مفقود ومستحيل.. هل استطاعت الأستاذة تصفح العمل أو بالأصح الرواية؟؟ وماذا اكتشفت من جماليات نستطيع أن نذهب معاً لميناء بحر القصيدة عند الأستاذ الكاتب والروائي.. السيد حافظ..

هنا حضرني وتبادر إلى ذهني سؤال..

- **كيف تدرس الأستاذة منى عارف شخصية الكاتب والروائي في النقد الأدبي؟**
- **هل من خلال الشخصيات التي خلقها في الرواية؟**

- **هل من خلال شخصية الكاتب نفسه وبراعته وقدرته وجودة العمل ولغته من خلال مناجاة الشخصيات التي تصنع الوصف وتثبت الحوار وتنشط الصراع والسلوك والأحاسيس والأهواء وتصف المناظر وترسم الصور وتحقق الانسجام وتجعله وحدة متكاملة؟**

وجدت الأجوبة في أحد الأعمال للأستاذة منى عارف.. (إيقاعات متفردة) تناولت أعمالاً أدبية لقامات عربية منهم هذا العمل: **رواية كابشينو للكاتب السيد حافظ**

فهي تنطق وتكتب وتبحر بنا إلى الأسطورة والحكايات والعشق والمشاعر والأحاسيس ونغمات معزوفة.. والراوي هو البطل (فتحي رضوان) الذي يسرد ويقص ويحكي ويتخيل ويصف ويحاكي حروفه على سطور الورق ليكتب حقيقة لا حبرا على الورق وإنما روحاً تتجول وتحلق وتغوص وتحلم باليقين والعشق الحقيقي كما قالت الأستاذة منى عارف.

إن رواية كابتشينو جامعة إنها ليست رواية بالشكل التقليدي وإنها نص شامل يجمع ما بين الأسطورة والقص والمشهد المسرحي الدرامي واللوحات الفنية لمختلف المدارس التشكيلية واللوحات الشعرية والحدث السياسي الآني والمشهد التاريخي..

الكاتب بلغته الشعرية وإبداعه وبراعته متخذاً اللوحة التشكيلية واللقطة السينمائية نوافذ لتجسيد معان فلسفية عميقة الأثر.. ويعمل على إنماء الفكر والوجدان..

كان السرد يمثل محاور ارتكاز شبهته الأستاذة منى عارف في الأعمدة التي نراها في معابد فيلة وأبو سمبل.. إنها مطالع لأنوار القلوب والأسرار جاء

الحب فيها بصيرة للقلب من إله مقتدر.. الله نور.. وعلم.. ورحمة دون حدود..

الحب الذي لا يحظى به الكثيرون إلا القليلون في هذه الدنيا.. تقول الأستاذة منى عارف:

الحب غالبا يعشق الصمت أحيانا يحب الكلام وربما الغناء.. الحب حيرة.. بحيرة أفراح وأحزان.. الحب وطن.. وقالوا: أريحوا النفوس بالحب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد

هنا تجدر الإشارة من خلال ما قرأنا وتصفحنا مع الأستاذة منى عارف.

أولاً: الشكر الموفر لها ولحرفها الرائع .

وثانياً: الغرائز والحاجات بما يتماشى مع مبدأ المتعة واللذة في الشخصية الجميلة المدللة المغرورة بأنوثتها والأنا العالية لديها تتصرف بالتمني بوعي وتتم معظم علاقاتها ولقاءاتها بعيداً عن وعيها أي في اللاشعور الذي له تأثير قوي جداً على الفرد من حيث لا يدري لإشباع تلك الحاجات..

سلام الله عليك سيدتي المبدعة الفاضلة د.نجاة بنت بلاد الرافدين وزهرة بصرة الفراهيدي وبدر شاكر السياب. تشرفت بقراءة ورقتك التي تفيض شاعرية وشعرا وصدقا منقطع النظير.. وكل الشكر لمن جمعنا تحت ظلال بردته الإبداعية المخملية الكاتب والأديب والروائي والسيناريست والدراماتورج الكبير السيد حافظ.

واستسمحك سيدتي إذ سمحت لنفسي ببعض التصويبات لبعض الهفوات الأملائية والنحوية، ولئن فعلت فغيرة على كتاب سيجمعنا نتوسم أن يكون

لبنة خير في مجال نقد الرواية العربية التي عرفت على راحتي كاتبنا الكبير الكثير من التمرد الذي أرفقه بتجريب معقول تبناه بالمسرح وسافر به إلى صولجان رواية ما بعد الحداثة..

وعليه، أهم نقطة أزعجتني حقيقة هي أن تقفي عند المبدعة الأستاذة منى عارف إذ ذكرتني بيوم تكريمي شاركت به وكان مخصصا لمبدعنا فترك بعض المتدخلين المكرم وراحوا يتكلمون عن نفسهم وعن إبداعاتهم.. والكتاب عن السيد حافظ والمقدمة ينبغي أن تخصه بذلك.. الأستاذة تاج على رؤوسنا لكن مع ذلك ليس المقام لها ههنا.. كلي اعتذار سيدتي الفاضلة والشاعرة المرهفة الإحساس والشعور وألتمس العذر مجددا إن تجاوزت حدودي..

إنها الأديبة: منى عارف

إيقاعات متفردة على هامش روايات
الأديب/ السيد حافظ "كابتشينو"
منى عــارف

أبدأ معكم نصى هذا فى غفلة من الشوق عندما يشتاق الثرى لذكرى المطر.. وافتح صفحات كتاب فى محراب العشق.. مشرقة أيضاً بالفرح مثله رامبو:" مفتتح القصص " ومنذ ذلك الحين وأنا أستحم فى قصيدة البحر..

منقوعاً بالنجوم مشرقاً بالفرح..

غريقاً متأملاً متخفياً أحياناً (الشاعر الفرنسى رامبو)..

"سيدتى لكِ الغرور.. ولى الحروف والنور.. "(كاظم أحد أبطال الرواية)

مع شهرذاد الحكاية وسيدة الوجع الخبيرة بقلوب النساء والرجال على السواء.. برواية حروفها من نور وأبطالها يعبرون الروح على عجل ، لتظل كلماتهم الأثيرة فى القلوب ، وسهر ابنة العشق والجمال عشيقة القمر.. تسكنها هاجس حكاية نور ومحب وسيدنا موسى.. وفرعون مصر: إنه عشق سرمدى من نوع آخر .

سهر تحلم بالذهاب إلى الامارات وتغيير الزمان والمكان وكاظم المعلم والأستاذ العاشق الولهان الذى يكتب لسان حاله فى قصيدة يخفيها فى عيون القمر.. يكتم حبه لسهر ولكن تفضحة عيناه كلما مر طيفها.. تفطن إليه زوجتة وردة وكل المحطين به..

وتتصاعد أحداث الرواية كل فى حالة بحث عن عشق ما.. عن دفء ما.. عن قلب يتخذونه وطناً.. بعدما بدأ هذا الآخير أرضاً مسلوبة وضائعة فى كتاب تاريخ الإنسانية الكبير منذ القدم.. أمامنا عالم تسكنه الخديعة وهوس

السيطرة وكراسى الحكم.. عالم يشبه عالمنا .

إنه الرحيل فى حكاية الروح ومتعة الإبحار كانت فى الصفحات مع نساء يشبهن النغمات فى معزوفة من معزوفات العشق ومع رجال غيروا مجرى التاريخ إلى الأبد ومع حلم بطل الرواية الذى يظهر لنا قاطعاً الشك باليقين بلحمه وشحمه وليس حبراً على ورق: " فتحى رضوان خليل " الذى يعشق الوطن ومفتون به.. هو المسحور والساحر والسحر ، هو العاشق والمعشوق ، البسيط المستجير السائل للمعرفة والتفسير.. يحمل فى قاموسه" نصوص لابوسية"" وكتابه العبودية" المختارة الذى ينسب اليه فكرة تمهيد الثورات فى كل أوربا ، بل يعتبر ميثاق عمل المجاهد السياسى..

هو الإنسان البسيط الذى له فى التوحيد عقيدة معجون بآهات ابن خلدون، ولويس أراجون ، وابن حزم، وذا النون المصرى ، و ابن الفارض ، سلطان العاشقين.. مسكون بالظنون ، محاصر بالواقع وحزن يشبه اليأس ، يحمل ملايين الأحلام للفقراء ويعشق تلاوة الروح ، وتلاوة سر الأسرار: " فالحب ينصر ولا ينتصر والعاشق ينصر وينتصر.. " هو أبو حنيفة أو خليفه الروحى.. مشغول بالنور والتنوير والحرية المضرجة بالدماء ويلمس اللب ويروح أخناتون فى تل العمارنة يكره التعصب والطغيان والظلم..

هى رواية كثيفة فروعها.. تحكى عن مصر الشعب.. الأرض.. الزمان و المكان تحكى عنا.. أن يوماً أختفينا ، نحتفى بعبارات سطرت بمنمنمات البهجة ونفحة أنفاس ، وصور سعيدة ، وإشارة ضوء للروح مع فتى مسافر فى الحروف لا ولن يدركه الموت ، سوف تنقذه دائماً السماء لأنه توحد مع الماء والهواء.. فى ترنيمة رومانسية مع الكلام والحروف

جاءنـا هـذا الـنص.. " كابتشـينو " " Cappuccino" حكايـة روح ويقـرأ الكتاب من عنوانه ، يشعرك الغلاف أنك تحمل بين يديك شئ أثير.. نتزين ، ونـتحمم بـالعطر.. حين تلـج صفحاته ونظل تشغلنا الحكايـة لانـها أصبحت تعيش فينا " أو هكذا أن أنك لذاتك قررت "

يفصح الأديب أنـه فـى الكتـاب رسالة: وأن فـى فعل الكتابـة رسالة يشـعر بـها صـاحبها فـى الـبلاد التـى شـاءت أقدارنا أن نمـوت ونحيـى بعشـقها إنـها درة القلـب مصـر منـذ أول الـدهر..منـذ أيـزيس وأزوريـس ، مراكـب ترحـل صـوب الشـمس.. مصـر فـى عهـد محمـد علـى باشـا ، مصـر فـى عهـد الأخشـيد ، والمعز.. مصر صلاح الدين والستر.. مصر البركة والعدل.. مصر الحق

يحمـل الفعـل المـاض: نقـوش الأرابيسـك ويكتـب الفعـل المضـارع: بيـد القـدر حركة خوف استبداد.. عبودية.. وعودة إلى القهر.. الثـورة كانـت فيـه محـض شرارة ضوء.. لـم يعد هنـاك حنـاجر رجـال تعلـو لسـعد..تتمنـى لهذه الأمـة أن تفيـق مـن الغمـة والتـأخر والجهـل.. بعدنا قرونـاً عن المقريـزى والسـهروردى وابن الياس والجبرتى ،لسنا بعد بعيداً عن محنـة الإمـام مالـك والطبرى.. إنـها محنة المستنيرين فى كل عصر..

لعل ما يستوقف القارئ فى هذه الرواية هو بناؤها الفنى والسردى المركب..

<u>أولاً:</u> لا توجـد شخصـية محوريـة تـدور حولهـا الأحـداث هنـاك بطولـة جماعية.

ثانياً: الأفكار المطروحة استلزمت من الكاتب والمفكر / السيد حـافظ درايـة كافية ومخزوناً معرفياً جعله يطرح هذا العمل الملحمى علـى أجزاء ، ثـم يولى كل عمل يكتبـه هذا الكم من الـدلالات الفنيـة العميقـة من

مفتتحات النصوص لعتبات شعرية لكبار كتاب الوطن العربى والأدب العالمى أيضاً.. " محمود درويش ، بول أيلوار ،أمل نوار، بوشكين ، ناجى شعيب ، أمل دنقل ، سيف المرى ، سيد حجاب ، بدر شاكر السياب.. وغيرهم وغيرهم"

يلون صفحاته بتجارب كبار الفنانين التشكيلين..وها نحن نقف ذاهلين أمام كم الإشارات الموحية ، كيف ينير بمصباحه ظلام أمة باكملها فى خلال منظومة فنية تنأى عن التناص والمحاكاة.. لحماية أفكار المستنيرين فى كافة بقاع الأمة العربية وأتاحة فرصة ذهبية لتفسير كثير من اللوحات التجريبية والرمزية معلناً أنه جاء الطرح العام لكثير من الأصوات لنتلمس نحن القراء المحظوظين جوهر هذه الجوانب الفكرية والروحية ، إنها حكاية أمة بدأت ترتعش أنتفاضاتها تحت دكتاتورية حكامها ، نتحسس على أستحياء وقع خطى الحرية والخلاص.. وكيف أن للفن مقدرة بكافة أنواعه وطوائفه على مواجهة التسلط والقمع والتعصب الدينى.. وشرح كتب ونظريات بعينها مثل كتاب لوستيان لوبون " الاحتشاد" وكتاب "الاستبداد للافغانى للكواكبى "

<u>ثالثاً:</u> رواية كابتشينو جامعة انها ليست رواية بالشكل التقليدى إنها نص شامل يجمع ما بين الأسطورة والقصى والمشهد المسرحى الدرامى.. واللوحات الفنية لمختلف المدارس التشكيلية واللوحات الشعرية ، والحدث السياسى الآنى.. والمشهد التاريخى الدينى.. هذه الرواية كتبت لتقفز بنا إلى عتبات المستقبل مرة آخرى.. متخذاً المبدع من اللوحة التشكيلية واللقطة السينمائية نوافذ لتجسيد معان فلسفية

عميقة الأثر.. من خلال ذلك النص الموازى: قراءة فى لوحة.. صورة وفنان التى شملت جميع الفنون عن مسرح وسينما وإذاعة وأجمل الكتاب التشكليين فى مصر والعالم العربى وفنانيه مثل: " حليم حبشى ، شذى سالم ، سعاد حسنى ، محمد الشربينى ، شادى عبد السلام ، د/ أسماعيل موافى ، عيسى صقر ، ميسون الصادق ، وليد أخلاصى ، فاروق حسنى ، ريم اسكندرانى ، مشاعل العسافة ، عبد العزيز آرتى ، نجمة أدريس ، ظبية خميس ، إبراهيم بوقيس ، سليمان الفهد ، مصطفى عبد الوهاب ، سليمان المالك ، ادوار الخراط ، سيد بحرواى ، وغيرهم وغيرهم..

رابعاً: جاءت اللغة متدفقة ذات سمات شعرية وموزعة مابين السرد المباشر ، وهذا التدفق الغير محدود للآراء مع تلك الأضافة النى أعطت للنص حيويته الفائقة ، الهوامش التى من الممكن أن تقرأ أيضاً كعمل روائى منفصل ومتصل فى آن واحد ساحباً القراء إلى منطقة طرح الأسئلة والأجوبة.. كأن القارئ هو أيضاً أصبح بطلاً فى الحكاية وليس متفرجاً.. جاء النص تحريضياً يعمل على إنماء الفكر والوجدان..

خامساً: تكون سياق السرد كما سبق أن أشرنا على محاور ارتكاز ، تماما مثل الأعمدة التى نراها فى معابد فيلة وأبو سمبل.. مر البناء السردى المركب بعدة مراحل فهو: تارة يتداخل فيه الماضى مع الحاضر عندما يتحدث البطل " فتحى رضوان " عن حياته.. والخيال مع الواقع فى قصص شهرذاد وسهر.. ويتفتت الفصل إلى لقطات

آخرى وقصص جانبية مثل حكايات "محب ونور" جعل أحداث الشخوص فى الرواية ككل فى حالة تدفق إلى الأمام بانسيابية وتلقائية موحية.. حكاية فرعون مصر.. مع سيدنا موسى.. وتلك اللقطات الحوارية التى تشبه البناء السينمائى الحديث.. معبراً عن ذاته أمام ما تواجه النفس الإنسانية من محنة والبحث عن مخرج ومواجهة مجتمع مثقل بأعباء أقتصادية قضت إلى حد كبير على أنسانية وتفرد ثقافته منذ الأزل ومخاطبة ربما قارئ غير مؤهل لمثل هذه التجربة..

جاءت العبارات الذهبية التى شكل بها هذا النص الروائى المخلص دلالات فتح من نوع آخر.. تسرى فى وجدان القارئ البسيط فيكون لها وقع السحر تلين الأقفال.. وتهب من يقرأها صفحة من تأويل الكشف:

- أنها مطالع لأنوار القلوب والأسرار ، جاء الحب فيها بصيرة للقلب من آله مقتدر..الله نور..و علم..و رحمة دون حدود..

من يحبك يرعاك..

مبيناً أن من يحبون الناس من أعماق قلوبهم لا يتقدم العمر بهم أبداً.. قد يموتون بسبب الشيخوخة ولكنهم يحيون شباباً .

الحب فيها قصر نسكنه ولا نراه..

وإن أجمل اللحظات أن ترقص مع من تحب.. الرقص هو روح الحياة.. الرقص كان صلاة الفرض قبل ظهور الأنبياء بداية من قصة الخلق.. "إنه النور المستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب.. عندما أراك.. أرى النور فى وجهك وأحس بالنور يجرى.. النور فى دمى يسير.."

كل ما اكتسبته من السعادة سرقه الأبتلاء منى.. كل ما اكتسبته من الحياة عرفت أن الله هو الأول والآخر والبداية والنهاية ، وأن الخلود وهم نبحث عنه.. وأن البقاء هو غذاء الجسد ورحلة الروح..

<u>رحلة هدفها الحب فى المقام الأول:</u>

ذلك الحب الذى لا يعثر عليه الا القليلون فى هذه الدنيا.. الحب غالباً يعشق الصمت.. وأحياناً يحب الكلام وربما الغناء.. الحب حيرة وبحيرة فرح وأحزان.. الحب وطن.. وقالوا اريحوا النفوس بالحب فانها تصدأ كما يصدأ الحديد..

السنا كلنا كذلك تنتظر رسالة من الله فهو الأول.. والآخر والقريب والعالم والخالق وهو على كل شئ قدير..

الكاتبة فى سطور

الاسم: منى عارف

الديانة: أدين بكل الديانات السماوية

المؤهل: حاصلة على ليسانس الاداب – قسم اللغة الفرنسية كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

عضو اتحاد الكتاب

عضو الهيئة العامة للفنون والآداب بالاسكندرية

عضو بنادى القصة – مصر

عضو مركز الاسكندرية للإبداع التابع لصندوق التنمية الثقافية

عضو الجمعية المصرية لأصدقاء مدينة الاسكندرية

عضو جمعية إحياء التراث (أصدقاء شادى عبد السلام)

عضو جماعة الأدب العربى

عضو ندوة الاثنين بالاسكندرية التابع لقصور الثقافة

عضو ومؤسس لمختبر السرديات التابع لمكتبة الاسكندرية

عضو جمعية الأدب المقارن بالقاهرة

عضو جمعية العروة الوثقى

عضو ساقية عبد المنعم الصاوى

أعمال الكاتبة:

١- ليالي القمر عن دار الغصن الفضي بالأسكندرية٢٠٠١الطبعة الثانية ٢٠٠٢

٢- أطواق الياسمين عن دار الغصن الفضي بالأسكندرية ٢٠٠٣

٣- روائح الزمن الجميل عن دار زياد بالأسكندرية ٢٠٠٦

٤- وشوشات الودع عن دار الحضارة العربية ٢٠١٠

٥- أشجان الرحيل عن دار افاق ٢٠١٢

٦- إيقاعات متفردة عن دار الهلال ٢٠١٤

٧- لعبة الظلال ٢٠١٥ عن دار العين ٢٠١٥

حصلت على العديد من الجوائز:

- جائزة صلاح هلال فى القصة القصيرة (٢٠٠٨) لقصتها " سفينة الشراع البيضاء ".
- جائزة محمد العشماوى (٢٠٠٩) – عن روايتها " وشوشات الودع " .
- جائزة نادى القصة (٢٠١٠) – عن قصتها "أنشودة العصافير" على مستوى الجمهورية.
- حائزة على درع مكتبة الأسكندرية عن مشاركتها الأيجابية فى مختبر السرديات بالأسكندرية فى الدورة الأولى لمؤتمر الأسكندرية للسرديات ديسمبر /٢٠١٣ .

- حائزة على عدة شهادات تقدير على مجمل أعمالها الأدبية من المجلس الأعلى للآثار وذلك لدعمها ومساعدتها الدائم للنشاط الثقافى بمتحف الأسكندرية القومى .
- حاصلة على شهادة التميز من ملتقى السرد العربى فى مؤتمره الثانى تحت عنوان المرآة والسرد بعد ثورة ٢٥من يناير في عام ٢٠١٥/٢٠١٤ نظيراً لما قدمته من فن رفيع وعطاء راقى لاثراء مجتمعنا المصرى والعربى وترسيخ رصيده من القيم الفنية والجمالية عام ٢٠١٥.

لها عدة مقالات سياسية واجتماعية نشرت فى كل من:

جريدة الوفد – نهضة مصر – صوت الأمة – المصرى اليوم – جريدة القاهرة وجريدة الجماهير التى كان لها فيها العديد من المشاركات الإيجابية في عمودها الاسبوعي محور الأهتمام الذي تعدت المقالات فيه اكثر من مائة مقال وحازت على العديد من القراءة والمشاهدة في عام ٢٠٠٨-٢٠١٠.

تم مناقشة أعمالها فى البرنامج العام و فى كثير من المنتديات الثقافية.

- كما تم تحويل مجموعة "روائح الزمن الجميل" وقصة " الياقوتة الحمراء " إلى أعمال درامية ومسلسلات بالاذاعة.
- أفـــرد لأعمال الكاتبـــة عددا كبيرا من الدراســـات النقدية فى مجلة "القصة" ، وفى "الثقافة الجديـــدة"، وفى مجلة "الكلمة المعاصرة"، وفى مجلـــة "دبـــى الثقافية"، ومجلـــة " مبدعون"، ومجلة " نصف الدنيا " ، ومجلة " حريتى" ، و مجلة "كتابات فى المغرب "ومجلة البيان الكويتي .
- نشر لها العديد من الدرسات النقدية في كل من مجلة البيان الكويتى والميدل ايست أون لاين كما للكاتبة العديد من الحورات الصحافية التى نشرت في مجلة نصف الدنيا و حريتي ومجلة روافد بالشارقه وبالثقافة الجديدة واليوم لسابع وجريدة الشروق واخبار الأدب . والمصري اليوم كما تم نشر لها حوارات لها في مجلة سبع ايام عام ٢٠١٦ .
- وقام عدد كبيرمن الباحثن والنقاد بدراسة أعمالها في مصر والوطن العربي كما تم ترجمة العديد من القصص من مجموعتها روائح الزمن الجميل إلي اللغة الأنجليزية والفرنسية

للتواصل مع الكاتبة: البريد الالكترونى: mona.aref@hotmail.com

بلاغة التناص فى روايات السيد حافظ

دراسة بقلم الباحثة / مى جمال الشربينى

إن الرواية من أهم الأجناس الأدبية التى يمكن من خلالها نقل الأفكار والرؤى المختلفة، لذلك يلجأ إليها الأدباء للتعبير عن الواقع المعيش بكل تفاصيله و أزماته ، وذلك باستخدام العديد من التقنيات السردية الفنية والبلاغية . من هنا نجد أن روايات السيد حافظ تعكس لنا بعض من القضايا السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية وتبرز أهم الأزمات التى مرت بها مصر عبر العصور التاريخية المختلفة ، وذلك عن طريق الإبحار فى سجلات التاريخ التى تكون مظلمة فى بعض الأحيان ومضيئة فى أحيان أخرى ، للكشف عن الواقع المظلم الذى يعيشه المصريون والوطن العربى بأكمله نتيجة لترسخ الفقر والظلم والاستبداد ، وفى الوقت ذاته نجده يأمل ، ويحلم بواقع جديد يسوده العدل والحرية والمساواة.

إن المتأمل فى روايات السيد حافظ يلحظ إنه قد مزج فيها ما بين القديم والحديث بدءًا من روايته الأولى " مسافرون بلا هوية " إلى آخر ما وصل إلينا من نتاجه الروائى " حتى يطمئن قلبى " ، وذلك عن طريق التفاعل الحادث بين نصه الروائى وعدة نصوص قديمة متنوعة ومختارة ما بين نصوص تاريخية ، وأدبية ، ودينية قام الكاتب باستدعائها من ذاكرته ووضعها داخل رواياته بصورة مرتبة ومنظمة لخدمة نصه الروائى ، فلا تكاد تقرأ نصًا من نصوصه الروائية دون أن تلحظ أن هناك نصوصاً دخيلة متعلقة بمخزون القارئ المعرفى ، والثقافى الموجود داخل ذاكرته سواء على المستوى التاريخى أم الأدبى أم الدينى ، هذا الأداء تكنيك فنى الذى يطلق

عليه النقاد حديثًا مصطلح " التناص "، الذى يعد من أهم السمات الفنية والبلاغية التى تميزت بها روايات السيد حافظ سواء أكان ذلك عن طريق التصريح تارة ، أم عن طريق التلميح والإشارة تارة أخرى .

قبل الخوض فى الدور الفنى الذى قدمه التناص فى روايات السيد حافظ لابد من أن نقف عند حد مصطلح " التناص " باعتباره من أهم المفاهيم النقدية الحديثة ، الذى حفى به الأدب المعاصر (شعره ونثره) ، فالتناص يتحقق من خلال تداخل أو تفاعل نص الكاتب الروائى مع عدة نصوص متنوعة ، وترابطها داخل العمل الأدبى مما يؤدى ذلك إلى إنشاء نص جديد مترامى الأطراف يتميز بالإنفتاح والثراء.

وبالنظر إلى مصطلح التناص فى النقد الغربى نجد أنه قد "ولد على يد جوليا كريستيفا عام ١٩٦٩ التى استنبطته من باختين فى دراسته لدستويفسكى ، حيث وضع تعددية الأصوات (البوليفونية) ، والحوارية (الديالوج) دون أن يستخدم مصطلح التناص ثم احتضنته البنيوية الفرنسية ، وما بعدها من اتجاهات سيميائية وتفكيكية ، فى كتابات كريستيفا ، ورولان بارت ، وتودوروف ، وغيرهم من رواد نقاد الحداثة.. فترى جوليا رائدة مصطلح التناص أن كل نص عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحول لنصوص أخرى "[١] ، وعلى الرغم من أن مصطلح التناص مصطلح نقدى حديث المنشأ فإن له جذور فى النقد العربى القديم ، فنجد أن

---

[١] محمد عزام ، النص الغائب (تجليات التناص فى الشعر العربى) ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص٢٨ .

العلماء قد أطلقوا عليه مصطلحات عديدة ومنها الاقتباس ، والتضمين ، والاحتذاء ، والأخذ[٢] .

يتضح مما سبق أن مفهوم التناص قد اتسع مؤخرًا ، وتعددت الآراء حوله مما أدى ذلك إلى تنوع ألوانه وأنماطه ، ولكننا فى دراستنا سنركز على التناص التاريخى ، و التناص الأدبى ، والتناص الدينى لأن الكاتب قد استلهم بعض مادته من تلك الألوان دون غيرها .

وبالنظر إلى روايات السيد حافظ نجده يهدف إلى إعادة قراءة التاريخ، و كتابته داخل قالب فنى روائى ، لذلك لجأ إلى التناص التاريخى بأنواعه المختلفة من (المقولات التاريخية والمذكرات والأماكن التاريخية) بوصفه أداة فنية تساعده على ربط الماضى بالحاضر ، فنجده على سبيل المثال يتناص فى بعض رواياته مع عبارات تاريخية قيلت بواسطة شخصيات متعددة منها شخصيات الساسة ، ورجال الدين ، والفلاسفة ، والمؤرخون وغيرهم الكثير ، تلك المقولات تحمل فى طياتها مدلولًا سياسيًا أو لها هدف سياسى ، وهو ما وضح فى رواية " قهوة سادة " التى تناص فيها مع المقولات التاريخية قاصدًا بذلك إلقاء اللوم على الحكومات العربية التى قهرت شعبها وجعلته يشعر بالغربة داخل وطنه ، ويتضح ذلك خلال النص الروائى "آه ياكاظم.. الحكومات العربية نجحت فى جعل المواطن العربى يكره وطنه وأرضه ويبحث عن وطن آخر له.. وأنت يا كاظم واحد منهم.. يقول الإمام على رضى الله عنه " الفقر فى الوطن غربه والغنى فى الغربة وطن " نحن العرب سيئو المستوى.. يؤمن بقول أفلاطون من يعزف عن المشاركة فى

---

(٢) انظر د/ حسن البندارى: كتاب الصنعة الفنية فى التراث النقدى، ط٢، بورصة الكتب، القاهرة، ٢٠١٥.

الحياة السياسية يستحق العقاب بأن يحكمه جاهل أو يرعى شئونه ويتجاهله ديكتاتور ونحن العرب هكذا.." [٢]، فمقولة الإمام "على" رضى الله عنه التى تناص معها الكاتب تعد له مقولة إنسانية وسياسية تعبر عن أن الفقر فى الوطن يعد حالة من حالات الغربة ، وعلى الرغم من أن الإمام "على" كان يقصد من مقولته الفقر المادى ، إلا إنه لا يجب اختزال الفقر هنا فى الجانب المادى فحسب بل يتعداه إلى الجانب المعنوى المتمثل فى الكرامة الإنسانية ، والمساواة فى الحقوق والواجبات بين المواطنين ، وهذا ما أظهره التناص . كما تناص الكاتب فى النص نفسه مع مقولة للفيلسوف أفلاطون ليوضح أن العرب أخطأوا فى حق أنفسهم حينما تهاونوا فى حقوقهم ، وتركوا أمرهم فى يد من يحكموهم دون رقابة أو مساءلة. وكأن الكاتب يقصد بهذا التناص تنمية الوعى السياسى لدى المجتمع من أجل المشاركة الفعالة.

وهنا نجد أن التناص مع المقولتين قد قدم صورة واضحة عن أحداث الماضى ، فمع اختلاف الزمان تبقى الغربة ، والبحث عن مستقبل أفضل وحياة آمنة هى الرابط بين كل الأزمنة ، كما أن التناص أظهر الخلفية السلبية عند كل إنسان عربى، فهنا نجد أحد شخوص الرواية وهو "كاظم" رغم مايشعر به داخل نفسه من ألم وحسرة على حال وطنه إلى الدرجة التى جعلت فكرة الهروب منه تتردد كثيرًا فى ذهنه ، إلا إنه فى نفس الوقت يشعر أن لا فائدة من المشاركة فى الحياة السياسية .

وبما أن الأدب ليس بعيدًا عن السياسة فكلاهما يرتبطان بالقضايا الإنسانية، كما أن الأدب فى بعض الأحيان يؤثر فى السياسة ، ويوقظ فكر

---

[٢] رواية: قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ص ٢٩ .

القارئ ويلفت نظره لواقع لا يعرفه ، لذلك نجد السيد حافظ فى بعض الأحيان يلجأ إلى استحضار بعض النصوص الأدبية بأنواعها المختلفة من (الشعر و القصة) ومزجها بنصه الروائى ، وذلك لدعم الأفكار والمواقف ، والأحداث السياسية التى يتناولها داخل رواياته ، مثلما تناص مع أبيات الشاعر " عبد المعطى حجازى " من قصيدته " الطريق إلى السيدة " ، والتى رددها " فتحى رضوان " – بطل رواية " ليالى دبى (شاى بالياسمين) " – داخل نفسه نتيجة إحساسة بوحشة الغربة عند وصوله إلى دبى فنجده يقول " دبى هل أنت القاهرة مئذنات كافرة وأسمع صوت عبد المعطى حجازى..

كأننى طفل رمته خاطئة

فلم يعره العابرون فى الطريق

حتى الرثاء

انا هنا لا شىء ، كالموتى ، كرؤيا عابرة

أجر ساقى المجهدة "[1]

فقد عبرت الأبيات عن حالة الغربة التى شعر بها عبد المعطى حجازى بعد انتقاله من الريف إلى القاهرة باحثًا عن أحلامه ، لكن القاهرة صدمته وخذلته مما جعله يطلق عليها مدينة بلا قلب ، فكانت تلك الأبيات الشعرية التى تناص معها السيد حافظ خير دليل على مدى الضياع الروحى ، والتمزق النفسى الذى يشعر بهما " فتحى رضوان " ، فيرى نفسه فى دبى وحيدًا حاملًا لهمومة وعذاباته ، شاعرًا بالخوف من أن تقتله غربته مثلما فعل وطنه معه وقتل أحلامه ، كما أفصحت الأبيات عن نظرة " فتحى رضوان

---

[1] رواية: ليالى دبى الجزء الأول (شاى بالياسمين) ، مركز الوطن العربى رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م ، ص٣٢٨ .

" لوطنه فهو بالنسبة له بمثابة الأم التى تخلت عن ابنها ، ورمته فى الطريق وحيدًا ؛ ليبحث عن ملجأ ومأوى أخر له بعيدًا عن أحضانها ، وكأنه طفل أنجبته أمرأة خاطئة .

ونظرًا لتميز النص الدينى بفصاحة اللفظ وبلاغة القول ، لذلك تتأثر به نفوس الأدباء والشعراء ، ويظهر ذلك فى كتاباتهم الفنية التى ينهلون فيها من ألفاظه ومعانيه وأسلوبه ، فنجد السيد حافظ فى رواياته يتوجه إلى التناص مع النصوص الدينية – القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف – ويوظفهما فى مجرى السرد الروائى لما لهما من تأثير كبير على نفس المتلقى ، وقد يظهر تأثر السيد حافظ الشديد بالقرآن الكريم ، وذلك فى عنوان روايته "كل من عليها خان " الذى تناص فيه مع الآية الكريمة " كل من عليها فان "[1] ، وبالنظر إلى العنوان نجده إنه قد جاء متناسبًا مع الفكرة التى يتناولها الكاتب داخل الرواية ، آلا وهى فكرة الخيانة بصورها المتعددة ، فقد ظهر فى الرواية الخيانة الزوجية ، وذلك من خلال خيانة سهر لزوجها منقذ، وخيانة فتحى رضوان لزوجته تهانى ، كما ظهر خيانة الشعب المصرى لنفسه ، وذلك عن طريق خوفه وصمته وتنازله عن حقوقه، وأيضًا ظهرت خيانة الوطن ، وذلك عن طريق تفضيل المسؤولين لمصالحهم الشخصية مصلحة الوطن والمواطنين ، وكأن الخيانة أصبحت تجرى فى عروق البشر مثل الدماء ، ونجد الكاتب عند تناصه مع الآية الكريمة قد استبدل لفظة " فان " ووضع بدلًا منها لفظة " خان " ، وجعلهما متساويتين فى المعنى ، وذلك للدلالة على أن الخيانة بمثابة الموت ، فالخائن إنسان مات ضميره،

---

[1] سورة الرحمن ، آية ٢٦

فأصبح لاقيمة ولا وجود مثله مثل الإنسان الميت الذى لم يعد له وجود بالنسبة لمن حوله من البشر ، كما أن الموت والخيانة لهما نفس الآثر ، فالموت يأتى وينهى حياة الفرد ، وبعض أنواع الخيانة أيضًا من الممكن أن تؤدى إلى إزهاق وموت أرواح كثيرة لا ذنب لها ، وذلك لأنه ينتج عنها كافة الجرائم والكوارث والحروب ، فقد جاء التناص هنا مؤكدًا وموضحًا للفكرة التى يريد الكاتب التعبير عنها داخل روايته .

مما سبق يتضح لنا أن روايات السيد حافظ زاخرة بالتناصات بأنواعها وأشكالها المختلفة، فنجده قد استلهم من التناص ما يخدم موقفه وفكره السياسى ، ويساعده على إثراء تجربته الروائية، وهذا إن دل فإنه يدل على ثقافته الواسعة التى تشكلت من خبرته الحياتية ، التى جعلت له رؤية خاصه به للعالم من حوله، كما جعلته قادرًا على استحضار النصوص المختلفة وحسن التعامل معها ، وذلك عن طريق توظيفها لخدمة نصه الروائى ، وتقوية دلالته ، ودعم الأفكار التى يريد التعبير عنها داخل رواياته ، إذ أسهم التناص فى خلق معان جديدة لم يستطع النص الروائى بمفرده خلقها ، وذلك من خلال التفاعل بين النص الحاضر والنص الماضى أو الغائب مما أدى ذلك إلى تكامل العمل الروائى ، وإعطائه بعدًا تاريخيًا، ودينيًا ، سواء أكانت تلك النصوص التى يتناص معها وضعت بصورة مباشرة داخل النص الروائى دون إجراء تحوير عليها أم اكتفى الكاتب بالإشارة إلى بعض المعانى والمفرادات ، والعبارات الشهيرة التى من خلالها يمكن الاستدلال على مصدرها، أو قائلها مثل النصوص المتعلقة بالشعر ، والقرآن الكريم والحديث الشريف، كما نجده قد استخدم التناص فى الكشف عن واقع سئ تعيشة

الأمة العربية بشكل عام ، والمواطن المصرى بشكل خاص ، كل ذلك يجعلنا نجد انفسنا أمام تجربة أدبية تستحق منا الدراسة البلاغية للكشف عن ما يوجد بها من جماليات ، وتقنيات فنية عديدة .

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

١- القرآن الكريم

٢- رواية: قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ٢٠١٢م ، ص ٢٩ .

٣- رواية: ليإلى دبى الجزء الأول (شاى بالياسمين) ، مركز الوطن العربى رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م ، ص٣٢٨ .

ثانيًا المراجع:

١-محمد عزام ، النص الغائب (تجليات التناص فى الشعر العربى) ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص٢٨ .

السيرة الذاتية
للباحثة / مى جمال محمد محمود الشربينى

من مواليد ٨ ديسمبر عام ١٩٩٠م محافظة القاهرة .

خريجة كلية البنات للآداب جامعة عين شمس قسم اللغة العربية عام ٢٠١٢م .

حاصلة على دبلومة فى التربية عام ٢٠١٣م .

حاصلة على السنة التمهيدية للماجستير تخصص نقد وبلاغة عام ٢٠١٤م .

وأعد الآن رسالة الماجستير عن روايات السيد حافظ.

□

كلمة عن الدكتورة / هاجر مباركى

يقول الكاتب السيد حافظ عن الدكتوره هاجر مباركى.. هى ناقدة ذات بصيرة والكلمة لديها لها وهج خاص محاربة من أجل الكلمة النور والحقيقة ليست عابرة سبيل فى عالم النقد تسعى إلى أن تعيد صياغة العالم من جديد ليس لديها أى حد فاصل بين النقد والإبداع فالنقد لديها إبداع موازٍ واجتهاد حتى الفناء وتجرى فى دمها رغبة بناء النص الأدبى بجناحيه الكاتب والناقد.. هل للنهر القدرة على أن يترك الشاطىء ويمضى نحو الصحراء.. الرغبات المجنونة والحميمية لاكتشاف النص الأدبى وإعادة قيادته للمتلقى.. والمتلقى بالنسبة لها هو الآخر المثقف الذى لايهدأ.. حتى يرى العالم يتغير.. هى من نخبة الناقدات المستترات بعيدا عن عيون الصحافة.. مثل البصرة التى تستر كاتباتها وكتابها تحت جناح التاريخ الذى يغطى المدينة فالبصرة مدينتى التى تصر أن تخلع رداء الحزن وترمح فى صحراء المعرفة والإبداع هاجر تشبه مدينتى بالرغم من أنها جزائرية وانا بصراوية عراقية.. إن هاجر مباركى تحمل جادية الناقدة الحقيقية وتعشق البحث المضنى هكذا كانت المبدعة العربية تشق طريقها وسط الأشواك.. ليست كل مبدعة مرحب بها ومشكوك فيها وفى نواياها ولذلك قد تجد هاجر مباركى فى صحيفة عربية بعيدا عن الجزائر.. ترى هل الجزائر تضيق صدرا بمبدعيها نًقدا وإبداعا ومسرحا وسينما؟؟.. الكتابة عند مبدعي الجزائر مهمة رسمية ورحلة للجنون.. وعند هاجر مباركي قلق شرعى وغير شرعى وغزو للمجهول.. إن هاجر مباركى موهبة نقدية كبرى لاتقل أهمية عن نظيراتها فى الجزائر العملاقة إبداعا وفكرا واستنارة..

"حتىّ يطمئن قلبي": بين القارئ اللازم والمتعدّي..

د. هاجر مباركي- الجزائر

.. عندما يطرد المبدع من فراديس إبداعه ، ويشكّك بانتمائه إلى نبض جنانه، لتعدو ومضاته الجمالية إبرا مسنونة تقضّ مضجعه وتهزّ أشجار رؤاه،، ما الذي يفعله؟ بل ما الذي يفعله حين تباغته هروات التّهم وطعنات الشائعات؟ هل يمزّق كراريس بوحه ويترك ساحة الإبداع؟؟ (وجدان الصائغ).

.. الكتابة وجع يسكن أعماق الكاتب يسدّ نتوءات الجراح النازفة التي كانت و لا تزال تغيّبه وتقصيه ، وحدها الكتابة بمقدورها أن تحدث خلخلة فيما هو سائد من القيم و الأفكار ،وتربك الذات ببعديها الفردي والجمعي، أمام جرأة السؤال التي تجعل الكلّ في مواجهة عارية أمام الذات.. إنّها تفجير للمكبوت والمخفي، والرواية في مدائن السيد حافظ تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن؛ فالكتابة عنده فضاء يتحرك في حدوده زمن الإنسان، وهي أروع مزيج بين قدرة العقل وسلطة اللغة..

لا يعرف العشق إلاّ من يكابده.. .. و لا الصبابة إلاّ من يعانيها .

هكذا قال أحد الشعراء قديما في وصف حالته ، وفي حالة مماثلة يكابد السيّد حافظ في سياق مشروعه الروائي، عشق الكتابة و يعاني صبابتها ، فلعلّ حلم الروائي بوطن ينأى عن الصراع ،و يقوم على إعلاء صوت الحق ووأد الباطل، هو الذي دعاه إلى تحمّل عناء سبر أغوار الذات العربية بثقة عالية راسخة، متخلّصا من رواسب الماضي، في محاولة حثيثة لمجاوزته ، ببثّ الوعي واستنهاض الفكر الراكد ومواجهة العتمة .

كتب السيد حافظ عن الروح والجسد وعشق الأوطان، تحت سطوة الإحساس بالاقتلاع وعدم الاستقرار، مشدودا إلى الذاكرة والوطن في لوحة

بانورامية روائية، تذوقها المتلقي عبر أول مشروب إبداعي ساخن في الديار الحافظية " قهوة سادة ".. عبق التوحيد في زمن اخناتون، وعفونة الصراع الأزلي بين رجال الدين والعسكر. ليطيب للقارئ الذوّاق المقام في رحاب الإبداع الحافظي ، بمشروب آخر "كابوتشينو" أراده الروائي امتدادا لروح إنسانية تعاني عذاباتها عبر الزمن، تجلّت في علاقة حب بين نور المصرية المؤمنة بالله الاخناتونية ومحب القائد الفرعوني المؤمن بفرعون إله ، ليعبّر الكاتب عن هاجس لطالما شغل معظم كتاباته:" هل للحب دين ؟هل يملك البشر المحبة التي توحد العقائد؟ هل نملك القدرة على التبصير والبصيرة ، والفهم والتّفهم ،والقبول والتّقبل؟؟أم نبيع أحاسيسنا على الطرقات للماديات والتفاصيل الساذجة،ويمكن للفرد أن يفقد هذا الحب ، ويمكن للمرأة أن تفقده، و للرجل أن يفقده و للوطن أن يفقده ،هنا يكون الوطن بلا حب.. "

.. لا تنتهي رحلة التواصل مع الماضي وشخصياته المختلفة ،واقعية كانت أو متخيلة في رحاب الإبداع الحافظي، رحلة يمتزج فيها التاريخي بالأسطوري الملحمي، إضافة إلى الرؤيوي الصوفي ، لتمتدّ بمساحة روائية خصبة في حضن " ليالي دبي"، تتجسّد في تضاعيفها بصورة قوية ومحورية، ظاهرة الاغتراب بشكل متميز؛ يكشف عن علاقة مرتجّة بين عالم الواقع وعالم طوباوي حمل عبءه الأنبياء والفلاسفة والمصلحون.. بين شاي بالياسمين وآخر أخضر.. يعيد الكاتب ترتيب علاقته بفكره في ضوء ارتجاج الوطن والتجاهه ،ليكشف عمّا يختمر داخله من تطلّعات وقيم سامية تتعرض لإحباطات بفعل الصدام مع مجتمع عربي ، تشيع في أوساطه الآفات ،ويؤثر فيه الثبات على الحراك. ولعلّ هذا ما دعا الكاتب

للقول:"أنا وظيفتي إثارة الأسئلة دون إجابة ، والمتلقي عليه البحث و الوصول إلى الحقيقة ،لعلّه بهذا الحراك يولد بيننا مفكّر جديد ، وزعيم جديد ،وسياسي جديد وعالم جديد، دون أن يتمّ اغتياله ،أو تشريده اجتماعيا وإنسانيا."

يعانق الكاتب بحرقة شديدة أوجاع وطنه الجريح في عالمه المكثّف والمتشعّب، ليجاهر وطنه روائيا بقوله:"كلّ من عليك يا وطني خان ".. في مساحة روائية تحشد مواقف الفجيعة والألم ،يلاحق السيد حافظ المسكوت عنه، ليمنحنا رؤية جديدة متجددة للواقع الإنساني ، بعيدا عن قتامة الواقع ،وفساد الإنسان؛ إنها تراجيديا الأزمنة العربية التي أودعت وعي مفكريها التراب.."تشاكسني الألفاظ والمعاني فأعاني يا غربتي في المشاعر وتنهيدة القلوب وجراح وطني وغياب الأمان.. تشاكسني الحروف وأنا المصلوب والمقهور والمغلوب والمظلوم وقلبي نور.. تصير حروفنا رمالا ويصير الجهل موجا فتضيع كل الحكايات في عتمة روح أوطاني ،فتشاكسني الجهالة والجمال" فكلّ من عليها خان " .

لا يكفّ السيد حافظ عن إثارة القارئ و إمتاعه فنيا ، اختراقا لا تقليدا ، استشكالا لا مطابقة ،إثارة للسؤال لا تقديما للأجوبة ، ومتصدّيا لتزييف تاريخ الأوطان ،لا متصيّدا للأخطاء والزلل ، بمتعة مضاعفة يلامس من خلالها السحر الفني والفكري ،ويلاحق جموح الخيال. بين التشويق والإثارة لا تزال روح سهر الأنثى الأسطورية ،تجتذب بعطرها كلّ من يقترب منها ،وتجتذبنا معها بعطر أنوثة فواحة وروح متمرّدة.. سهر حضور متميّز لشخصية نامية، استنسخ منها الروائي أرواحها الأربع نفر، نور ،شمس ،و وجد ليصل بنا عبر سياق روائي متلاحم إلى لامار، روحها الخامسة في

سردية شائقة عنونها ب "حتى يطمئن قلبي ".إنّه اتّحاد الأفكار بالمشاعر ،وتمثيل ناطق وتصوير صادق بين الحقيقة والخيال . وحين نخبئ النيل المقدس في قلوبنا خوفا من تلويث البشر له و لكي ولي.. تسألينني من أنا.. أنا شمس أحرفي تذيب الجميلات في نهر الجنون ويشربهم في نخب العشق فاحذريني الشمس في السماء ضياء وفى الأرض بهاء وماء وارتواء ونماء ونساء.. يهمّني اسمك و العنوان أنت الوحيدة التي عرت قلبي وروحي..

..تثير معاينة و مقاربة العنوان "حتى يطمئن قلبي "قضية إبداع وتلق ، هي علاقة تفاعلية بين مقاصد السيد حافظ في انتقاء دوال عنوانه ،وبين إدراك القارئ لبنية هذا العنوان، التي تنحو به نحو حبكة فنية تتّبع مصائر الشخصيات واشتباك أفكارهم، وتعارك مبادئهم وتوجهاتهم، ضمن زخم من الأحداث تشكّل محرك السرد ،وتصنع تفرد هذا العمل الروائي.

شهرزاد ""كان يا ما كان"" تصور ساحر لعوالم تخييلية ،تشرّع أبوابها للقارئ في مساحة روائية تكتسي فيها الكتابة قوة رمزية، باتجّاه مقاومة التضعضع الفكري والاجتماعي ،و أسباب اليأس الإنساني ، وتسعف على صوغ أسئلة جذرية بحثا عن مستقبل أفضل. لا تزال شهرزاد القاصة المغرية لشهريار الملك تثير دواخلنا "فحين تجلس شهرزاد يهدأ المكان وتسترخي الروح.." لم تعد شهرزاد الجديدة في حضن الإبداع الحافظي تهاب الموت ،فلقد صار الحكي عندها رغبة وسلطة ،لا خوفا ورهبة ، ليطمئن قلبها وقلب القارئ، في رواية حافظية تتفتّح فيها اللغة الشعرية على التأويل ، وتغيب فيها الدلالة القطعية لتلامس المعنى حينا ،وتجاوره أحايين أخرى.

"إنّ الحب هو الشيئ الوحيد الذي لا يحتاج إلى تبرير "، ورواية "حتى يطمئنّ قلبي " لا يحتاج فيها حبّ الوطن إلى تبرير، " فالحب يساعدنا على الاستقرار والاستمرار ." في عالم متداخل من التجارب المقروءة والمعيشة ،يستبطن الروائي مادة التاريخ وخاماتها لتتحوّل إلى سرد تخييلي دافق بالمعرفة والحركة والمعاني. فذكر صلاح الدين الأيوبي هو فتح لسجل التاريخ في رحلة إلى الماضي، وصولا إلى عالم لوثته أفاعيل الإنسان ، فكلّ إنجاز نحسبه اليوم إنجازا إنسانيا عظيما، إنّما يخفي خلفه أشلاء المسحوقين الذين داستهم آلة الاضطهاد وسياط الزبانية . إنّ الشخصية الروائية سواء كانت تاريخية أو أسطورية، إنمّا هي فضاء يتجلىّ فيه الزمان ،ويتحقق فيه المكان وجودا وكيانا .

الرواية تقع أحداثها في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي في ظلّ الحكم الفاطمي والصراع الدائر عصرئذ . التاريخ مكوّن من المكونات الثقافية يتأسس عليها الطابع الحضاري للأمة في مواجهة تحولات الحاضر وقضاياه ، فضلا عن كونه يمنحها هويتها المتفردة بين الأمم ، ولهذا تسعى لحفظه وبعثه عبر الأجيال، سعيا منها لحفظ كيانها الوجودي من الزوال ،هو رصد لحياة الإنسان عبر الأزمنة المتباينة ،لذا فهو صناعة بشرية تخضع بشكل أو بآخر لضرورات العصر وسياقاته المختلفة ،والتي ينبغي الإحاطة بها لفهم مضامينه الحقيقية، بعيدا عن الهالة التقديسية التي لفّت هذا الخطاب، وحولته إلى بنية مغلقة ، يكتسب معها شرعية مطلقة بوصفه المصدر الوحيد والأوحد للحقيقة .تشكّل إعادة كتابة التاريخ هاجسا لدى الروائي المصري السيد حافظ، في معظم أعماله الروائية إنّها إعادة ترميم التاريخ الرسمي المليئ بمساحات الصمت ،وهذا

من أعظم هواجسه و أشدّها عناء كيف لا ؟ وسهام القوم بالنقذ تتقاذفه حيثما حلّ وارتحل ، وكأنّ درأ الشبهة وتقويم التزييف الحاصل في سجلات تاريخنا العربي العريق رجس من عمل السيد حافظ .يقول ابن خلدون الكاتب في مقدمته الشهيرة "مقدمة ابن خلدون ":"كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة ،النّقل المغالط في الحكايات والوقائع ،لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثّاً أو سمينا لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلواّ عن الحقّ وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".مقدمة ابن خلدون(تأليف الإمام عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون تحقيق درويش جويدي. المكتبة العصرية صيدا بيروت) ص16 ". إنّ القول إنصاف للكاتب ، فالتاريخ صناعة بشرية ليست منزهة عن الخطأ.

حتى يطمئنّ قلبي " تعبير عن الحاضر بذكر الغائب من صفحات التاريخ ، إنّها وصف لحالة العالم والمجتمع والذات .تقيم فيها الرواية مع التاريخ علاقة حميمية ،وفي هذا اللقاء بين شكلين مختلفين من المعرفة ، تتجلى الكتابة الروائية بشكل متميز من البحث التاريخي ، يبحث من خلاله الروائي عن هويته وهوية المجتمع الذي ينتمي إليه. وبهذا لا يجب أن نعامل النص الروائي معاملة النص التاريخي ، فلا تقرأ الرواية بالتاريخ ، بل نقرأ التاريخ بالرواية حتى لا ننأى عن سحر الدال ومتعة الكتابة ،

تسعى روايات السيد حافظ إلى خلق تقاطع فنّي بين التاريخ وفن القصّ، ومن هنا قام مشروعه الروائي على مساحات تاريخية متّصلة بحبل القصّ. فهي تدمج المتخيل في الواقعي، باعتبار الواقعي هو الأرضية التي تشتغل

عليها وتحاول التأثير فيها . يتجاوز المتخيل الواقعي في الجرأة، وهو أشدّ منه وقعا في المتلقي ، فالمتخيل يقول الأشياء بصورة عارية .رواية "حتى تطمئن قلبي "لا تعرف النهاية تتضمن استباقات منها ما تحقّق على مستوى بنية النص، ومنها ما بقي معلّقا، كما أنّها تحمل دعوة للقارئ للتفكير والتدبر والمشاركة.""فالقراءة استهلاك للنص في رأي التقليديين والقراءة إنتاج للنص في رأي الحداثيين .والقراءة إفادة وإنتاج وتثاقف في رأي أولائك وهؤلاء جميعا""(عبد المالك مرتاض "القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي" تجليات الحداثة) ص31.

..كلّ أثر فنيّ يبقى مفتوحا على سلسلة لا متناهية من القراءات الممكنة ، وكلّ قراءة من هذه القراءات تعيد إحياء الأثر وفق منظور أو ذائقة.. وقراءة أعمال السيد حافظ الروائية، تشبع الذائقة وتنشئ لها مستقرا داخل روح القارئ، شخصياتها نابضة بالحياة، ومواقفها متفجرّة، تجمع بين الحاضر والماضي في اتجّاه معاكس الغرض منه خلق التلاقي بين زمنين لفحص الكائن ،واستجلاء ما سيكون على الصعيد القومي ، الذي تجابهنا فيه اليوم محنة التخلف والتشتت القومي ،

ويبقى المشروع الإبداعي الضخم للروائي المسرحي السيد حافظ ،بين قارئ لازم غارق في عطالة فكرية، لا يمتدّ أثره للعمل الإبداعي، مستهلك لا يلامس مواطن السحر والمتعة في الأثر الفني،و لا تتعدّى نظرته عتبة الاستفتاء بقبول النص أو رفضه ، وقارئ متعدّي، مشارك ينتقد الأصلح لإبراز روعته ،ويرقى بذائقته في قراءة النص الإبداعي، ويخلق التآلف في مساحات الإبداع . و روايات السيد حافظ لا تنقطع عن الإضافة باستمرار

للبنية الذهنية والروحية ليتفاعل المتلقي مع بنية النص ويندمج فيها ، فمتى سيطمئن قلبه؟..(فالكثير من المعرفة تصبح بطعم المرارة ،وتعجل بنهاية العمر عندما لا تجد أحدا بجانبك يشاركك البهجة والحزن فيما تكتب.. إنيّ أدون أفكاري لعل شخصا يجد فيها مفيدا ليستنسخها أو يتذكرها.. أنت تحاول خلق الجمال والمعرفة ، وهم يمررون الجهل كنوع من المعرفة وينجحون..لا تعذب نفسك بالندم على متاع الدنيا ، إنّ عزاءك في الكتابة والحياة والآخرة..) –"كل من عليها خان"

هاجر مباركى – الجزائر

خلخلة التاريخ وتجاوز الذاكرة
في" كل من عليها خان " للسيد حافظ

د. هاجر مباركي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم – الجزائر

"جاءني في المنام جمال حمدان وقال لي:قم و اقرأ.. حاولت أن أكمل نومي لكنه قال مرة أخرى: قم و اقرأ.. القراءة عذاب يا عم جمال.. القراءة سر والسر
معرفة والمعرفة أن تفهم.. أفهم ماذا ؟ تفهم مصر وسر هذا الشعب..

استيقظ فتحي رضوان..و أيقظ معه القارئ ،في مساحة إبداعية تعج بالحياة ،والصيرورة ،لتكسر الرتابة الأدبية ،وتحقق الإمتاع الفني ،،،كل من عليها خان ، وقد يكون هان ، أو بان ،أو جبان بالنسبة للسيد حافظ.. الذى هو مبدع صنع ولا يزال فنا متفردا وفكرا مغايرا ،يسجل به حقبة جديدة في الفن المسرحي والروائي .

يطل المؤلف على الزمن الحالي بمتغيراته الثقافية ،والايديولوجية ، محملا بتساؤلات وتمزقات عن القيم الموروثة ،،عن الحب ،،عن الحياة والموت، من خلال جدارية إبداعية ومزيج متناسق، بين الرواية والمسرحية ، هي كذلك " كل من عليها خان"..صورة وصوت يستنطقان عميق الذوات المغيبة بتمثيل ناطق وتصوير صادق.. هو رجل يقول الحق في زمن الكذب والبهتان.. هذا ما هو عليه الشيخ مجاهد الذي دعاه الياقوتي للفرار والانصهار..وتغيير الوطن ، وحتى الإسم.. فالحق هو الخطيئة الكبرى.. الحق هو الرجل الطيب ليس له مكان.. هذا ما هو عليه السيد حافظ..يلاحق

المسكوت عنه ،يكشف المخبوء ، ويمنحنا رؤية جديدة متجددة ، ومركبة للواقع الإنساني ، شخصية منفلتة من الزمان والمكان ،لتعيش خارجهما على طريقتها ، وفق منطق تصالحي ، في عالم خاص ، وفلسفة إبداعية تعري كل ما تتجاذب الإنسان من صراعات مادية ، ونفسية وحضارية ، هو رجل يقول الحق.. والحق أيها الرجل المبدع ليس له مكان..إنك تحاول جاهدا أن
تنقد متفرجا أصابته الأدواء فنيا وفكريا.. لكن البلد معصوب العينين ويحب الجهلاء..ويكره العلماء والشهداء.. "كل من عليها خان".

"كل من عليها خان " عمل روائي يجمع بين سحر الماضي والحاضر ،بطريقة يلتقي فيها واقع الحياة مع عفوية الخيال..فالواقع والخيال يدعم أحدهما الآخر عبر
زمنين مختلفين . يتنقل الكاتب عبر الحقب الزمنية بطريقة لا نكاد نشعر فيها بالمفارقة ، تداخل وامتداد زمني ، وإبداعي، لأعمال روائية سابقة، أسست بناء شامخا يتهاوى على مذابحه الشائع المألوف، ولك أن تتذوق فنيا طعم "قهوة سادة" وكابوتشينو..وأن تحلق عبر" ليالي دبي"، لتدرك أن للإبداع عطر مميز..

يمتد الزمن في مساحات كل من عليها خان عبر شخصية سهر التي خلّف عطرها توهج الإبداع الحافظي، في روحها الرابعة ،وزمنها الآخر وجد ،فترة المستنصر بالله ،سهر التي تلهب بعطرها..وسحرها خيال الرجال..مساؤها أحزان ودموع..مساء بلا عناق..شجن وفراغ وهموم وقمر من السماء..خانها الحظ في الإختيار ،فاختارت الفرار إلى العشق بين أحضان فتحي رضوان ، مثقف هاجسه الحياة والمعرفة..مسكون بأسئلة شائكة عن

الإنسان والحياة ، عن الوطن والتاريخ..   فتحي الذي قال عن نفسه في الجريدة:" وتسألني من أنت.. قلت أنا السؤال و الزلزال ، والثمار والحوار والنبراس والزمان والمكان.."

ينفتح القارئ على عوالم الرواية ،عن طريق شخصياتها التي تمنحها قيمة فكرية ،و جمالية، من خلال عملية الإنصات لما تحمله من فكر و إحساس.. من سهر سحر القمر.. إلى الفاتنة شهرزاد..إلى وجد أعجوبة الزمان..دوائر كلها للبوح ،يجعل منها الكاتب مرجعية فنية وفكرية ،يستند عليها القارئ من أجل التصنيف والحكم ، تقوم الإستراتيجية السردية للسيد حافظ ،على وضع الذوات المتحركة داخل الفضاء الروائي، أمام نفسها في مساحات زمنية محددة ،مضبوطة وفي فضاء خاص، يجبرها على الاختيار أمام لحظات الحسم والتحول ،إما القبول أو الرفض.. وأنا الحيران وفي عيني خيمتان للعشق.. واحدة لك.. وأخرى لسورة الرحمن.. ضميني كطفل.. وأطبقي على جسدي.. لعلي أغتسل برحمة من السماء.. تنقذني من غربة النساء والبلاء.. في الصباح حدثتني كطفلة.. في الظهيرة حدثتني كقديسة.. في المساء حدثتني كامرأة..هيفي الليل بلا رفيق.. في سرير الوحدة.. تبحث عن رجل ليؤنسها.. في الفجر أيقظتني لصلاة الفجر.. وخلعت ثوب العهر.. في الشروق لبست مريلة المدرسة.. وأصبحت طفلة.. ماذا أفعل لها نعم أعترف أني أحبها؟..

يجسد الروائي بصورة قوية ومحورية ظاهرة الإغتراب بشكل متميز يكشف عن علاقة مرتجة بين عالم الواقع ، وعالم الحلم ، لدى شخصيات تفوح دواخلها بالشعور الخانق بالإحباط ،والضياع ،فضاءات التيه والابتلاء..

تشاكسني الحروف وأنا المصلوب والمقهور والمغلوب والمظلوم وقلبي نور، .تشاكسني عيناك فأحن إلى طفولتي ورمال البحر المتسخة في وأنا أبني عليها قصورا.. تصير حروفنا رمالًا ويصير الجهل موجًا فتضيع كل الحكايات في عتمة روح أوطاني فتشاكسني الجهالة والجمال..

كل نساء الشام فاتنات..والفتنة غواية..وعشق الجمال غواية..والزنى بعض من العشق..وهل للزانية النار؟ والجنة اختيار و أسرار..وللعشق أشعار.. وما زالت الشوارع ثكلى من الفرح..تتعرى بحب الدنيا..الدنيا راقصة جميلة رخيصة .

يطالعنا في "مذكرات رجل يضاجع الوطن والتاريخ " الصراع الذي ظل حاكما لمقاصد الحياة البشرية، على مدار المسيرة التاريخية ،منذ صراع الخير والشر الماثلين في مقتل هابيل على يد أخيه قابيل ،لتتواصل أشكال الصراع بين الحرية والاستعباد، بين العاطفة والعقل ، الحياة والموت..يحيلنا هذا المنطلق المؤسس لكنه العلاقات الإنسانية من خلال الرواية، إلى السؤال عن السبب الذي دفع قابيل إلى جريمة شنعاء ،وحوله إلى آخر لأخيه هابيل.. هل هو الإحساس المتولد لدى قابيل بالإقصاء.. يعانق الكاتب بحرقة شديدة هواجس وطن جريح ، في عالمه الفني المكثف والمتشعب، ليرفع صوته بقوة عبر النسيج الروائي:"إكرام الميت دفنه ، وإكرام الحي أكله.. البلاد التي تأكل أولادها بالفقر والذل ،تصنع رجالا من ورق ، ونساء من سراب "..

تحلق الإجابات في فضاء النص الحافظي وفي ذهن المتلقي ، لتتجاوز الكتابة الإبداعية عند الروائي المتمرد، أفق التوقع لدى المتلقي ، لتدهشه

بصياغات تخرج بالحكاية إلى السياق الإنساني ، يسعى من خلالها المؤلف إلى تكوين جديد لبنية وعي عربي ،يتخطى صراعاته ، و يتهيأ للاختراق ،موصولا بتراث يحمل قيما رفيعة.

" في كل من عليها خان "، يتسع فضاء السرد لحركة الشخصيات ، ولأهم الحوارات التي تخللت الأحداث..حوار سهر مع شهرزاد الزمان.. المرأة النائمة في طيات المتخيل الإبداعي ، وأنثى تحرك خيوط السرد ، وتأسر القارئ عبر دوائر سردية لولبية ، وتفاصيل حكائية، عمد فيها السيد حافظ، على تقنية التقاط التفاصيل الصغيرة المرهفة جدا..والتي تدفع بالقارئ إلى قراءات متعددة ،تولد لديه معان جديدة، غير التي أدركها للوهلة الأولى .

من أبرز التقنيات السردية في الرواية الوصف، والحوار، والمذكرات وهي لون من ألوان التكنيك الفني الذي أتاح من خلاله المؤلف لشخصيته البطلة فتحي رضوان ، فرصة ليمتح من ذاكرته كثيرا من المواقف والأحداث والأزمات ،التي مرت به ، معبر ذهني مكنه من سبر أغوار الواقع، والتاريخ، من خلال عالمه الشعوري واللاشعوري الخاص.. كان الوطن يسكر مع الخونة والعملاء دون حياء.وكنا على بابه نصرخ ليلا ونهارا..إفتح لنا باب الروح..فلا يسمع.. ويظل سكرانا.إخترت يافتحي أن تكون كاتبًا وصحفيًا مع أن نصيب المواطن العربي في القراءة خلال السنة ٦ دقائق فقط ونصيب المواطن الأمريكيمن القراءة في السنة ٢٠٠ ساعة.. .يا أمة ضحكت من جهلها الأمم..إسرائيل تنتج خمسة الآف، ضعف إنتاجنا الأدبي والفكري في عام..

لم يكن فتحي ولا سهر ، يجهلان سحر البريق المنبعث من ليالي دبي ، دبي المدينة المتألقة والمتقدة بالمشاعر ، تنفذ بك إلى عالم مثالي لا يشبه إطلاقا الواقع..الكذب خيبة.. أنا أدمنت صوت سهر بالفعل.. الحب انشغال وشاغل.. الحب نعمة ونقمة.. .. ليالي دبي تسحرك تخطفك.. إما أن تشعر بقوة التقدم وتلعن التخلف الذي في مصر وسوريا.. وإما أن تسلم بالأمر وتمضي نحو الاستمتاع بلا مقارنة أو ذاكرة.. وتأمل.. ومن الأفضل أن تظل بلا عقل وتكذب على نفسك وتخدعها بأن مصر أفضل بلاد العالم..ليس غريبا أن يتخذ وصف دبي هذا الاحتفاء، فهو المكان الوحيد في الرواية القادر على الائتلاف مع ذوات تعاني عذاباتها في واقع يعج بالزيف، والبلادة والعتمة المستقرة في قلب الأشياء ..

في تعبير متوهج عن حالة روحية كامنة في الوعي ،ينفذ السيد حافظ في جداريته الإبداعية "كل من عليها خان" إلى روح وجد..سحر وعطر..روح سهر الرابعة في زمن الخليفة المستنصر الذي فقد الدولة والهيبة ، و أضاع حلم جده الحاكم بالله ،تصوير وتوصيف للحياة في مصر والشام ،في إطار تاريخي يدفع من خلاله الكاتب القارئ إلى إنعاش ذاكرته ، وترتيبها "فالماضي لا يعود إلا في الذاكرة ، وقد نغيره ونفتري عليه ونشوهه ، ولكنه يظل عالقا في الذاكرة".

تعيش شخصيات الرواية عبر حفر التاريخ المظلمة ،في زمن الشدة المستنصرية، سبعة أعوام من القهر والجوع استنسخها الكاتب ببراعة شديدة من البردية اليوسفية ، في سياق مسرحي متناسق تستسلم فيه الذاكرة البكر والثيب، للحقيقة لتتكشف أمامها أسرار السنوات العجاف.. سنوات الكفر

جوعا، فضاء من الرعب ،في ظل الفساد والاستبداد، تجسد الرواية بصورة قوية

ومحورية ظاهرة التفسخ الإنساني، لمجتمع نهش بقايا البشر جسده، ليقارب لحظاته الأخيرة في صور صادمة، يتحول فيها الإنسان عن آدميته، و يتشكل حيوانا مفترسا يتحين الانقضاء . .في وسط الضياع المطلق ، تتقد الذاكرة ، وتنفتح البنية الروائية على الأزمنة، عام يسوق آخر السبع العجاف.. لا تنقضي ليجر التاريخ عبرها أذيال خيباته.."أكل المصريون لحم بعضهم بعضا وتلك البداية ،فوجدوا اللحم لذيذا في بادئ الأمر .أكل الناس لحم بعضهم دون تعليق.. المصريون أول شعوب الأرض الذين قرروا أكل لحم المسؤولين في الحكومة عن المجاعة.. "

مساحة تحشد كل مواقف الفجيعة والألم..جعل منها السيد حافظ مساحة للاسترجاع، والتداعي الذي أسهم في حركة دائبة إلى الأمام والخلف إلى السطح والعمق ليتمكن من ملاحقة الأحداث والإمساك بالخيوط التي تربط بينها .

تتخلل تقاطيع الرواية أغاني، وحكايا الجيران ، ليتهيأ القارئ لسماع ما يرويه الحكواتي –السارد– بشوق، ولهفة ،تلج به دون سابق ولا لاحق، قصة جديدة تنسيه ما سبق سماعه . نحن والجيران" جيران فتحي رضوان" ، شخصيات متباينة ، مواقفها رغباتها هذيانها، همومها أحلامها يصنع الكاتب من خلالها تجربة حياتية، تثير جدلا عميقا حول مدى مسؤولية المجتمع، ومسؤولية الأفراد، إزاء الأزمات الإنسانية ،التي تنخر كيان المجتمع العربي .

تتحرك شخوص الرواية في الفترة المستنصرية، عبر أكبر المدن.. القاهرة ،المستسلمة لسيول الهزائم المتتالية ، لتعيش تحويرا في كينونتها، وتتحول من قاهرة إلى مقهورة ،تعيث فيها تكتلات فئوية فسادا لا نظير له ،تجار فجار يمارسون الاضطهاد الصارخ والسلطة التعسفية ،التي لا تتوانى عن كبت الحريات وقمع العلماء ، وعلى هذا النحو يعمد الروائي عبر لقطات مشهدية ،وصف حال مصر الاجتماعية ، والاقتصادية ،عبر فئة تمنح نفسها حق تطهير المجتمع .

عالم السيد حافظ ، لا ينقطع عن الإضافة باستمرار، للبنية الذهنية والروحية على حد سواء ليتفاعل المتلقي مع بنية النص ويندمج فيها ، يحتفظ النص الروائي "كل من عليها خان " بشيفرة لا يقذف بها النص خارج تخومه بل يحتفظ بها داخل أغواره ،لتحدث داخله قلقا مستمرا ونقرا متواصلا لفكر آن الأوان أن يتحرر..

يتألق النص المسرحي في حضن الرواية، ليعكس نصا حافظيا بامتياز، تتزاوج فيه المسرحية مع الرواية في ضوء علاقة شرعية، تشكل البنية العميقة للنص.سياق مسرحي،ودهشة فنية تحمل تعابير صادمة ،ومفاجئة ، يحدث هزات ارتدادية على سلم الفهم العميق لحقائق التاريخ .

يمثل الشيخ إسحاق الأفاق، في السياق السردي والدلالي للنص ، ذات فردية تفرض ممارساتها الدينية ،لترسخ بها الفقر ، الظلم و الاستبداد ،مستكينا إلى التخلف والشرور ،تجسد ممارسة اغترابية بامتياز تتعمق معها الأوهام ،وتتضائل فرص التغيير ، فهو الإنتقال من شعور ديني خلاق إلى شعور هدام. يزاوج الكاتب في الحدث المسرحي بين شخصية إسحاق وبدر الجمالي

الذي يشكل السلطة بكل أطيافها ، سلطة تعسفية تتبنى العلماء والمثقفين وتوفر لهم حماية مشروطة ، وتوقع بهم في مستنقعات السياسة ومؤامراتها.. هكذا حال شعب مصر يفضل العبودية ويخاف من المغامرة والحرية ومن المجهول..كل من عليها عبيد..

تتجاذب الأحداث في نسق تصاعدي ،يكشف من خلاله الروائي قتامة الواقع ،داعيا إلى ضرورة التنبه للفروقات وفهم معانيها وحساسياتها ، حتى نتمكن من الحد من تراجع مستوى النقاش الفكري، الحب ليس له ميعاد ولا هوية ولا بطاقة شخصية ولا لون ولا حاجز يمنعه ولاسجان.. .نيروزى يا نور عيونى.. من أى بلاد الدنيا أتيت إلى مصر؟مصر ياساحرة القلوب دون سبب.. شيء ما خفي يسحر الناس بك ليس الماء وليس الهواء ربما تراب الأرض ها هنا تراب من أجساد كل البشرية التى مرت على أرض مصر، وأجساد الأنبياء الذين دفنوا بها أو مروا عليها باستثناء واحد او أثنين.. هي أرض باركها الله وحاول أن يهدي أهلها.وجد ابنة جميلة وعمار الحلاق أجمل بنات عصرها.. تتذرع بأي حجة لتذهب إلى السوق لتقابل نيروزي الفارسي الوسيم وهو يبيع العطور والبخور.. هكذا كان التزاوج بين النيزوزي ووجد أعجوبة الزمان لكنه التواري ،في تقاطيع التدرج المسرحي. النيروزي ووجد لا يجدان مساحة بعد زواجهما غير المعلن ،إلا السرداب تحت الأرض في مجتمع يكفر بالآخر المختلف . هو استنباط لواقع العلاقات واستشراف لمستقبلها المخيف..

"كل من عليها خان" تراكم واضح للملامح النفسية والسلوكية ،وموطن لنص إبداعي متميز يساءل التاريخ و ووعي الأشخاص.. يطلق السيد حافظ من

خلاله صرخة مدوية في وجه كل من يسعى إلى تلميع التاريخ بعناصر انتقائية، لما يريد البعض إتباثه في أذهاننا عن الوطن .

كل من عليها خان عمل روائي مسرحي ، يحمل كل ركائز التكوين الاجتماعي..الأخلاق ، الدين العلم، الحضارة ، التاريخ ، التراث. ليقدم السيد حافظ للمتلقي المتذوق، والمستعد للمغامرة الفكرية والقلاقل الإبداعية ، إنتاجا فكريا ناضجا ،يضخ من خلاله، فلسفة خاصة وكتابة جادة جريئة في محاولات استفزازية للفكر الراكد ، جهد عميق مرهق، يستحق القراءة يبتعد به المبدع المتألق في فكره عن الشكلي ليقف عن المضموني ، لا ينسى فيه السيد حافظ القضايا التي تؤسس لبناء مشروع قومي، وإنتاج فكر متجدد. فهل سيسلم هذا المنتج الإبداعي المتميز من التحريف.. أيها االفرح لا تخف منا، لاتعاقبنا عرفنا الآن قيمتك وسامحنا لأننا أغبياء.

كلمة عن الدكتورة / وفاء كمالو

كلما اخترت دراسة لأقرأها أجد الأجمل والأروع فأنذهل. وأكاد أتردد كثيراً بالاختيار والخوف أحيانا من أنني لن أعطي حق النص أو الدراسة لهذا أو ذلك القلم فيرتبك المرء في الاختيار.

وقد يتباطئ في الإنجاز لجمالية الرؤى للنصوص وموضوعيتها وهيكل مادتها الغنية بالعذوبة والسحر الأدبي والنقد البناء لأجل الرقي في أجناس الأدب وتنوعه وأحياناً تداخله بعضا ببعض لاستحداث التنوع، والتغير والخروج من الأدب التقليدي الذي طالما أخذ مسار السرد والحكاية.. وكلما تتبعت ما كتب من نقد مسرحياً أو روائياً للسيد حافظ.. أجد اسماً لامعاً في عالم النقد والتاريخ الأدبي ولها قلم لا يجامل ولا يتبارى معه قلم آخر في الصدق والتواضع والاجتهاد والصبر والموضوعية وإعطاء كل ذي حق حقه.

هي **الدكتورة وفاء كمالو** التي نجدها في مسارح الشباب الهواة ومسارح الدولة المحترفة ومع المبدعين الشباب والرواد.

ولم تتوان عن عملها بكل جد ومثابرة وإخلاص، ولم تنجرف إلى التملق والمراوغة طمعاً بمنصب أو سلطة.

إنها حقا قارئة وكاتبة حاذقة فتخبيء عبقريتها وتميزها بأسلوب سلس وبسيط.. مما زادها جمالية ورونقاً كأنها الماسة بتاج الملك أو كلؤلؤة في صدفة محارة.. فهي هنا قبطان تقود الرواية وتنتقل بنا من الجميل إلى الأجمل، ومن المهم إلى الأهم..

ولم تغض نظرها من عبارات وكلمات الهوى والعشق والرومانسية التي أشارت لها هنا.

الدكتورة وفاء كمالو..

وبدأت كتابة دراستها النقدية في السؤال.

نسكافيه
دكتورة / وفاء كمالو

سألوه..

هل قرأت تاريخ العشق؟؟

قال.. نعم.. فى عينيها.. وشربت كل كئوس الهوى من شفتيها؟ وطفت كل قارات العالم بين نهديها.

كان وحيد ولمى فى الكويت.. فى السرير لم يكن هناك الا الشهوة والحب، كأس من اللوعة وكأس من الهوى وكئوس من نبيذ أحمر.

لم يكن يدرى أنه اللقاء الأخير، وأن أحلامه ستسقط فجأة..

وشاية مصرية فلسطينية وقرار من رئيس التحرير بإنهاء عمله بالمؤسسة ومغادرة البلاد فوراً..

فى المطار وقف وحيد أمامه "لمى".. يبحث فى عينيها عن حبه وموسيقى روحه.. عن سيمفونية كان قد عزفها على ظهرها ونهديها.. فتش فى جسدها وخصرها.. شفتيها فخذيها كتفيها.. ولم يجد بصماته.. دخل دمها يفتش الخلايا التى كتب فيها أحبك.. فلم يجد.. لم يجد..

نظر لشفتيها..

بحث عن رشفة نسكافيه.. عن رائحة عطره.. ولم يجد..

فهل كان حبه خطيئة..؟؟ هل هو ذنب من السماء..؟؟

أعطته ورده.. وقالت ستجد واحدة أفضل منى تحبها.. وتعشقها..

دخل وحيد الطائرة وقلبه ينزف والعالم أمامه نار.. وصل إلى القاهرة.. وجدها حزينة أو نائمة.. ذهب إلى البيت ونام..

استيقظ فى الصباح.. شرب النسكافيه.. أمسك بالقلم.. نظر حوله.. أمسك بالصحف الصباحية فوجدها كلها تتحدث بالعبرية.. رفع سماعة التليفون.. سمع شالوم.. اتجه إلى مكتبته فوجد كل الكتب عبرية.. فتح النافذة وصرخ.. أنا فين؟؟

قال.. سأكتب رسالة إلى الله.. فوجد نفسه يكتب بالعبرية..

قال يا إلهى.. أنا عربى.. نزل إلى الناس فوجد أشكالاً غريبة..

قالوا.. ربما نمت سنيناً عدداً.. العرب انتهوا من زمان..

قال.. كم نمت؟

قالوا.. ثلاث مائة وازدادوا تسعاً.. بكيت..

نزلت دموعى على الأرض..

نزلت دموعى على الأرض تكتب..

كنت عربياً..

هكذا تكلم السيد حافظ..

هكذا كتب نهاية تجربته الإبداعية الكبرى، التى تثير الجدل والتساؤلات حول هذا الجمال الشرس الأخاذ، الذى يعانق دهشة البوح وبكارة العشق، وحرارة المعرفة.. تلك الدهشة التى تضعنا أمام لحظة فارقة فى تاريخ الإبداع، وفى حياة المؤلف الذى يعيش ميلاداً جديداً صاخباً لحالة روائية استثنائية، خرجت من أسر السائد والكائن، واتجهت إلى آفاق مغايرة لتعلن العصيان والتمرد على وجود وحشى.. غاب عنه المعنى والهدف والدلالات واستلب روح الإنسان، ليظل وحيداً أمام فراغ الكون الهائل.. وذاكرة الجسد، فى تاريخ الحب وفلسفة الصمت وعذابات الإنسان.. وكان المؤلف مؤرقاً

بجمرات عشق نارى لليقين والحب والحرية.. فجاءت تساؤلاته كموجات النشوى وهمسات الجنون واندفاعات الرغبة ومجون السياسة وخلاعة الحقيقة.. تلك الحقيقة الصادمة الآثمة المريرة، التى اخترقت المستقبل، وقرأت المائى وعانقت الحاضر، لتضعنا أمام معادلات السقوط و إيقاعات الغياب.

تمتلك " نسكافيه" قدراً هائلاً من الوهج والمشاغبة..، الحركة البريق، الحزن والجمال والعذاب.، فهى قطعة رفيعة المستوى تترك فى الأعماق أثراً عميقاً يظل باقياً.. لا يزول.. ورغم أن هذا الانجاز الإبداعى الضخم هو التجربة الروائية الأولى للمؤلف المثقف السيد حافظ.. إلا أن حالة الجمال الأثير. لم تأت من فراغ.. فهو قامة فنية شامخة، من كبار مؤلفى مصر الذين أثروا الواقع المسرحى عبر انتاج غزير وكتابة مختلفة، رشيقة ثائرة مدهشة متمردة مسكونة بعشق الوطن والحرية.. وباحثة عن مصر. وعن إنسانية الإنسان.. لذلك لم تكن الرواية هى كتابة على أوراق خجل التجربة الأولى، لكنها كتابة على أوتار الوعى والخبرة والاحتراف، اتخذت مسارها التلقائى نحو تيار الإبداع المدهش الذى يعزف على أعصاب عارية، ويشاغب الصمت، ويبوح بمعنى المعنى.

تشير إيقاعات الحضور والوهج إلى أن فعل الكتابة كان قراراً بامتلاك أقصى أشكال الحرية، حيث تجاوز المؤلف جمود التابوهات المغلقة، واشتبك بحرارة مع السياسة والجنس والاقتصاد والمجتمع، لنصبح أمام وجود حى يمتلك شرعية انتمائية للفن الإنسانى الجميل. وفى هذا السياق نجد أن مجتمعاتنا العربية لا تزال تتباعد عن جدل الحوار، ولغة العقل وحرية الكتاب،

وتنجذب بقوة إلى أحادية الصوت وتسلط التابوهات، لذلك تأتى الكتابة عقيمة مسكونة بهوس الخضوع والرضوخ، تغيب عنها قوة الصوت لتبقى الأصداء الشاحبة المتكررة، تلك الحالة التى تجاوزها السيد حافظ، عندما قبض على جمرات الفن النارية، واتجه إلى يقين عارم بأن فعل الكتابة الحر المتجدد يتمثل فى تحريره الجمإلى من المؤسسى، وتأصيله باعتباره فعل احتجاج دائم ضد كل أشكال التسلط، الذى يهدد الفن والحرية.. فالإبداع هو حرية مواجهة العالم دون السقوط فى هوة المصنوع سلفاً.

هكذا كان النسكافيه قانونه الخاص، وإطاره المرجعى المتميز، حيث النضج والاختلاف، والتساؤلات التى تمزق أسرار المستقبل.

يقول المؤلف فى الصفحة الأولى من الرواية..

" أحب بلادى التى استطيع أن أضمها كل ليلة فى حضنى كوردة، او وسادة، أو جملة فى عبارة.. أحبها وهى على حافة المقبرة..ملطخة بالدم والشقاء من آلاف السنين.. أنا الصامد للفساد وتردى المعرفة.. أنا القاهرة.. ومصر الخفية الطاهرة لا الظاهرة.. وأنا العروبة الخفية النادرة.. وليست العروبة الحالية..

أنا الإنسان الإبراهيمى اليهودى والمسيحى.. وأنا المسلم والبشرية الراقية.. أنا خلاصة الأديان.. وأنا الموحد بالله وبنور الأديان.. أنا الإنسان.."

فى أعماق هذا الإنسان الجميل، فنان ثائر مسكون بعشق غجرى مثير، معذ ب بالصمت فى بلاده التى يسكت فيها كل البشر.. حتى الحجر!!، بعد أن أصبحوا كمنجات بلا وتر، وأقمار بلا ضوء نضر.. لذلك كان العشق هو شرارة الوهج والكتابة والانجاز والرواية..، التى يهديها إلى القادم.. وهو

يهديها أيضاً إلى ابنته الجميلة غيداء، وإلى المؤلف الكبير "بهيج اسماعيل"، الذى طلب منه أن يسجل يوميات عشقه لعصفورة الهجر والجمال، لتكون بذرة خصبة لرواية مبهرة.

تأتى تقنيات الكتابة فى نسكافيه السيد حافظ، لتشتبك مع فلسفة بيكاسو عندما أحسن أن رسم البروفيل أو صورة الوجه الكامل هو لون من الكذب والمراوغة، لذلك ظل مؤرقاً بالبحث عن تكنيك يتيح له امتلاك اكبر جزء من الحقيقة، وأخيراً رسم صوراً للوجوه تعددت فيها العيون والأفواه والأنوف.. فهل اقترب بالفعل من الحقيقة..؟؟

فى هذا السياق تعددت العيون والشفاه فى رواية نسكافيه..، وأصبح القارئ أمام حالة إبداع جرئ أعلن العصيان على الصمت والجمود والسكون، بحثاً عن عناق دافئ مع الإنسان والحرية، ومع الحقيقة الصادمة التى جاءت كالأحلام والكوابيس، تنساب.. تتقارب وتتباعد، تتقاطع وتتوازى.. لتبدو كلوحة سيريالية يختلط فيها الذاتى مع الموضوعى، والخاص مع العام، تنشطر فيها الشخصيات لتتحول إلى شظايا ونبضات وإيقاعات، وعبر سحر الأحلام والرؤى وغموضها المثير، وملامحها المشاغبة.. تأخذنا الحالة الروائية إلى اشتباط شديد التكثيف والدلالة مع وقائع حاضرنا العنيد حين تتضح أبعاده وأعماقه وترقص شياطينه، وتصبح اللحظات الفاصلة فى تاريخ وجود الإنسان، مثاراً للجدل الثائر بين الفلسفة والتاريخ والعشق والسياسية، خلال مسارات السقوط والصعود والردة والإنكسار..

لقد كتب السيد حافظ رواية حداثية متميزة، أسقط فيها أقنعة الزيف ورسم وجوهاً تعددت فيها الشفاه والعيون..، فنحن امام كتابة بلا مركز،

يميزها التنوع والثراء والتعدد، وهى ترتبط نقدياً وجمالياً بفكرة إنهيار المركز وسقوط المرجعيات المعرفية والاجتماعية، حيث لم يعد للعمل الفنى بمفهومة الحداثى بؤرة مجددة ينطلق منها، لكنه يتشكل وينمو عبر اختلاف الرؤى، وتعدد الأنماط..، فالفن بشكل عام والرواية بشكل خاص تشهد تحولاً جذرياً ينتزعها بقوة من سلطة المطلق والمجرد والواقع والمحاكاة، وصورة العالم، ويأخذها إلى خصوصية بالذات والتفاصيل اليومية، وإيقاعات الحس والمشاعر، ونبضات الجسد، وذلك فى إطار تنكسر فيه مفاهيم التتابع الزمنى للحكاية والسرد والحوار والأحداث، حيث تغيب الأطر والمرجعيات والسياقات، وينتفى مبدأ الوحدة العضوية، والاتساق الهارمونى الناعم، لنصبح أمام جماليات شرسة مغايرة، يبعثها تفجير المعانى الأحادية، وتحويلها إلى موجات من التكوينات المختلفة، المشاغبة فكرياً ودلالياً..

اتخذت مشاغبات المؤلف مسارها عبر تقاطع السرد والحكى مع الأصوات والأحداث..، تيارات الوعى تموج بحرارة المشاعر واندفاعات الأعماق..، المفهوم التقليدى للزمن يغيب فى قلب الفلاشات والصعود والهبوط والارتداد والامتداد..، ويظل صوت المؤلف باعثاً لحالة من الجدل والثراء عبر الهمسات والتنهيدات، التى ارتبطت بالنسيج الروائى، رغم انفصالها الظاهرى وانتمائها لأحداث السياسة والفن والتاريخ ووقائع الثقافة والمجتمع وعذابات الناس. وفى هذا السياق تبعث التناقضات المدهشة حالة من الوعى الكاشف عن وجهات نظر نارية تتبلور عبر شراسة الجروتسك الساخر فى واقع تراجيدى.. مأساوى الملامح والإيقاعات، وعلى مستوى آخر تموج الكتابة الرشيقة بالعديد من التفاصيل الدقيقة التى تحرك أعماق الرجال

والنساء، وتسكن فى الأفكار والرغبات والحجرات، ويأتى ذلك فى إطار من التصاعد والإيقاع الداخلى المدهش، الذى يبعث تيارات من الحركة الشعورية، ترتبط مع الانتقال المثير عبر المكان، وتظل الكتابة كاشفة عن حس جمإلى رفيع المستوى،، يرسم ويقرأ ويكتب فى ذاكرة الوطن والجسد، والشخصيات التى رسم المؤلف ادعاها تجرفية شديدة البلاغة، تغيب معها الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال، وتدفعنا حرارة الصدق إلى نوع من اليقين بأن بطل النسكافيه هو المؤلف "السيد حافظ" نفسه ، حين امتلك الضوء الكاشف وكتب عن تجربة شديد الوهج والثراء والعذاب، تضافرت فيها الإرادة والفكر والثقافة والعشق والسياسة، لتلون معنى اللحظة الوجودية بألوان العشق الوردى، والحس الرومانسى المسكون بإيقاعات صوفية عارمة..

يبدو أن الحب هو أبو الفنون فى الدنيا..، فهو يستوعب الفلسفة والحرب والسياسة، العشق والدم والثورة ، الفكر والأساطير والجسد والغموض، الاقتصاد والاجتماع والتسلط والرضوخ.. ويظل دائماً هو البدء والمنتهى، والسر والنبض والحياة.. وفى هذا الإطار تضعنا الرواية أمام تساؤلات مقلقة تدور فى فضاءات متداخلة.. فهل كان المؤلف مدفوعاً بالشوق العارم للتحقق؟؟ هل كان مفتوناً بسحر اللحظة؟؟ أم بصراعات وجود تسكنه الشهوة؟؟

من المؤكد أن ميلاد التساؤلات سيظل خصيباً وممتداً، وستكشف كل قراءة جديدة عن عن موجات من التفسيرات، التى تحملها رؤى "السيد حافظ" حين يقول.. "النساء وطن.. الله يصوغ بهاء النساء أحياناً بمزاج عال، فيخلق لنا نساء لآلئ للغرقى فى العشق والجمال"

كانت علاقة "وحيد سالم" ، و"لمى القيسى" هى شرارة الميلاد الصاخب لرواية نسكافيه، التى صاغها المؤلف بأسلوب مغاير مسكون بالشعر والهمس والشوق...، وملاحم العذاب وفيض الخصب وإيقاعات الجنون.. فمن هى "لمى القيسى".؟؟

فى البدء كان الجمال ولمى.. عصفورة العشق والهجر والجمال، أسمها يعنى الشفاه الجميل.. العسل يعنى "لمى".. ألق العشق هو "لمى" وهو أيضاً دم ومن ووهج نور..

فى الثامنة من عمرها تفتح فى صدرها ربيع الحياة.. نهدان صغيران شقيان.. شعرها كان عطراً يداعب خيال الرجال، جسدها يشاغب الطريق بأحلى الخطوات.. كأنه موسيقى الخفاء.. كانت تحب جمع الزهور، تغازلها كرمة العنب والشجر ينتصب لها ببهاء.. كانت منحة من السماء، قطعة من الجنة، ابنة فينوس الهاربة من السماء، الوسطى فى أسرتها أخوين أكبر وأخوين أصغر.. كانت منتصف الأرض والسماء، تخبئ فى مستقبلها اجتياحاً للمألوف، فى عيونها أنثى مكتملة، يراها البعض ويردد.. استغفر الله العظيم..

ولدت "لمى" فى جنوب لبنان.. والجبل فى لبنان هو سر أسرار التناقض يحمل تاريخ حب ونضال.. يحمل الدروز والعلويين والسنيين والشيعة والمسيحيين، "لمى" مثل لبنان سحابة غمامة وتاريخ عشق اجمل النساء، تحلم أن تطير.. الدم النافر يبحث عن مكان فى عالم الأنوثة.. كانت تعذب الرجال.. من يطفئ لهيب الرجال أمام جمال أنثى..؟؟

تأخذنا لغة السرد وجماليات الوصف إلى انطلاقات البداية الناعمة نحو الأنثى وتفاصيل الجسد، جغرافيا الجنوب وتناقضات لبنان وايقاعات السياسة العربية، حيث تكشف التقاطعات الباعثة للحركة وحرارة الإدراك عن تقنيات مغايرة تدخل بالرواية إلى حيز التجريب والمغامرة، فإذا كانت البدايات تأخذنا إلى طفولة "لمى" ، فإن المشاهد التالية ستتشهد اختراقاً عنيداً للزمن لنتعرف على الأنثى الناضجة فى إطار موجات السياسة والتاريخ والجنس والمجتمع، اما التنهيدة التالية فهى تأتى كاشتباك مع أعماق المؤلف وعزف جميل على أوتار روحه.. حيث يقول:

(بلا خوف سأدق عليك الباب، بلا خوف
أحضرى حقائب أفراحك وذكرياتك المتشردة
والنبية والصوفية والماجنة ودقى على الباب
فأنا الناسك والفقير والمتجرد وأنا جوهر
المقامات والفعل واللب والوجد والسعى وذات
العاشق والمعشوق وبى مسحة بهاء، وأنا
عندما أعشق، أعشق حتى الفناء وأظل ظمأن
الروح والجسد وبى لوعة الشفيف وأمضى
شوطاً نحو المناجاة وأنا أيقونة القهر، لا
أحظى بعصمة مجلس الشعب ولا منحة
الانتماء ولا عصمة الأنبياء)

فى سياق روائى متصل تأتى الهمة لتشير إلى زمن النكسة حيث:

"قال هيكل فى قناة الجزيرة: آخر فنجان قهوة شربه عبد الناصر قبل وفاته بدقائق قام أنور السادات بعمله بنفسه.. ومات بعدها الرئيس"

يمتد السرد المنسوج من الشعر والعشق والجنس، ويخترق الزمن والسنوات، ومفاهيم التتابع التقليدية، ونتعرف على "لمى" بعد أن أصبحت غزالاً أربعينياً، دغدغ خيال أربعين رجلاً من الفرسان، مارسوا العادة السرية عليها، وحاولوا معها بأصواتهم الرخيمة، وهداياهم الجميلة لعلهم يأخذون قطرة من عسلها.. فقد أصبحت تمتلك لؤلؤة فى فمها وموج غواية.. ووردة فى كل فصل.. ونار فى حقول الرجال، كل مرحلة من عمرها كانت محطة للعشق، كلما مر عليها شخص منحته.، بعد أن أصبح وجودها رحلة لسموات العشق السبع.

تأتى ملامح شخصية الصحفى "وحيد سالم" لتضعنا أمام قراءة ثرية فى أعماق جبل امتلك الحلم والمعنى وطموحات المشروع القومى . حيث تأخذنا جماليات الإطار التاريخى والفكرى إلى حالة شديدة الخصوصية من السرد الذى يروى عن الفتى الصغير حين عرف أن أحد عمال أبيه كان يُحمى زوجته بالماء الساخن فى الطشت ويتحسس جسدها كله، وسمع خاله وهو يتحدث ليلاً ونهاراً عن النساء والحشيش، وأدرك أن الاثنين حلموا به رئيس جمهورية، أو وزير أو محافظ اسكندرية، لذلك عشق الصغير عالم النساء وكان يذوب عشقاً فى عيون ليلى مراد وسعاد حسنى، رغم أن طفولته البريئة لم تمنحه معرفة بالفرق بين النهد والتفاح والبرتقال.

تظل الهمسات والتنهيدات تقطع حالة السرد، تأخذنا من الماضى إلى قلب الحاضر، أو إلى عمق التاريخ والتراث، وتدفعنا حرارة الكلمات إلى

موجات عشق مثير، حين يؤكد "وحيد سالم" أن سحر "لمى" لا يزال فى دمه، وأن كلماتها شهوة الشهوة.. فهل هى الاشتهاء؟ أم مسك النساء؟ هل هى أرض عشق بريئة أم الواقع والظنون..؟ أم الوجع الذى يحاصره كل مساء؟؟ وفى نفس الإطار تتفتح مسارات الوعى والادراك، وينفصل القارئ عن التوحد مع رومانسية الإيقاعات حين نقرأ فى كتاب "الجبرتى": أن زينب ابنة شيخ الأزهر، أحبت نابليون أثناء الحملة الفرنسية، وكانت تقابله، ومن أجلها لبس القفطان، لكنه سافر وأخذ قلبها معه" وعبر إيقاعات الزمن اللاهث تمتد القرون ومتوقف أمام قضية سوزان تميم، وهشام طلعت مصطفى، وكذلك زواج هيفاء من رجل الأعمال المصرى احمد أبو هشيمة فى حفل اسطورى الملايين، وياتى التعليق المرير حين يشير المقريزى إلى الجوع عند المصريين أيام الخليفة المستنصر.. حين تبادل الناس أولادهم ليأكلوهم..

كان الطفل "وحيد سالم" يتأمل أباه بدهشة حين يؤذن وهو نائم..، كان أبوه دائم البكاء على احزان الفقراء، واعتاد أن يتصدق بكل ماله لهم...،.

وكان يشعر أن فقراء مكة والحجاز مسئولية كل حاج، وبعد أن مضت السنوات عاش "وحيد سالم" حرب ١٩٥٦ ، ونكسة ١٩٦٧، ونصر ١٩٧٣ وأدرك أن أعمارنا محطات حرب، لكن عشقه للبحر، وأسراره مع الموجع ظلت باقية.

قرأ "وحيد سالم" الفلسفة والأدب والفن والتاريخ، فزرعوا فى روحه عشقاً من كلمات، وفى جامعة القاهرة كان يشعر بالتاريخ يفوح منها فى دمع، ويرسل له إشارات ميلاد وعى مغايرة، يتدفق بوحاً وكشفاً ومعرفة.. وحين مات عبد الناصر، انهار الزهو والمعنى وحلم اليقين، وخلعت القاهرة ملابس الحداد،

وكشفت برقع الحياء، وجاء الفاسدون وضاجعوا عقلها وسرقوا أموالها، وانطلقت سياسات الانفتاح لتفتح كل الأبواب للأمريكان واسرائيل، وظل الفتى مسكون بحب امرأة استثناء، تجمع قلبه الأشلاء لكنه وكما يشير – عاش عذابات المصير بعشقه للقاهرة.. رغم كونها هى الزانية المذنبة.

تمتد تداعيات اعماق الروح، ويتقاطع الحب والزمن والشعر، مع الأدب والصحافة والسياسة، ويلمس القارئ شراسة المشاعر المتناقضة، وتيارات الجموع، واندفاعات الوعى وانفجارات اللاوعى.. حين نعود إلى أحزان وطن مثقوب الذاكرة، لا يحب الذكريات، ويتوقف أمام علاقة وحيد بالآنسة "سلوى فتحى" و"تجوى" بنت صاحبة الشقة التى نامت فى فراشه، وبفريق البالية المائى فى الجامعة مغامراته الساخنة مع اختيار الجميلات ليراهن بالمايوه.

وحين يقفز الماضى إلى قلب الحاضر وتتجاوز الأزمنة حدودها نقرأ تنهيدته الجارية حين يقول.. :

(تعال انثرك ضوءا على قلبى المعتم..
أُخرج من نهديك كتاب العشق ولبن
التوبة.. فأنا رجل ليحبس أنفاس أنثاه
عشقاً، لكنى لا أصدق القمر ولا النساء
فى المساء..، أصدق الله، والمعرى
والمتنبى وجمال عبد الناصر والحلاج..
أصدق الروح قبل الجسد.. أثق فى
بعض النساء ولا أصدق أحد من
الأصدقاء)

فى سنوات نضجة الأولى نظر "وحيد سالم" إلى وجوده فرآه.. امرأة بخيلة، ووطن مبعثر، ورجل خصى، ودين بلا مؤمنين، وبعد موت عبد الناصر كان يحلم أن يكون سياسياً من المدنيين، فالقائد مات وليس من العسكر رئيساً للجمهورية.. لكنه عرف أن الأحلام تموت فى وطنه بلا ثمن.. تموت على الأرصفة.. وحين سافر وابتعد والتقى بعد سنوات بـ "لمى" أهداها محارة العشق ولؤلؤة التنهيد وشعر بدفء سريره بالقاهرة، فعرف لأول مرة أن الله قد اصطفاه فى العشق، ورغم ذلك ظلت همساته تؤكد أن العرب أجمعين من المحيط إلى الخليج سيقفون على أبواب جهنم دون حساب أو رحمة.. فهم قتلة الخلفاء الراشدين، وأحفاد الرسول، وهم خونة قبل الإسلام وبعده، وفى سياق متصل عرف أن السياسة عاهرة وفاجرة تمارس كل ألوان الضلال على الناس باسم الوطن والأمن القومى، كذلك اخبرته "لمى" أنها ليست مومس ولا عاهرة.. وأن هناك رجال مومس، يمارسون الدعارة، وهناك أوطان مومس، وشعوب مومس..

والآن.. لا يزال "وحيد سالم" يتحدث مع النيل ومع نفسه.. قائلاً: وحدك يا قلبى تحمل أوجاعك وحزنك.. الكل خائن.. الكل خانك.. والأكثر خيانة وطنك، الأصدقاء القدامى خانوك.. والأسئلة تحاصرنى..

رغم أنه لا توجد امرأة تجرؤ على الاعتراف.. إلا أن "لمى" تعترف فالجنس فى حياتها أزرق اللون.. وأحياناً أحمر أو أخضر.. هى امرأة لا تستطيع الحياة دون الحب واللذة.. تعيش سباقاً مع الوجود ، وتبحث دائماً عن رجل يسمع صراخ جسدها للشهوة.. يصفها "وحيد سالم" بأنها شبق

العشق لحظة الشفق، وبريق الشهوة لحظة الجنون، وظنون فان جوخ حين رسم لوحة الزهور..

فى سن الخامسة عشر أحبت همام ابن خالتها.. حين لامسها كان جسدها ينز عسلاً، وفى التكعيبة شعرت برائحة شهوتها، فهو أول رعشة حب، وقبلاته لا تنساها أبداً.

وفى ذلك السياق يأخذنا المؤلف إلى اشتباكات ثائرة بين الماضى والحاضر والحلم والواقع، وتظل صياغاته الشاعرية الدافئة تكشف عن أعماق مسكونة بالفن والخصب والوهج، ونعرف كيف تزوجت "لمى" ابنة السادسة عشر من "عامر" المحاسب القادم من الكويت.. إلى جنوب لبنان ليرى الأنثى التى سيقطف وردات حلماتها.. هو فى الثانية والثلاثين.. سياسى احمق، صوت عال، أعجبته الصغيرة، التى تعشق الجبل والزهور والنسكافيه، فخطبها وامتثلت هى لأمر أهلها، وتزوجته بعيون طفلة.

فى ذلك الزمن بالتحديد كان "وحيد سالم" يعمل بالكويت وكان صديقا لعامر.. لكنه كان معذباً بوطنه عذاباً مريراً يتضح فى همسته حين يقول:

" الوطن يضاجع الفقراء.. ويقدمهم ضحايا وشهداء فى سيناء، عندما انتصروا فى اكتوبر ترك لهم سرواله الداخلى ليصنعوا منه أوسمة وشهادات وأعلام.. أما الأغنياء فقد جلسوا على عرش مصر وباعوها لكل الغرباء باسم الانفتاح والانفشاخ والخصخصة، ونشروا للشباب حبوب

الهلوسة.. وطنى لا يحب الفقراء.. نذل مع الشهداء والشرفاء.. وأنا نادم لأنى كنت من الفقراء.. وكم قررت أن أضاجع وطنى بدلاً من أن يضاجعه الغرباء من الحكام سبعة آلاف عام"

عاد عامر إلى الكويت والتقى بـ "وحيد سالم" وفى سيارته أظهر له صورة خطيبته "لمى".. فكانت البداية والبعث والوعد الذى تأخر عشرين عاماً.. فهل كانت "لمى" حلماً يراوده، ونهداها لحن شجى على شرفة الشهوة المعطلة؟؟ وحين عاد إلى منزله وجلس أمام زوجته يتناول العشاء، وجد صورة "لمى" بحجم النافذة.. عينيها.. ابتسامتها طفولتها.. وظلت تطارده فهبط فى أحضانها وصعد وماج.. ونظرت له "تهانى" وهى متعجبة..

كانت الكويت جميلة لحظة سكونها.. لكن ليلها السرى أغرب من الخيال.. هذه الليالى التى يخترقها المؤلف ويصوع منها عشق وأحلاماً وجنساً وشهوة ورغبة، وأسرار حياة ستدخلها الصغيرة الجميلة، التى غادرت لبنان ليظل الوطن نغماً خفياً يسرى فى الروح، حيث دموع الماضى الجميل، والقبلات المسروقة.. وفى ليلة الدخلة بالكويت قال لها عامر.. نامى على ظهرك.. نامت.. فتح قدميها بعنف.. وكانت أصعب ثلاث دقائق فى حياتها.. كأنها ثلاث طعنات.. ثلاثة خناجر اغتصبت بكارتها وصرخ فرحاً.. وفى ثانى أيام زواجهما طارحها الغرام دقائق ثم ذهب إلى الحمام وتركها مشتعلة برغبة لا تستطيع أن تطفئ جذوتها، فقد كان عامر يشبه قادة حرب ١٩٦٧.. يخدعون أنفسهم أن كل شئ تمام، لا يعرف من أين يبدأ الغرام فى السرير..

وأصبحت "لمى" تكره الليلة التى يقرر فيها زوجها الجنس معها.. كان يظن أنه يفترس بكارتها، وكانت تصرخ ندماً على أنه لن يكمل ويتركها لحريق الشهوة..

اتخذت الحياة مساراً رمادياً غائماً بارداً.. وطلبت "لمى" من زوجها ان تكمل دراستها، والتحقت بكلية الآداب جامعة اللاذقية بسوريا، وهناك قررت أن تذهب إلى المجهول وعرفت طارق الذى فتح أمامها أبواب الجنس والرغبة ومنحها ارتواء فجر فى داخلها كل موجات الشهوة وحين انتهت سنوات الدراسة عادت إلى الكويت لتعمل فى المدرسة الأمريكية، ورأيناها عبر السرد الروائى وردة جورى يشم عطرها الجميع الا زوجها، فكان الرجال فى المدرسة الأمريكية الكويتية يبهرهم جمالها فعاشت معارك غرام وحروب نزوات، وكان "وحيد سالم" صديق زوجها هو المصرى الوحيد الذى تخافه، فهو طويل عملاق، وهى أمامه قصيرة، صوت فيه مهابة، وظلت تسأل عنه بعد أن غادرت الكويت عام ١٩٨٦ واحتفظت بالعنوان الذى تركه لزوجها، فقد كان يسكن عينيها وقلبها وأدرك هو أنها له.. وهو لها.. لكنه لم يفعل شيئاً.

بعد سنوات وسنوات انفتح الباب السرى للعشق وامتدت رسائل الهوتميل وأحاديث الفيس بوك، وفى القاهرة كان اللقاء العاصف عام ٢٠٠٢ وفى هذا السياق نتوقف أمام موجات الحساسية البليغة التى تميز صياغاتها المؤلف لأدق تفاصيل الحب والجنس والتى أثار من خلالها قضايا رجال ونساء وكشف برشاقة عن أسرار الليالى وأسباب الخيانة والطلاق والاكتئاب والعذاب، ورغم حرارة الاشتباك واقترابه من التابوهات والمحرمات.. إلا أن

الكتابة تظل دائماً مرتبطة بلغة الفن وشاعرية الجمال وقدسية العلاقة، وجدل الرغبة مع اندفاعات الجسد وإيقاعات الحياة.

قال لها.. أراك مهرة النور والحياة والهمس والليل.. أنت كئوس للخمر عشرون عاماً مضت كنت أحاول أن ألقاك..

وعندما تمددت على الفراش لترى الليل والنيل من فندق هيلتون رمسيس كان العرق ينتفض من جسدها وأدركت أن "وحيد سالم" رجل اسطورى التكوين فتوحدت به وبالقاهرة.. أغمضت عينيها وسبحت فى سحبه ورجال وآهات وهمسات، رجال عبروا على جسدها لحظة قلق.. زوج وبنتين وولد، وجسد عذراء مسكون بالرحيق والجنون والوهج.

أحضر الشمبانيا.. وعقود الفل والياسمين ليكتب الغرام سطوراً عن الحب والمجهول والنساء الاستثناء، والعشق الذى ياتى منحة من الكون.. فالقدر يمنع ويمنح..

يقول "وحيد سالم".. بدأت أدخل فى جسدها على رقرقة كف الأمواج..، هسيس أصداف البحر..، خرجت وأخرجت كل أحزانها.. أوراق شجر قد ذبلت فى حديقة عشقها.. بين فخذيها أدخل وأخرج، أمحو آثار شهوات رجال.. زرعت نخيلاً للود بشهوته الطازجة..، فتحت لها دلتا جديدة.. الجسد والبحر والخليج.. آه يا مئذنات الروح حين تذوب فى الجسد.. وضعت فى فمها لؤلؤ القبلات، والله زلزلت بين يدى وترنحت.. وهبها الله لى.. تلك الخائنة للعشق.. تعاملت مع النهدين كأنهما جواهر مطموسة فى عجين الشهوة.. تود أن أحررهما من القيد، فأخرجتهما بالحلميتن.. غنى لى كل منهما عشقاً صوفياً حانياً..

تأخذنا الرؤى والإيقاعات إلى أساطير الماضى البعيد، ونقرأ عن عبد الرحمن الشرقاوى عندما قال.. المصريين هبة النيل.. وأيزيس وأوزوريس أسطورة الناس.. وعبر دلالات التوازى كان بطل الرواية يشعر أنه ممزق مثل أوزوريس.. ولكن تجمعه "لمى" أليست إيزيس جمعت أربعين جزءاً من أربعين مكان لتلملم أوزوريس، ثم تنام على قطعة الذكورة الخاصة به..؟

فهل تحمل "لمى" طفلاً من وحيد ويأتى حورس منقذ مصر؟؟ فى سياق متوتر بالدهشة والغموض والمراوغة والجنون، تمتد التفاصيل بين القاهرة والكويت ودبى ولبنان، وتؤكد "لمى" انها تشبه الحياة.. لكن الفارس العاشق لم يدرك المغزى والمعنى، وظل يعلمها متى تكون قصيدة.. متى تكون لبؤة.. متى تكون سفينة يركبها ويطوف.. متى يرسم على نهديها، ومتى يقضم خديها، متى تكون أمواجاً فى عاصفة عشقه ، ومتى تكون كهفه وأفقه وحنان أمه.. ومتى تصير مسرحه وروايته وقصيدته.

أصبحت شوارع القاهرة باهتة خالية فى عيون الفارس بعد عودة "لمى" إلى الكويت، وظل محاصراً بالرغبة فى أن يغزوها ويبهرها ويمتعها، ويشرب معها النسكافيه، وظلت الحالة الروائية مشحونة بتقاطعات السرد، وتداعيات الوعى وانفاجارات الأزمنة، ودلالات نقد الواقع المسكون بهواجس الجنون، ورغم كل الوقائع والحقائق والظروف كان وحيد يرفض فكرة أن تكون ابنة الجبل.. فاجرة، مفصحة عن عشقها لمن تهواه.. تتوحد بالحب اللحظى وتنتزع لحظة عشق شرعية فى الحرام.. الحب فى دستورها له بداية ونهاية. العشق والهوى يغوى جسدها، وشوقها الدائم للرجال شوقاً منقوشاً على صدرها كالموت والحياة.

نجحت "لمى" فى احضار "وحيد سالم" إلى الكويت.. وفى المطار قال لها أنت مكتوبة فى دمى.. لن نخون ولن نفترق أبداً.. وكتباً بالدم الأحمر وثيقة عشق.. وفى السيارة خلعت ملابسها وأصبحت عارية تماماً وشعر الرجل أنه آدم وأنها حواء.. التى خرجت من ضلعه ليعطيها اسمه وميلاده.. ، وفى اليوم التإلى سافرت "لمى" إلى بيروت لتزوج ابنتها من ابن عشيقها السابق، وانتابتها شراسة مخيفة، وأغلقت التليفون فى وجهه..

تقودنا همسات المؤلف إلى دوائر القهر والغياب والاستلاب حين نقرأ أن المتنبى عبقرى الأمة العربية، قتله التخلف العربى ولم تلد الأمة مثله حتى الآن.. وأن "أبو حيان التوحيدى قتله الغباء العربى ومات معدماً" لأن السلطان يريد منافقين، أما طارق بن زياد.. فقد مات متسولاً فقيراً، بعد أن فتح الأندلس وانتصر.. وفى العصر العباسى الثانى كانت الجوارى والمومسات يتحكمن فى الخلفاء..

يذكر أن الهمسات التى تتقاطع مع السرد الروائى، وتعلق عليه ببراعة، تأتى كنص سياسى اجتماعى تاريخى وتراثى.. وهو نص شديد الدلالة والبلاغة، يكشف عن ثقافة عارمة وعن وعى بأبعاد المأزق والأزمة، وكشف لمسارات الجهر والردة والتخلف العربى.

ارتبط "وحيد سالم" بالعمل فى احدى المؤسسات الاعلامية ، وعادت "لمى" من بيروت.. طلقها زوجها "عامر" حين عرف علاقتها بالصحفى المصرى لكنها عادت له بعد فترة، بشرط أن ينفصل كل منهما بحياته الخاصة، وظلت تعيش مغامرات الجسد الظمآن.. وعرفت غيره كثيرين.. وقال لها عاشقها النبيل.. أنت عذراء رغم كل الرجال الذين عبروا فخذيك، أنت

لبؤة.. بين نهديك سأضع علامة لأنهى فى حياتك زمن البكارة حتى تصلين إلى نشوة ورعشة لا تحظى بها نساء الكون.. أنت حبيبتى وأنت عهر نساء الأرض.

هكذا يظل كل شئ فى "لمى" مبهج مختلف منحرف.. عشقها تطرف، وحبها تطرف.. ويظل "وحيد سالم" يشعر أن كل شئ باطل.. فلا عدل ولا سلام ولا حرية.. العالم ينقسم إلى عبيد وأحرار.. إلى وجود وعدم، قوى وضعيف، غنى وفقير.. والكل سينتهى ويموت.. ولكن طقوس الجنس وجنون الرغبة ونهد الشهوة والعشق.. دفعوه إلى امتلاك المعنى والفرح وكل الأحلام..

تقترب النهايات.. وتشهد الرواية انكسارات وجود ينهار، حين تقول "لمى" فى حدة.. أن الحب انتهى.. فكل شئ يتغير.. وعليه أن يذهب.. لكنه لم يفهم وذهب إلى شاطئ الخليج يبكى فى صمت، مثل طفل فقد أمه.. فالأنثى الأربعينية فهمت الحب العصرى.. الرومانسية ماتت المشاعر كما قال "أحمد" ابن "وحيد سالم" كله بيخلص على نفسه فى ساعة. وعبر ايقاعات الدهشة والمفاجأة تتبلور العذابات فى الكويت ، فى ذلك المشهد المخيف الذى تناولناه فى البداية.

أخيراً.. نحن أمام تجربة روائية شديدة الثراء.. تملك قدراً هائلاً من الفكر والدهشة والجاذبية، تعانق العقل والمشاعر وتترك فى الأعماق موجات من الوعى والأشواق والحنين، وهى تكشف عن جماليا وتقنيات الفنان المثقف "السيد حافظ" الذى يقول..

تسألونى من أنا ؟

أنا القلم والألم والحب، الصفر والسفر، الحاضر والماضى.. جسد العروبة وروح الأمة.. انا وطن كل الغرباء.. الجمهور الجائع للخبر والعطش للماء.. أنا الانتماء.. السلام والكلام والصمت والقهر..

لكننا نضيف.. أن الرواية هى ثورة ابداعية ساخنة فجرها "السيد حافظ" الذى أعلن العصيان على القهر والتسلط والاستلاب وانطلق إلى آفاق رحبة ليبحث عن الحرية المغتالة فى أعماق الذات.. وتابوهات الجسد، ومراوغات السياسية وجمود الفكر واختناق الأحلام.

د. وفاء حامد كمالو

قهوة سادة

الدكتورة / وفاء كمالو

كتب المؤلف السيد حافظ بعضاً منه على ضوء القمر..، رسم على النجوم قصائده.. أهدى الوطن أغنية..، فظل ينتظر شروق الشمس..، سأل الأرض عن مبدأ الزلزلة..، واعترف ضمير الشتاء بأنه هو.. غيمة مثقلة، إذا أجهشت بالبكاء فإن الصواعق فى دمعها مرسلة..

جاءت الدموع إبداعاً ووعياً وجموحاً ومساءلة.. وكان ميلاد قهوة سادة هو وشم نارى على ذاكرة الروح والجسد، فهى ليست رواية عادية.. إنها شرارة ضوء كونى مختصر الزمن العملاق لتبوح وتروى عن العشق والأوطان، والهمس، والليل.. وأساطير التكوين والتوحيد، تلك الحالة الاستثناء التى يفتح بها المؤلف مسارات للدهشة والميلاد، ليواجهنا بملحمة روائية مسكونة بقسوة الأقدار ودعارة السياسة ومراوغات التاريخ، ملحمة تمردت على السائد والكائن وامتلكت وعيها الثائر وقانونها الخاص لتصبح قراراً بامتلاك الذات والحرية.

ترتكز القيمة الأساسية على فكرة ذهبية، رشيقة ثرية.. تسكن أعماق البشر وتروى ظمأ المعرفة للمصير عبر حركو الروح واندفاعات الجسد فى كون غامض يلونة الإنسان بالدم والرغبة والأحلام.. ليكتب تاريخ القهر والاستبداد ، والتمرد والعصيان. وفى هذا انسياق يقفز الماضى إلى قلب الحاضر وتتجاوز الأزمنة حدودها.. فنعلم أن المؤلف يصدق الروح قبل الجسد..، يصدق الله والمعرى والمتنبى وجمال عبد الناصر. والحلاج..، ولا يصدق القمر ولا النساء فى المساء، وغبر الاشتباكات الثائرة تكشف

الصياغات الشاعرية الدافئة عن أن هناك أوطان مومس وشعوب مومس.. وعن عذابات الوعى بأن الوطن لا يحب الفقراء ، نذل مع الشهداء والشرفاء ، وأن الغرباء من الحكام طلوا يضاجعوه سبعة آلاف عام.

تتكون رواية قهوة سادة من جزأين منفصلين متصلين.. الاتصال يبدو وهماً وحقيقة وألواناً وظلال، الدهشة تسرى فى شرايين المعنى، والزمن يراقص الإنسان، لنضيع أمام أحد أهم تقنيات الكتابة الحديثة التى تطرح مفهوماً جمالياً مغايراً للوجود والإنسان عبر الماضى والحاضر والمستقبل..، مفهوماً يبدو شاعرياً روحياً، لكنه يشتبك بقوة مع إيقاعات العلم الحديث حيث الفمتوثانية والكلونتج والضوء وطاقة الحياة، وتطل بشاعرية كاشفة عن تجربة متفردة تبعث حضوراً طاغياً يشاغب المشاعر والعقل والأعماق.

قد تكون القهوة السادة هى طقس وعزف وبهجة..، أو استعداد لامتلاك السر والسحر والرغبة..، وربما تكون تحققاً وعناءً ورفضاً.. أو اندفاع إلى الضوء والبوح والمعنى. فى هذا السياق يأتى الجزء الأول من الرواية بعنوان "حكاية سهر والعشق والقمر، حيث البدء والمسارات والمنتهى والعشق والليالى والهوى..، وايقاعات البحث عن حقيقة عابثة تسكن أعماق وطن أدمن القسوة، واشتهى الفرار المجهول.

سهر.. أنثى الليل والبحر والسحر.. ابنة السابعة عشر الساكنة فى أحلام المراهقين والرجال ، على أبواب الدكاكين فى الجبل.. فى بلاد الشام كان ميلادها عام ١٩٥٨ زمن الوحدة بين مصر وسورية..، وفى يونيو ١٩٦٧ زمن سقوط الحلم العربى ، كان صعودها إلى مدارات النضج والاكتمال

واندفاعات الوهج،. فقد أدركت أن الله جميل.. وأحياناً يمنح أنثى.. من روحه ومن وجهه ألقاً..

فى تلك الليلة تحرك نهدها فى الفراش بقلق.. قامت إلى النافذة.. فتحتها، وجدت عصفواً يرتعش.. أمسكته.. احتضنته، انتفض نهدها الأيمن..، أدخلت العصفور فى صدرها.. فتدفأ.. انتعش نهدها الأيسر.. وطرب أخذت العصفور فى حضنها ونام بين نهديها.. يحلم ويسأل الله أن يتجول إنسياً ولو ليلة واحدة..، طاف نحيا له ألف حلم..، لو كان بشراً لطاف بها فى الفراش حول الكرة الأرضية..

تمددت سهر ونزل شعرها على كتفيها فظللت العصفور.. شعرها غابة من الحرير، يموج بعطر لم يشمه من قبل، لا على الزهور ولا البخور ولا الغابات ولا أى بشر.

كان الرجال مأخوذين بجمال يسهر، وكان أبوها مسكوناً بالرغبة فى الخلاص من هذا القلق.. لكن العرافة " شهر زاد" أخبرته أن الصغيرة ستسافر إلى بلاد الذهب لتتزوج ثريا يفتح لها أبواب المدن ونوافذ النور..، لذلك ظل الأب ينتظر..، بشهر زاد ليست إفراه عادية، هى قديسة ولعوب، مفارقات نبوءات، تراث وميراث وأساطير، هى الحقيقة والخيال، وهمس الليل وجموح الرغبة.

قالوا إن شهر زاد تعرف قصة امرأة جامعها ألف رجل..، فحكت عن كل منهم أشكالاً وأوضاعاً، تعرف مدينة العلو والإيضاح فى أسرار الليل.. بعض النساء قلن أنها هى التى عرفت ألف رجل، وجلسن أمامها فى

ذهول..، وظلت هى تخفى سر علمها بالعشق والغرام، وتقرأ أكف النساء، وتثير الأقوايل بجمالها الأخاذ.. فهى بيضاء عنياها زرقاوان.. تحب سهر، تعلم سرها وتعرف أن عرقها عطر لا يوجد فى أى أنثى الا ما ندر..

تنتمى شهر زاد دلالياً إلى عالم ألف ليلة وليلة وتتجه الرواية بشكل عام إلى منطقة الكشف والبوح والاحتفال بالجسد وبهجة الحياة، حيث يرتبط الحسى بالروح فى نسيج حريرى ناعم يستعصى على القولبة والتصنيف، وتظل حدائق السرد والوصف تبعث طاقات اختراق الزمان والمكان لتصبح ملامح الإنسان وأسرار التكوين وجدل الموت والحياة، أما شخصيات حكاية سهر والعشق والقمر فقد جاءت واضحة المعالم، كاملة الاستدارة، تمتلك الهوية والإطار التاريخى وتشتبك مع الوعى الاجتماعى والثقافى والتراث والأساطير، ويذكر أن البناء النفسى للشخصيات قد كشف عن مستوى أعمق للقراءة يتشكل فيه نص موازى يبعث تياراً من الصراع العنيد بين الإنسان والسلطة والتاريخ ومسارات تكوين اللاشعور الجمعى المسكون بالردة والجهل والسقوط.

كان كاظم مدرس اللغة العربية يحب كل الصباحات كى يرى سهر.. يريد أن يتنفس وجودها فى الفصل.. فى المدرسة فى الحى.. فى القرية فى الكون.. كان يشم عطرها عن بعد فيقترب ويبتعد، وحين وصلته خطابات أبية بدعوة أن ياتى إلى دمشق العاصمة، أخبره أن حياة الجبل أجمل.. ففى فؤاده وردة من سهر توشوش له بحكايا الليل والفجر والصبح.

لم يلمس الشاب الأشقر الوسيم امرأة فى حياته.. لم يعرف الأنثى ، لكنه قرأ كتب الجنس وعرف أراء كولن ولسون وفرويد والكتاب العرب.. فكان يغلق الكتب وينام يحلم بالخنساء والنساء وسهر.. وفى هذا بسياق يشتبك السرد مع السياسة ومعنى الوطن ويرتفع صوت المؤلف وهو يروى عن كاظم الذى أراد أن يكون سياسياً فأصبح معلماً ، وتتبلور وجهة نظر السيد حافظ فى أن الفلسطينين والاسرائليين يحلمون بالعودة إلى فلسطين الوطن.. فمن المصيب ومن الكاذب؟ التاريخ يقول أن الاثنين على صدق.. عاشا بالفعل على هذه الأرض منذ آلاف السنين، فهل المشكلة صنعها الأنبياء سليمان وداود وموسى أم صنعها الأشقياء من الزعماء؟ أم صنعها وعد بلفور؟؟ وعبر المزج الجميل بين صوت كاظم وصوت المؤلف نلمس عذابات وأغتراب الفتى الذى بعثر أحلامه وشحن روحه بين الفصول وعقول التلاميذ وظل يشعر فقط أنه معارض.. ولم يمتلك أبداً القدرة على الكلام.

وفى اختراق مثير للمكان ننتقل عبر نفس الزمان من سورية إلى مصر، لنتعرف على فتحى رضوان بطل الرواية وأكثر شخصياتها دفئاً وثراء وخصباً وجموحاً وكبرياءً.. فى يونيو ١٩٦٧ كان الفتى مصرى الملامح فى الثانوية العامة.. يجلس فى البالكون ينظر إلى الشارع المقابل ليرى جارته "رغيدة" وهى ترقص عارية امامه.. يجلس كانت امرأة متفتحة الأنوثة بينها وبينه بحر بعيد من الشبق والرغبة.. وكان يحلم بأن يقفز إلى حجرتها وفى يوم ٨ يونيو الساعة ٦ مساءً فوجئ بعبد الناصر يعلن نتحيه، خرج إلى

الشارع فى محرم بك وظل يبكى..، سمع دقات قلب الوطن تلازم دقات قلبه.. أحس أنه مواطن بلا وطن، مشروع كاتب فى وطن أمى.. ومثقف وسط أدعاء.. جاء النسيج الروائى مدهشاً فى المزج بين الحب والجنس والناس والسيارة والزعماء والوطن.. وأثارت موجات الحقيقة جدلاً عارماً حول مصر وشعبها كما جاءت فى كتب المقريزى وابن حزم وجمال حمدان وغيرهم من علماء الفقه والدين والتاريخ، تلك الحالة التى نزعت أقنعة الزيف وفتحت المسارات أمام قراءة حقيقية للواقع والسياسة وعذابات الإنسان.

أعلن فتحى رضوان خليل.. أنه حتى لو هزمتنا اسرائيل والعالم كله والأمريكان فهو لن يهزم أبداً.. فهو روح هذا الشعب العنيد العبيط الغريب الحبيب. الذى يستضيئ روحه ، ويبعث فى الكلمات وردة الحياة.. وكلما حاصره حب الوطن بنيرانه وأسهم حقده وحاول قلته.. هرب منه تحت جلد النساء..

وحين ذهب إلى محطة الرمل كانت الشمس مزهوة ببريقها ، وكان هو مشدوداً إلى بائع الجرائد.. لمح سارتر يبتسم له.. راحت بدلال تلعب بيديها فى أنفه.. شعر أنه انتهى تماماً.. إيليا أبو ماضى يحاصره بكلماته.. أنفاس جبران خليل جبران يتحرك قلبه، ميخائيل نعيمة يداعب جبينه.. زوجة النبى موسى تدعو له.. العذراء تباركه وعائشة زوجة محمد عليه السلام تستغفر له.. هبطت فتاة الصورة العارية من الصورة.. تحاول أن تخطفه.. لكن

تدخل الأنبياء موسى وعيسى ومحمد وإبراهيم انقذوه بالدعاء إلى الله الذى استجاب لهم.. فعادت إلى الصورة.

يأتى هذا التيار الفانتازى ليواجهنا بحركة لاهثة.. مشاغبة ومدهشة تقبض على جمرات الفن النارية، وتنطلق رشاقة عبر مسارات الوجود الإنسانى، حيث يلتقى فتحى رضوان مع جده قابيل بن آدم.. يراه وهو يداعب فتاة الصورة العارية، والتى تتجسد له فيعتصرها بقبلاته ويغلق الباب ليغتصبها.. ويظل المشهد الروائى مسكوناً بتيارات الحضور المدهش لكيوبيد، السلطان سليم الأول، الأمريكى المعاصر لويس أبولونيا.. عبد الناصر وبيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ للإصلاح السياسى الذى لم ينفذ فيه شيئاً حتى الآن.. تلك الحالة التى تكشف أبعاد شخصية فتحى رضوان، وتنطلق إلى إطار أكبر يصير جدلاً مع الماضى والحاضر والمستقبل.

ففى الجامعة فى كلية الآداب ظل فتحى ثورياً وهارباً تحت جلد النساء.. ضيع عمره بين شقاوة الجميلات ، وضيع قلبه فى وطن هُزم فى ست ساعات، وأصبح يرتبك كلما قرأ تاريخ مصر المزدوج.

أخبرنا المؤلف أن فتحى رضوان سيكون حبيب سهر بعد خمس عشر عام.. ورغم بساطة الفكرة الا أنها تؤكد أن الفن هو لحظة استثنائية ، ووجود افتراضى منظم بعيد عن الخلل والعشوائية.. وحين تعود الأحداث إلى سورية ، فدخل عالم سهر حيث أبيها المحارب القديم الذى يمتلك كبرياءً عنيداً، ويؤمن أنه سيدخل الجنة..، أمها الجميلة..، وشداد التاجر الثرى الذى لفحه عطر سهر وأراد أن يتزوجها.. فهو يشترى النساء كما يشترى

الفاكهة.. وفى الليل ينخلع قلب العصفور عندما شاهد جسد سهر المنحوت بيد القدر.. فخبأ عينيه بجناحيه خجلاً لكنها ضمته إلى حضنها ونامت. ولم نكن تدرى أن فى عينيها حلم وحكمة لم تولد بعد، ولم تدر أيضاً أن عطرها قد سحر شداد وأنه الليلة لن تنام..،ه وأن كاظم مدرس اللغة العربية يحتاج سيفاً روميو ورمح دوبخوان حتى يتمكن من جسدها ألف ليلة وليلة، فهو يشتاق إلى كتابة الأشعار على نهديها.. يحتاجها كموج بحر وزلزلة ويريد أن ينهى هذه المهزلة.

تميزت تقنيات السيد حافظ بالرشاقة والحرفية المدهشة فى السيطرة على أبعاد الزمان والمكان وجاء استدعاء الماضى إلى قلب الحاضر ليبعث مفارقات الوعى وافدراك وتحول تاريخنا الفعلى الغير رسمى إلى تيار من الوهج الكاشف عن بشاعة الحقيقة ووجهها العنيد فتاريخ الوطن بالفعل.. فى المقاهى لا يجمعه أحد.. ويكذر أن وجهه نظر المؤلف قد تبلورت عبر الرؤى الدالة لمذكرات محمد فريد وسعد زغلول والشيخ محمد عبده ، لتصنع أمام نسيج روائى مركب شديد الدقة والتماسك.

رفض والد سهر أن ابنته للعريس الغنى شداد.. رفع من وجهه البارودة وطرده مؤكداً أن ابنته ستتزوج من رجل يسافر بها إلى بلاد الذهب.. وفى المدرسة جاء العصفور العاشق ووقف على النافذة.. اندفعت سهر بفرح برئ وفتحت، فدخل وقفز على صدرها وتمنى أن نأخذه بين نهديها ، وعاش كاظم المدرس الشاعر لحظة مثيرة حين لمح قلب العصفور يذق مثل قلبه تعشق سهر.

اعت شهر زاد خبيئة الجن الجميل.. جاء إلى بيت سهر.. قررت أن تكشف لها الأسرار.. وقالت لها.. أنت الروح السابعة لنفر.. التناسخ سبعة أرواح وروحك الأولى نفر كانت فى مصر، وكانت روحها تعطر جسدها.. مثلك تماماً وروحك الأولى نفر كانت فى مصر، وكانت روحها تعطر جسدها.. مثلك تماماً فمن هى نفر..؟ هذا ما سوف ترويح شهر زاد فى الجزء الثانى من الرواية..

الجزء الثانى

حكاية أخناتون مع نفر

فى مزج مثير بين شهر زاد الأسطورة وشهر زاد الخيال، فيطلق صوت المؤلف السيد حافظ ليأخذنا إلى الجزء الثانى من رواية قهوة سادة ، الذى جاء بعنوان حكاية أحناتون مع نفر، وفى هذا الإطار يأتى الارتباط بين الجزأين ليخترق منطقة جديدة تموج بالشفافية والخيال والنورانية، وبالبحث العنيد عن الجذور والأسرار حيث الروح والزمن والجمال، وبصمات المعنى ونِفر الروح الأولى لسهر يمتلك هذا الجزء أهمية خاصة على مستوى الرواية المصرية والعربية فهو يأتى كإنجاز إبداعى متميز يضم وثائق فرعون ونفرتيتى وأخناتون، يشتبك بحرارة مع الضمير الجمعى، يطرح علاقة البشر والسلطة ورجال الدين بالأنبياء حين يُلقى بها على قارعة الطريق.. لنصبح أمام كشف متوهج لبذور الفساد العميقة الممتدة عبر التاريخ، وعلى مستوى اخر استطاع السيد حافظ فى روايته الساحرة أن يلملم أبعاد ووقائع حكاية أخناتون بأسلوب جدلى نطرح وجهات النظر

المختلفة، لمينحنا إجابات إنسانية لأسرار ما جرى فى مصضر فى زمن أخناتون حين بحث عن آتون باعتباره إله لا شريك له..

قالت شهر زاد.. كان يا ما كان فى سالف العصر والأوان.. فى زمن أخناتون، بنت إسمها نفر.. أحلى بنات طيبة ، طيبة القديمة، مدينة المعابد والآلهة.. أسطورة عشق مختومة بالمسك وأجنحة الأحلام المنكسرة على ضفاف النيل.. طيبة التى توشوش الليل والنيل والبحر.. ، ونفر عشيقة القمر وأحلى بنات هذا الزمن، عندما تسير كل صباح بين الأكواخ الفقيرة، كان جسدها يفوح عطراً.

كان أبوها نجار السفن إلى تسير فى النيل، تسكن معه فى كوخ بسيط، وأخوها الأكبر "كـــى" يريد الالتحاق بكهنة المعبد فى طيبة، لأن سلطتهم أقوى من كل السلطات وحينذاك سينام فى بيت كبير على النيل سيهديه له أحد التجار الأثرياء...، وعبر سحر اللغة وبساطة الصياغة يضعنا المؤلف فى قلب أحداث خطيرة، ناعمة يائسة ومثيرة.. لكنها مرسومة بلغة النقد والجروتك وحرفية الدراما التى منحت الشخصيات أطرها الاجتماعية والنفسية، وحتى تكتمل الأبعاد...، يدخل القارئ عالم أخناتون.. نراه جالساً بجوار نفرتيتى يداعب شعرها ، يهمس لها أنه هو نجمها المشع...، زفير العشق وشهيق الشهوة، وكان من الجائز أن يوزع قلبه على الفقراء أو يبعث روحه هدية لها.. فهى أمن بناته الجميلات وقد تأتيه بالصبى..

وكان الفرعون أمنحتب الثالث والد أخناتون.. كان نمروداً جباراً.. على الناس أن يصلوا ويعبدوه لأنه هو الإلة.. هو الله.. وكان يجعل المصريين

ينحنون لقصره الأبيض ما داموا قد شاهدوه، علمهم أيضاً النحت والزراعة وبناء المعابد.. ليدخلوا الجنة يوم الحساب..، هكذا كل المصريون يبحثون عن العدل فى الخفاء حتى ولو فى عبادة خنفساء، جعران، قطة أو زهرة اللوتس.. كل مصرى إختار لها فى السر..، كموقف مقاومة ضد النمرود الذى حكمهم بالحديد والنار.

ويأتى اشتباك المؤلف السيد حافظ مع تفاصيل المشهد السياسى والاقتصادى والدينى فى زمن النمرود ليواجهنا بمفارقة شديدة التكثيف والدلالة تنطلق إلى قلب الحاضر، الذى لا يزال مقيداً بالجهل والزيف والتسلط والقهر ، تلك الحالة التى جاءت صياغتها بأسلوب ساحر مبهر ومشوق ، وحين نتعرف على أخناتون أمنحتب الرابع.. يجده كياناً مختلفاً فهو لا يدعى أنه آلهاً.. ولا يحب أن يعبد التماثيل، يرى أن الله قوة أكبر من كل شئ، وأن الحرية هى الوجود.. ، كان يحلم بأن يعرف لغة الطير والحشرات وكل الكائنات.. فمستنقعات النشوى تنبع أزهارها بإشعاع أتون الآخاذ الذى تنشر الطيور أجنحتها فيه.

أصبحت نفر حديث رجال ونساء طيبة.. فتاة ينز جسدها عطراً.. أنثى خرافية أسطورية وواقعية.. عندما قابلها المدرس " باكا " على النيل وقع فى غرامها وشعر أنها ومضة تسللت إلى الحشاء، وكما عشق كاظم فتاته سهر كان هناك عشق سائف بين المُعلم "باكا" والجميلة نفر، أما الفتى "كى" فقد باع أخته نفر للنيل.. للكهنة ليدخل المعبد ويعيش السلطة والثراء..

أخبرهم أن أخته هى أجمل فتيات طيبة، عطرها يخلب العقول، وستكون للنيل عروساً منيرة.

نتوقف حكاية شهر زاد وينتقل الحدث برشاقة من طيبة فى زمن الفراعنة إلى القاهرة فى السبعينيات حيث فتحى رضوان الضائع بين الثورى والكاتب هزمه موت "جيفارا" وبابلونيرودا.. يبكى بحرارة على صدر " ناهد" ويتساءل فى ألم يبك الأنبياء كلهم وآخرهم سيدنا محمد.؟؟ ألم يبك الزعماء كلهم وأخرهم عبد الناصر.. وسألته ناهد لماذا يكتب؟ أجابها لكى يحرر ذاته.. فالكتابة عندى خبل وهذيان وحمى الأنبياء، كأنه فى رحلة خارج الزمان والمكان ليكتشف أنه إنسان.. وعبر امتداد الحوار الممتع نتعرف على شئ من تفاصيل تاريخ مصر، وحقيقة أسماء والشوارع التى تسمى أحياناً بأسماء القاتل والمقتول مثل طومان باى البطل، وسليم الأول العثمانى القاتل..

هكذا تنطلق إيقاعات الوعى وتتصاعد حرارة الرقص على هزائم وأسرار الإنسان ونعود إلى قصر أخناتون فى طيبة.. نراه يراقب قرص الشمس فى الغروب ويسجد تراه نفرتيتى فتخرج غاضبة، وتأتى الأم الملكة تى.. ترفع رأسه المقدس وتقبل جبينه.. نسأله ماذا يفعل.. يخبرها أنه يصلى إلى أتون إلة واحد ولا شريك له.. فتؤكد أنه لا يهرج من بطانة عقيدة أبيه، وهذا سيفتح أبواب الشر.. فى هذا السياق يتبلور صراع نارى مخيف بين أخناتون الذى يلعب بنار العقيدة المقدسة وبين كهنة المعبد.. فالدولة مكونة

من أربعة ضلوع.. الفرعون والجيش والكهنة والشعب، وإذا فقد ضلع تسقط الدولة من قلب التاريخ إلى هامشه.

أخذ اخناتون يبكى فى سجوده.. أخذته أمه الملكة الجميلة تى إلى صدرها، حذرته من الكهنة.. وحدثها عن نفرتيتى زوجته التى تهاجمه، عن مشاعره بالخوف من الطعنة التى ستأتى من داخل أسرته وليس من الكهنة، ونصحته بأن يتزوج امرأة تؤازره وتدعمه عندما تجد امرأة غيرها معه. ورغم أن نفرتيتى كانت جميلة الجميلات تعشق ذاتها وحياتها.. إلا أن الشعب لم يكن يشعر بها ولا يحبها لزوجها ولا للعرش.. وحين ذهبت تشكو زوجها لأخيه، أخبرها أن البلاد مهددة من الداخل بالتفتت من كثرة الآلهة، ومهددة من الخارج من الحيثيين، لذلك يحاول اخناتون بناء عاصمة جديدة للبلاد هى اختاتون.

فى عناق مدهش لتيارات الوعى قال اخناتون أن الكهنة يفعلون كل شئ باسم الآلهة.. ومصر تعبد أكثر من ٤٧ إلهاً.. النيل هو الحضارة والحياة.. والكهنة يقولون أن النيل ذكر ويجب أن نهديه أجمل الأناث كل عام حتى لا يقطع عنا الماء.. الكهنة يقولون أن الخنفساء والجعران والقطة آلهة.. المصريون يبتعدون عن حقيقة الله.. ويعلن اخناتون أنه يرفض الكهنة ولن يتعامل معهم.. لن يكون بوقاً لاو نفيراً.. هو نبوءة من هذه الشمس الزمز الاله الواحد آتون الذى يمنح الحياة والخبز والحب.

هكذا كانت ثورة اخناتون هى اخناتون هى أخطر ثورات التاريخ، فقد عشق مصر المحاصرة بين الكهنة والجيش وآلهة زائفة، وقرر أن يعلن على

الرعية أنه ألغى بحل الآلهة ليصبح آتون هو إله واحد.. وهناك فى المعبد كانت نفرتيتى تسترضى الكهنة بالذهب واللؤلؤ وتدافع عن زوجها.. لكنهم طلبوا منها أن تستعد لتولى الحكم.

وفى تلك اللحظة علمت أن اخناتون سيتزوج الآن من الأميرة كيا.. فسقطت مغشياً عليها.

تمتد الإيقاعات ويتوازى السرد وتشتبك الحكايات والأحداث.. فى سورية كانت سهر تفكر بعمق فى روحها الأولى نفر.. العريس منقذ الذى سيأخذها إلى بلاد الذهب يجلس مع أبيها ليخطبها والزغاريد ترتفع.. فسوف تذهب معه إلى دبى بعد شهور.. هكذا ظل كاظم مدرس اللغة العربية معذباً باندفاعات القدر بينما كانت وردة الأنثى الجميلة زميلة سهر..، مأخذوة بجنون الرغبة فى امتلاك كاظم الذى حرك فى أعماقها نيران الوهج.

لا تزال القهوة السادة هى قبلات للروح كى تنهض.. فتحى رضوان فى الاسكندرية يشربها بجنون، ويسحر ناهد بكلماته عن الوطن والسياسة والزعماء..، الثقافة ونجيب سرور ولطفى الخولى واليسار.

ذهبت نفر إلى المعبد تبحث عن أخيها " كى" رأتها نفرتيتى وشمت عطرها المثير.. توقفت وسألت الجميلة التى تشبهها عن حياتها، وقررت أن تأخذها إلى القصر لتكون وصيفتها.. وذات فجر خرج أخناتون ليرى إشراقة الشمس.. كانت نفر تراقبه.. سارت خلفه.. سجد الفرعون وبكى.. وبكت خلفه نفر.. سمع صوتها وسألها عمن تكون؟؟ حدثها عن الشمس والإله الواحد آتون.. فآمنت به وبكت، وفى هذا السياق تظل الرواية كاشفة عن

إيقاعات الوعى والخبرة والجمال، وتتخذ الصراعات مسارات مدهشة تتبلور عبر الحضور الأنثوى المقدس، فقد أشعلت كيا الغيرة فى قلب نفرتيتى ودفعتها إلى الإيمان بالالة آتون.. وصلوا جميعاً له.

حور محب هو قائد المحاربين فى طيبة وثقة الفرعون اخناتون.. صارحه برغبته فى هدم التماثيل ونشر عبادة آتون.. وحين رأى القائد نفر قفز قلبه من الجليد.

وشاغبه الحنين إلى النساء.. وحين اقترب موعد وصول حابى بالفيضان أمر الكهنة بإحضار نفر لتكون عروس هذا العام.. لكنها رفضت الموت.. فقد آمنت مع اخناتون بآتون الذى فى السماء. وفى هذا السياق يتخذ الصراع مساراً جامحاً ليصنع لحظة درامية عالية، تشتبك بقوة مع وقائع ما تشهده مصر بعد الثورة..

أشباح السقوط تتارقص حول أحلام الصعود. وتجار طيبة صناع تماثيل الألهة يجتعون مع الكهنة اللصوص مغتصبى أهالى طيبة ليعلنوا الحرب والنقمة على آتون الإله الواحد الذى يدعو له الفرعون أمنحتب الرادع، وقرروا ضرورة لتخلص من الفرعون الذى رفض أن يلقى سهماً إلى السماء ليجرح الرب العظيم، ولم يلاكتف الكهنة بذلك وقرروا أن يشوهوا اخناتون، ويجعلوه عبرة فى التاريخ.. وصنعوا له تماثيل فيها ثدى انثى.

استطاع المعُلم باكا ان يلتقى بالفرعون ويطلب الزواج من نفر.. كان حفل الزفاف اسطورياً حضرته الملكة نفرتيتى والملكة تى والملكة كيا واخناتون وكبير الكهنة الملعون.. وفى تلك الليلة لم يتم حور حب قائد الجيش وقرر

الانضمام إلى كبير الكهنة ضد اخناتون، فرح الكاهن بجنون، فقد أصبح الجميع يداً واحدة ضد الفرعون.. الذى علم أن نفرتيتى تتآمر ضده فأمر بتحديد إقامتها فى قصر بعيد واكتشف أيضاً أن حور محب يخونه ويفرط فى البلاد.. تلك الحالة التى تنذر بانتهاء العالم وانتصار الشر بالقصر صامت وحزين والملك يصلى ويسأل آتون.

قبل الضربة القاضية كان فتحى رضوان فى القاهرة ، التى يراها مدينة هاهرة تسكن خلف المآذن والكنائس لتدارى إثمها.. يلتقى بأصدقائه فى مقهى إيزائيفتش ومقهى ريش بينما كاظم الذى تزوج وردة يعيش مشاعراً جديدة..، تخلص من سهر وشعر أن وردة أنثاه الجميلة وتذوق شفتيها فى شغف، وأحست لأول مرة بمياه عشق تسرى داخلها.

تأتى الضربة القاضية لتمنحنا إحساساً عارماً بالإعجاب بالمؤلف الجميل الثائر الشاعر المتميز.. فقد تحددت ساعة الصفر لقتل أخناتون فى احتفالات عيد الفصح عند شروق الشمس والصلاة.. بعد خمس دقائق خرج "كى" من الصف وتجاوز الكاهن الأعظم.. وبينما يسجد اخناتون طعنه الفتى فى ظهره وقلبه طعنتين.. والتفت إلى الكاهن وهو يمسك بالخنجر من يده بطعنه.. فيسقط جثة هامدة.

هكذا مات الفرعون العظيم اخناتون.. وعاش الفرعون العظيم سمنع كارع.. وبكى كبير الكهنة بحرقه وحرارة لكن قلبه كان يرقص فرحاً.

عند دفن اخناتون أختفت الجثة، لم يهتم الكاهن وقال إن قبراً بلا جثة مثل قبر به جثة، وظل السؤال حول اخناتون حائراً.. فهل صعد إلى السماء أم

سرقت جثته.. أما نفر فقد عادت إلى العاصمة القديمة وهى مريضة لا تستطيع الكلام.. زوجها وحبيبها بعيد فى جنوب مصر، وذات صباح جاءت العصافير واندفعت هى إلى النيل استجابة لبحر الحنين.. قفزت فيه ولم تخرج، ومات زوجها حزناً عليها بعد شهور.

تمضى الحياة.. ويتولى الحكم الأمير الصغير توت غنخ آمون.. ابن الملكة كيا.. فحكمت نفرتيتى وتى بالوصاية مع الكاهن الأعظم وحور محب، وقبض على كل من يصلى للأله الواحد، فبلادنا تقتل الأنبياء وتمحو تاريخ النبلاء أخيراً.. مرت شهر زاد على بيت سهر فسألتها فى شغف.. من هى الروح الثانية يا خالتى شهر؟؟ فضحكت وقالت هى بنت جميلة عاشت فى عهد النبى موسى.. اسمها نور.. وغداً نبدأ الحكاية..

د. وفاء كمالو

ليإلى دبى – شاى أخضر
الحكاية الرابعة – حكاية شمس و الحاكم بأمر اللّه
بقلم د. وفاء كمالو

لا يزال المؤلف المثقف السيد حافظ يبحث عن رائحة الوطن وذاكرة الجسد ، وعذابات الإنسان، لايزال مؤرقا بجمرات عشق اليقين والحب والحرية ، ولاتزال ابداعاته الروائية الكبرى تثير الجدل والتساؤلات، تشاغب الصمت وتكشف الغياب ، لتبوح بمعنى المعنى، وفى هذا السياق ياتى اصداره الروائى الرابع ليإلى دبى كتيار جارف من الدهشة والبكارة ، وحرارة المعرفة ، التى تضع القارىء امام ملحمة روائية استثنائية ، رفيعة المستوى مسكونة بموجات العشق واندفاعات الرغبة، بمجون السياسة وخلاعة الحقيقة ، ودعارة السقوط .

هذه الرواية ليست رواية عادية، فهى خارجة عن السياق وعن سلطة النصوص ، تجاوزت السائد والمالوف ، وامتلكت قانونها الإبداعى الخاص واطارها المرجعى المتميز ، وكانت قرارا بامتلاك اقصى درجات الحرية ، بعيدا عن جمود التابوهات والرؤى الاحادية المغلقة . وهكذا نصبح امام تجربة جديدة تستحق القراءة والمناقشة ، والتوقف امامها طويلا لاستيعاب جمالياتها وتقنياتها واختلافها ، وعلى مستوى اخر فان المؤلف السيد حافظ يضع الوسط الثقافى المصرى فى الزاوية الحرجة ،حيث تثير روايته قضايا التجديد والتثوير النقدى ،الذى يمتلك امكانات الاشتباك مع تجارب الكتابة المغايرة التى تستعصى على القولبة والنمطية .

لاتقتصر ليإلى دبى على الشخصيات الإنسانية فقط ، فنحن امام عالم ابداعى شديد الرحابة – يتكلم فيه التاريخ وتحضر الجغرافيا، ترقص السياسة ويصرخ الاقتصاد، يشهد التراث ويتحدث الخلفاء والائمة، المؤرخون والشعراء، ويموج المسرح بالحرية، بينما الموسيقى العالمية تعانق الغناء العربى، ليصبح المتلقى امام حالة من الوعى وتنطلق التساؤلات التى تظل باحثة عن الاجابات ، ويذكر أن المؤلف قد وظف هذه المفردات الثرية لتصبح اجزاء عضوية يتكامل بها النسيج الدرامى.

هكذا نصبح امام رواية حداثية وكتابة بلا مركز، ترتبط نقديا وجماليا بفكرة سقوط المرجعيات المعرفية والاجتماعية حيث لم يعد للعمل الفنى بمفهومه الحداثى بؤرة محددة ينطلق منها ، لكنه يتشكل عبر اختلاف الرؤى وتعدد الانماط ، فالرواية بشكل خاص تشهد الأن تحولا جذريا ينتزعها بقوة من سلطة المطلق والمجرد، ويأخذها إلى خصوصية الذات والتفاصيل ، وايقاعات الحس والمشاعر واندفاعات الجسد ، وذلك فى اطار تتكسر فيه مفاهيم التتابع الزمنى للحكاية والسرد والحوار والأحداث ، حيث تغيب الاطر والمرجعيات وينتفى مبدا الوحدة العضوية ، والاتساق الهارمونى الناعم ، وتبقى تلك الجماليات الشرسة المغايرة ، التى يبعثها تفجير المعانى الاحادية وتحويلها إلى موجات من التكوينات المشاغبة فكريا ودلاليا

تمثل هذه الرواية الجزء الثالث من الملحمة الروائية الضخمة ، التى لم تكتمل بعد، فقد كتب السيد حافظ ، قهوة سادة ، كابتشينو ، وليإلى دبى ، وعبر وقائع امتداد الزمن وتصاعده تنمو الأحداث والشخصيات ، وتتفجر موجات الشغف الساحرة ، التى تخطف القارىء إلى مواجهة ذاته وامتلاك سر الحياة

، ويذكر أن شخصية سهر ، ابنة الجبل فى بلاد الشام ، انثى الليل والبحر والشجر ، التى تسكن احلام المراهقين والرجال ، كانت هى شرارة الضوء الكونى العارم، التى منحت المؤلف مقدرة السيطرة على الزمن واحياء عصوره المختلفة كى يتتبع تجسيد روح سهر، فقد كانت صاحبة روحها الاولى هى نفر – امراة العطر الاسطورى فى زمن اخناتون ، ثم ذهبت الروح إلى نور فى زمن سيدنا موسى ، وفى زمن الحاكم بامر الله –عهد الدولة الفاطمية ، كانت شمس هى صاحبة الروح الثالثة .

من المؤكد أن هذه التيمة ترتكز على فكرة ذهبية ثرية ، تسكن أعماق البشر ، وتروى ظما المعرفة للمصير ، عبر حركة الروح واندفاعات الجسد فى كون غامض يرسمه الإنسان بالدم والرغبة والأحلام ، ورغم روحانية هذا المفهوم وشاعريته الناعمة ، الا أنه يشتبك عبر المستويات الأعمق للكتابة مع ايقاعات العلم ووهج الضوء وطاقة الحياة ، وتظل جماليات اللغة وسحر التفاصيل ودفء الصياغات وخصوصية البناء ، تظل كاشفة عن حرفية المؤلف فى اختيار الفكرة التى منحته مزيدا من الجدل والحرية والنقد الساخن للسياسة والتاريخ والمجتمع ، وقد يتضح ذلك عبر المغامرة الإبداعية المدهشة حين اتجه السيد حافظ إلى أقصى أشكال الحرية لتاتى حكايات شهر زاد عن شمس والحاكم بامر الله ، من خلال مسرحية شديدة الحرارة والبلاغة ، تموج بالأحداث والشخصيات والمؤامرات، التى فتحت المسار امام الوعى والجدل ودراما التاريخ ، واشتباكات الماضى مع وقائع حاضرنا الوحشى العنيد ، وكان من المدهش أن نصبح امام نص روائى ساحر

يتضمن نصا مسرحيا مبهرا ، امتزجا معا برشاقة فاندفعت تيارات الجموح والطموح والرغبة فى امتلاك ضوء القمر .

تتخذ مشاغبات المؤلف مسارها عبر تقاطع السرد والحكى مع الحوار المسرحى ، والاصوات والأحداث، تيارات الوعى تكشف عن اندفاعات الاعماق ، والمفهوم التقليدى للزمن يغيب مع الفلاشات والتقاطعات، ويظل صوت المؤلف حاضرا عبر الهمسات والفواصل والتنهيدات والاغنيات ، والتى ارتبطت جميعها بالنسيج الروائى وتحولت إلى تعليقات سياسية ، نقدية وجمالية ساخنة .

تظل الكتابة تكشف عن حس جمإلى رفيع المستوى ، يرسم ويقرأ ويكتب فى ذاكرة الوطن والجسد، والشخصيات ، التى رسمها السيد حافظ بحرفية عالية ، منحتها مقدرة البقاء والتجدد والامتداد، وغابت معها الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال ، ويذكر أن شخصية فتحى رضوان- بطل ليإلى دبى ، الذى عرفناه منذ بدايات الملحمة ، يذكر انها جاءت كنموذج خلاب لثراء الشخصية المصرية النقية ، التى تمتلك الضوء والمعرفة والتجربة ، تعايش الوهج والصعود والسقوط والعذاب ، تشتبك مع الفكر والارادة والثقافة ، وتشاغب العشق والحب والسياسة ،ليصبح وجودها ثورات ومشاعر ونبض وفيض وجموح .

اخبرنا المؤلف السيد حافظ فى روايته قهوة سادة ، أن فتحى رضوان سيكون حبيب سهر بعد خمسة عشر عاما ، ورغم بساطة الفكرة الا انها تؤكد ان الفن هو لحظة استثنائية ، ووجود افتراضى منظم ، وفى هذا السياق الإبداعى الجميل تمر السنوات ويتحقق اللقاء فى ليإلى دبى ، تلك الرواية

التى جمعت برشاقة بين امراتين تفصل بينهما الاف السنوات ، تربطهما روح واحدة ، وعطر اخاذ وجمال لافت ، وعشق مثير –، الأولى هى سهر أبنة زمننا الحإلى وحبيبة فتحى رضوان ، والثانية هى شمس حبيبة الحاكم بامر الله ، وصاحبة الروح الثالثة لسهر ، وعندما نتامل هذا المونتاج المتوازى الساحر ندرك أن السيد حافظ روائى عظيم وفنان كبير ، سيثير مزيدا من الجدل والتساؤلات حول ابداعاته ،التى تفتح للفن مسارات مغايرة ، وفى هذا الاطار سندرك ايضا أن غموض الحب واسراره تستوعب الفلسفة والحرب والسياسة، العشق والدم والثورة ، الفكر والاساطير والجسد ، الاقتصاد والاجتماع ، والتسلط والرضوخ، حيث يظل دائما هو البدء والمنتهى .

فتحى رضوان وسهر

رفضت سهر ان تكون دجاجة تنتظر الديك كل مساء ، قررت ان تترك الجبل والفقر وبلاد الشام ، وتذهب إلى الخليج ، تزوجت منقذ واكتشفت منذ الليلة الأولى أنها باعت نفسها لرجل عجز أن يفتح امامها ابواب النساء ، اكتفى بافلام البورنو ، فاشعل فى جسدها نيران الرغبة وجحيم التساؤلات .

كان فتحى رضوان قد ترك مصر وذهب إلى الخليج ليعمل فى نفس الجريدة ، التى يعمل بها منقذ ، وقبل أن يرى سهر كان يشم عطرها ويحتضن عصفورها ، ويكتب فى مقالاته–لا تغلقى شباكك – ،فعصفور قلبى قد برد من الانتظار على السور .

فى ذلك الصباح ذهب منقذإلى عمله ومعه زوجته العروس ، كانت ساحرة الجمال ، يسبقها عطرها الغامض وأنفاسها تملا المكان ، وحين رأها فتحى ، فقد توازنه واندفع إلى عينيها ، فخطفت روحه إلى جزيرة العصافير، كانت

بهية شقية وعفية، كانت كلمة لايقراها الا الانبياء العشاق والفرسان المنتصرون ،هكذا بدأت العلاقة الغامضة ، التى اكتملت فى الحجرة ٤٣٢ بفندق راديسون دبى فى يوم ميلاد فتحى رضوان، فى تلك الليلة خلع فتحى ملابسها وهمس لها انت مهرتى أخترتك لأنى شعرت أنك منى أو لى . أو مكتوبة لى ، أشعر أحيانا انك طفلة أو أنك فلة. واحيانا بحر حنان ، وحرب غرام مؤجلة ، شعرت مرة انك امامى تبكين عارية تمسكين فى يدك ياسمينة ، تسالينى .علمنى سيدى حروف ابجدية العشق فانا امية فى العشق ، أنا الأن اقرأ عليك ياسهر ديوان العاشقين المتيمين ، وسوف تطلبين منى أن أعيد تعليمك الف ليلة وليلة من جديد .

هكذا عرفت سهر معنى الجسد والجنس والحياة ، اندفعت إلى سحر اليل واحضان فتحى ، وصوته الذى اخضرت له اوراق الشجر، ولكن الرجل العاشق ظل مؤرقا بكل ما يحدث، حاصرته التساؤلات. وظل يحلم بالانبياء والقديسين ، فهل خان فتحى ؟ ام خانت سهر ؟ ام ان الظروف خانتهما؟

الحاكم بامر الله وشمس " روح سهر الرابعة "

كانت شمس تتسلق الشجرة لتضع العصفور فى عشه ، انحنى خصرها فالتصقت بجسد الحاكم، مد يده يتحسس شعرها ، عيناه تبعثان اقواس قزح، رغباتها تتفجر بنيران العشق ، البحر الهادر يترنح فى احضانه ، امواجه محملة بالعطر الخفى ، كانت بين يديه اعصار نار جارف، ضمها وهو يرتجف، قبلها بعنف وشوق ، اصابته اللحظة المجنونة المثيرة –، حاول أن يفتح ازرار ثوبها ، لكنه تركها كرجل يهرب من العاصفة –، بكى وسجد على الأرض وهمس ، سامحنى ربى .كدت انسى نفسى .

هذه هى حكاية عشق نارى ، بين انثى شهية ورجل تقى ، حكاية شمس مع الحاكم بامر الله ، دخلت القصر اسيرة ثم أصبحت من الوصيفات ، وقعت فى غرام الفتى الحاكم منذ رأته أول مرة، هى الانثى الفريدة الفاتنة. عيونها خمر وجسدها رغبة ، عطرها يسرى فى دقات قلوب الرجال، كلماتها سحر واشواق ، قد يكون جمالها عهرا ، لكنها امراة من الجنة ، تمتلك سر الهوى والأحلام.

كانت شمس قادمة من بلاد الشام مثل سهر ، دخلت قصر الحاكم اسيرة ، كان أبوها زبالا فقيرا وقائدا شرسا للمعارضين فى بلاد الشام ، هزمهم العزيز بالله واتى بهم إلى مصر ، واصيب العزيز فى الحرب ومات، كان ابنه الحاكم بامر الله لايزال طفلا يلهو ويتسلق الاشجار ، لكن كان عليه ان يمتلك العرش.

فى القصر بدأت حكاية العشق الجارف ، وانتهت فى المقطم ، حيث تصرخ شمس وتبكى بعد مقتل الحاكم ، وهناك تلتقى بأبيها وتعود معه إلى الشام – كما أوصاها حبيبها الذى كان ، وكما تحكى شهرزاد عرفنا أن شمس تزوجت من سيف المشعلجى ، وانجبت الأبناء ، عاشت السنوات ، وحين ماتت دفنوها فى قبر عليه الاف الوردات .

لقد كان الحاكم بامر الله شخصية مثيرة للجدل ،اراد أن يمتلك القمر ، وأن يحقق العدالة المطلقة، كان مثاليا تقيا يخشى الله ، لكنه لم يدرك أسرار السياسة، وقادتة السلطةإلى موجات القتل والدم والعذا–، ذكره التراث بانه فاسد العقيدة وفاسد الضمير ، فهو لم يدرك أن التاريخ يكتبه الاثرياء، وأن الفقراء ليس لهم أسم ولا عنوان ولا تاريخ فى التاريخ .

تعتبر هذه المسرحية فى حد ذاتها من الأعمال التاريخية السياسية الهامة ، التى تثير جدلا عارما بين مفاهيم السلطة وحدود العدالة ، كما أنها تكشف المسكوت عنه من اسرار الدولة الفاطمية ، وتشتبك بقوة مع تحديات واقعنا السياسى الحإلى، ويذكر انها تطرح تفاصيل نساء الفاطميات فى حكم الدولة وسياستها ، حيث الخبرة والذكاء ، القهر والقوة، والحب والعذاب ، فقد كانت ست الملك–الاخت الكبرى للحاكم بامر الله– ، كانت نموذجا انسانيا ومسرحيا ودراميا شديد الرونق والبهاء ، واتصور ان تقديم هذه التجربة على المسرح سيكون اضافة حقيقية لواقعنا الثقافى . واذا كانت مشاهد المسرحية واحداثها وشخصياتها تاتى ضمن احداث وتفاصيل رواية ليإلى دبى ، فان هذه التقاطعات تبعث وهجا مدهشا واشتعالا صاخبا ، لنصبح امام كون روائى هائل يمتد من الماضى البعيد ليعانق التاريخ والسياسة والتراث –، واحلام الناس وسقطاتهم ، ويصل بنا إلى قلب الحاضر ليراقص المستقبل .

اتجه المؤلف السيد حافظ إلى تقنيات كسر الايهام ، واستطاع أن يثير عقل القارىء وادراكه ، ويبعده عن الإستغراق والتوحد مع شخصيات الرواية ، فاستخدم أسلوب .فاصل ثم نعود، وهو بالطبع أسلوب جديد فى عالم الروايات ، فتح للمؤلف مساحات من الضوء والكشف والبوح ، وقد جاءت الفواصل بعنوان – شخصيات فى سيرة ومسيرة ابن حافظ وماحدث له وماجرى فى بلاد المسخرة ، وفى هذا السياق نتعرف على احداث ومفارقات ، خطابات من الاصدقاء ، علاقات مسكونة بالجمال واخرى مسكونة بالجحود والنكران ، وكذلك نلمس رؤية السيد حافظ للكثيرين من مثقفى مصر والوطن العربى ، ونتعرف ايضا على الشخصية المصرية بين الثابت والمتحول –، فنقرا مثلا

ان المصريين الفراعنة منذ سبعة الاف عام ، هم اول من اكتشف الحجر وبنوا به المدن والاهرامات وغيروا وجه الدنيا ، والان اصابتنا نكسة الغش والفساد فى الصناعة والزراعة والمبانى والصحة وعيرهم ، وهكذا تمتد الرؤى ونصبح امام تيار مدهش من النقد الباحث عن الوطن والإنسان. اما الهمسات فقد جاءت وفقا لاستراتيجية شديدة الدقة والبلاغة ، تناولت صراع اخناتون مع التوحيد والكهنة ورجال الدين، سياسات تحتمس الرابع ، ومواقف على ابن ابى طالب ومواجهاته ، وغير ذلك من احداث التاريخ المسكونة بالجدل والتساؤلات .

لا تزال ليإلى دبى زاخرة بالشخصيات والأحداث والتقنيات ، فلايزال كاظم المدرس السورى الشاب ، يعشق عطر سهر ويبحث عنها رغم الغياب ، يرفض اللجوء العاطفى إلى قلب امرأة، والتخلى عن عشق قضية الوطن ، قرأ الاديان السماوية وسيرة الانبياء ، قرأ جيفارا ولينين والأب ماو، قرأ عبد الناصر والحاكم بامر الله ، رصد حركات الجماهير والثورات ، لكنه لم يصل ابدا إلى سحر الهوى وسر عشقه لسهر، اما شهر زاد القديسة اللعوب فهى لاتزال تحكى للنساء عن اسرار الرجال ، تعرف مدينة العلو والايضاح فى اليل ، بعض النساء قلن انها عرفت الف رجل، وجلسن امامها فى ذهول ، وظلت هى تخفى سر علمها باالعشق والغرام ، وتقرأ أكف النساء ، وتحب سهر وتعلم سرها ، وتعرف أن عرقها عطر لايوجد فى أى أنثى ، إلا ما ندر.

أخيراً نحن أمام حالة روائية مسكونة بالفكر والوعى والثراء ، تعانق الشوق والأحلام ، تبحث عن الوطن والعدل والإنسان ، وتؤكد أن السيد حافظ هو مبدع فريد الطراز، سيثير دائما موجات الجدل والتساؤلات.

د . وفاء كمالو

كل من عليها خان
د. وفاء كمالو

تشاكسه عيناها الجميلتان..، تشاغبه الكلمات والمعانى.. تصير الحروف رمالاً، ويصير الجهل موجات.. ، الفتنة غواية، وعشوق الجمال عنوانه.. الورد ليس عطراً..، بل معنى يداعب الروح.. فالجنة أسرار، والعشق أشعار والخيانة بعض من العشق، فهل أنت زانية يا سهر..؟؟ أم عاشقة لرجل آخر؟؟

تحسست سهر صدرها.. عرفت أنه سرق قلبها إلى الأبد..

أمام ضوء القمر أهدها فتحى رضوان وردة الفل وشمس مصر وقلب عصفور، ونغمة ناى.. أخبرها أن الحب لا يعرف السلطة ولا الأخلاق ولا الحلال من الحرام.. الحب جبار، ليس له عنوان ولا مكان ولا زمان.

ظلت الأسئلة تحاصره..، كلما وجد إجابة تفجرت آلاف الأسئلة.. كل موجه خلقها موجات..، وذات ساعة سيتخذ قراره ويحدد هل الكتابة جنته أن ناره..؟ أم بين الجنة والنار؟؟

- تأخذنا تلك الإيقاعات إلى الرواية المشاغبة "كل من عليها خان" للمؤلف السيد حافظ، القامة الفنية الشامخة..، والكيان الإبداعى المثير للجدل..، المسكون دوماً بالثورة والتمرد، والشاعرية والجموح لهو يمتلك وعياً ثرياً بمفهوم الجدل التاريخى..، انطلق من خلاله إلى عالم درامى مثير، مشحون بالاشتباكات الساخنة مع رؤى الماضى وتناقصات الحاضر والمستقبل..، فلامس آفاق الدهشة عبر فكر متوهج وأسلوب رشيق،

وصياغات متفردة ولمسات ساحرة، بعثت وجوداً وحشياً شرساً ينبض بحرارة التكشف وعمق التساؤلات.

- يبدو أن كل من عليها خان..، كل من عليها هان.. وكل من عليها بان..، هكذا تحدث السيد حافظ فى ملحمته النارية التى تفتح أبواب الجنة والجحيم، هكذا نكتشف معه هذا الوجود القريب البعيد، الشرس العنيد..، نلمس الروح والجسد والعشق والدم والجنون.
- نقرأ فى "مذكرات رجل يضاجع الوطن والتاري"، عن الشر والخطيئة..، من أول إرهابى على الأرض..، أول قتيل، وأول دماء بشرية تسيل.. عن نارمر أول أنثى انقسم قلبها إلى نصفين. وعبر سحر التقاطعات وجماليات السيطرة على الزمن.. نعلم أن الوطن يلقى بالفقراء ملى أرصفة الجوع، أو الموت غرقاً فى البحر.. وأن الفقراء يعبدون الله ثم الحكومة وفى النهاية يموتون بلا مقبرة، فلا شئ حقيقى فى الوطن، والإبداع ليس له ثمن.
- تأتى رواية "كل من عليها خان" كوثيقة إبداعية تمثل لحظة فاصلة فى تاريخ الرواية العريقة، فالمؤلف السيد حافظ يقود الآن ثورة عارمة يشهدها واقعنا الثقافى عبر الميلاد الأسطورى المبهر لشرارة الوهج، التى تفتح المسار إلى آفاق رحبة نمتلك فيها الوعى والصوت، والحرية والذات..، إنها ثورة الرواية الجديدة على آليات البناء الروائى الكلاسيكى..، فنحن الآن فى سياق مشروع إبداعى ضحم، تحددت ملامحه عبر نماذج رواية سابقة كتبها المؤلف، وهى "تسكافيه" ، "قهوة سادة"، "كابتشينو" و" ليإلى دبى"..، حيث تناولها العديد من نقاد مصر

والعالم العربى، ورصدوا ملامح الحداثة، وتقنيات الكتابة، وأساليب تجاوز المفهوم الروائى الكلاسيكى، وكذلك إيقاعات تطور تجربة السيد حافظ عبر أجزاء ملحمته الكبرى. فى هذا السياق ترتبط الرؤية الحداثية للرواية بشكل عام، بفكرة غياب الأطر والمرجعيات، وانتفاء مبدأ الوحدة العضوية، والتناسق والهارمونية، لنصبح أمام كتابة بلا مركز، تتباعد بقوة عن المرجعيات الاجتماعية، حيث ينمو العمل الفنى ويتشكل عبر اختلاف الرؤى وتعدد الأنماط، والتمرد على سلطة المطلق والواقع والاتجاه العارم إلى إيقاعات الحس والمشاعر، واندفاعات الجسد وخصوصية الذات، وتفاصيل الحياة اليومية، وياتى ذلك فى إطار تتكسر فيه مفاهيم التتابع الزمنى للحكاية والسرد والجواز والأحداث، وتظل الجماليات الشرسة الأخاذة هى الأكثر حضوراً فى قلب عالم روائى تتفجر فيه المعانى الأحادية وتتحول إلى موجات من الفكر المشاغب الذى ينتج فيضاً من الدلالات الحيلية الثائرة.

- فى روايته الأحداث " كل من عليها خان" كم نشعر مع السيد حافظ بعذابات القبض على جمرات الفن النارية.. فهى تكش فوتبوح وتروى، عن الوطن والعشق والوجود..، عن الرغبة والروح والجسد، وعن مجون السياسة وخلاعة الحقيقة ودعارة السقوط، تلك الحالة التى تدفع القارئ إلى موجهات الوجود وامتلاك بعض أبعاد الحقيقة..، حقيقة العدل والاستبداد.. ومعنى أن الحكام يحكمون بالخناجر وليس بالعدل..، يحكمون بالسجن والكرباج والسيف..، ويذكر أن المؤلف قد استطاع أن يحافظ على سحر موجهات الشغف التى ربطت بين القارئ وبين أبطال

الرواية، الذين عرفهم على امتداد الروايات السابقة، فلا يزال وجودهم يموج بالصراع والهوى والجموح..، يشاغبون الزمن، ليرسموا مفارقات التناقض وعذابات الإنسان فى كون شرس يلتهم الروح ويستلب المعنى والدلالات..، وهكذا تمتمد الايقاعات وتتصاعد الأحداث وتنمو الشخصيات.. وتظل "سهر" هى الفكرة الماستر، التى فجرت ينابيع إبداع السيد حافظ، ومنحته مقدرة السيطرة على الزمن.. وإحياء قصوره المختلفة، عبر اندفاعه خلف مسارات روح سهر.. فقد كانت صاحبة روحها الأولى هى "نفر".. امراة العطر الأسطورى فى زمن اخناتون، ثم ذهبت الروح إلى "نور" فى زمن سيدنا موسى، وفى زمن الحاكم بأمر الله..، عصر الدولة الفاطمية كانت "شمس" هى صاحبة الروح، أما التجسيد الرابع لروح "سهر" فهو يأخذنا إلى الجميلة "وجد" فى عهد الخليفة المستنصر، زمن الدولة الفاطمية أيضاً، والتى نتعرف عليها من خلال رواية "كل من عليها خان"..

- كان جموح السيد حافظ.. عبقرياً مدهشاً وساحراً..، تجاوز كل حدود التوعقات والتصورات الممكنة..، هدم المعايير المألوفة والقيم الفنية السائدة، وجاءت رواياته السابقة كنسيج حريرى فريد يجمع بين السياسة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسلطة والتراث، تلك الحالة التى اتخذت مساراً متصاعداً فى روايته الجديدة "كل من عليها خان" لنصبح أمام حالة ابداعية شديدة النضج والتكثيف والبلاغة، يستعصى على القولية والنمطية، فقد اتجه المؤلف إلى تقنيات كسر الإيهام ، ليثير عقل القارئ وإدراكه ويدفعه بعيداً عن التوحد والاستغراق مع شخصيات الرواية،

فاستخدم الأسلوب التليفزيونى.. فاصل ونعود، وكانت الفواصل ثورة وجدل وإبداع واختيار وجمال..، حيث جمعت بين "الفلاش باك" الذى يأخذنا إلى تفاصيل تاريخ الاسكندرية ، الذى يمثل حالة شديدة الثراء من المعرفة والاشتباطات السياسية والعقائدية والتاريخية اللامعة، وكذلك تابعنا فى الفاصل "مذكرات رجل يضاجع الوطن والتاريخ" ، ولامسنا الخطايا والأيام الوجودية، وتاتى الإيقاعات المبهرة مع "احنا والقمر جيران" التى تميزت ببساطة مستوى اللغة، حيث تتناول حكايات جيران المؤلف .

- أما المسرحيات القصيرة جداً فهى تشكل فى حد ذاتها استعارة جمالية سينوغرافية شديدة الدهشة والإيحاء من الفن والعشق والسهر والجمال..، أما صفحات جرائد الأهرام والأخبار فهى تمثل مقالا عارماً من النقد الاجتماعى والسياسى..، ويذكر أن الهوامش قد اندفعت إلى نبض الوطن باعتبارها جزء من تاريخنا الحقيقى الذى لم يلوثه التزييف.. وأخيراً تأتى ايقاعات المونتاج المتوازى بين دبى والشام ومصر لتنبعث حالة من الحركة والوهج والإيقاع منح التجربة سحراً وأثراً واندفاعاً خلاباً.
- ظلت شهر زاد القديسة اللعوب ، والشخصية اللامعة التى رسمها المؤلف لتفتح أمامه مسارات الوجود والروح والتاريخ . ظلت تحكى لنا ولسهر حكاية الروح الرابعة.. عن البنت " وجد " والولد "تيروزنى" وثورة النساء.. ثم نظرت طويلاً إلى عينى سهر سألتها عن فتحى رضوان، الصحفى المصرى.. هل هو انس أم جان.. أم بلاء؟؟ فبكت سهر وأخبرتها أن زوجها منقذ لا يعرف الفرق بين الغرام والحب والجنس..، لا يعرف العزف ولا العناق ، ولا يميز بين روح الذكر والأنثى.. حدثتها عن

الفراغ والسرير البارد، وعن اندفاعها القدرى إلى فتحى رضوان.. السؤال والزلزال والثمار.. الحوار والنار والزمان والمكان.. العشق والتوحد.. الرجل الذى يفتح للشهوة ألف فكرة وحلم..، لمن يهديها فصارا قمرين.. رشف منهما نوراً، فأصبح عاشقاً قديساً، يمتلك السر والسحر والحياة. وهكذا أخبرتها شهرزاد أن الشعراء هم الذين اخترعوا الحب..، والشعراء يتبعهم الغاوون.

- إذا كان الفن هو لحظة استثنائية ، ووجود افتراضى منظم ، فأن جماليات الكتابة فى – كل من عليها خان– قد جمعت برشاقة مدهشة بين امرأتين تفصل بينهما آلاف السنوات، وتربطهما روح واحدة، وعطر أخاذ وجمال لافت وعشق مسير.. الأولى هى سهر ابنة زمننا الحالى، وحبيبة فتحى رضوان، والثانية هى "وجد" حبيبة الفتى النيروزى.. الفراسى الشيعى، وصاحبة الروح الرابعة لسهر..، وعندما نتأمل هذا المونتاج المتوازى الساحر، ندرك أن السيد حافظ هو روائى عظيم، سيثير مزيداً من الجدل والتساؤلات حول روايته الجديدة، وندرك أيضاً أن الحب هو المبدء والمنتهى ، وهو الأب الشرعى للفلسفة والحرب والسياسة، والثورة والفكر والاقتصاد..، والإنسان والتراث والعدل.
- تتخذ مشاغبات الرواية مسارها عبر تقاطع السردوالحكى مع الحوار المسرحى، والأصوات والأحداث..، المفهوم التقليدى للزمن يغيب مع الفلاش باك والمذكرات، والأغانى وحكايات الجيران، ويظل صوت المؤلف حاضراً بقوة عبر النسيج الروائى الذى تحول إلى تعليقات سياسية ونقدية وجمالية ساخنة.. وخكذا تكشف الكتابة عن حس جمالى رفيع المستوى

يرسم ويكتب ويقرا فى ذاكرة الوطن والجسد والشخصيات التى رسمها السيد حافظ بحرفية عاليه، منحتها مقدرة البقاء والتجدد والامتداد وغابت عنها الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال.

- يأتى اختيار المؤلف لزمن الخليفة المستنصر كإطار تاريخى تدور فيه أحداث حكاية "وجد" روح سهر الرابعة، لتكشف عن وعى ثائر، وإدراك كاشف لجدل السلطة والسياسة والاقتصاد..، ومعنى الوطن، وعذابات البشر، وعبثية البحث عن العدل والحرية والجمال، فقد امتلك السيد حافظ أقصى أشكال الحرية لتأتى حكايات شهرزاد عن مصر ووجد والفتى نيروزى..، من خلال مسرحية شديدة الرونق والبهاء، تموج بالأحداث والشخصيات والمؤامرات، التى فتحت المسارات أمام دراما التاريخ، واشتباكات الماضى مع وقائع حاضرنا الوحشى العنيد – وهكذا نصبح أمام نص روائى ساخر يتضمن نصاً مسرحياً مبهراً، امتزجا معاير شاقة، لتندفع تيارات الثورة والجموح، والتساؤلات الباحثة عن الكيان والوجود.
- كنت "وجد" اعجوبة زمنها، عطر جسدها يلهب أجساد الرجال، ويشعل غيرة النساء..، أمها تركية اسمها جميلة..، جارية فى بيت التاجر اليهودى الثرى ياقوتى، الذى منحها حريتها وزوجها من حلاق اسمه عمار، يسكن جاره الزعفران فى القاهرة بحى الحسين..، فى ذلك الزمن كانت مصر تعانى من غياب العدالة..، يحكمها الخليفة المستنصر بعد وفاة أبيه الظاهر بن الحاكم بأمر الله..، كان عمره سبعة أعوام.، وحكم مصر ستين عاماً.. لكن القاهرة الآن لم تعد كما كانت أيام الحاكم بأمر الله.. فالشوارع مظلمة مليئة بالقمامة..، بيوت الدعارة مفتوحة، الخمور

فى كل مكان.. القوادات فى الشوارع تعرضن النساء على الرجال..، تجارة العبيد والجوار مباحة..، والبغاء نفسه أصبح قانون الحياة، لا أحد يحاسب أحد..، فنحن فى عصر المستنصر بالله..، الذى لم يستطع الاحتفاظ بحدود الدولة الفاطمية.. خسر بلاد المغرب الأقصى والأوسط، وخسر سلطانه على بلاد الشام.

- هذه هى مصر فى زمن الخليفة المستنصر.. زمن القهر والفقر والعذاب والغياب للشعب، وهو أيضاً زمن الفساد والاستبداد والتسلط والثراء الفاحش للطبقة الحاكمة.. إنه زمن البلاء والابتلاء والمجاعة..، حين شح النيل وجفت الينابيع وتفجرت وقائع الشدة المستنصرية.. فى هذا السياق تتناول المسرحية أسرار ما حدث فى السنوات السبع للمجاعة، والتى كتبها المؤلف وفقاً لمنظور تاريخى نقدى يشتبك بقوة مع آليات التسلط التى لا تزال تحكم الشرق العربى.
- تأخذنا البدايات إلى ليلة وفاة الظاهر، حيث نتعرف برشاقة مدهشة على طبيعة القصر والشخصيات..، زوجة الظاهر هى السيدة "سكينة" ، كانت جارية عنده وتزوجها فأنجبت المستنصر..، الولد المنتظر للصعود إلى العرش، أصبحت هى أم خليفة الدولة الفاطمية..، وفى تلك الليلة كان المستنصر صبياً صغيراً يجرى ويلهو، ولا يدرك شيئاً..، الصراع لايزال يحتدم بقوة بين "ست مصر" عمة الفتى..، السيدة الجادة التى تمتلك عقلاً ذهبياً وتعرف أسرار الحكم، وبين "سكينة" الباحثة عن لقب سيدة مصر الأولى..، مستويات اللغة تكشف جماليات الكتاب، وتقاطعات الزمن تندفع بنا إلى بداية الشدة المستنصرية، حيث العام الأول من المجاعة..

المؤامرات تشعل نيران العذاب، والتاجر اليهودى الثرى مستشار الخليفة يجتمع بالكبار ليعلنوا ان مصر تمر بظروف صعبة.. فالنيل غاب وجاءت السنوات السبع العجاف والتى ترتبط دلالياً بسنين النبى يوسف بن يعقوب، لذلك قرروا أن يفعلوا مثله، ويحصلوا على دراهم مصر ودنانيرها مقابل القمح، وكانت هذه القرارات هى البردية الأولى التى تثير جدلاً ثائراً بين السلطة والشعب.

- كان الخليفة لا يكترث لشئ.. يسهر الليالى ويعشق الجوارى ويدخن الحشيش.. الدولة عشوائية، والسلطة ذهبت بعيداً عنه..، لا احد يحاكم أحداً.. فالبغاء هو قانون الحياة ، والناس سلموا بالمكتوب..، وفى هذا الإطار كانت وجد تثير أعمال الرجال..، تقدم لها إمام مسجد الحسين، وطلبها شهبندر التجار، فرفضت.، كانت تنتظر فارسها الذى سيمنحها المعنى والحياة..، وحين التقت "وجد" المصرية المسلمة السنية..، بفتاها نيروز الفارسى الشيعى..، كان اللقاء هو شرارة حب مثير جمعتهما ليواجها العالم بتلك الرؤية الإنسانية اللامعة الرحبة، التى تشتبك ببساطة مع أخطر قضايا وجودنا الحالى..، حيث العنف والإرهاب والوحشية والطائفية والتزييف المخيف للأديان والعقائد.
- رغم الفواصل والتقاطعات ، وايقاعات لغة المونتاج فى الرواية، تتصاعد أحداث المسرحية لترسم بانوراما غزيرة التفاصيل لبشاعة الحقيقة، وفساد الواقع المشوه..، فكل جار القمح بنوا قصور وامتلكوا الثروات الفاحشة بينما الناس يعيشون الضيق والأزمة ويأكلون لحم بعضهم، وعبر وقائع البرديات تضح ملامح السنوات السبعة.. ففى السنة الثانية قرر التجار

الحصول على الجواهر والذهي مقابل القمح وفى الثالثة أخذوا المواشى والدواء مقابل القمح، وفى السنة الرابعة حصلوا على الأراضى والعقارات مقابل القمح، وفى العام السادس قرر ياقوتى والشهبندر اني حصلوا على الأولاد، مقابل القمح حتى يتسروقونهم.. أما العام السابع فقد باعوا القمح مقابل رقاب الناس: وظل كبير الوزراء بدرا لجمال وحاشيته من الكبار يؤكدون أن "مصر مستهدفة من الجميع، لاحتلالها نظراً لموقعها.

- كانت شخصية بدر الجمإلى حاضرة بقوة فى قلب المشهد المسرحى، يحرك السياسة ويوجه الاقتصاد، ويصعد بقوة نحو أقصى درجات الاستبداد بينما فقد الخليفة المستنصر كل سلطاته وثرواته ، وشهدت مصر أسوأ أزماتها.. فالجوع كافر.. الجوع يبيح كل شئ، أباح لحم الموتى ليأكله الأحياء وكانت تلك هى البداية.. فالمصريون كانوا أول شعوب الأرض الذين قرروا أكل لحم المسئولين فى الحكومة عند المجاعة.. وظلت القاهرة على غير ما يرام.
- ويذكر أن شخصية الأمير حسن ملك الحشاشين، تأتى كمفارقة درامية شاخنة.. فقد أراد أن يصنع الجنة على الأرض ويحقق العدل، وكان الحشيش هو الوسيلة ليجذب الناس إليه ويمنحهم المقدرة على الكلام والرفض، وحين التقى بالخليفة المستنصر اخبره ان الحكام يحكمون بالخناجر.. وليس بالعدل.. وأن الأمانة من بعده ستكون لابنه نزار..، فانسحب الشيخ وقرر الرحيل إلى بلاده فارس.
- تقترب سنوات المجاعة والفقر من نهايتها وتشتعل مصر بالفوضى والصراع.. لكن رجالها ظلوا نائمين.. والخليفة لا يجد حتى الطعام،

والتجار يسرقون مصر فاندفعت "فجر" زوجة شهبند التجار لتقود ثورة النساء وتهتف بسقوط المستنصر، انضمت "ست مصر" عمة الخليفة إلى النساء.. ارتفعت الهتافات والزعاريد ضد التجار وقواد الجيش.. وانتصرت نساء مصر وقاموا بأول ثورة فى التاريخ على النظام.. كل النساء فى ساحة القصر.. يرددن بسقوط المستنصر.. الشعب يريد إسقاط الخليفة.. هكذا تنتهى سنوات الأزمة.. لكن المؤرخين قاموا بتزوير التاريخ.. إلا قلة منهم قاموا بكتابة حادث هنا وحادث هناك فى أبشع زمن من الأزمان.

- لا يزال همس الخطيئة فى صوت سهر.. تدفعها اللهفة المجنونة إلى لحظة بلا حدود، مسكونة بالخطايا ، وكان فتحى رضوان معذب بلقائه زوجة رجل ثان لكنه لا يستطيع الفراق.. والآن تناديه الحروف ولا يبوح، بعد أن فقد يقينه بالزهور والعطور واللحم المسحور.
- أخيراً.. فاض النيل، وانتهت حكاية "وجد" روح سهر الرابعة..، واكتشفنا أن كل من عليها خان.. وأدركنا أن المؤلف السيد حافظ هو طاقات من الوهج والروح والإبداع..، والدهشة والمغامرة.

د. وفاء كمالو

ديسمبر ٢٠١٥

حتى يطمئن قلبى..
بقلم د. وفاء كمالو

ذات يوم سأخلع ملابسك يا سهر قطعة قطعة.. ألقى بها الحزن القديم والفرح القادم.. أسقيك حمر الاكتشاف ، أرتوى من شفتيك كل طعم السعادة المؤجلة.. أحكى لنهديك ما جرى.. المس بشفتى فى رقبتك تعاويذ التجلى وسمو الجسد إلى الضياء.. عادى أنهزم.. عادى أن نقهر – عادى أن نخون أو نهون وأن نكون أو لانكون.. عشقك منفى.. وأنت قدرى.. أنت عطر ينتظرنى كى يتألق على روحى وجسدى فأصير وهجا.

يا سهر . العشق لا يعرف الأصول والحدود والقانون . لا يعرف المسافات ولا الخطر ولا الحذر.. يا سهر لا تخبريهم بسر جسدى وروحى.. بسر الدم واللون الأحمر والعصير الأحمر..لا تخبريهم ماذا أفعل حين يغلق علينا الباب. وكم أمضينا الفراش ، وأن للفراش المحبون والجنون.. لا تخبريهم أن شيطان العشق مفتون بك ومجنون.. وأنى أريد أن أكبد الشعراء على رموش عينيك الجميلة .ز فأنت قصيدة حروفها حب.. موسيقاها معى.. ومعك لغة مكتوبة على نهر النيل وحزن دجلة وسحر جبل لبنان.. أنت كل مدن العشق المستحيلة. لست سطرا من كيانى . أو رعشة من عشقى أو تنهيدة من ليإلى وحدتى.. أنت قدرتى فى محراب عينيك.. ساعدينى أن أكون بين الليل والنهار.. بين الشك واليقين.. ليطمئن قلبى.

– خلع فتحى رضوان ملابس سهر قطعة قطعة.. سقاها خمر الاكتشاف ، أرتوى من شفتيها وحكى لنهديها.. ولم تخبرهم هى بأسرار النهارات الوردية

ولا بسر الدم الأحمر.. لكنها لم تساعده أن يكون بين الليل والنهار.. بين الشك واليقين.. ولم يطمئن قلبه.

- تأتى هذه الملامح ضمن تفاصيل أحدث انجازات المؤلف الكبير سيد حافظ فى ملحمته الإبداعية الكبرى ، "حتى يطمئن قلبى والتى تنتمى فنيا إلى المسرواته نجدهما لياليها الفريدة وضحها المنير بين السرد الروائى والحوار المسرحى الذى نعاش من خلاله تجريف بين مسرحتين مسكونتين بالصدق والوهج وحرارة البوح والمكاشفة.. وكما يسير العظيم المتواضع سيد حافظ فإن الكتابة عنده مشروع وحلم ووجود ، نادرا ما يكون ال وطن حاضرا يرى الحقيقة التى يكتبها وغالبا ما يكون ال وطن غائبا عن التاريخ ، نجرح ثم يعود له الوعى أو.. لا يعود فى هذا السياق يقول المؤلف أنه حين أجتياز عتبة ميدان طلعت حرب وهو يبحث عن هوية الشصخية المصرية فى كتابة الرواية، وجد نفسه فى غليون الممناقضات بين عشب الحئيش والتبغ الردئ، وقهوة عاطف فى مقهى البستان ، ورجال بنظارات يجلسون على طاولات، وأجاديث جوفاء كالفشار ، والكل يدعى أنه يعرف.. ، وما أن أجتازت عينيه الصفحة الاولى من الكتابة ، هاجمته ذكريات أحلامه الصغيرة المحبطة ، وما أن أجتاز عتبة القلق أنتابه قلق جديد.. فالكتابة شقاء وجحيم.

- لا تزال الشخصيات الجيدة التى تعرفنا عليها فى الإجزاء السابقة تعيش وجودها المشاغب وتأخذنا إلى سبعينيات القرن العشرين ، حيث الجدل الساخن والاشتباك المنير مع وقائع حاضرنا الشرس العنيد.. ، أما البعد التاريخى للمسررواية ، الذى يأتى منسوجا بأسلوب علمى دقيق وتقنيات فنية نادرة ، فهو ينطلق من حكايات شهرزاد التى تروى عن لامار وهوى ، ليبعث

فيهن المؤلف حياة جديدة على المسرح تكشف أسرار السقوط ومعنى التوازنات وحقيقة التاريخ.

تقع الأحداث التاريخية فى القرن الخامس الهجرى – الحادى عشر الميلادى ، حيث ثلاث قوى تتقاسم الشرق العربى ، كل منها أضعف من الآخرى الخلافة العباسية فى العراق.. ، والخلافة الفاطمية فى مصر والشام والامبراطورية البيزنطية فى الشمال الأناضولى ، وفى هذا السياق تعود شهرزاد إلى مصر الفاطمية وهى تنهار وتنقرض.. الخليفة العاضد ضعيف والوزراء يحكمون بدلا منه.. أنه زمن المؤامرات حيث يشارك الخليفة نفسه فى نسج الدسائس ضد وزرائه للتخلص منهم.. كل الأطراف تتأمر ضد بعضها ، وليس هناك خجل من الاستعانة بالصليبين.. هكذا انطلقت شهرزاد من ليلها المخدر بالجمال فى دبى لتحكى للفاتنة سهر حكاية لامار روحها الخامسة ، بعد أن سمعت حكاية روحها الأولى نفر فى عهد أخناتون ، وروحها الثانية نور وقصة حبها مع الضابط محب فى عهد النبى موسى ، وروحها الثالثة شمس والحاكم بأمر الله ، وروحها الرابعة وجد مع حبيبها الغنى النيروزى.. وهى الان مشدودة لدخول عالم لامار وصراعها مع الشاب ضوء المكان والوزير بهاء الدين قراقوش

– لامار هى جزء من روح سهر وطيف من أطياف مصيرها.. وجودها يمثل تقنية فنية يفتح بها سيد حافظ أبواب التاريخ ، ليدخل المتلقى عالم منير يسقط فيه أقنعة السلطة لتظهر دعارة السياسة وشرارة الأقتصاد ، وأنتهاكات الإنسان وبشاعة وجه التاريخ بعيدا عن ال زيف والاستلال حيث الوقائع الغائبة، والديكتاتورية الحاضرة ، دوما فى قلب المشهد الإنسانى العربى..

فمن نجران اليمنية إلى القاهرة الفاطمية جاءت لامار.. أسمها يعنى بريق الذهب أو الألماس . أسم يعرفه الليل والبحر والشجر وأحلام المراهقين والرجال.. هى أبنة السابعة عشر.. كلما سارت فى الشوارع بيعت نورها وهجا فى قلوب الرجال.. منحها الله من وجهه الفا.. شعرها غاية من العطر والحرير.. ، العطر لم يشمه من قبل العصفور لا على الزهور ولا البخور ولا الغابات ، وقالوا أنها عشيقته القمر.

– كان أبوها تاجرا بسيطا من أهل نجران فى اليمن ، طويل القامة كالعجل ، لكن الجوع كافر.. ، سافر الرجل إلى الشام للتجارة وترك الأولاد والدار.. وفى ذلك الزمن.. زمن الفقر والجوع كان القبائل الجائعة تهجم على القبائل الأقل جوعا ، تنهب المال والطعام وتسرق الاطفال لتبيعهم عبيدا.. هكذا وقعت لامار فى يد النخاس ، حملها مع العبيد إلى مصر.. ، وفى الطريق اكتشف عطر جسدها.. لكنه كان مدمن خمر وغلمان.. ، وأصبحت لامار جارية فى قصر الخليفة العاضد.. التحفت كريم الخليفة وشعرت بالامان.. كان كل من حولها نساء ، تعرفت على زميلتها هوى ، التى أخبرتها بكل أرار البنات ، وحكت لها عن المسارية ، الانثى الجميلة القوية ذات القوام الفاتن الذى يلهب خيال الرجال ، لكنها كانت تحب النساء.

– تبدو تفاصيل الحياة داخل القصر مدهشة ومثيرة ، حيث يبلغ عدد الحريم فى القصر أكثر من عشرين الف جارية ، كلهم جميلات ، والخليفة العاضد لا يستطيع مضاجعة النساء ، اقترب الأمر للحراس.. واندفاعات الشذوذ.. وفى هذا السياق تبدو السياسة خارج القصر أكثر قبحا وتشوها على الوزير الفاطمى "تشارو" يتجاوز الخليفة ، ويستعين بنور الدين محمود الذى يحكم

الشام ، فيرسل له جيش بقيادة أبن أخيه صلاح الدين الأيوبى.. ، لقد كان شاور رجلا أحمق ، حرق القاهرة كلها لأنه سمع صوتان فى الزحام يندد به ، ولم يعثر عليه.. ، ظلت النيران مشتعلة أربعة عشر يوما.. ، النار تأكل البيوت والتاس فى الطرقات.. من يحاول الاقتراب من النيل ليطفأ جسده.. ، قطعوا رقبته.. ، لا حدود للكره ولا حدود للقسوة . القاهرة دامعة.. محروقة والأيام حبلى بالدسائس ، والفرح على أرض مصر قليل.. ، والمشكلة أن الفرنج قادمون.. والنساء فى القصر لا تعرفن المصير مع الخطر والأيام والأحزان.

– يتحرك المنظور الدرامى للمسررواية – حتى يطمئن قلبى – عبر مستويات عديدة مركبة.. متداخلة ومتوازنة.. حيث تشبك الماضى البعيد مع الحاضر القريب ، والتاريخ الرسمى مع التاريخ الحقيقى للناس ، ويأخذنا المؤلف سيد حافظ إلى تلك الشخصيات المبهرة فى داخل القصر وفى خارجه لتصبح أمام بانوراما غزيرة التفاصيل تبوح وتروى وتكشف كل اسرار الانهيارات والسقوط . وفى هذا السياق يتعرف على الشيخ عثمان الابن الشرعى لزمن الخلل والتناقضات فى الدول الفاطمية.. ، فقد أعتاد أن يلعب بعقول الناس وأجساد النساء ، الابتسامة لا تفارق شفتيه يعقد القران والطلاق ، ويتزوج الأرامل والمطلقات.. ، ويشهدن له دوما أن ذكورته كالفيل.. ، لم يكن له مكان ولا عنوان ، يؤجر شقة خاصة ليقابل الجان ، أو نعيم حضرة أوزار . أو يفك سحر أمرأة معمول لها عمل .

– كانت زوجة ال وزير "شاور" قد شاهدته يضاجع جارية رومية ، فى الحمام الخاص بجناحها . فظلت تصرخ وساءت حالتها ، وقرر زوجها أن

يستعين بالشيخ عثمان.. فاستدعاه ودخل حجرتها فشفت ملابسها وتهاوى الشيخ أمام جسدها الفاتن الجميل.. خلع ملابسه ، وظل شهور فى حجرتها ، بعد أن أدمنته زوجة الوزير المشغول دوما بالمؤامرات والدسائس. وعبر الحضور اللافت لجماليات الكتابة عند سيد حافظ ويتعرف على تفاصيل تجربة صلاح الدين الأيوبى فى الاسكندرية ، الذى أصبح واليا عليها ، وهى من الفترات التى لا يعرفها الغالبية العظمى من الناس ويذكر أناه تأتى بأسلوب علمى موثق بالمراجع التاريخية فأخذنا هارمونية الايقاعات إلى انتقال ناعم من السرد الروائى الذى يبدأ بين لامار وصديقتها الجارية هوى.. ، إلى الدخول فى إطار المسرح لنتعرف بحيوية ثائرة متمردة على حكاية قصر ونيران العشق حتى الجنون ، تلك التجرة المسرحية اللامعة المسكونة بوهج الحضور الجدلى للسلطة وسكان القصور مع أبناء الشعب من العطارين والبنائين والنجارين والفقراء المعذبين مثل أحمد أو زعتر وقن ديل ، ولياِلى القاهرة فى عيون الرجال والنساء ، والعلاقات المتوترة.

فى تلك الفترة كان الخليفة الآمر بأحكام الله يعيش فى قصره الفخم الأنيق باحثا عن الحب والجنس والنساء. لا يفكر تماما فى عذابات شعبه ، ولا فى التوترات العارمة التى يشهدها الشرق العربى.. أنها الدعارة السياسية والاهتداء المخيف فى نهايات الدولة الفاطمية.. فى هذا السياق كانت لقاءات الخليفة الأمر مع وزير المأمون هى تحث عن الرغبات الجامحة والعشق المنير ، أخبرته الساحرة أن الحب سيقتله وأنه سيعذب فى عيون أمرأة جميلة ، ورغم أنه يمتلك ألف جارية وألف خليلة وألف مخطية ، وتزوج حتى الان من تسعمائة أمرأة .، إلا أنه يبحث الأن عن أمرأة لم تحدث فى التاريخ لم

تحدث فى الماضى أو الحاضر.. ولن تحدث فى المستقبل.. أمرأة تنجب له طفل يرث هذا العرش.

- كانت القاهرة بلا قمح فى هذه الأيام.. سقطت عكا والخليفة لم يهتم ، سقطت طرابلس وأعتصبها الفرنج بقيادة الملك برذويل.. ، والخليفة أنصت لم يهتم.. ، الأسعار ترتفع والغلاء يبدد الناس والفقر يقتلهم.. ، والخليفة لا يستطيع الحياة بلا حب وهوى ومغامرات.. وهو الآن يأ/ر وزيره المأمون أن يتنكر ويخرج ليأتيه بأمرأة بدوية ، لا تعرف الصباغ ولا العطور ، جمال رائحتها مثل الزهور ، حسنها مطلق.. رشيقة بريئة وشاعرة وأديبة. وهناك فى صعيد مصر بالنفى الوزير بالشابة الجميلة.. أبنه الصحراء والهواء والحرية.. رآها مع أبن عمها الشاعر الفقير الذى لا يمتلك إلا الكلمات ، بينهما وعود وعهود وعشق منير.. والاحالات تأخذنا إلى حكايات قيس وليلى ، وعنترة وعبلة.. ، أسمها الغالية ، وحبيبها الشاعر هو أبن مباح .

- يخبرها الوزير أنه هو خادم المصباح المسحور ، وأن الخليفة الأمر بأحكام الله سيكون فارسها وتكون هى سيدة القصر الفاطمى . فترفض وتؤكد أنها تحب شاعرها الفقر.. ورغم أن بروديل القائد أصبح على مشارف القاهرة ، يخطط لدخولها والجنود يفتكون بنساء القاهرة ويستحمون فى النيل ، إلا أن الأمر لا يزال غارقا فى الخمور والنساء ، لا يدرك معنى الجوع فى الداخل والفرنج فى الخارج ، ولا يزال الوزير المأمون يتابع مهمته. فيذهب إلى أهل الغالية يغمرهم بمئات الالاف من الدنانير ، ويعد الاب أن يكون شيخا لقبيلته ، ويأمره بأحضار أبنه. لكنها ترفض بشدة.. تؤكد أن أهلها يبيعونها ، وتعرض على حبيبها أن تباع أن يهديا معا.. لكنه رفض خوفا من الخليفة

الذى يمتلك كل البلاد. وظل يبكى كالنساء. عرفت أنه تنازل عنها – فرضخت ووافقت على الزواج وأصبحت سيدة القصر الفاطمى.

– كان القائد بردويل منطلقا إلى أنتصاراته ، أرسل للخليفة الأمر أن يسلم القاهرة. لكن الاقدار تشاء أن يصاب بردويل بمرض خطير فى معدته ويموت ، لتبقى القاهرة فى عصمة خليفتها ، ويقيم الوزير الافراح احتفالا بالنصر الزائف وفى هذا السياق يثير المؤلف سيد حافظ ، أدراك القارئ ويفتح أمامه مسارات للتفكير عبر الفواصل التى تكسر حوائط الابهام ، والتى تأتى منسوجة فى قلب الحدث الروائى والمسرحى . فتقرأ عن شيوخ مصر العظماء مثل الشيخ محمد رفعت ، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد، وغيرهم ، كذلك نقرأ العديد من القصص القصيرة ، التى لا تزيد عن سطر واحد.. لكنها مسكن بالمعنى والاهداف والدلالات ، أما برنامج حكايات قراقوش فهو يتجاوز حدود الوعى والجمال الأخاذ عبر اشتباكاته الساخنة مع مفاهيم القهر والتسلط والاستبعاد.

وكان الخليفة الأمر قد أهدى قلبه وكيانه ووجودة للغالية ، أصبحت سيدة عالمة لكنه يلمح فى عينيها حزناً غريباً. لا تزال مسكونه بالبادية والخيام والحرية والهواء والهودج.. يخبرها أنه معذب بشرودها ، وأن الحب تفجر فى قلبه وروحه منذ شاهدها رغم الاف النساء والاجساد التى عرفها.. ، وهكذا تأخذه أفكاره إلى أن يأتى بعباقرة المهندسين ليقيم للغالبية قصرا عظيما على جزيرة الفسطاط يتمايل كالهودج على الماء يمينا ويسارا وأماما وخلفاً.. لعله يمنحها شيئا من ملامح الحاضر الجيل.. ورغم الثراء والجمال والحب الجارف الا أن شرارة الحب الاول لا تزال ساكنة فى قلب سيدة قلب الخليفة الفاطمى.

وفى هذا السياق يأخذنا المونتاج المتوازى إلى إياقعات الدهشة والرشاقة.. ، نقرأ ان شقيق الغالية معذب بموقف اسرته ، وبعذابات ابن مباح ، الذى لا تتوقف دموعه.. ، قرر أن يسافر اليها ، فأعطاه أبن عمه قصيدة عشق مثيرة ليسلمها لتلك التى لا تفارقه.. ، وعبر إمتداد الأحداث والتفاصيل ، يصل البدوى إلى القصر ، فيقبض عليه الوزير المأمون.. يأخذ أوراقه ويقرأ.. فتأخذه الدهشة ويعلن انها الخيانة.. سيدة القصر الفاطمى تخون الخليفة مع ابن عمها الشاعر الفقير.. يفكر طويلا فى الموقف ويقرر أن يستيد منه بابتزاز الغالية.. يتجرأ عليها ويتهمها بالخيانة.. ، فتصفعه ويتعقد الموقف فيساومها على الصمت مقابل أن يكون وليا للعرب ، ونائبا للأمر بأحكام الللـه ، كى يصبح هو الخليفة بعد موته.. ، وسوف يدعها تحب أبن عمها. بعد رفضها العارم.. يذهب المأمون إلى الخليفة ويقرأ له القصيدة.. ورغم انهياره وذهوله إلا أنه يخبر وزيره أنه يعشق زوجته ولا يستطيع الحياة بدونها ففى عينيها كل اسرار الحياة.

– يلتقى الزوجان ويتصافحان.. وتقسم هى ألا ترسل أبن عمها ، وأن تكون للآمر.. فيتطلب منها أن يهذا إلى قصر الهودج ليعيش معا ولا يفارقا القصر الا بعد عام.. وهكذا تمضى الايام ويعود شقيقها يطلب مقابلة الخليفة.. فيذهب إلى قصر الهودج ويندفع بقوة إلى صدر الامر.. ويطعنه بعنف وشراسة.. فيموت وهو يأل الغالية عن حبها.. فتجيبه أنت زوجى.. وتهرب الغالية من القصر.. تذهب إلى ابن مباح ليتزوجا ، وتسكن الخيام وترعى الآبل.

– تنتهى قصة قصر الهودج ، أجمل قصور مصر . تبكى هوى وتبكى لامار تشعر بدموعهما من الماضى البعيد ، وتبكى ايضا سهر وشهر زاد لتصبح دموع نساء زمننا وثائق عئق وحياة .

– تمثل مسررواية كى يطمئن قلبى ، للمؤلف سيد حافظ ، صاحب البصمات الإبداعية الفريدة ، التى يتوقف أمامها تاريخ الإبداع طويلا.. ، تمثل مرحلة جديدة من مراحل الجموح المدهش ، وتحمل الكثير من ملامح التطور والتصاعد والاختلاف عن الاجزاء السابقة من ملحمته الكبرى ، حيث تكشف حكاية روح سهر الخامسة عن العديد من التقنيات الروائية الحداثية ، التى تدفع بالسرد والحوار فى اتجاهات الاهمية تمتد من الوعى إلى اللاوعى ومن عمق الماضى إلى قلب الحاضر ، أما اسلوب نسيج البناء الدرامى المعاصر بالبناء الدرامى التاريخى فهو يرسم ابعاد مفارقات كبرى تشرح وتفسر وتبحث عن تغيير وجهة النظر الاحادية التى تحكم الواقع العربى ، ورغم أن القراءة السريعة قد تقود المتلقى إلى أن التاريخ يكرر نفسه ، إلا أن القراءة الأعمق تكشف عن منظور جدلى شديد الابهار ، يؤكد أن تشابه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تؤدى إلى نفس النتائج ، وتعيدا وقائع القهر والاستلاب والغياب.

– لا يزال فتحى رضوان خليل يعيش أحداث الحب والعشق والخيانة مع سهر زوجة منقذ..، الصمت بينهما هو سيد اللحظة، والقبلات تحت الماء لها طعم أخر ، قسم قلبه بينه وبينها ، وبين الكتابة وكحل عينيها وضفائر شعرها وهمس شفتيها.. حدث أن عشقها وفقد عقله ، وذنوبه فى العشق لحن ناى حزين. وفى هذا السياق يأخذنا المؤلف إلى تفاصيل الواقع السياسى والثقافى

والاقتصادى فى مصر والكويت ودبى والعراق وتفتح الرؤى والأحداث مسارات مدهشة لنقد وقائع الصعود ولاسقوط ، وعبر اياقعات المونتاج المتوازى والمتوإلى تتحول الكتابة إلى وهج سحرى مدهش يجمع بين فتحى وحبيبته سهر ، وزوجته تهانى ، التى تعلم أن قلبه معها ، رغم ذلك تضمه إلى صدرها كل ليلة ويساوره التخيل إنها هى.. وتظل تهانى خجلى من قلبها ومن نفسها. تتساءل كيف يتسع القلب لامرأتين ، أما فتحى فهو يحاول الهروب من صورة سهر التى تلاحقه ، لكنه يفشل دائما ، ويرسل لها كل مساء بعض الكلمات ، فتتحول إلى قبلات على خديها وشفتيها.

ورغم أن سهر سورية درزية ومتزوجة ، وهو مصرى سنى ومتزوج ايضا . ، ولا شئ منطقى يربط بينهما.. إلا أن الحب قد جمع بينها عبر قصة تقوى حدود الخيال والتصورات.. ، فهل كان الحب لعنة أم قدر؟

– حين تزوجت سهر من منقذ ، تركت الشام لتعيش معه فى دبى وهناك تحولت حياتها إلى مفارقة وجودية عقبة مخيفة ، لكنها استطاعت أن تتجاوز تساؤلات الحيرة والعذاب ، واختارت الحب وجنون اللحظات.. ، لم يكن زوجها منقذ هـ و الرجل الذى عرفت معه سحر الحياة.. ظلت غذراء لشهور طويلة ، وظل هو يحاول امتلاك رجولته وحين التقت بفتحى رضوان ، زميل منقذ فى الجريدة ، كتبت الاقدار ميلادا اسطوريا لقصة حب منيرة.. منحها روحه ووجوده ومنحته قلبها وحسنها وعرفت معه معنى الحب والجنس والحياة ، فكان هو رجلها الحقيقى المهاجر دوما بين الوجه والشوق . وفى هذا السياق كانت شهرزاد شاهدة على أدق الخبايا والأسرار ، تعلم حقيقة حب سهر.. ، تتذكر الماضى عندما كانت تمر على باب بيتها الخإلى من الأحزان ، يحدثها

الباب والجدران عن طفولتها البريئة ، تسمع ضحكاتها الجميلة ، وكبرت وأصبحت منهرة وتحولت إلى ثمرة منيرة ، جمالها تصرخ فى وجه الرجال ، فقد فتن لها شيطان العشق ودفعها إلى تيارات الجموح . وحين علمت أنها حامل قررت الصمت ، فسهر نفسها لا تعرف من هو الأب الحقيقى لطفلها القادم.. هل هو زوجها منقذ أم حبيبها فتحى؟

- صفعته شهرزاد على وجهه وسألته هل الجنين أبنك ؟ فعجز فتحى عن الإجابة.. ، الأسئلة موجعة للعقل والقلب والروح ، ظل يسأل نفسه لماذا لا نخاف العشق.. ونخاف أن تحمل النساء منا..، هل أطفال العشق شياطين أم ملائكة؟ وهل أنا خائف ؟ من تهانى زوجتى ؟ من شهرزاد ؟ من سهر ؟ من الله.. الله؟ وتظل مشاعر الدنس والخطيئة تعذب فتحى وتقتل ملامح الفرح فى حياته.. لم يسعد حين علم أن تهانى زوجته ستنجب الولد ، وكانت المفارقة هى أن سهر ايضا ستنجب الولد.

- تأخذنا تفاصين السرد الروائى إلى لحظة مخيفة تحمل الكثير من الدلالات والمؤشرات والاجابات ، حيثن كانت سهر تحدث شهرزاد عن عذابها المخيف فهى لا تعرف هو أبن من.. يقتلها الشك وتريد هى أن تقتل نفسها وفى تلك اللحظة يدخل زوجها منقذ ويسمع هذا الحوار الأثم.. يكاد يصرخ من فرط ذهوله وأخيرا يواجه زوجته ويقول لها الولد اللى فى بطنك أنا أريده.. أريد أن أكون أبا له.. حتى لو لم أكن أباه.

فتبكى سهر وتطلب الطلاق ، لكنه يرفض ويبكى ويضمها فى حضنه ويبكى الاثنان.

ولا يزال فتحى رضوان يعيش عذابات الجحيم ، تحاصره التساؤلات ويبحث عن إجابات.. كى يطمئن قلبه.

- تمضى الايام. وتمتد التقاطعات والاشتباكات.. نسافر إلى الماضى ونعود إلى قلب الحاضر وتحكى شهر زاد عن لامار والفتى ضوء المكان والوزير قراقوش.. تلك الحكاية التى تأخذنا إلى فترة تاريخية مثيرة للجدل ، حيث سقوط الدولة الفاطمية وصعود الدولة الأيوبية والتاريخ الحقيقى لصلاح الدين الأيوبى الذى لم يكن يدرى أثناء حصاره فى الاسكندرية ، أن عرش مصر سيصير اليه بعد سنتين بلا عناء.. فالمؤامرات تغير وجه التاريخ ، وتصنع أمجادا وصعودا وانهيارات وفى هذا السياق كانت لامار تعيش فى قصر الجوارى الملحق بقصد الخليفة الفاطمى العاضد ، وكان أبوها يبحث عنها فى كل مكان حتى وصل إلى مصر ، والتقى بالناس واشتعل فى دكان شيحا الحداد.. وهناك يلتقى بالفتى مصابح.. أو ضوء المكان ، أبن شيحا ودنيا زاد ، الشاب الذى لم يحب أى مهنة ، روحه غاضبة متمردة بلا هدف.. يعرف كل بيوت القاهرة.. ، الاغنياء والأثرياء والتجار.. ، بيوت الدعارة السرية ، يحفظ أسماء كل نساء مصر ، لم يتزوج لأنه يحلم بأنثى جميلة لم يسبقها فى سحرها أحد ، كان صديقا للشيخ عثمان الذى ، اصبح الان نائب شيخ الأزهر.. وكان عثمان يتنفس كذبا مثل الامير شاور.. ، مثل الخليفة العاضد ، وبإختصار مثل الجميع.

- فى اشتباك مدهش ما بين جماليات حكى شهرزاد ، وجموح التجربة المسرحية التى تبعث موجات الوعى والحرية والتساؤلات . ، يدرك المتلقى أن سيد حافظ هو كيان أبداعى شديد الابهار تدفعنا كتاباته إلى العديد من

القراءات والتفسيرات ، حيث تكتمل الؤى الفكرية والفنية عبر المزج الواعى بين التاريخ الرسمى المكتوب ، والتاريخ الحقيقى الذى لا يعرفه الكثير من الناس ليصبح المنظور الدرامى جامعا بين الحداثة والتراث ، تيارات الوعى والكوميديا السوداء ، التراجيديا والجروتسك ، والعبث والوجود والعدم.. ، تلك الاتجاهات التى تجاوزها هذا الإبداع العظيم الذى يظل محتفظا بخصوصيته وبصماته الفريدة هكذا نقرأ أن صلاح الدين الأيوبى الكردنى يقطع راس الوزير الفاطمى شاور ويخلص مصر من شرورة ، فقد فكر الخليفة العاضد فى أن يلقى بصلاح الدين فى فتنه أخلاقيه ، حيث أقترح عليه الوزير شاور قبل موته أن يعينه مسئولا عن أمن الجوارى فى القصر بعد أن بلغ عددهن أل فجارية من أجمل بنات العالم.. لكن الأيوبى يخرج من هذه المصيدة ، ويختار بهاء الدين قراقوش ، الذى أصبح يتجول فى القصر الحريم ببساطة..، فهو خصى ، جميل الوجه ، ومهنندس بارع ، وغبى بقوة فى شئون الحياة لذلك كان صعوده مبهرا وسريع.. ، وعينه القائد القادم كبيرا لشئون القصر العام والخاص ، وأصبح رجل صلاح الدين الأول ، وذراعه المعجزة . ويذكر أنه لأول مرة فى التاريخ يقوم الأيوبى بتعيين نساء بصاصات ، يفتن عما يدور فى مخادع النساء فى القصر ، فكان يعرف ببساطة هل نامت أمرأة مع زوجها أم لا . وعبر المشاهد المسرحية المتوترة ، التى تجمع ما بين أحداث قصور الخليفة والأمراء والجوار ، وبين عذابات الناس من الشعب فى البيوت والشوارع نعلم أن صلاح الدين الأيوبى قد بدأ الاعداد لخطة الانقلاب على الدولة الفاطمية ، وكان يؤكد دوما أن الزعماء

والقادة هم الذين يكتبون التاريخ.. ، يشترون المؤرخين بالاموال ليكتبوا كل ما يريده الكبار

– تقودنا دراما المسرحية ، والوثائق التاريخية الدقيقة إلى لحظة سقوط الخليفة العاضد ، أخر الخلفاء الفاطميين ، ثم تعيين صلاح الدين الأيوبى وزيرا على مصر بعد وفاة أسد الدين شيركوة.. كان عمره آنذاك أثنان وثلاثون عام. وبذلك أنتقل مركز قوى العالم الاسلامى إلى مصر.. ، وفى هذا الاطار يرسل نور الدين محمود إلى وزيره صلاح الدين، ليأمره بتحويل البلاد إلى المذهب السنى ، والدعاء للخليفة العباسى بدلا من الخليفة الفاطمى ، لكن صلاح الدين يستمهله حتى يتوفى الخليفة العاضد المحتضر . فهو الان يفهم جيدا أن الأ يوبى قد أنقلب عليه ، منذ إندفاعه إلى محمو كل مظاهر المذهب الشيعى وحرق المساجد والناس تصلى فيها وتسريد ومحاصرة سكان القصور الفاطمية والتأ:يد على محاربة الإرهاب الشيعى ، وإذا الوزير الفاطمى شاور قد أحرق مصر مرتين ، فإن صلاح الدين قد أحرقها بفظاعة تفوق الخيال وهو الن يجلس فى شرفة القصر ، يرى النار من بعيد فى ليل القاهرة الحزين ، ويسمع شيوخ الأزهر وهم يطوفون قائلين جاء الحق وزهق الباطل أما حرق قصر الهودج وأجمل قصور الفاطميين التى تمثل تراثا فنيا رفيع المستوى ، وكذلك بيع نسائهم كعبيد.. كل ذلك تؤد أن السلطة والسياسة لها توازنات أخرى بعيدا عن الفن والحضارة والجمال.

– كانت لامار فى قصر الجوارى تشم رائحة أبيها ، وكانت تعلم جيدا أن الخلافة سقطت.. فقررت هى وصديقتها هوى الذهاب إلى المطبخ فالنوم مع الخدم أفضل من النوم فى الشوارع أو فى بيوت الدعارة وفى هذا السياق

تلتفى لامار ذات مساء بضوء المكان ، فيبهره جمالها ويغتصبها بوحشية ، ثم يجلس ليبكى ويطلب منها الزواج ، يأخذها إلى بيت نائب القاضى الشيخ عثمان ويعلم منها أنها أبنة أبى بكر القادم من نجران اليمن ، وتطلب العودة إلى القصر ، فتذهبوا بها بشرط الا تخبر الوزير قراقوش ، وهكذا تمتد الأحداث والمقاطعات ونعلم أن الناصر صلاح الدين قد هدم الكثير من أهرامات الجيزة ليبنى القلعة والسجون ، ثم أغلق الأزهر وحوله إلى مخزن بضائع ، وأخبر عمه أسد الدين شيركوه أنه لن يشاركه الحرب على الصليبيين كى يتفرغ للفتن الداخلية التى يقوم بها الفاطميين ، أما بهاء الدين قراقوش فقد جلس على كرسى العرش فى مصر نائبا عن الأيوبى ، الذى أنتقل إلى دمشق ليحكم الشام. وهكذا أنقسمت الجارات بين السنة والشيعة الكل يقتل الكل.. والرعب ينتشر فى البلاد ، والمسيحيون واليهود خائفين من انتقال عدوى الفتن.

– أصبح الشيخ عثمان قاضيا عند صلاح الدين ايضا ، بينما حملت لامار من الفتى ضوء المكان وكادت تموت وهى تتخلص من جنينها ، وكان فتاها مؤرقا بفعلته الخسيسة يبحث عنها فى كل مكان ليتزوجها. وفى هذا السياق ذهبت لامار وصديقتها هدى إلى بيت القاضى عثمان ليبحث لهما عن حل للهرب من هذا الجحيم. وكان أبو بكر موجودا فى بيت عثمان ، تلك الحالة التى بعث بها المؤلف أ؛د أجمل مشاهد المسرحية ، عبر تيارات المشاعر ودهشة الإثارة واللقاء الجميل بين الأب وأبنته.. ، أما القاضى فقد طلب الزواج من لامار ووافق الأب ، ليحدث انقلابا عارما فى حياة عثمان الذى أكتفى تماما بالجميلة لامار وظل فى الدار ثلاثة أشهر متصلة ، وقرر التوبة

وانتهت علاقته الاثمة بالنساء.. وهكذا تمضى السنوات وتلتقى لامار بضوء المكان تحكى له حكايات زواجها وحكايات الجوارى ، ونعلم أ، قراقوش الذى منع ال زواج سوف يحاكم عثمان لأنه تزوج الجارية الجميلة رغما عنه.. ، ويحكم الوزير بطلاق لامار التى تشاغب خياله ليل نهار.. ، فيبكى الزوج طويلاً وتعود هى إلى مطبخ القصر، ويبلغ القاضى فى أن يلتحق بالمطبخ معها. وعبر ايقاعات الجروتسك واندفاعات الحب والقهر والعذاب ، وجماليات شخصية ضوء المكان..، يظل التوتر هو الأكثر حضورا فى قلب المشهد المسرحى والروائى.. ويظل فتحى رضوان مؤرقا بعذاباته وباحثا عن الحقيقة.. حتى يطمئن قلبه.

- تنتهى التجربة الثرية الضخمة ، ويبقى وهج المؤلف سيد حافظ ليبعث تساؤلاته المقلقة فى قلب المشهد الثقافى المصرى الذى سيتوقف طويلاً أمام إبداع يؤرخ للجمال والوعى والحرية.

د. وفاء كمال

القاهرة ٢٠١٧/١

السيرة الذاتية
د. وفاء حامد كمالو

- كبير باحثى دراسات مسرحية ونقدية بالمجلس الأعلى للثقافة
- دكتوراه فى الدراما والنقد من أكاديمية الفنون بتقدير امتياز ٢٠٠٢
- ماجستير الدراما والنقد من أكاديمية الفنون
- دبلوم الدراسات العليا فى النقد الفنى من أكاديمية الفنون
- بكالوريوس علوم بيولوجى – جامعة القاهرة
- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو نقابة المهن التمثيلية – شعبة النقد
- عضو لجنة القراءة العليا بالرقابة على المصنفات الفنية
- عضو لجنة القراءة العليا بقطاع الفنون الشعبية

عديد من الدراسات المنشورة فى:

- مجلة المسرح
- مجلة الهلال
- آفاق مسرحية
- عالم المعرفة
- عالم الكتاب
- مجلة القاهرة
- المحيط الثقافى

عديد من المقالات المنشورة فى:

- جريدة الأهرام

- جريدة الأهرام المسائى
- جريدة القاهرة
- جريدة أوان الكويتية
- جريدة مسرحنا

الكتب:

- أيديولوجيا الالتزام فى المسرح المصرى المعاصر
- الإبداع المسرحى وسلطة الرقابة
- صورة نجيب محفوظ ومدكور ثابت

إصدارات أكاديمية الفنون:

- تناقضات الوعى الفكرى فى تجربة الإبداع

إصدارات المركز القومى للمسرح:

- حاصلة على العديد من شهادات التقدير والدروع من المهرجانات المسرحية العربية والمحلية .

الفهرس